

الدرس التام في التواريخ العام
المختص من كتب التواريخ الاوروپية والعربية

في الساحة الخديوية

لقصد تدريسها لطلبة العلم بمدينة دارالعلوم المصرية

جمع وتعمير

العبد الفقير ابي السعود اقبندى

المترجم بديوان المعارف العمومية

ومدرس علم التواريخ العام في المدرسة المذكورة

جعلها الله بالعناية الخديوية من المآثر الماثورة

آمين



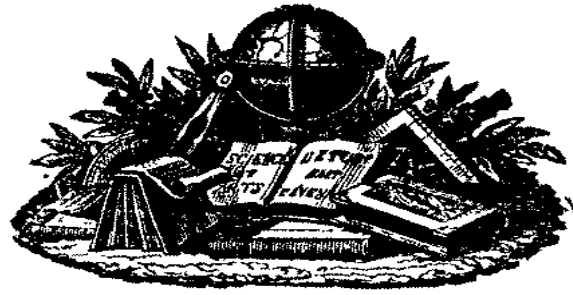
(طبعة أولى)

بمطبعة وادي النيل المصرية

الكائنة بخط باب الشعريه

بمصر القاهره

سنة ١٢٨٩



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي قص في كتابه العزيز أحسن القصص من اخبار القرون الاولى وآثار الامم
السابقين ما فيه اسوة حسنة وقدوة مستحسنة لاولى الابصار من الممل والاقوام اللاحقين
ونص فيه أهدى النص على ما فيه أجل عبرة للعتبرين وأكل تبصرة للتبصرين لقصد
التربية والتعليم وجعل التواريخ مدرسة مستمرة للتدبر والتجرب ومقبسة نيرة للحكم والتأديب
يهتدي بها في ظلمات الاعصار كل ذي ذوق سليم **وأتم الصلوات واعم التسليم على**
سيدنا محمد أفضل مؤسس للجماعة بشرية من عدا ان البنية الدينية وبنیان العمارة الوطنية
على أقوى أساسه وأكمل مقتبس للهداية التمدنية ورعاية الامنية باضواء مقباسة سمحت
سيرته ووضحت سنته فهو أحسن أسوة يهتدى بها المهتدون وأمن عروة يعتمد عليها
المعتدون في السلوك للطريق المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الناسجيين على ~~مهملة~~
والناهجين على مثاله الذين اعتنوا بما عليه اعتمدوا وابتنوا على ما كان لهم قدشيد وساعده
على مارام وقاموا من بعده باعباء الامر أتم القيام فمنازاة بمنزلة التكميل وحازوا فضيلة التتميم
رضى الله تعالى عنهم ورضاعنه فهم في جنة النعيم المقيم

وبعد فيقول العبد الفقير الى الله المعيد المبدى والمخلوق الحقير المدعو باسم أبي السعد
أفتدى اننا في عصر لا يقاس بالاعصر الاول وفي وطن وملة هما أفضل الاوطان والممل حدثت
فيه حوادث جليلة من أثار تمدن الممل الاوربية وغيرهم من الامم الاجنبية لم يكن مثلها
في الازمان السالفة معهود وبدع جيله لم يكن شيء منها في الاوطان السابقة بشهود كاستخدام
القوة الكهر بائية في سرعة نقل الاخبار التراسلية بالاشارة التلغرافية وكاستعمال القوة
البخارية في قضاء الحوائج السفرية البرية والبحرية وغير ذلك من الاختراعات العصرية
وترتب على ذلك حصول حركة تقدمية شديدة ورغبة تعليمية أكيدة أخذتها الممل الاوربية
وغيرهم من أبناء هذا الجيل في الممالك الاجنبية باو فر نصيب وأكبر سهم مصيب حتى صار لهم
اليد العليا في أمور هذه الدنيا ولزمننا كذلك معاشرا بناء العصر من أهل مصر ان نشعر عن
ساعدا الجود والاجتهاد ونسديهم هذا النوع من الجهاد كل تغرانفتح لينا من هذا الوجه باحكم
سداد كما منا على قدر مسرته ومدار منطقته ولكل مجتهد نصيب من عالي همته إما
بوظيفة

الدرس انتام (٣) في التاريخ العام

بوظيفة معلم أو متعلم أو مؤلف أو مترجم أو أمورايا كان في دائرة مأموريته وهاهو سعادة
افندينا خديومه صرنا وولى أمر عصرنا **ابوالفدا السماعيل بن ابراهيم** بلغه الله
من المقاصد الخيرية كل حظ عظيم أول داع أمامنا في طريق التدين والاسعاد وخير ساع قدأمانا
في طريق التحسين والحصول على المراد يريدان بمدتنا ويودان يصلح احوال ديننا ووطننا
ويرغب أن ينبر عقولنا ويكثر منقولنا ومعقولنا وما علينا إلا أن نقف واثره في الطريقة الجادة
ونسير وراءه في منهج السعادة حتى نأخذ حظنا كغيرنا من الامم المعاصرين ونستوفي حقنا بما سوة
الملل المجاورين من هذه الحركة القهريه والبركة العصريه ونحصل لاوطننا المصرية من ذلك
الغرض المهم على أوفر نصيب وأتم وهاهو أعزه الله وبلغه من مقاصد الخير مناه دليلا
على شدة عنايته بمادة التعلم والتعليم وصداقة رغبته في قضية نشر المعارف والعلوم قد أقام
بالنيابة عن ذاته العلية في مباشرة ادارة ديوان المعارف والاقواف، والإشغال العمومية الامير
النجيب والوزير المصيب **سعادة حسين كامل باشا** ثاني انجاله الكرام فجلس
في دست هذه النظاره وقام باعباء هذه الوزارة ينظر في الامور يعين الناقد البصير اذ كان
قبل ذلك قد تصرف في عدة من المصالح وعرف الاصلح منها والصالح وابدى في حسن ادارتها
ما يمدق فيه مدح المادح وأقام في جنبه بمقام الاستشاره حضرة العالم الفاضل والرئيس السكامل
علي مبارك باشا أحد رجاله العلماء الاعلام وأحاطه برجال عظام وابطال فخام كلهم
أولو حنكة في المواد التعليمية والادارة العمومية أفلا يجيب حينئذ على كل واحد من الآحاد
ان يكمل عقد نظام هذه الاعداد ويساعد على جيل هذا الاستعداد وهل يبلغ قصده من
أعمل بمفرده جهده أم هل يصفق كف وحده كلابل البركة كل البركة في تمام الحركة وكان
الاتباع لا بد لهم من امام فكذلك الامام يطلب أتباعه ويد الله مع الجماعة
وهاهو من مقاصد الخديوية الحميدة ومشاغبه الخيرة العديدة انشأ في هذه الايام السعيدة
مدرسة اصلية جديدة ومغرسه للعلم مفيدة تسمى باسم دارالعلوم الخديوية فضلا عن غيرها
من المدارس الملكية والعسكرية ليتربى بها ما مست اليه الان الحاجة مع غاية الاحتياج
واللبا حه من المعلمين والخوجات اللازمين لسائر المدارس الميريه ولا سيما لكاتب الابتدائية
الجارى الاعتناء بانشائها في كل بندرو مديريه بالعناية الداورية وتكون لنقل النقائل منها
لقصد تربيتهم في أراضي المزارع التعليمية من أنفع المغارس العلمية وحيى بكم أيها الشبان
المصريون واجتمع على هذا شملكم أيها الاخوان الازهريون مستوفين لشروط التجهيزات
الاولية اللازمة للاستفادة من الدروس العالية التي ترتبت لكم بمعرفة الديوان في هذه المدرسة
الاصليه لابرز هذا القصد السعيد من غير الامل الى حيز الوجود ومن ينجب منكم ينجب من
يصلح للتدريس في المدارس الاجرى وهذه لعمري من ثمة عملها هي بالاجتهاد أحتى واحرى

حيث نفوزون ان شاء الله تعالى من خدمة الاوطان وتأدية انفع وظيفة لامناء الاديان بسعادة الدارين الاخرة والدنيا اما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه من كلامه المحكم ومن اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم ومن ارادها معا فعليه بالعلم، او كما قال وقد ترتب لكم من الاساتذة في خطة التربية والتعليم من لزم في كل فرع من العلوم حتى تتنور منكم الافهام وتربي فيكم ان شاء الله تعالى ملكة التدريس كما يجب حسب المرام وصدر لهذا العبد ايضا من لدن ديوان نظارة المعارف والاوقاف والاشغال الامر العالى الواجب الامثال بان يتجمل لكم اعباء تدريس التاريخ العام ورؤى فيه الاهلية للقيام بهذا المقام وان كان لا يرى في نفسه غير القصور عن ارتقاء مثل هذه القصور ووجب علينا المناسبة التقدر بوظيفة تدريس علم التاريخ هذه الجديدة ان نجعل براعه استهلانا وحسن ابتداء مقالنا بان نقيده هنا في هذه الخطبة هذه الحوادث التاريخية السديده والوقايح العصرية المفيدة وحيث كان الاجتهاد عبارة عن بذل المجهود لتبيل المقصود وبالاجتهد ينال المراد وبالتأني كما قيل يبالغ التمني وكان هذا الدرس لم يسبق لاحد في ديارنا هذه ان يلقيه في محفل عام وها هو بالارادة الخديوية العلية والافادة للنظارية السنية قد ترتب هنا هذا الكرسي لهذا المحفل الدرسي وهو بحر طام او بحر كثير الازدحام يلزمنا واياكم ان نلججه ونقتحم لجهه ومن مواد العربية والاوروبية بقلم التعريب والتقرير والتلخيص والتهديب نفوض عليه ونستخرجه فالله الله ولا حول ولا قوة الا بالله والهمة الهمة بالحصول على هذه الشقة المهمة والبدار البدار لاجابة دعاء ولاة امورنا وجملة اعباء تدبيرنا على قدره يسورنا بلوغ هذه المقاصد الجبار فقد قيل من احكم الاقوال في الامثال ان همم الرجال تقلقل الجبال ويقال ايضا ان جميع الاعمال انما تعمل بالرجال وللرجال وهل على امام القوم الا ان يشير للطريق المستقيم ويسير فيه امامهم بالعزم والتصميم مع ارشاد القاصد بتسهيل الوسائل لتحصيل المقاصد وعلى كل من اتبعه ان يقتفى أثره بقلب قوى قويم وهانحن قد عزمنا وتوكلنا النسير مع السائرين وصممنا على ان نؤدى فرض هذا الجهاد مع المسافرين ونبدى جهد المقل من هذا القصد الاجل على ان نسميه باسم **الدرس التام في التاريخ العام** من قبيل حسن التفاعل في الاسماء والاعلام عسى ان يفوز هذا العمل من منزلة التمام بتحقيق الامل بعناية افنديناولى النعم الخديوي الاكرم وبرعاية مولانا الامير المعظم بخله المكرم ويجوز بطول بقاء هذه الدولة المصرية الفخيمة والعائلة الخديوية الكريمة عند الله بالقبول والاكرام

وقل بذل رب لا تقطعنى * عنك بقاطع ولا نغم منى
من نورك الابهى المزيل للعمى * واختم بخير يارزيم الرجاء

والامل ان شاء الله تعالى ان يطبع وينشر ولا باول وينفع سائر المدارس وجميع الخواص والعوام والله سبحانه وتعالى هو الكفيل بتبليغ كل مرام

مقدمه في مبادئ علم التاريخ

قال العلماء ينبغي لكل شارح في علم من العلوم أرفن من الفنون ان يتكلم ابتداء على مبادئ المنظومة في الابيات المعلومة في قول بعضهم

أن مبادئ كل فن عشره * الحسد والموضوع ثم الثمره
وفضله ونسبته والواضع * والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى * ومن حوى الجميع حاز الشرفا

وذلك ليعرف الطالب حقيقة ما هو قادم عليه من المطالب ويقف على ما هو متصله من الرغائب ويكون على بصيرة تامه وخبرة عامه بالغرض المقصود له من الاشتغال بهذا العلم والثمن الذي يريد ان يشتغل به ويصرف فيه نفيس زمنه فينعطف قلبه عليه ويميل بكلمته اليه والافالوقت سيف بتار وفلك دوار والوقت كما قيل من ذهب يجب على العاقل ان يصرقه فيماندب اليه او وجب والاقرمنه وذهب ومن أضاع رهقه من أوقاته سدى فقد خسرجله من ثروته واضاع صيرة من ميسرته وضل عن طريق الهدى وافعال العقلاء تصان عن العبث فلذلك وجب علينا هنا ان يبحث أولافي مبادئ علم التاريخ الذي نحن بصدده وننظر في اسمه وحده وغير ذلك من المبادئ المذكوره في تلك الابيات المشهوره وذلك في عدة مباحث فنقول

المبحث الاول

في اسم هذا العلم وحده لغة واصطلاحا على اختلاف اطلاقه وتفرع تقسيماته

اما اسم هذا العلم فهو علم التاريخ وهو الاكثر استعمالا على السنة الناس وقديره برعنه أيضا بعلم السير جمع سيرة وهي في اصل اللغة قال في الصحاح « السيرة الطريقة » ثم نقل اصطلاحا لما يراد بلفظ التاريخ ومنه قولهم السيرة النبوية وذكر اهل السير بمعنى المؤرخين كما لا يخفى وتسمى باسماء خصوصية بحسب اختلاف اعتباراته كما سيأتي قريبا عند الكلام على تقسيماته

واما لفظ التاريخ فعناه التوقيت أي تعريف الوقت قال الجوهري في الصحاح « التاريخ تعريف الوقت والتورخ مثله لم أرخت الكتاب بيوم كذا وورخت بمعنى » وعبارة الغير وزبادى في القاموس « أرخ الكتاب وأرخته وورخته وقته والاسم الارخة بالضم » وفي المصباح « أرخت الكتاب بالثقل في الاشهر والتخفيف لغة حكاه ابن القطاع اذا جعلت له تاريخا وهو معرب وقيل عربي وهو بسان اتراه وقته ويقال ورخت على البديل والتورخ قليل الإستعمال وأرخت الهيئة ذكرت تاريخا

الدرس التام (٦) في التاريخ العام

وأطلقت أى لم تذكره ، الى آخر ما أوضحه وأوضح من هذه العبارات عبارة كشاف اصطلاحات
 الفنون للشيخ الاجل المولوى محمد اعلى بن على التهاونى المطبوع فى مدينة كلكته (كرسى
 ملكة الهند) فى سنة ١٨٦٢ الميلادية الموجود فى المكتبخانه الخديوية المصرية فى ضمن
 هدية الكتب المقدمة للحضرة الداورية ونصها : التاريخ فى اللغة تعريف الوقت فقيل هو قلب
 التأخير وقيل هو بمعنى الغاية يقال فلان تاريخ قومه اى ينتهى اليه شرفهم فعنى قولهم فعلت
 فى تاريخ كذا فعلت فى وقت الشئ الذى ينتهى اليه وقيل هو ليس بعربى فانه مصدر المورخ
 وهو عرب ماهر وزواما فى اصطلاح المنجمين وغيرهم فهو تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع من ملة
 أو دولة أو حدث فيه أمر هائل كزلزلة وطفوفان ينسب اليه أى الى ذلك اليوم ما يراد تعيين وقته
 فى مستأنف الزمان أو فى متقدمه وقد يطلق على نفس ذلك اليوم وعلى المدة الواقعة بين ذلك اليوم
 والوقت المفروض « كذا فى شرح التذكرة » الخ اه

وحاصل ما يؤخذ من مجموع كلامهم ان التاريخ فى أصل اللغة هو مطلق التوقيت أى تعريف الوقت
 تفعيل من أرخ الرباعى مضاعف أرخ الثلاثى المخفف يأرخ أرخا من الباب الثالث باب فتح يفتح
 فتحا فهو أرخ والكتاب مأروخ كفاتح ومفتوح والاسم منه الارخة كالمتعة ومضاعفه أرخ يؤرخ
 تأريخا وتاريخا بالهمز والنسبيل وقد يقال فيه ورخ يؤرخ تورخا بابدال الالف فى أوله واوا كما
 فى أكد وكدومنه قوله عليه الصلاة والسلام « من ورخ مؤمنا فقد احياه » وأما قول بعض
 الناس ترخ الكتاب فهو من غلط العوام وسقط الكلام الخالى عن الصواب اذ لم يسمع من هذه
 المادة ابدال الواو بالتاء كما فى وراث وتراث ولعل السبب كون الواو ليست فيها أصلية هذا نهاية
 القول فى لفظ التاريخ فى اللغة
 وأما فى الاصطلاح فيطلق على جملة اطلاقات

الاول على ما يعم اقتصاص الحادثة مع التنصيص على الوقت الذى وقعت فيه
 الثانى على يوم وقعت فيه حادثة شهيرة وواقعة كبيرة لامة من الامم أو دولة أو قبيلة أو مدينة
 أو شخص من الآحاد فجعلت هبداً لغيرها من الوقائع تنسب اليها ويعتمد فى اثباتها عليها
 كواقعة الهجرة المحمدية بالنسبة لامة الاسلام وميلاد المسيح عليه السلام بالنسبة لطوائف
 النصرانية ولكل ملة وقبيل تاريخ من هذا القبيل كتاريخ اليونان والروم والفرس والهنود
 وغيرهم ولا حاجة لنا هنا بتوضيح جميع هذه التواريخ المختلفة وعوائد الامم الغير المتولفة

الثالث على المدة الواقعة بين ذلك اليوم والوقت المفروض
 الرابع يطلق لفظ التاريخ عند أهل الادب أيضا على ما يعرف عند البلغاء من كل جملة
 شعرية أو نثرية مستقلة بنفسها تتضمن ذكراً لحدث على وجه مجمل بحيث يكون حاصل قيمة

حرفها

الدرس الثام (٧) في التاريخ العام

حروفها الممكوتوبة بحساب الجمل المعروف مساويالتاريخ وقوع هذه الحادثة على وجه خفيف
مألوف مثال النثر قول بعضهم في تاريخ فتح السلطان محمد الثاني للقسطنطينية « بلدة طيبة »
ومثال النظم كقول العبد الفقير جامع هذا المجموع اليسير مهنتا السعادة أفندينا خديومصر
وامام العصر ومؤرخ الحادثة تقليده بولاية الامر في أول الشطرين من قصيدة محبوبكة
الطرفين مطلعها

« تدارك اسماعيل مصر ابعده وادرك ما يحيى رجاها بعبءه »

سنة ١٢٨٩

ومثله ما اتفق له أيضا من تأريخ واقعة تقرير وراثته للحكومة المصرية في فرعه الكبرى الكريم على
عود النسب المستقيم في الصراع الاخير من يدين من هذا القبيل وهو قوله « يرث مصر آل
اسماعيل » سنة ١٢٨٤

والتاريخ بهذا الاطلاق هو من التفننات الادبية والانواع البديعية والمقصود به تخليد ذكر
بعض الحوادث على وجه مجمل بعبارة وجيزة وكلمة على اللسان تحفيقة عزيزة بحيث تتناقلها
أفواه الناس من جبل الى جبل ومن قبيل لقبيل على مر الزمان ويرجع اليها في توقيت
الحادثة عند النسيان وليس البحث في التاريخ بهذا المعنى البديعي والمدلول التبعي من
موضوع هذا الدرس بالنفس وانما تعرضنا له هنا بعض الشرح لداعي كونه من اطلاقات لفظ
التاريخ الاصطلاحية وعلى توقع اننا عما أوردناه من شيا في ما بعد لمناسبة بعض الوقائع الكبيرة
في تاريخ لقرون الاخير على سبيل تشخيص الازهان والمقصود لنا بالذات البحث عن التاريخ
بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث البشرية مع الايضاح والبيان على قدر الامكان

والتاريخ بهذا الاطلاق الاصطلاحى عرفه المحققون من علماء أور وبأبانه اذا جمل على أعم
اطلاقاته هو اقتصاص مطلق واقعة تستحق الذكر من أحوال الموجودات الكونية ايا كانت قالوا
ومن ثم انقسم الى قسمين عظيمين انتاريخ الطبيعى والتاريخ المدنى

فأما **انتاريخ الطبيعى** فهو ما تعلق ببيان أحوال سائر الكائنات المنحصرة فيما يعبر عنه
بالمواليد الثلاثة وهى المعدن والنبات والحيوان بما فيه نوع الانسان من حيث كيفية
حياتها وترتيب بنيتها وترتيب طبقاتها وبيان أحوالها الطبيعية وأطوارها الغريزية
أى التى طبعها الله سبحانه وتعالى عليهم وهى عبارة عن مجموع العلوم التى الغرض منها تعريف
أحوال الاجسام العضوية أى ذات الاعضاء بمعنى القائم بها الحياة وهى الحيوان
والنبات اللذان يوجدان على الارض والاجسام الغير العضوية أى الخالية عن
الحياة بمعنى الجمادان وهى المعادن وسائر المواد التى منها اقوام الكرة الارضية
ويتقسم التاريخ الطبيعى على وجه العموم الى ثلاثة أقسام

الدرس التام (٨) في التاريخ العام

الأول علم حياة الحيوان وهو ما تعلق ببيان أحوال الحيوانات الطبيعية ويدخل فيه نوع الانسان من حيث أحواله الجبلية وقد يطلق عليه اسم التاريخ الطبيعي بالخصوص ويسمى في اللغة الفرانساوية بعلم الزولوجيا (برأى مججمة فواوين في أوله)

الثاني علم النبات وهو ما تعلق بخصوص أحوال النباتات ويقال له علم البوتانيقي الثالث علم المعادن وهو ما تعلق بترتيب أنواع المعادن والمواد الأرضية وبيان أحوالها وطبائعها كل منها على حدته وبيان فائدتها ومضريته ويسمى بعلم المينرالوجيا

ومما يرتبط بهذا القسم الأول من التاريخ ما يسمى في اللغة الفرانساوية (بالجيولوجية بالجسم الاعجمية) أي علم أحوال الأرض من حيث ما اعتراها من التقلبات والاطوار وبيان ماهي مبنية منه من الطبقات والادوار ويبحث فيه أيضاً عن توزيع أنواع المعادن والاجسام التي تتركب منها الكرة الأرضية وكيفية دخولها في تركيب طبقاتها الهيولانية

وزعم بعضهم ان التاريخ الطبيعي ليس من علم التاريخ بل في شئ وانما هو من علم الطبيعيات وكانه مخفل عن كون التاريخ هو مطلق اقتصاص الحوادث التي تستحق الذكر ولعمري ان تاريخ النبات والمعدن والحيوان لا ولي بالذکر والاعتبار من تاريخ الانسان حيث كان التاريخ الطبيعي عبارة عن ذكر أحوال ثابتة وقوانين منتظمة تدل على بداعة الخلق الالهي وبراعة الحكمة الربانية بخلاف تاريخ الانسان فانه انما هو عبارة عن حوادث شتى ووقائع غير ملتزمة تدل في الغالب على سلطة الاقوياء على الضعاف وغلبة الباطل على الحق وانتصار الاجحاف على الانصاف

وهذا القسم الاول بجميع فروع تسمياته المذكورة ليس من موضوع درسنا هذا وفيه تاكيد خصوصية وله رجال مخصوصون من ابناء وطننا هم به عالمون وبتدريسه قائمون

واما التاريخ المدني وهو التاريخ الحقيقي الذي ينصرف اليه اللفظ عند الاطلاق وفي الحقيقة هو علم التاريخ المصداق فهو علم يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران أي من حيث هيئة اجتماعه وتأنسه وتعاونته على تحصيل مادة معاشه ومعاده بابناء جنسه وهذا هو المعبر عنه بتاريخ الجمعية البشرية والاضاع الحضريّة التي تبلغ الانسان لدرجة الكمال الامكانيه وتسمى بالتمدن والعمران أو تاريخ الامم والملل والاديان والنحل والممالك والدول وما شبه ذلك

وهذا التعريف بالنسبة اليها نحن الاخوان يحتاج لبعض تهذيبان وتأسيس يبنى عليه فيما بعد فهم ما يرد علينا في سياق هذا المجموع من البيان وذلك كما أوضحه القاضي ابن خلدون رحمه الله في مقدمة تاريخه حيث قال ما ملخصه

قالت الحكماء من الاصول الطبيعية والاحكام العقلية المرعية « ان الانسان مدني بالطبع »
وبين ذلك ان الاجتماع أي حالة التانس والعمران المعبر عنها في اصطلاح الحكماء بالمدينة أو الحالة

الدرس التام (٩) في التاريخ العام

المدنية المقابلة لحالة العزلة والتوحش أو الحالة البدوية هو أمر ضروري لنوع الانسان وطبيع لا بدله منه على أى حال كان وذلك ان الله سبحانه وتعالى بيديع حكمته وبلدغ تدبيره وقدرته خلق نوع الانسان وركبه في صورة بحيث علق مادة حياته وبقائه بالضرورة بمعنى ان الانسان ليس من صفاته الذاتية صفة القيام بالنفس التي هي من خصوص الالوهية فهو مضطرا لأمريين أصليين يتفرع عنهم جميع أنواع الكد والاعمال البشرية ويرجع اليهما سائر فروع الجهد والاشغال الحضريه المنحصرة في مادة الزراعة والصناعة والتجارة (قال القاضي ابن خلدون) رحمه الله ما معناه قال بعضهم والاماره وعلى ذلك فالتقسيم رباعي وبعضهم يدرجهما في ضمن الصناعة فأما الزراعة فهي عبارة عن سائر الاعمال التي القصد منها استخراج محصول من الارض اما مباشرة كالحبوب والخضراوات وما أشبه ذلك وأما بواسطة كالحرير والعسل والصوف ونحو ذلك والصناعة عبارة عن جميع الاعمال اليدوية التي تحتاج للتفكير والنظرويه بر عنها بالصنائع والفنون كالكتابة والبناء والتجارة والحديدية والنساج وما أشبه ذلك وأما التجارة فهي كل ما كان من الاعمال القصد منه ترويج المحصولات الزراعية والصناعية ونقلها الى حيث يسهل على الراغب فيها تناولها والامارة عبارة عن تقلد وظيفة من الوظائف العامة كالملك والسلطنة والقضاة والوزارة وما أشبه ذلك

والاولون من الامرين اللذين يضطر اليهما الانسان هو عوزهم لمادة الغذاء البدنيه حيث خلقه الله مضطرا لها في معيشته وهداه لالتماسها بفطرته غير انه لا يتحصل على ذلك الا بواسطة الاستعانة بآبناء جنسه وجماعته قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء ان الرغيف لا يوضع على المائدة الا بعد ان يريده ثلاثمائة وستين صانعا هـ

والثاني احتياجه لمادة الدفاع عن نفسه من الصائل والتوقي من الغائل حيث خلقه الله ضعيفا بالنسبة لبعض الحيران التي خلقها الله سبحانه وتعالى أشد منه قوة وجعل لها أسلحة طبيعية لاجل حفظها وبقائها والذب بها عن نفسها من غائلة أعدائها ولم يجعل للانسان في نظير ذلك غير ما منح سبحانه من قوة النطق والعقل أى الفكر والبيان ولم يجعل له سلاحا طبيعيا يبطش به كسائر أنواع الحيوان غير اليد واللسان وهما فيه عضوان ضعيفان ولا يتيسر له هذان الامران الضروريان المذكوران الا بالكون بين اقربانه والاعون باخوانه ومن ثم احتياج للزوجة والولد والوالد وما أشبه ذلك من لوازم التناسل والتوالد وهذه الحالة هي ما تسمى بالعائلة او القبيلة أو العشيرة المأخوذة من المعاشرة وهي عبارة عن ضرورة الارتباط بروابط القرابة والمصاهرة ومن ثم احتياج للكينونة بين اخوانه في الوطن والدين والاستعانة بهم فيما يكون به قوام معاشه ومعادهم المراد الضرورية وسائر الحاجات الدنيوية والاخرى وهذا هو معنى قولهم انما المرء باخوانه والاباطان بأعوانه وذلك هو ما يعبر عنه بحالة الجمعية البشرية أو الحضريه

أو الحضارة أو العمران أو العماره أو هيئة الاجتماع الانساني أو حالة التانس المدنى أو العمرانى وفأشبهه ذلك من أمثال هذه العبارات التى هى تقريبا مترادفات وكأها عبارة عن الارتباط بروابط الاخوة الوطنيه والوحدة الدينيه وتتركب من العشائر والقبائل المتحدى الاوطان والاديان فى أكثر الاحيان وقد يتحد الوطن ويختلف الدين فيقال لها الجمعية الوطنية أو المدينه وبالعكس فيطلق عليها اسم الجمعية أو الطائفة أو الجماعة الدينيه كما تقول جماعة المسلمين وطوائف النصرانيه وتسمى بحسب اختلاف الاعتبارات بالملة أو الامه أو الكافة أو العامه وما أشبه ذلك من العبارات

ولا بد للناس فى هذه الصورة بالضرورة من دين ينبنى عليه أساس الجمعية المدينه ويقال له دين الدولة أو الديانة الرسميه وهو عبارة عن معاملة العباد مع حضرة الالهيه وما يلزم ان يترتب على ذلك بالادلة العقلية والنقلية فى الدار الآخرة من الثواب على الاعمال المستقيه والعقاب على الاعمال السيئة السقيه ولا بد للجمعية البشريه أيضا فى هذه الدار الدنيايه من وازع أى دافع بمعنى حاك يدفع بعضهم عن بعض بمقتضى أصول وقوانين مربوطه وشرائع وأحكام مقيدة مضبوطة بالنسبة لمن لم يزدجر يتوقع الثواب والعقاب فى الآخرة لما تتركب فى طباع الانسان الحيوانيه من الخصال العدوانيه وذلك بما يكون للوازع عليهم من الغلبة والصولة القهريه وهذا هو معنى الملك أو السلطنة أو الدولة وولاية الامر العمومية أو الخصوصيه ولذلك قد يعبر عن هذه الحالة أيضا بالحالة المملكيه بمعنى المدينه ومن ثم تميز فى حالة الجمعية البشريه الراعى والرعيه والاستقل كل عضو من أعضائها أى افرادها بنفسه وكانوا فرضى بينهم معنى أنهم لارئيس لهم وخرجوا عن حالة الجمعية المدينه ووقعوا فى حالة الاختلال التى هى أسوأ حالا من الحالة التوحشية البدويه

وعمالابأس بالاماع لكم به هنا أيضا على سبيل الاستطراد وان كان فى الحقيقة ليس من موضوع غرضنا الاصلى المراد أن تعلموا كذلك أن ولاية الامر العموميه ويقال لها أيضا الامامة العامه أو الكبرى أو الخلافة تنقسم الى قسمين الولاية الروحانية أو الرياسة الدينيه والولاية المدينه أو الجثمانية أو السياسية ويعبر عنها بالزمنيه

وهذه تنقسم كذلك الى ثلاثة فروع أصليه الولاية التشريعية أى قوة تشريع الشرائع وبلتحق بها الولاية القانونيه وهى قوة تقنين القوانين السياسيه اللازمه لتأويل الاحكام الشرعيه الاصليه وتوقيعها على مقتضى الاحوال الوقتيه والولاية القضائية أى قوة تطبيق الاحكام وتوقيعها على افراد الجمعية البشريه والقوة التنفيذية والتنجيزيه وهى المنوطة باجراء مقتضى الاحكام الشرعيه والقوانين السياسيه وأصول الضبطيه المنبر عنها لسان الدلف بالحسبه وهناك ما يعبر عنه بالقوة العسكريه وهى عبارة عن الجنود المجاهدين والجيوش المعدده

المدرس التام (١١) في التاريج العام

التي تستعين بها القوة التنفيذية والقضائية عند الاقتضاء على تنفيذ الاحكام الشرعية وتجهيز القوانين السياسية اعنى تحصيل الامنية لاجزاء الجمعية على نفوسهم واعراضهم واموالهم وانتظام اموالهم في داخل بلادهم والذب عن الحوزة الوطنية والمرتبة الاهليه بالجهات الخارجية لحفظ ناموس الجمعية البشرية بالقوة القهرية

وتتفرع القوة التنفيذية المذكورة كذلك الى عدة فروع أصلية قليلة أو كثيرة يتداخل بعضها في بعض وقد تجتمع عدة منها على رأس وجل واحد من أهل الكفاءة والنهض بحسب جسامه الجمعية واتساعها أو خفة كثافتها واجتماعها وعلى حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان من امتداد الشوكه واتساع نطاق الملك والسلطان تسمى تلك الاقسام بالولايات والعماله أو الولايات والمحافظات والحكمداريات أو المديرات وأقسام المديرات والخطط والقري أو النواحي وتسمى هذه الاخيرة في اللغات الاوربية بالقرونيات او المونيسيپاليتيه بمعنى المشيخة البلدية وهذه الفروع وهي ما يعبر عنه بالتقسيم السياسي أو الخطط الارضية السياسية وتتفرع الولاية العمومية أيضا الى عدة فروع أصلية تسمى بالوزارات أو النظارات العمومية وهذه هي التقاسيم الادارية أو الوزارية أو النظرية وتسمى بالدواوين العمومية وهي اول ديوان المصالح الداخلية المنوط بالنظر في تحسين الاحوال الاهليه ومواد الضبط هو الربط أو الحسبة ويعبر عنها في ديارنا الآن بالضبطية

ثانيا ديوان الامور الخارجية المنوط بالنظر في المواد السفارية وقضايا الطوائف الاجنبية
ثالثا ديوان الحرب المعبر عنها ديوان عموم الجهادية أو نظارة الجهادية وهي المنوطة بإدارة أمور الجنود وتحصيل ما يلزم لهم من الآلات والادوات المعبر عنها بالمهمات العسكرية
رابعا ديوان البحر والبحرية وهو المنوط بإدارة الاساطيل وهي السفن الحربية
خامسا ديوان بيت المال المعبر عنه عندنا الآن بنظارة المالية وهي المنوطة بالنظر في مواد جباية أنواع الخراج والجارك والعوايد الداخلية وضبط مواد المصارف والواردات الاهليه وتسوية مادة البودجه المعبر عنها عندنا بالميزانية المالية

سادسا ديوان المعارف الاهلية والاشغال العمومية والاقاف الخيرية وهي المنوطة بإدارة مواد المدارس والمكاتب ونشر سائر المواد التعليمية والنظر في الاوقاف والصدقات التبرعية وصرفها في مصارفها الشرعية وفي ملاحظة الاعمال النافعة والاشغال الجامعة لمصلحة عموم الناس كصحة تزيين المدن والبنادر وتحسين المساكن والخواضر (المعبر عنها بالاورناتو) والنظر في مصلحة الترع والنجار والقناطر والجسور وما أشبه ذلك من مهمات الامور

سابعا ديوان المواد القضائية المعبر عنها في بعض الجهات بالعدليه ويعبر عنها عندنا بنظارة الاحكام المصرية أو الخقمانيه وهي عبارة عن ادارة مواد القضاء والمحاكم الشرعية والمجالس المدنية والنظر في مؤايد الجماعات وسائر القضايا والدعاوي التي ياملية

ثامنا ديوان المواد الزراعية والتجارية والصناعية المنوط بالتظرفى مواد ترقية المزارع والمناجر الداخلية والخارجية وتقديم الامور الصناعية الاهلية وقد تنداخل هذه النظاران الثلاث فى دائرة نظارة الداخلية او الخارجية وقد يستقل كل منها بالخصوص بديوان مخصوص تاسعا ديوان الدائرة الملكية او السلطانية المعبر عنها عندنا بنظارة الدائرة الخديوية السفيه وهى تختص بالنظر فى كل ما يتعلق بادارة أشغال ولى الامر الخصوصيه ومصالحه الشخصيه وكلها يعبر عنها عندنا هـنا بجرى العموم أو النظر او المراد به ما يعبر عنه فى اصطلاح الممالك الاجنبية بطاقم الوزراء أو جماعة الوزراء أو أهل الدولة وهم أرباب المناصب الميريه واصحاب المراتب الملكية والعسكريه أو حاشية الملك أو السلطان على حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان وكما نرجع للوكالة أو النيابة عن ولى الامر فى بعض الفروع المتفرعة عن عموم ولايته وذلك عبارة عن استعانتة فى تمام تأدية وظيفته بأنواع الوزراء والمستخدمين والاعوان والامراء ومما يقتضى لكم أيضاً أيتها الاخوان ان تعلموه وتأملوا فيه وتفهموه ان ولاية الامر المعبر عنها بالدولة أو الحكومة تنقسم من حيث الهيئة والصورة الى ثلاثة صور أصلية ويعبر عنها بكيفية ترتيب ادارة البلاد الاساسية او السياسية وهى

الاولى الحكومة الملوكية وهى عبارة عن ان تكون البلدة تحت حكومة رئيس واحد يلقب فى العادة بلقب الملك أو السلطان ويقال له فى الممالك الاوروبية الامبراطور بمعنى السلطان وتسمى البلاد التى يحكمها حينئذ بالملك أو المملكة او السلطنة أو الامبراطورية وهذه تنقسم أيضاً الى قسمين (أحدهما) الحكومة الملوكية المطلقة وهى ما كانت فيها قوة النفوذ العلياى مادة التصرف فى أمور المملكة بيد الملك لا يشاركه فيها أحد ولا تتقيد بقيد غير القوانين الاساسية والاصول السياسية الأصلية المبني عليها ترتيب الدولة (وثانيهما) الحكومة الملوكية المقيدة أو القانونية ويقال لها أيضاً المعدلة أو النيابية وهى التى تكون فيها قوة النفوذ العلياى متوزعة بين رئيس المملكة ومجلس شورى النواب الاهليه وهو عبارة عن مجموع أناس ينتخبهم أهل كل خطة أرضية أى سكان كل بقعة من بقاع المملكة من ذوى الرأى او التدبير والديانة والخبرة بحقائق الامور ليبدو رأيهم بعد المذاكرة بالنيابة عن سائر الناس فيما يطرأ من المسائل المهمة التى تتعلق بترتيب احوال البلاد وما ينزل من النوازل الوقتية على العباد وذلك بانتخاب الآحاد يظريق المباشرة ويسمى الانتخاب حينئذ الانتخاب بدرجة أولى أو بواسطة من ينتخبونه لذلك ويسمى الانتخاب بدرجة ثانية وتسمى مجالس الانتخاب بالدوائر الانتخابية ولذلك تسمى الحكومة حينئذ بالحكومة النيابية ولا يصدق عليها هذا الاسم الا اذا كانت مبنية على ترتيب

أساسى مربوط وقانون سياسى مضبوط

وقد تكون الحكومة الملوكية المذكورة بكلا قسميهما اما وراثية فى عائلة ملوكة معهنة أو انتخابية

الثانية الحكومة الاعيانية او حكومة الاعيان والاشراف ويطلق عليها في اللغة الفرانساوية اسم الايستوكراسيه ويعبر عنها عندنا بولاية أهل الحل والعقد وقد كانت في الاصل عبارة عن كون ولاية أمر الجماعة بيد اتقاهم ذمة ديانيه وأرقاهم محبة وطنيه ولكنها آلت لان صارت هي عبارة عن ان تكون ادارة مصلحة البلاد بيد جماعة هم أعيان الطوائف الاهليه وأكثرهم شوكة وماليه وتسمى أيضا في اللغة الفرانساوية باسم أوليجارشيه أى كون ولاية الامر بيد شريحة قليلة من الطوائف الاهليه .

الثالثة الحكومة الاهلية ويطلق عليها في اللغة الفرانساوية اسم الديموقراسيه وهي المعبر عنها أيضا بلفظ الحكومة الجمهوريه وهي عبارة عن كون ادارة مصالح الملة تكون بيد هأعنى انها تكم نفسها بنفسها من غير سلطة عليها من ملك ولا سلطان ولا جماعة أعيان فهي بعكس الحكومة الملوكية والاعيانيه وتستلزم تساوى جميع افراد الجمعية البلدية في جميع الحقوق المدنية والسياسيه وانعدام الامتيازات بالكليه وحيث كان لا يمكن لجميع أفراد الطوائف الاهلية ان يباشروا ولاية أمرهم بأنفسهم لزم بالضرورة نصب رئيس للجمهوريه اما بيعت نواب عن كل خطة أرضيه بالطريقة الانتخابية السالفة الذكر ليركب منهم مجلس شورى نيابيه أو يأخذ الراى العام من جميع من يعتد برأيه من أفراد أهالى البلاد ولذلك سميت بالجمهوريه والجمهور من الناس بالضم جلهم أى أكثرهم فهي بمعنى الحكومة الاكثرية

وسائر هذه التنظيمات والترتيبات الاداريه مع ما تدور عليه من التأسيسات الحضريه والانشات العماريه وما يتبع ذلك من أخلاق كل قوم وعوائدهم ومحاضرتهم ومشاهدتهم وقوانينهم وأحكامهم وشراعتهم وعلومهم وفنونهم ومعارفهم ومدارسهم ومزارعهم ومتاجرهم وصنائعهم كل ذلك هو ما يعبر عن مجموعته بنظام الملك أو السلطان أو ترتيب المملكة أو السلطنة أو الحالة المدنية أو البلدة المتمتدة أو هيئة الاجتماع الانسانيه وكيفية التأنس العمرانيه وغير ذلك من العبارات التي ذكرنا بعضها فيما سلف آنفاً ومجموع ذلك كله هو ما يسمى بالتمدن والعمران وموضوع علم التاريخ المدني هو الانسان من هذه الحيثيه وبعبارة أخرى مختصرة تعريفيه

التاريخ المدني هو علم باصول يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران واذا تقرر هذا التمهيد في الاذهان على هذا الوجه من الايضاح والبيان ساغ لنا ان نقول الآن قال علماء الاوروباء ويين وينقسم التاريخ المدني الى عام وخاص

أما **التاريخ المدني العام** فهو عبارة عما يشمل تاريخ النوع الانساني وحاله العمراني كله من عهد الخليفة الى عصرنا هذا وهم الغرض المقصود لنا الاشتغال به في درسنا هذا وذلك عبارة عن مدة نحو ستة آلاف سنة التي هي عو الدنيا من عهد آدم الى هذا العهد حسبما حققه الحكماء المحققون واقف عليه العلماء المدققون من اليهود وروبيين والاسلاميين وكما

الدرس التام (١٤) في التاريخ العام

سنوضحه بعد وقد جرت عادة المؤرخين من الافرنج بأن يقسموا التاريخ المدنى العام أعنى مدة الستة آلاف سنة المذكورة الى أربع مدد أو عهود أصلية
الاولى مدة العالم القديم أو الدنيا القديمة ويسمونه **بالتاريخ القديم** وهو تلك الاعصار الخالية والقرون الماضية من ابتداء خلق الدنيا لغاية سنة ٤٧٦ قبل المسيح عليه السلام وهى سنة زوال الدولة الرومانية باغارة أقوام شمال أوروبا عليها أعنى زوال دولة ملوك الروم الاولى التى كانت قائمة بمدينة رومية الكبرى (بيلا دايطاليه) وذلك عبارة عن مدة نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثين سنة من عمر الدنيا

والتاريخ المدنى العام القديم عبارة عما يسم تاريخ الامم الشهيرة والممالك الكبيرة التى ظهرت فى تلك الاعصار العتيقة بجميع أقطار الارض المعمورة وهم

اولا **القبط** أعنى دولة قدماء المصريين أو الفراعنة الاقدمين

ثانيا **اليهود** أو العبرانيين ويقال لهم بنو اسرائيل أو الاسرائيليون

ثالثا **الفنيقيون** أو الصوريون وهم سكان سواحل الشام السالفون

رابعا **الاسوريون** أو السريانيون والبابليون وهم قدماء سكان العراق وكرديستان وجزيرة ابن عمر

خامسا **الميديون** وهم قدماء سكان أذربيجان والفرس المعروفين عند العرب بدولة العجم

سادسا **الليديون** وهم قدماء سكان الخطة الغربية من بلاد أرمنية أو ساروخان

سابعا **السيثيون** أو أقوام ياجوج وماجوج وهم قدماء أهل بلاد الروسيه والتتر والترک

ثامنا **اليونان** أو الهيلينيون

تاسعا **الروم أو الرومانيون** وهم دولة ملوك الروم التى كان مقرها بمدينة رومية الكبرى بيلا دايطاليه

عاشرا **القرطاجيون** وهم أهل مدينة قرطاجنة أو قرطاجنة القديمة أى قدماء سكان ايلة تونس الغرب

فهؤلاء هم الامم المشهورون والمثل المعترفون الذين اتفق جمهور المؤرخين الاوروبين على ان يعبر عنهم بالتاريخ القديم حيث بقى لهم بعض آثار دلت عليهم أو ذكر عنهم فى الكتب المنزلة أو كتب المؤرخين السالفين من اليونان والروم بعض أخبار يسيرة أو كثيرة أو قسمة على بعض أحوالهم وأما من عداهم من سكان الارض المعمورة فى الاعصار السابقة المذكورة كاهل الهند والصين واسلاف سكان جزائر الاوقيانوس (البحر المحيط الاعظم) المسماة باستراليا واسلاف سكان بلاد اسبانية المعروفة بالاندلس وكنولك اسلاف سكان جزيرة العرب فى أيام الجاهلية الاولى و بلاد

وبلاد امريقة وغيرهم فجميع هؤلاء ليس لهم تاريخ مستقر يذكر ولا خبر ثابت يؤثر لعدم الوقوف لهم على شيء من الآثار والأخبار وان كان الظاهر انه قد كان لهم دول كبيرة وملل بمقدنة شهيرة في تلك الأعصار

المدة الثانية الأعصار المتوسطة أو القرون الوسطى ويسمونه بتاريخ القرون الوسطى أو

التاريخ المتوسط وهي المدة المنقضية من بعد سنة ٤٦٧ قبل المسيح لغاية سنة ١٤٥٣

من بعد ميلاده وهي سنة افتتاح الدولة العثمانية لمدينة القسطنطينية أي زوال دولة الروم الثانية

المعروفة بالسلطنة الرومانية الشرقية أو السلطنة السفلى التي كان مقرها بالقسطنطينية على

يد السلطان محمد الثاني من السلاطين العثمانيين عبارة عن ألف وتسعمائة وثلاثين سنة

من عمر الدنيا وهي المدة التي باثنا عشر ناشأدين **الاسلام** وظهرت أمة العرب واشتمرت

على جميع أمم الانام

المدة الثالثة الأعصار الحديثة أو القرون المتأخره ويسمونه **التاريخ الحديث**

أو المتأخر أو تاريخ القرون الاخيره وهي المدة الماضية من سنة ١٤٥٣ لغاية سنة ١٧٨٩

من تاريخ المسيح وهو تاريخ العالم الجديد أو الدنيا الجديدة أي تاريخ الامم المتأخرين والملل

المتجاورين ببلاد آسية واقريقية واوروبية وامريقة والاقويانوسية من الترك والفرنسيس

والانجليز والامان والاسكانديناوية والامريكانية وغيرهم من سكان المعموره في المدة

المذكوره وهي عبارة عن مدة الثلاثة قرون الاخيره لغاية أواخر القرن الثامن عشر من الميلاد

المسيحي

المدة الرابعة مدة العصر الحاضر ويسمى بالتاريخ العصرى أو المعاصر وهو تاريخ الامم

المذكورة في هذه المدة الحاضرة الاخيره أي مدة القرن التاسع عشر من الميلاد المسيحي

هذه وتقسيم التاريخ المدني العام على الوجه الجاري عليه الانقسام عند جهور المؤرخين

التأخرين من العلماء الاوروابوين وبعضهم يدخل هذه المدة الرابعة في ضمن المدة الثالثة أي

مدة الأعصار الحادثة ويجعل الاقسام ثلاثة وهذا القسم أعني التاريخ العام هو ما كتب فيه مثل

كتاب الكامل لابن الاثير الجزري وتاريخ ابن الفدا وتاريخ الخلدن والمسهودي وما أشبهها

وأما **التاريخ المدني الخاص** فينقسم أيضا في اصطلاح المؤرخين الى قسمين

الاول تاريخ المدني الخصوصي وهو عبارة عما يختص بغرض واحد معين كتاريخ مدينة

أو إقليم أو مملكة أو سلطنة أو دولة أو عائلة ملوكية أو ذات مخصوصة و يطلق عليه في هذه الصورة

الاخيرة في اللغة الفرانساوية اسم البيروجرافيه أي السيرة أو القصة أو الحياة الخصوصية كسيرة

سعدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتاريخ دمشق وحسب من المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

للشيخ السيوطي والروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية للشيخ المقدسي ووفيات

الدرس التام (١٦) في التاريخ العام

الاعيان وأنبياء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان وخلاصة الاثر في أعيان القرن الثاني عشر للمعبي وما أشبه ذلك

الثاني التاريخ المدني الجزئي وهو ما تعلق بخصوص مدته شهيرة أو واحدة كبيرة كتاريخ حرب الصليب وتاريخ حرب الثلاثين سنة وغير ذلك

ويطلق على التاريخ الخاص اسم التاريخ القيسي أو السفاري أو السياسي أو الشرعي أو القضائي أو التجاري أو الزراعي أو الصناعي أو الأدبي أو تاريخ العلوم والفنون أو غير ذلك من الموضوعات الخصوصية على حسب ما يقيد به المؤرخ تأليفه من المواد الخصوصية والأغراض الشخصية فان كتب التاريخ على حسب ترتيب السنين بقلم قتل ووجه محل قيل له تاريخ الحوادث السنوية وان كان بعض ما كتب على هذا الوجه قد يكتب بطريقة أدبيه واذ كان المؤرخ معاصر الماسطره من الحوادث العصرية ومشاهدا لما حره من الوقائع الدهرية وكان له فيها بعض مدخلية حيث شاهد بعينه مشاهدا وعهد معاها سمي ما يكتبه بالتذكرة التاريخيه وان تعلق بذاته الخصوصية سمي بالحياة الشخصية

وينقسم التاريخ على وجه العموم من حيث طريقة تحريره وكيفية تسطيره أي بالنظر للطريقة المسلوكة في اقتصاص الوقائع الزمنية الى ما يسمى في اللغة الفرانساوية باسم الكرونولوجيه أي علم الازمان وهو ما يتبع ترتيب الاعصار على وجه الانتظام والى ما يسمى باسم الاتنوجرافيه وهو ما يتبع تاريخ كل أمة من الأمم على حدتها فان تتبع جميع الحوادث الواقعة من الامم الشتي في عصر واحد سمي باسم السنكر ويسمى التاريخ بالنظري أو الفلسفي اذا كان المؤرخ قد اقتص الوقائع مع توضيح اسبابها ومسبباتها وغير ذلك

وينقسم التاريخ القديم من حيث أصل استمداده الى التاريخ المقدس أي المطهر أو الالهي وهو تاريخ اليهود كما يكون أصل استمداده من التوراة وهو المعبر عنه عندنا بقصص الانبياء والتاريخ الديوي أو البشري وهو تاريخ من عداهم من الأمم المذكورين آنفا لكونه من تأليف البشر ووضعهم

ومن فروع علم التاريخ العام علم الانساب وهو معرفة أصل كل أمة أو قبيلة أو رجل من مشاهير الرجال وكبار الأبطال المذكورين في التواريخ البشرية أو المقدسه

وما يتخذ بعلم التاريخ الاتحاد الشديد ويرتبط به الارتباط الاكيد ما يعرف بعلم الجغرافية أو الجيوجرافية أي علم وصف الارض وتقسيم أحوال البلدان على ما هي عليه في كل عصر وأوان وما يقال ان علم الكرونولوجية والجغرافية هما التاريخ عينان ويقال أيضا ان التاريخ والجغرافية اخوان يتعاونان وفرسارهما يتسايقان ويتداخلان كل منهما في الثاني اذ لا تتم معرفة حوادث الازمنة من غير وقوف على ما وقعت فيه من المواضع والامكنه

وهن فروع علم التاريخ أيضا ما يسمى في اللغة الفرانساوية بعلم الاستاتستيك أى علم التعداد بمعنى احصاء الاشياء واستقصاء جميع المواد في كل بلدة من البلاد وليس علم الجغرافية من موضوع درسننا - ذلك نيط لعهد مدرسة مدرس فاضل من اخواننا المدرسين الذين هم لتعليمكم متعينون ليطلعكم منهم مع ما سئلتم اليكم من فوائد علم التاريخ العام على ما ينور منكم ان شاء الله تعالى الافهام ويكون لكم في معرفة حقيقة الكرة الارضية التي نحن أهلوها ودار الدنيا التي نحن ساكنوها كالاعلام اليسر من العار ان يجهل الانسان زوايا داره ولا يعرف كل ساكن بجواره والغرض المقصود انسابا لخصوص كاعلمتم وبما أوضحناه لكم الى هنا فهمتم انما هو ايراد فوائد تاديه وشواهد مختصرة مفيدة تنهمها الخاصة والعامه من اخبار الامم الذين ساكنونا في هذه الدار واعتنوا فيها باسباب العمارات في جميع الاقطار والامصار على تعاقب الايام والاعصار بطريق التاريخ الاتنوغرافي والوجه التعليمي التعريفي أعني استئصال أحوال كل أمة بمردها واستقصاء أخبار كل ملأ بعد ملأ على حدتها من الامم المذكورة آنفا في كل مدة بعد مدة من المدد المسطرة سالفها خلفا على وجه الاختصار هذا ما تجرد اليه من القصد لنمذلل فيه ان شاء الله تعالى الجهد والله هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب فان توهم جاهل أو قال قائل هؤلاء أمم قد دخلت ومضت وملل أندست وانقرضت أو أقوام في أقطار نأت عنا وبعثت فإلنا ولا استئصال أحوالهم وأعمالهم وما الفائدة العائدة علينا من استقصاء أقوالهم وأفعالهم قلنا الجواب في هذا المبحث الآتي بعد

المبحث الثاني

في بيان ثمرة التاريخ واصله وحكمه وماذا ينتج من مطالعة علمه

قال القاضي ابن خلدون رحمه الله تعالى في أول مقدمة تاريخه ما نصه « اعلم ان فن التاريخ من فن عزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم والانبيا في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا » اه وفي هذه العبارة كفاية للدلالة على نفاسة فن التاريخ وبيان كثرة فوائده وثمرته وشرف غايته وان المقصود به هو علم الاخلاق وهو اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل بواسطة الاقتداء بما يراه الناظر فيه من الافعال المحمودة والانتفاء عن الاعمال المذمومة في جميع أحوال الدينية والدنيوية.

وما أحسن ما ذكره الشيخ شهاب الدين اسماعيل بن ابراهيم المقدسي مؤلف كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية رحمه الله تعالى في خطبة ذلك الكتاب حيث قال واصاب ما بعد فانه بعد ان صرحت بجزء من فكرى ومغظم فكرى في اقتباس الفوائد الشرعية واقتناص

الدرس الثامن (١٨) في التاريخ العام

ألفرائد الاديبه عن علي ان أصراف الى علم التاريخ بعضه فأحوز بذلك سنة العلم وفرضه اقتداءه بسيرة من مضى من كل عالم مرتضى فقل امام من الائمة الا ويحكى عنه من أخبار من سلف فوائده منهم امامنا أبو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال مصعب الزبيري ما رأيت أحدا أعلم بايام الناس من الشافعي ويروى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس والادب عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه « قال الشيخ المقدسي رحمه الله وأكرم مثواه بقلت وذلك عظيم الفائدة جليل العائدة وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار الامم السالفة وانباء القرون الخالفة ما فيه عبر لذوى البصائر واستعداد ليوم تبلي السرائر قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وعظمة وذكرى للؤمنين » وقال سبحانه وتعالى « ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه من درج حكمة بالغة فاتخذوا النذر » وحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث أم ذرع وغيره مما جرى في الجاهلية والايام الاسرائيلية وحكى عجائب ما رآه بله أسرى بدوعرج وقال حدثنا عن بني اسرائيل ولا حرج وفي صحيح مسلم عن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أ كنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فيما أخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال « كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتحدثنا عن بني اسرائيل حتى أصبح الحديث « قال الشيخ المقدسي رحمه الله « قلت ولم تزل الصحابة والتابعون ومن بعدهم يتفاوضون في حديث من مضى ويتذاكرون ما سبقه من الاخبار وانقضت « الى أن قال « ولقد رأيت مجلسا جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا وفيهم قاضي قضاة لك الزمان وغيره من الاعيان فجرى بينهم وأنا أسمع ذكر من تحرم عليه الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون في القرآن فقال جمعهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وعدلوا جميعهم في ذلك عما يجب فمجببت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يهتدوا الى ان المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب هو أبو هاشم فأحقهم بلوم كل لائم ان هذا اصل من أصول الشريعة قد أهملوه وباب من ابواب العلم جهلوه ولزم من قولهم اخراج بني المطلب من هذه الفضيلة فابتغيت الى الله تعالى الوسيلة وانفتحت لى من ذلك المقام فأخذتها بعلم أخبار الانام وتصحيح نسبتها وايضاح محبتها الى آخر عبارته التي لولا خشية اطالنها لاوردناها هنا برمتها

ومما قال في ضمن هذه العبارة أيضا من الكلام المناسب للمحن فيه من المقام « ورأيت ان المطلع على أخبار المتقدمين كأنه قد عادهم أجمعين وانه علم بما تفكر في أحوالهم وتذكرهم كأنه كان معاصريهم ومحاضريهم فهو قائم له مقام الحياه والى كان من أجل الوفاء « قال الشيخ

الدرس التام (١٩) في التاريخ العام

المقدسي رحمه الله * قال نعيم بن حاد كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له الاله تستوحش فقال كيف استوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني النظر في الحديث * وأنشد لبعض الفضلاء

كتاب أطلعه مؤنس * أحب الي من الاتسه
وادرسه فير بنى القر * ون حضورا وأعظمهم دارسه

قلت وقد ريب من هذا قول بعضهم

لنا جلساء لا يمل حديثهم * الباءه أمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى * وعقلا وتأبير - داورا يأمسدا
فان قلت أموات فلست بكاذب * وان قلت أحياء فلست مفندا

وقال ابن الاثير ايضا في الكامل في هذا المقام رحمه الله ولا بأس هنا بإيراد ما أبداه ونصه، ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية و يظن بنفسه التجرف في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدرجها ويعرض عنها ويأغيبها ظنا منه ان غاية فائدها انها هوان السعص والاختبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القسر دون اللب نظره واصبح مخشليا جوهره ومن رزقه الله طبعاً سليماً وهذه صراط مستقيماً علم ان فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاحرورية جمة غزيرة وهما نحن نذكر شيئاً مما ظهر لنا فيها وتكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقية فأما فوائدها الدنيوية فمنها ان الانسان لا يخفى انه يجب البقاء ويؤثر ان يكون في زمرة الاحياء فياليت شعري أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في ضمن الكتب المتضمنة لأخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكانت عاصراً و اذا علمها فكانت حاضرة من ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقعوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوا هامة وثقة في الكتب يتناقلها الناس فيروونها خلف عن سلف ونظر واما اعقبت من سوء الذكرو قبج الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استعجوها وأعرضوا عنها وأطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكتهم عرت وأمورهم هادت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوها ما ينال فيه هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بهرام الممالك واستصافوا نوائس المدن وعظيم الممالك ولولم يكن فيها غير هذا الكفى به فخرا ومتما ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا وقد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا و يصبح لان يقتدى به أعلا

ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرا

رأيت العقل إعقلين * فسموع ومطبوع

ولا يتقع مط—بو * ع اذالميلك مسوع
ككالا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للانسان والسموع ما يزاد به العقل الغريزي من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له والافه وزيادة في عقله الاول ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شئ من معارفها ونقل طريقة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأمله ما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره واما الفوائد الاخرى فمما ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى ثقل الدنيا باهلها وبنيتها وتتابع ذكاتها الى اعيان قاطنيتها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم واعدمت اصاغرهم واكبرهم فلم يبق على جليل ولا صغير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهد فيها واعرض عنها واقبل على التزود للاخرة منها ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص وعمل قائلا يقول ما ترى ناظرا فيها زهد في الدنيا واقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العلية خياليت شعري كم رأى هذا القائل قارئ القرآن العزيز وهو سيد المواعظ وافصح الكلام يطلب به السير من هذه الحطام فان القلوب مولعة يجب العاجل ومنها التخليق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه ذو كرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم انه يصيبه ما أصابهم ورنوبه مانا بهم شعر

وهل أنا من عزية ان غوت * غويت وان ترشد عزية ارشد

واهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او اتقى السمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه أراد به ذكرها للحكيات والاسمار فقد تمسك من أقوال الزينغ بحكم سببها حيث قالوا هذه اساطير الاولين اكتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلبا ساعقولا ولسانا صادقا ويوفقنا للسداد في القرب والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل انتهى كلام ابن الاثير في الكامل

وفي عبارات هؤلاء العلماء الافاضل والفقهاء الاكامل ما لا مزيد عليه في التنبيه على منية علم التاريخ وفضله والتنويه بغمامة قدر المشتغل بروايته ونقله وعلومه تبتته وانتم صريح بسنيته أي مندوبيته مع التلويح بكونه قديما ككون في بعض الحالات من الواجبات يعنى فروض الكفاية التي اذا قام بها البعض سقط الوزر عن الباقي كسائر العلوم والفنون والصنائع والحرف النافعة كما هو معلوم وها هو الشيخ المقدسي رحمه الله وبردثراه قد نص في ضمن عبارته المنقولة هنا بأعلاه على ان علم التاريخ هو من أصول الدين وهو كذلك يبين ويبيانه ان من الاصول المقررة والقواعد الاصلية المسطرة ان شرع من قبلنا شرع لنا اذالم يرد في شرعنا

ما يناقضه وعلى ذلك ينبغي انه يقتضى لئمان نعرف شرائع الامم الماضية ونقف على أحوال الملوك
الحاليين حتى نقف على حقيقة حال شريعتنا ونعرف كيفية تركيب جسم جمعيتنا ونقابلها
بأحوال من مضى ونعرف فضلها ومن يتربا بالنسبة لأحوال الجيل الذي انقضى ولهذا المعنى
يرجع ما في قول الشيخ المقدسى "اندرج من حديث حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج فضلا عما يجب
مع ذلك من معرفة توارخ نزول آيات القرآن الشريف لنعرف الناسخ منها والمنسوخ ومعرفة
علم الانساب الذي توقف عليه كما أوضحه الشيخ المقدسى رحمه الله في ضمن حكاية الواقعة المسطورة
في خطبته المذكورة من الانحراف عن الصواب والعدول عن أداء الواجب وما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب ولعل هذا هو معنى قول الامام الشافعى رضى الله عنه في ما روى عنه
انه أقام على تعلم أيام الناس عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه فلينظر ذلك
وليأمل وليعمل له من وفقه الله تعالى للعمل

وذلك فضلا أيضا عما يفتح من مطالعة علم التاريخ للناظر فيه من جليل العبر والاعتداء بجميل
السير والانتها عن الفحشاء والمنكر والبغى والضرر فيما يتعلق بتحسين الاحوال في الحال
والاستقبال كما صرح به في الآيات القرآنية المذكورة اعلاه ودل عليه حديثه من ورخه ومنا
فقد احياه ، وقد قالوا ان التاريخ مدرسة التجارب يتعظ فيها الحاضر بالغائب وغير ذلك
وقد عبد العلماء علم التاريخ من جملة العلوم الاثني عشر الادبية ويقال لها العربية المضبوطة
في قول الشيخ حسن العطار المصرى رحمه الله

نحوه وصرف عروض بعده لغة * ثم اشتقاق فريض الشعر انشاء

كذا المعاني بيان الخطافية * تاريخ هذا لعلم العرب إحصاء

واعل المراد بذلك هو ان هذه العلوم الاثني عشر بالكيفية التي هي عليها في اللغة العربية هي من
علوم العرب التي اشتغلوا بها ودونوها لانها مختصة بهم على وجه بحيث انهم هم الذين اخترعوا
أصلها وكونوها ولا نظير لها عند غيرهم من الأمم فان من اطلع على اللغات الاجنبية ولا سيما على
لغات الامم الاوروبية علم ان لكل أمة متدنة نحوها وصرفا وعروضا ولغة وشعرا وتاريخا وغير ذلك من
العلوم المنسوبة للعرب في هذا القول الذي اشتهر وهو المعبور عنها بالنسبة لكل أمة بعلموم الادب
والتاريخ بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث هو علم قديم بقدر مدة قدم العالم تصعد أوليته بالضرورة
لعهد آدم وما أخذ ذلك من قوله عند استيقاظه من نومه التي ألقاه الله عليه ليخلق حواء من
ضلعه حسبما ورد في التوراة وهذه عظم عظمي ولحم لحمي ، اذ قوله هذا هو حكاية حادثة شاهدا
وواقعة عهدا وما أشبه ذلك ثم ترقى التاريخ في هذا المعنى شيئا فشيئا كما سائر العلوم البشرية
والصنائع والفنون والحرف الحضريه حتى دونه السلف من الامم المتقدمين كالعبرانيين والقبط
واليونان والرومانيين وجاءت مله العرب المسلمين فاعتنوا به كذلك ودونوه كسائر العلوم الاسلاميه

والصنائع والفنون والحرف العملية والعلمية لغرزة الميل بالطبع لتناقل الاخبار والآثار لقصد الفخار الى ما يأتي من الاعصار وضرورة تداول أحكام الشرع من السلف للخلف في جميع الاقطار فان قيل وهل لعلم التاريخ هذا أصول ثابتة يستند اليها وقواعد قوية يعتمد عليها وهل له أسانيد معتبرة يؤخذ منها وموارد مستقرة يروى عنها أم هو كما قد بتوهم خبط عشواء وخلط عيياء وأقوال هوائية من روايات القصاصين وحكايات الراويين لأصل لها والافامسائله واستمداده وما حالته التي آل اليها في هذا العصر واستمداده والجواب عن ذلك في المبحث الآتي

اراده

المبحث الثالث

في قواعد علم التاريخ ومساائله واستمداده وما آل اليه من حالة كماله واستمداده

لا شك في ان التاريخ علم متين وفن مكين مبني على قواعد قوية وأصول ثابتة مستقيمة سوية وبيان ذلك ان التاريخ لما كان عبارة عن حكاية وقائع الزمان وحوادث الحدثنان كان مبنيا اما على دلائل المشاهدة والعيان التي هي أقوى أنواع البرهان وأما على النقل عن الرواة المقامة بالاسانيد المعتبرة والروايات المعتمدة المشتهرة كعلم تفسير القرآن والحديث بل يصح ان يقال انهم افرغ منه فهو داخل في ضمن قول بعضهم « العلم ما كان فيه حدثنا » وانما يرجع على كل حال لامانة حاكميه وديانته راويه على ان علم التاريخ لا يكتفي فيه بمجرد النقل والرواية بل لابد من النظر فيه أيضا بنور العقل والدراية فالقاضي ابن خلدون رحمه الله في صدره مقدمة تاريخه في سياق قوله المنقول أعلاه « فهو (أي علم التاريخ) محتاج الى ما أخذته متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبه الى الحق وينبجان به عن المنزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فرغم ان يؤمن فيهما من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للأورخيين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سميئنا لم يعرضوها على أصولها ولا فاسوها بشباهها ولا سبروها بعيان الحكمة والوقوف على دلائل الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيضاء الوهم والمغالط ولا سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذهى مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد (انتهى كلام القاضي ابن خلدون رحمه الله)

ومن ثم يعلم ان علم التاريخ يخله قواعد يعتمد عليها وأصول يستمد اليها وهو

الدرس التام (٢٣) في التاريخ العام

أولا على دلائل المشاهدة والعيان فضلا عن النقل مع النظر في ذلك بنور العقل ومبناه في كلتا الحالتين حسبما أسلفناه وكما يفهم من أصل وضعه وتعريف معناه على أساس الصدق ومراعاة الحق من غير كذب ولا تملق ولا تعرض لقصدا كتساب حطام الدنيا الفانية كما أنه لا يذبحني أيضا ان ينهني على انكار فضل الفاضل وعدم الاقرار بكمال الكامل وبخس الناس أشياءهم لحقد أو حسدا أو حية دينية أو غير ذلك من أنواع سوء الخلق فقد قالوا ان المؤرخ يقتضى ان يكون حكم عدل وقاض منصف أو شاهد بالحق والانصاف ينقل الشهادة عن السلف للخلف من غير ميل ولا انحراف ومن هذا الوجه يخالف التاريخ بما يعرف الآن عند أدباء الأفرنج باسم **رومان** بمعنى الحكايات المخترعة والخرافات المصطنعة لقصد الترغيب في مكارم الاخلاق والترهيب من المساوى والنفاق وان كانت قد تستند لاصل تاريخي وما أخذ واقعي حقيقي مع بعض زيادات وتلانيقات وتوفيقات وقد تعنون بلفظ التاريخ أو القصة كقصة عنتر بن شداد والقصة المترجمة من اللغة الانكليزية باسم روتسون كروزي أو السندياد وغير ذلك

ثانيا من الاصول التي يعتمد علم التاريخ عليها والقواعد التي يرجع فيها اليها أصل العادة وهو المقصود بقوله ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالغائب ومعنى ردها لاصول العادة قياسها بشبهاها ونظائرهما من الوقائع المضاهية لها وهذا أمر لا يحتاج من الايضاح لزياده

ثالثا منها أيضا كما نص عليه القاضي ابن خلدون رحمه الله في عبارته المنقولة عنه أعلاه قواعد علم السياسة أي سياسة الامم والدول والممالك وما يقتضى ان يكون عليه سيرها من الطرق والمسالك ومبني ذلك كله بل ريق الاجمال هو كما ذكره الفلاسفة المتقدمون وأوضحه الحكماء المتأخرون على العقد الاجتماعي أو البشري او عقد الشركة الانسانية وهو ما انعقد ضمننا في مبدأ كل اجتماع تأنيس بين كل رئيس ومرؤس او صريح فيما بعدهم قد المبايعة بين كل راع ورعية على المفروق والواجبات اللازمة على كل من الطرفين المتعاقدين وذلك عبارة كما قالوه ونصوا عليه في مكانه واولوه عن كون المرؤسين بمجرد رضاهم بالسير امام رئيسهم المتقدم عليهم لمصلحة الدفاع عنهم في أول الامر مثلا كأنهم فالواله انما رضينا بترئيسك علينا بشرط ان تقوم لنا بكل ما يجب لحفظنا وما فيه تحصيل غرض راحتنا وسعادتنا والتزمنا لك في نظير ذلك ببذل نفوسنا وأموالنا معك وكل ما يلزم لك من المعونة والجنود للحصول على هذا الغرض المقصود وهو تقبل ذلك منهم بمجرد سيره بالغسل امامهم وكونه رضى بان تقدمهم وكذلك الحال فيما يترتب على المبايعة الشرعية الصريحة من الحرق والواجبات الصحيحة الحاصلة بين الامام والرعية بالوجه الصريح حسبما يقع عليه في صيغتها التدريج وبعبارة مختصرة أخرى اصول السياسة ترجع كلها الى امرين أصليين أحدهما ما يجب على الراعي من حفظ الرعية وهو حق الرعية عليه وهذا معنى قوله عليه الصلوة والسلام « كل راع مسئول عن رعيته » والثاني ما يجب

على الرعية من اعانتته وهو حقه عليهم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم عليه ولا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه ، كما هو مبسوط في كتبه المخصوصة به رابعا من الاصول التي ينبنى عليها علم التاريخ كما نص عليه أيضا أعلاه القاضي ابن خلدون رحمه الله طبيعة العمران واختلاف أحوال اجتماع الانسان يشير بذلك الى ما ذكره بعض الحكماء وأوضحه أيضا العلماء من انهم كما صوروا في علم تعبئة الجيوش العسكر في صورة طائر له جناحان المينة والميسرة ورأس أو طبيعة وذنبا أو ساقا كذلك صوروا كل اجتماع انساني وتأنس عمران أو دولة أو مملكة أو بلدة أو خطة أرضية ايا كانت من مدينة أو إقليم أو قرية أو غير ذلك في صورة جسم آدمي حي وهيئة شخص معنوي رأسه ولاة الامور والامراء وقلبه العلماء ويده العساكر والجنود وباقي الاعضاء والاطراف هم سائر طوائف الرعية ومن ثم يعبر عن آحاد الناس في كل جمعية عمارية باعضاء الجمعية البلديه وبنوا على ذلك ان الجميع الامم والملل والاديان والنحل وكل جمعية حضرية كالأشخاص البشرية من توالي الاعمار ما يعتريه سائر الاطوار فلا بد لهم من المرور بطور الطفولية والشبية والكهولة والشيخوخة والمهرم وانه قد يعتريه في اثناء ذلك من الاعراض بعض أحوال مرض وسقم ويختلف تاريخ كل أمة من الامم بحسب اختلاف أحوال تلك الاطوار قال القاضي ابن خلدون رحمه الله كلزوم العصبية في أول أمر كل دولة من الدول أو ملة من الملل بخلاف ما اذا بلغت الحد الكمال والاستقرار وغير ذلك من الاحوال التي تختلف بحسب اختلاف الاعمار على مر الاعصار وبهذا المعنى ألم أحمد بن الحسين المتنبى المشهور في شعره المأثور بقوله

أنى الزمان ينوه في شببيته * فسرهم وأتيناها على الهرم

خامسا من القواعد الاصلية والاصول الكلية التي ينبنى عليها علم التاريخ شكل الارض وطبيعة القطر والمكان الذي حصل فيه الاستيطان وبيان ذلك كما نص عليه غير واحد من المؤرخين الاور وباو بين وغيرهم من المؤلفين ان لاختلاف أشكال الاراضى وتنوع طبائع البلدان تأثيرا عظيما على أحوال من يها من السكان فلا تجد نزلة بشرية ولا استيطانة حضرية اللهم الا على ماء جار وعلى نهر من الانهار او على سواحل البحار ومن كان استيطانه من الامم على أرض خصبة صالحة للزراعة كان الغالب عليها العناية بالاعمال الزراعية وان كانت اراضيهم جبلية ذات مراعى واعشاب توجهت عنايتهم لتربية المواشى والدواب والا كان الغالب عليهم في تحصيل مواد معاشهم والتماس وسائل سعادتهم واتعاشهم الاشتغال بالاعمال الصناعية وترى الملل الذين استوطنوا سواحل البحار اكثرهم بحاره واغلب عنايتهم بالتجاره الى غير ذلك من اختلاف احوال الاقطار والممالك وحينئذ فيختلف تاريخ كل ملة من الملل بحسب اختلاف طبيعة اراضيها من سهل او جبل كما علم ذلك بطريق الاستنصاء وثبت بدليل النظر والاستقراء

الدرس التام (٢٥) في التاريخ العام

فهذا هو ما تيسر لنا استنباطه من القواعد الاصلية والاصول الاساسية التي ينبني عليها علم التاريخ الخاص والعام كما نبه عليه هؤلاء الائمة الاعلام وامام مسائل علم التاريخ فقد قال العلماء ان مسائل كل علم هي اصوله الكلية وقواعده الاصلية التي تتفرع عنها احكامه الجزئية وبعبارة اخرى هي قوانينه الاجمالية المستنبطة من ادلته التفصيلية كقولهم في علم النحو مثلاً لا كل فاعل مرفوع ينبى عليه ان زيد في قولك ضرب زيد يجب رفعه في مثل هذا المثال وهكذا على هذا المنوال وتطبيق ذلك على علم التاريخ ان نقول يقتضى ان تكون مسائل علم التاريخ هي قواعد الاصلية واصوله الكلية التي ذكرنا بعضها فيما سلف وعسى ان يأتى من بعدنا من يستقصيها فيمن خلف حيث تتفرع منها احواله الاستقرارية واحكامه الجزئية كقولهم مثلاً ان كل دولة او ملكة في اول امرها يلزم لها العصبية وان كل ملكة بلغت الهرم صعب معالجتها لا بد ان يعترها من المرض والسقم وعلى ذلك ينبى اننا اذا شاهدنا في التواريخ والاختبار دولة او ملكة بهذه الاحوال والآثار رددنا تلك الاحوال الجزئية الى هذه الاصول الكلية والقواعد الاصلية وهكذا على هذا المثال

وأما استمداد، وأصل منبوعه وايراده فهو من عدة أمور حسب ما هو بعد مذكور

الاول الكتب الدينية التي بقيت على مر الاعصار أو وصل العصور عليها في بعض الآثار المأثورة عن الامم السالفة والمثل الآنفه وأسبقها التوراة صحف موسى عليه السلام حيث ذكر فيها تاريخ خلق العالم وقصص الانبياء السالنين وأخبار بعض الملوك المتقدمين وغير ذلك ولذلك يقول مؤلفوا الاقرنج عن موسى عليه السلام انه هو اول مؤرخ يعرف وان التوراة هي اول كتاب في التاريخ تدون وتآلف ومن ثم اعتمدها المؤرخون من السلف في اقتصاص حادثة الخليقة وقصص الانبياء وأخبار العبرانيين وكثير من تواريخ الامم المتقدمين وقد ذكر منها أيضاً في القرآن المجيد مقدار عديد عبرة لاولى الابصار وتبصرة لذوى الاعتبار

الثاني الارصاد الفلكية وذلك عبارة عن مادتين أصليتين (احدهما) مجموع الارصاد النجمية التي جرت مدة ألف وتسعمائة سنة متعاقبة بمدينة بابل وبعثها الاسكندرين فيليبش حين افتتح تلك البلدان الى بلاد اليونان فأدرجها الحكيم بطليموس اليوناني في كتابه المعروف بالمجسطى (الثانية) حادثة كسوف الشمس المركزي الذي حصل احتسابه ببلاد الصين قبل تاريخ المسيح عليه السلام بمدة ٢٢٥٥ عاماً وغير ذلك من الآثار التي صار الحصول عليها من هذا القبيل وبمضاهاتها بمعرفة المنجمين المعتبرين والعلماء المشهورين وافقت ما ذكر في نصوص التوراة من التواريخ والاختبار فحصل عليها الاعتماد وصار اليها الاسناد في تعيين تاريخ الخليقة وحادثة الطوفان وغيرهما من حوادث علم الازمان على قدر الامكان

الثالث التأليفات البشرية القديمة والقصائد الشعرية العتيقة التي ألفها بعض مؤرخي تلك

الازمان ونظمها بعض شعراء اليونان والرومانيين او صنفها بعض قسس قدماء المصريين كالشاعر اليوناني الشهير باسم **اوميروس** المذكور في قول بعض شعراء المسلمين و كانى أمير وس لدين محمد ، وذكر له ترجمة مخصوصة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني وغيره من الشعراء والمؤرخين السلف الذين ترجمت كتبهم من أصولها اليونانية واللاتينية أى لغة أهل بلاد ايطالية القديمة الى اللغات الاوربية الحديثة ووقف عليها الخلف وطبقوها على نصوص الكتب الدينية المأثوره والارصاد الفلكية المذكوره وغيرها من القواعد المتقدمة واستخرجوا منها النتائج المسلمه وذلك كتأليف المؤرخ اليوناني الشهير باسم **هيرودوت** داليكارناس بمعنى الايكارناسى (نسبة الى قرية ببلاد اليونان) وتأليف المؤرخ الرومانى المشهور باسم **ديودور الصقلى** (نسبة الى جزيرة صقلية الكائنة فى بحر سفيداء البحر المتوسط الابيض) وكالقسيس **مانيتون** المصرى الذى ألف جداول ملوك الفراعنة السالفين بأمر أحد ملوك البطالسة الخالفين وغيرهم

الرابع ما عثر عليه السياحون المتأخرون من الامم الاوروباويين المعاصرين من الكتابات القديمة والتقييدات العميقة المعروفة بالانتيقة أى الآثار القديمة التى وجدت فى بعض النواويس والقبور واطلال المدن والعمارات والقصور التى كانت قد تشيدت فى سالف تلك الدهور كالأهرام وغيرها من عمارات تلك الايام وذلك بواسطة ما انتدب اليه فى هذه المدة الحاضرة بعض العلماء الاورويين من كشف حقيقة مطالعة خطوط الامم السالفين والتوصل لمعرفة كتابه الملل المتقدمين كالقلم القبطى القديم المعروف باسم **الهيورجليف** وقلم اللغة السريانية والهندية المسمى باسم **السنسكرىت** أى لغة أهل الهند القديمة وكذلك الصينية وغيرها وما تسطر أعلاه من الاسانيد المذكوره والمواد المسطورة انما هو بالنسبة لتواريخ القديمة دون تواريخ القرون الوسطى والاخيره ومع ذلك فلا ينبغي ان يتصور ان المجتهدين من العلماء الاوروباويين مع بذل غاية مجهودهم وصرف أوقاتهم ونقودهم تحصلوا على تمام مقصودهم من الوقوف على حقائق أحوال الامم المعاصره لعهد خلقه العالم فى تلك الاعصار الغابره وغاية ما هنالك انهم توصلوا لمعرفة اسم ملك أودولة كان قد سقط من سلسلة العائلات الملوكية اولا ووقفوا على ايضاح بعض أحوال كانت غامضة من أحوالهم السلوكيه ولم تنزل تلك الازمان عن العموم غامضة سقيه وتواريخها بعد غير مستقيمه واما بالنسبة لتواريخ القرون الوسطى والمتأخرة فبتعاقب الايام والاعصار حصلت البصيرة والابصار وانتشرت الانوار وباختراع صناعة الورق الذى يكتب عليه المسمى بالقرطاس أو الكاغد من الخلقان البالية وقش القمع أو الارز وغير ذلك من المواد الاولييه انتشر فى الكتابة فى كل الامم والملل واعتنت الملوك والدول بضبط الاخبار وربط الاثمار وكتب كل قوم تاريخهم وسيرهم وتقيدها وقصصهم وأثرهم وجاءت بدعة

المطبعة العجيبة في هذه الاصر القرية قسملت نشر سائر المعارف والعلوم كما هو لكل أحد الآن من العلوم وبذلك ضبط علم التاريخ كغيره وانتفع الخاص والعام بفائدته وخيره اذ كتب فيه من المؤلفات ما لا يحصى وطبع فيه من المصنفات ما لا يستقصى وصار من الاعتماد والاستعداد لحالة الاستقرار والسداد بحيث صار يدرس الآن في البلاد الاوروبية وغيرها من الممالك المتقدمة الاجنبية في ضمن الفروع التعليمية الاصلية ومواد التربية الاولية كالنحو والصرف وسائر الاصول العلمية الضرورية. للاطفال الصغار في المكاتب الابتدائية الاهلية فضلا عن الشبان والسهول السكحول السكحول في المدارس العالية الميرية الملكية والعسكرية وفضلا عما انتشر منه أيضا معرفة العلماء الاعلام بين طبقات العوام من الرسائل المختصرة لقصد تقريب تناوله للافهام القاصره وها هو بالعناية الدورية والرعاية الاميرية ساغ لنا بحمد الله وحسن توفيقه ان نستفيد كغيرنا من علم التاريخ والجغرافية اللذين بهما تنوير العقول وتكثير النقول وغيرهما من العلوم الرياضية المتكاملة بتربية الافهام وازالة الاوهام ما لا بد منه من الفوائد ونستعيد من تلك المعارف البشرية والعلوم الضرورية ما كان قد نذعننا من الشوارد وصار يسمل لثنا ان نحصل على نتيجة مدارسهم ونأتي ثمرة مدارسهم وننقل زبدة اجتهادهم وتمارسهم ونهاية القصد من بذل هذا الجهد هو ان تلقى عليكم أيها الاخوان ونقيدي في هذا المجموع نعم ولغيركم من سائر أبناء الاوطان ومن شاء الله تعالى له أن يطلع على أباي الناس وأحوال البلدان من علم التاريخ العام زبدة ما استقر عليه الحال وأقره العلماء الاعلام لغاية الآن على الوجه التام الذي يقر أبداً لصد التربية في المدارس الأوروبية مع تحرى الصدق في النقل والالتقان على قدر الامكان وهذا آخر ما تيسر لنا ان نقدمه لكم في هذه المقدمة على سبيل التمهيد الضروري لفهم ما سنبديه اليكم في سياق الغرض المقصود من الايضاح والبيان

تتميمه قد جرت عادة بعض المؤلفين ولا سيما المؤرخين ان يكتبوا بعض مؤلفاتهم على صورة السؤال والجواب ظناً منهم ان في ذلك تسهياً على الصبيان ودليلاً للاذهان وربما كانت هذه الطريقة من الصواب بالنسبة للعقائد الدينية وغيرها من العلوم الاولية التي يكون جل القصد منها الحفظ واكثر الاعتماد فيها على اللفظ ولما كان علم التاريخ يقتضى ان يكون الاستناد فيه على تعقل الطلبة ومفكرتهم أكثر من الاعتماد على حافظتهم ومذكرتهم وكان يكفي فيه تعليق ما لا بد من تعليقه منه بالمعنى من غير حفظ اللفظ اذ لا يمكن فيه على ظهر القلب الحفظ استصوابنا ان نسطر هنا بطريق التكرار وعلى سبيل الاختصار ما تقدم في هذه المقدمة من الفوائد المتقدمة وهكذا في آخر كل باب من الابواب الآتية على هيئة مسائل ارشاد للمسؤل والسائل ولم نحرر الجواب براء السؤال اعتماداً في تمصيل هذا العلم على التعقل والفهم ليمأت الطالب بالجواب من مظنته ويستخرجه مما سبق له تقريره في الباب يقريحته تمريناً للاذهان وتبييناً لكيفية الامتحان على هذه الوجهة التي بعد من البيان

مسائل

تشمّل على مختصر ما تفضّله المقدمة من مبادئ علم التاريخ المتقدمه

المبحث الاول

- ١ ما اسم هذا العلم وما الاكثر استعمالا من اسمائه
- ٢ ما معنى السيرة لغة واصطلاحا
- ٣ ما معنى التاريخ لغة وما كيفية تصريفاته
- ٤ علام يطلق لفظ التاريخ اصطلاحا وما المراد منه في اصطلاح البلغاء على الخصوص
- ٥ ما تعريف التاريخ اذا أخذ على اعم اطلاقاته ومن ثم الى كم قسم ينقسم
- ٦ ما المراد بالتاريخ الطبيعي وما كيفية تقسيماته
- ٧ ما المراد بعلم حياة الحيوان
- ٨ ما المراد بعلم النبات
- ٩ ما المراد بعلم المعادن
- ١٠ ما المراد بما يسمى في اللغة القرانساويه بعلم الجيولوجيه
- ١١ هل جعل التاريخ الطبيعي من ضمن علم التاريخ فهو مسألة اتفاقيه ام خلافيه وما توضح هذا المقام
- ١٢ ما المراد بالتاريخ المدني وما منذ أقول الحكماء ان الانسان مدني بالطبع وما بيان ذلك
- ١٣ ماهي الاقسام التي تنحصر فيها الاعمال المدنية او الحضريه
- ١٤ ما ضابط الزراعة والصناعة والتجارة والاماره
- ١٥ ماهما الأمران اللذان يضطر اليهما الانسان بالطبع وما المراد بالعائلة او القبيلة والعشير
- ١٦ ما المراد بقولهم حالة الجمعية البشريه او الحضريه او المدن او مدينة الاجتماع الانساني وما أشبه ذلك من العبارات
- ١٧ ما المراد بالجمعية الوطنيه او المدنية والجماعة الدينية أو الجمعية الدينيه
- ١٨ ماذا يلزم لانتظام الجمعية البشريه من الامور الاصلية الضرورية
- ١٩ ما المراد بالدين وما المقننوديقولهم دين الدولة والديان الرسميه
- ٢٠ ما معنى الوازع وما المراد بالملك والسلطنة او الدولة وولاية الامر العامة وما أشبه ذلك
- ٢١ الى كم قسم تنقسم ولاية الامر العموميه
- ٢٢ ما المراد بالولاية الروحانيه والجمانيه
- ٢٣ ما المراد بالولاية التشريعية والقانونية والقضائية والتففيذية والتنجيزيه
- ٢٤ ما المراد بالقوة العسكريه وما الغرض المقصود منها

الدرس التام (٢٩) في التاريخ العام

- ٢٥ الى كم فرع قنطرة الولاية التنفيذية وما المراد بالتقسيم السياسي او الخطط الارضية وماهى
- ٢٦ ماهى التقاسيم الادارية والوزارية والدواوين وما المراد بكل واحد منها
- ٢٧ ما اقسام ولايات الامر من حيث الهيئة والصورة
- ٢٨ ما معنى الحكومة الملوكية وكيف تنقسم وما الفرق بين الحكومة الملوكية المطلقة والمقيدة او النيابية وما المراد بجلس شورى النواب
- ٢٩ كيف تنقسم الحكومة الملوكية من وجه آخر
- ٣٠ ما معنى الحكومة الاعيانية او حكومة الاشراف وما المراد بهذا اللفظ
- ٣١ ما معنى الحكومة الاهلية او الجهورية
- ٣٢ وحينئذ ما المراد بنظام الملك او السلطان وما المراد بالتمدن والعمران وما أشبهه ذلك
- ٣٣ ما موضوع علم التاريخ المدنى وما تعريفه بطريق الاختصار وكيف ينقسم
- ٣٤ ما المراد بالتاريخ المدنى العام وما المدة التي يستغرقها من الدهر على الاصح من اول عهد الخليفة الى هذا العصر
- ٣٥ كيف قسم المؤرخون من الافرنج التاريخ المدنى العام
- ٣٦ ما المراد بالتاريخ القديم وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٣٧ يقتضى تعداد الامم الشهيرة الذين يعبر عنهم بالنار من التاريخ القديم
- ٣٨ لم يكن يوجد في الاعصار القديمة غير هؤلاء الامم المذكورين وهل لهم توارخ ثابتة
- ٣٩ ما المراد بالتاريخ المتوسط وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٤٠ ما المراد بالتاريخ الحديث وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٤١ ما المراد بالتاريخ العصرى وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا وهل هو قسم مستقل بذاته أم كيف الحال
- ٤٢ ما المراد بالتاريخ المدنى الخاص وما تقسيماته
- ٤٣ ما المراد بالتاريخ المدنى الخصوصى والجزئى والقيسى والسفارى وغير ذلك وما المراد بقولهم تاريخ الحوادث السنوية والتذكرة التاريخية والحياة الشخصية
- ٤٤ كيف ينقسم التاريخ المدنى من حيث طريقة تحريره وما المراد بما يسمى فى اللغة الفرنساوية باسم السكرولوجيه والاتنوغرافيه والستركونيمس والتاريخ النظرى او الفلسفى
- ٤٥ كيف ينقسم التاريخ من حيث اصل استمداده وما المراد بقولهم التاريخ المقدس والتاريخ الدينوى او البشرى

الدرس التام (٣٠) في التاريخ العام

٤٦ مانسبة علم الانساب وعلم الجغرافيه وعلم الكرونولوجيه وعلم الاستاتستيك لعلم التاريخ

المبحث الثاني

٤٧ ماثرة علم التاريخ لقارئيه وهل هو عبارة عن مجرد اقتصاص قصص واخبار للتفكه

بها بين السمار وما الفوائد الحقيقية والثمرات الدنيوية والاخرويه التي تنتج عنه حسب ما يؤخذ من كلام العلماء الافاضل والنقهاء الاكامل الاسلاميين الذين صنعوا فيه

٤٨ ما حكم علم التاريخ

٤٩ ما منزلة علم التاريخ خصوصا بالنسبة لعلم الاخلاق

٥٠ هل علم التاريخ معدود في جملة العلوم الاثني عشر المنسوبة للعرب وما المراد بذلك

٥١ ما أصل علم التاريخ وما كيفية ترقيه على مر الازمان الى ان صار لحالة الكمال التي هو

عليها الآن

المبحث الثالث

٥٢ هل لعلم التاريخ اصول ثابتة يستند اليها وقواعد مستقرة يعتمد عليها أم كيف الحال

ومن أين يؤخذ ذلك

٥٣ ماهي القواعد التي يبنى عليها علم التاريخ

٥٤ ما اول اساس يقتضى ان يبنى عليه علم التاريخ وما الفرق بينه وبين ما يسمى باسم الرومان

٥٥ ماهي القاعدة الثانية التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد برده لاصول العاده

٥٦ ما القاعدة الثالثة التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد بقول الحكماء العقد الأنسي

او السياسي او عقد الشركة الانساني

٥٧ ماهي القاعدة الرابعة التي يبنى عليها علم التاريخ وكيف صور الحكماء في صورة محسوسة

كل اجتمع انساني ومكان عمراني وما المراد بذلك وهل يستأنس لهذا المعنى من قول

بعض الشعراء المشهورين

٥٨ ماهي القاعدة الخامسة التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد بذلك

٥٩ ما مسائل علم التاريخ وما كيفية تطبيق ذلك عليه

٦٠ ماهي الامور التي منها استمداد علم التاريخ وما توضيح كل مادة مادة منها وهل هذه المواد

التي منها علم التاريخ الاستمداد هي بالنسبة للتاريخ العام بجميع اقسامه ام كيف الحال

وماذا آل اليه علم التاريخ الآن من حالة الكمال

٦١ ما فائدة تكرار ما تقدم في المقدمة السالفه وفي آخر كل باب من الابواب الخالفه

بطريق الاختصار في صورة مسائل بالنسبة للمسئول والسائل

اذا تقرر هذا في الاذهان ساغ لنا ان نشرع الآن في الغرض الموضوع له هذا المجموع منقسم

الى ثلاثة اقسام او فروع على مقتضى الترتيب الطبيعي والله سبحانه وتعالى هو المسئول في تمام

كل مشروع

القسم الاول

في التاريخ القديم

معلومات اوليه وتقسيمات اصلية

مسألة عمر الدنيا

ذكرنا في المقدمة ان التاريخ القديم عبارة عما يشمل احوال عدة أمم شهيره وملل كبيره في مدة القرون الاولى من ابتداء حادثة خلق الدنيا لغاية حادثة زوال دولة الروم الاولى باغارة اقوام شمال اوروبه عليها في سنة ٤٧٦ من ميلاد المسيح عليه السلام والقرن في اصطلاح المؤرخين وفي بعض اطلاقاته عند اللغويين وعلى حسب ما يفهم من مدلول هذا اللفظ عند جريانه على الالسنه هو عبارة عن مسافة من الزمن معينة على الاصح بمائت سنه كما صرح به في القاموس وتوضح في شرحه المسمى بالاوقيانوس وقد يطلق هذا اللفظ ويراد منه الجيل أى اهل زمان واحد من غير تعيين مدة سنوات معينه قال في الصحاح « والقرن من الناس أهل زمان واحد » (قال الشاعر)

« اذا ذهب القرن الذي أنت فيهم ❀ وخلفت في قرن فانت غريب »

١٥ والسنة او العام عبارة عن مدة من الزمن متكونة من اثني عشر شهرا والشهر أربع أسابيع والاسبوع سبعة أيام واليوم عبارة عن المسافة الزمنية التي تدور فيها الشمس حول محورها حسب ما يفهم ذلك من مبادئ علم الفلك والهيئة أو قسم الجغرافية الفلكية المندرج في ضمن فروع علم الجغرافية العمومية وقد جرت العادة عند الملل المعتمره والاعم المشتهره بتقسيمه الى اربع وعشرين ساعة والساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية والثانية الى ٦٠ ثالثة وهلم جرا اذا احوجت الى ما فوق ذلك الضروره

والشهر اما قري او شمسي فالشهر القمري عبارة عن مدة الزمن المنقضية من ظهور هلال الى آخر وهي المسافة التي يدور فيها القمر حول الشمس وهي مدة ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٨ دقيقة ولكن جرت العادة في المعاملات المدنية يجعل الشهور القمرية على التعاقب شهرا ٢٩ يوما وشهرا ٣٠ يوما

والشهر الشمسي عبارة عن مدة الزمن التي تسيرها الارض حول الشمس مسافة ثلاثين درجة وعدة الشهور الشمسية تارة ٣٠ يوما وتارة ٣١ يوما الا الشهر المسمى باسم فبريه او فبراير حيث يكون دائما ٢٨ يوما في السنة البسيطة و ٢٩ يوما في السنة الكبيسة

الدرس التام (٣٢) في التاريخ العام

وبناء على ذلك تكون السنة اما قريه او شمسيه وكلتاها اما بسيطة او كبيسه فالسنة القمرية هي التي تتركب من الشهور والقمرية اعني من دوران القمر حول الارض اثنتي عشرة مرة وعدة ايامها ٣٥٤ يوما و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة ولكن جرت العادة يجعل السنة القمرية ٣٥٤ يوما عددا كاملا وتسمى حينئذ بالسنة القمرية البسيطة واما السنة القمرية الكبيسة فهي ما يضاف اليها في كل اربع سنين يوم يحصل من حاصل جمع الزيادة المذكورة فتكون عدة ايامها ٣٥٥ يوما والسنة القمرية هي الجاري عليها العمل في المراد الشرعية الاسلاميه والتواريخ العربية

والسنة الشمسية هي المركبة من الشهور الشمسية وهي عبارة عن مدة دوران الارض حول الشمس وعدة ايامها ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٥ ثانية فهي أكثر من السنة القمرية بنحو واحد عشر يوما وينبني على ذلك ان كل دور ٣٢ سنة شمسية يساوي نحو ٣٣ سنة قريه والسنة الشمسية هي المستعملة عند جميع الامم الاوروبية وسائر طوائف النصرانية في معادلاتهم الشرعية واستعمالاتهم السياسية لكنهم يفرضون عدة ايامها ٣٦٥ عددا كاملا فقط وتسمى حينئذ بالسنة الشمسية البسيطة وفي آخر كل أربع سنوات يضمنون مدة الزيادة التي هي نحو ست ساعات فيتكون منها يوم يضمنونه الى تلك السنة الرابعة فتتم ايامها ٣٦٦ يوما وتسمى بالسنة الشمسية الكبيسة وانما ينقص عندهم عدد السنوات الكبيسة في كل أربعة ترون سنة واحدة لداعي نقص مدة الزيادة المستورة بنحو ١١ دقيقة في كل سنة ككبيسة ومن السنوات الشمسية ما يسمى بالسنة القبطية وغاية السر في ان الانباط يجعلون شهورهم الشمسية كلها من كبة بنظر بقية مطردة من ٣٠ يوما ويضمنون اليها في آخر كل سنة عدة ايام لواحق يسمونها بايام النسيء (وهو في اصل اللغة التأخير) وهو خمسة ايام في السنة الشمسية البسيطة وستة ايام في الكبيسة تتأخر في كل سنة قبطية فيضمنونها اليها لتمام عدة ايام سنتهم ٣٦٥ او ٣٦٦ يوما كعدد ايام السنة المستعملة عند سائر الطوائف النصرانية والسنة القبطية هي التي عليها العمل في مواد الحسابات الديوانية والمواقيت الزراعية بالديار المصرية

والقرن ان تتركب من سنوات قريه فهو قري والافه وشمسي وهناك ما يعبر عنه أيضا في اصطلاح علماء الكرونولوجية اي علم الأزمان بالدور وهو عبارة عن المدة التي تدور فيها الحوادث الفلكية وتعود الى مثل احوالها الاولى وهو كذلك بقري او شمسي فالدور الشمسي ٢٨ سنة والقمرى ١٩ سنة ولكنهم جعلوه في العمل ٣٠ سنة

واما العصر فهو الدهر بمعنى مطلق الزمن والذي نحتاج لمعرفة هنا من جملة توازيح الامم المتنوعة بمعنى الحوادث الشهيرة والوقائع الكبيرة

الدرس التام ٣٣ في التاريخ الغمام

التي جعلوها مبدأ النسبة غيرهما من الوقائع التاريخية اليهودية على حسب عوائدهم الغير الموثقة
كله سبق توضيحه في المقدمة عند الكلام على اطلاقات لفظ التاريخ الاصلاحية المتقدمة
هو تاريخان

الاول التاريخ المسيحي او الميلادي لداعي انه هو الجاري عليه العمل في كتب التواريخ الاوروبية
التي نعتمد عليها ونستند اليها في ترجمتنا هذه الى اللغة العربية ونوالذي عليه في توقيت الحوادث
التاريخية الاعتماد حيث يقال وقعت الحادثة الفلانية في عام كذا قبل الميلاد او بعد الميلاد
ومبدأه من ميلاد السيد المسيح عليه السلام والثاني تاريخ الهجرة المحمدية لكونه في تاريخ القرون
الوسطى هو مبدأ تمدننا الوطني المحلي ومنه تأريخنا الديني الاهلي والجاري عليه العمل عند
جميع أهل الاسلام ومبدأه على الاصح من يوم الجمعة السادس عشر من شهر يولييه الافرنجى
سنة ٦٢٢ لميلاد عيسى عليه السلام كما حقه العلماء الاعلام وهو يوم هجرة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد من مكة المحترمة الى المدينة المنورة المكرمه كما هو
مقرر في الافهام

اذا علمنا هذه المعلومات الاولية ساغ لنا ان نقول ان مسألة تعيين مبدأ خلق العالم او المدة التي
مكثها الغاية الان المعبر عنها بعمر الدنيا او عبر عنها المؤرخ المحقق والملك العالم المدقق أبو
الفدا اسماعيل ملك حماه في مقدمة تاريخه بعمر الزمان هي مسألة خلافية حيث لم يحصل فيها غاية
الآن التوفيق على قول ثابت صحيح ولا رأى واحد راجح يطعن العقل اليه ويسكن القلب لديه
وذلك ان العلماء الاوروبيين والمؤرخين المتأخرين معرذل غاية ميسورهم وفضل مساعدة ولاية
أمورهم لم يصلوا بعد لأن يعينوا لعلم الكرونولوجية مبدأنا عليه يعتمد ولم يعرف أحد لغاية هذا
العهد متى خلقت الدنيا ولا وقف على اول الوقت الذي أخرج الله فيه آدم من جنة عدن الى
الارض السفلى وان اصل الاشياء انما هو بعد مجهول حيث لم تصل اليه العقول واختلقت
فيه النقول ولذلك تشعب الخلاف في هذه المسألة الى نحو مائتي مذهب لا اقل قال بعضهم
والذي هو للصحة والاعتماد من جميع هذه المذاهب اقرب هو قولان معتبران ورأيان شهيران

الاول ان المدة المنقضية بين حادثة الخليقة وولادة عيسى بن مريم عليه السلام هي ٤٠٠٤
اعوام وهذا هو التاريخ الذي قال به المؤرخ المدعو باسم اوسيريوس الارلندي (نسبة لجزيرة
ارلندة من الجزائر الملحقة بمملكة انجلترا التي هي بلاد الانجليز) قال به المؤرخ المذكور في سنة
١٦٥٠ بعد الميلاد ومضى عليه أشهر المؤرخين من الفرنسيين كلاسقف بوسوه والمؤرخ رولان
ودانو وهذا القول هو المشهور والاكثر اتباعا عند الجمهور وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا
من أول عهد آدم الى الآن عبارة عن ٥٨٧٧ عاما حاضرة من جماع مبلغ الاربعة آلاف وأربع
سنوات المذكورة آنفا على مبلغ ٨٧٣ سنة التي بلغ اليها التاريخ المسيحي في هذا العام وهو

قريب مع بعض نقص من مبلغ الستة آلاف سنة الذي ذكرناه في المقدمة سالفا (١٣٣ سنة)
 القول الثاني ان المدة المنقضية بين الحادتين المذكورتين هي ٤١٣٨ عاما وهذا القول
 هو الذي أبداه المؤرخ الانجليزي المسمى باسم كلا تتون في سنة ١٨٢٩ للميلاد ومشى عليه
 المؤرخ ويكتور دوروي وزير المعارف العمومية في عهد الدولة الامبراطورية الفرنسية الاخير
 ورفقاؤه من جماعة المدرسين والمؤرخين الذين الفوا تحت ادارته الرسائل التاريخية الشهيرة
 وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا عبارة عن ٦٠١١ حاصلة من جمع المدة المسطورة مع
 مدة التاريخ الميلادي المذكور وهو قريب من مبلغ ٤٠٠٠ الذي الذي ذكرناه في مقدمة تنامع بعض
 زيادة يسيره (١١ سنة)

ومن اطلع تفصيلا على جميع الاقوال التي ادى اليها الخلاف في هذا المجال علم انها كلها انما
 هي مبنية على حسابات مؤسسة على الاعداد الواردة في أصل التوراة عند ذكر تواريخ الولادات
 والوفيات ومدد الولادات والاعمار لبعض الانبياء وغيرهم من ذكر فيهما من مشاهير الرجال وانه
 لم يكن واحدا من القائلين بهذه الاقوال يقول بان المدة المنقضية من ابتداء خلق العالم لغاية ميلاد
 المسيح تزيد عن ٧٠٠٠ سنة ولا تنقص عن ٣٧٠٠ سنة وهذه الاقوال كلها الاجمال لها اللهم
 الا عند الملل الذين يعتقدون تقديس التوراة وكونها منزلة من عند الله تعالى على موسى بن عمران
 عليه السلام واتضح له أيضا ان هذا الخلاف انما هو ناشئ ككاتبه عليه الملك المؤيد أبو الفدا في مقدمة
 تاريخه عن تنوع نسخ التوراة وهي ثلاثة أصل النسخة السامرية واليهودية واليونانية التي
 نقلها اثنان وسبعون حبرا بالاسكندرية قبل ميلاد المسيح بنحو ٣٠٠ سنة لبطلميوس ثاني الملوك
 اليونانيين الذين تولوا امر مصر بعد الاسكندر وتعرف بتوراة السبعين وهي التي لها على ما عداها
 الترجيح كما سيأتي لذلك في موضعه زيادة توضح على اننا اذا خرجنا عن تلك المعلومات المستنبطة
 من نسخ التوراة وجدنا في هذا المقام اشع الحسابات واشنع المبالغات وذلك ان كل واحدة من الامم
 الاقدمين والملل السالفة ارادت ان يكون لها قصب السبق والتقدم في مادة العتاقة والهرم على
 غيرها من سائر الملل والامم فحسبت لنفسها من مدد الاقدمية في مبداء تواريخها الاولية اعدادا
 تعدد بالآلاف الملايين من السنين لاجل الفخار ولقصد تقديم ادل وجودها في بحر ظلمات
 الاعصار ففهم من زعم انه متوغل جدا في مادة القدم حتى انك ترى بعض ملل جعلوا لانفسهم قبل
 ان يترب لهم عائلات ملوكية من البشرية دول من آلهة وانصاف آلهة مكشوات تحت حكمهم على
 حسب زعمهم مدة من الازمنة تبلغ ستة آلاف سنة وبعضهم أربعة وعشرين ألفا وبعضهم
 اثنين وسبعين ألفا وبعضهم أربع مائة واثنين وثلاثين ألف سنة

ومن هذا القبيل ما قال به وألف فيه رسالا مخصوصة ببعض المؤلفين المتأخرين من علماء الفرنسيين
 المعاصرين بقبول ما ذكره القسطنطين المصري المسمى باسم مانديتون السالف الذي ذكر من ان ديار مصر

في سالف الدهر قبل ان يايها ملوك من البشر كانت محكومة بدول عديدة من الالهة وارواح
اناس من الاموات مدة مسافة من الزمن تبلغ ٥٧٣٠ سنة قبل الملك مينيس الذي كان اول من
ولى مصر من البشر في سنة ٥٧٧٣ قبل ميلاد المسيح حسبما اعتمده ذلك القائل وعارضه غيره
من علماء هذا العصر

والذي يقتضيه الدوق السليم ويتنضى به العقل المستقيم هو انه لا حاجة للمناقضة في الستة قرون
الاولى التي يقول بها الهنود ولا في شأن الدول الالهية التي يزعمها اهل الصين واهل جزيرة
يابونية وقدماء المصريين وما يخرج عن حد العقل من عتاقة نسبة قدماء الكلدانيين اى
العراقيين بل ولا في ما والطف من ذلك واخف من جميع ما هنالك مما حسب به لانفسهم قدماء
الفرس المعروفين عند العرب الآن بالاعجم وانما الذي يصح التشبث به في تحقيق هذا المقام
هو ما يستنبط من النتائج التي هي اكثر علمية وان كانت هي ايضا حدسية تقريبية عن تأمل
الارصاد الفلكية كمنطقة فلك البروج وغيرها من الآثار السماوية واكبر من ذلك كله الى الصحة
اقربية هو ما نتج عن دقة النظر في أحوال الكرة الارضية وكيفية تكونها وما اعترها من التغيرات
والاحوال الى ان صارت الى ما هي عليه الآن من المآل وهو المعبر عنه بعلم الجيولوجية وذلك
ان طائفة العلماء الاوروبيين المتأخرين المدعويين بالجيولوجيس (عنى علماء الجيولوجية اى
علم طبقات الارض كما سلف ذكره) قالوا باختيارهم ان الكرة الارضية على الحالة التي هي عليها
الآن لا ينبغي ان تكون اولية خلقها مؤرخة من مدة زمنية أكثر من ستة آلاف الى ثمانية آلاف
سنة شمسية حسبما أثبتته الفيلسوف المحقق والعالم الطبيعي الفرائساوى المدقق المشهور باسم
كوفيه في رسالته المعنونة بخطابته في مادة تقلبات الارض فهم يرجعون ما يعرف في اصطلاح
المؤرخين بحادثة خلقة الدنيا الى زمن قريب مما يضعه فيه الكرونولوجيون (علماء الكرونولوجية
اى علم ترتيب الازمان) من احبار النصراني العيسويين

قال المعلم كرلوس دريس (بكر الدال وفتح الراء وسكون الياء المئناة من تحت) في آخر مجت
الخليقة من كتاب الكرونولوجية العمومية الذي الفهم من ضمن كتب التواريخ المؤلفة تحت ادارة
ويكتوردو روى السالف الذكر ما نصه ووعلى كل حال فتعيين تاريخ الوقت الذي حصل فيه
نفع الروح المتفكر في الحياة البشرية على الكرة الارضية بالقوة الالهية هو من قبيل الجراءة الكلية
ومع ذلك فن الضرورى ان تقدم عليه جريا على العادة التعليمية لتتخذ لنا مبدءا نمشى عليه
في ترتيب الازمان بكتابنا هذا وهو قول المؤرخ كلانتون الانجليزى القائل بان حادثة خلقة الدنيا

كانت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقدر ٤١٣٨ من الاعوام هاهنا معربا

قلت وهكذا قياسا على هذا الكلام يقتضى لنا ان نأخذنا بالاعوام الكرام ان نتخذنا ايضا في سياق
هذا الدرس التام في التاريخ العام مبدءا تاريخيا نرجع في توقيت سائر الحوادث اليه ومنشأ
زمنيا نعتمد في تاريخ الوفاة عليه وهو هذا القول الاخير والذهب التاريخى الشهير لاسيما

وهو الجاري عليه العمل في سائر الاصول الاوروبية التي ننقل منها ونروي لكم عنها في سياق درسنا هذا باللغة العربية

طريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية

وطريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية بدأ عنى ارجاع التواريخ الشمسية الى القمرية بالعمل حسبما قد تمس اليه الحاجة وكما قد يتعلق بذلك منكم الامس وليكون عليه في معرفة تواريخ الحوادث التاريخية الاعتماد سواء كان ذلك قبل الميلاد او بعد الميلاد هي ان تجمعوا بالقواعد الحسابية الاصلية المعلومة لكم الى تاريخ كل حادثة مؤرخة بالسنوات الميلادية اذا اردتم ان تعرفوا تاريخها بالسنوات الهجرية وكان التاريخ المطلوب تحويله قبل الميلاد مبالغ ٦٢٢ الذي هو مقدار الفرق بين الهجرة المحمدية والولادة المسيحية او تطرحوا هذا العدد الاخير من اصل التاريخ المطلوب تحويله اذا كان ذلك بعد الميلاد ثم تقسمه راعلى كل حال من الحاصلين حاصل الجمع او باقى الطرح الجار بين على العددين المذكورين على عدد ٣٢ على حسب اختلاف الصورتين وخارج القسمة يضاف الى نتيجة احدى العمليتين فيكون مجموعها هو التاريخ الهجرى المطلوب حسب المرغوب وتوضح ذلك بالمثال لاجل ان يقاس عايه في سائر الاعمال

مثال الصورة الاولى المصرب تحويل تاريخ خلقة الدنيا وهو ٤١٣٨ قبل الميلاد بناء على القول الذي جرى عليه الاعتماد انى التاريخ الهجرى المعتقد اعنى معرفة تاريخ الخليفة كم كان من السنوات بالنسبة للهجرة كما حسبه المؤرخون الاوروبون بالنسبة للميلاد والجواب هكذا على حسب ما هو مما قرناه بالضرورة يستفاد

		٤١٣٨
		٠٦٢٢
		٤٧٦٠
	٣٢	٣٢
١٤٨	$\frac{٢٤}{٣٢}$	١٥٦
٤٧٦٠		١٢٨
٤٩٠٨	$\frac{٢٤}{٣٢}$	٠٢٨٠
		٢٥٦
		٢٤

ومن ثم ينتج ان حادثة الخليفة قد كانت قبل الهجرة بقدر اربعة آلاف وتسعمائة وثمانى سنوات ونحو ثلثى سنة قريية وذلك هو المطلوب وهو قرييب مما ذكره الشيخ الكبير والعالم الولى الشهير محيى الدين بن العربي رضى الله عنه في بعض تأليفه ومن عليه في بعض تصانيفه

مثال الصورة الثانية المطلوب تحويل تاريخ فتح القسطنطينية على يد احد سلاطين الدولة العثمانية وهو سنة ١٤٥٣ الميلادية الفاصل بين مدى انتشار ميج المتوسط والاخير حسبما ذكره من مؤرخي الافرنج الجم الغفير الى التاريخ الهجرى الذى هو فى التواريخ الاسلامية منذ كور والجواب عن ذلك حسبما هو بعد مسطور ١٤٥٣

		٦٢٢
	٣٢	٠٨٣١
	$\frac{٣١}{٣٢}$	٦٤
٢٥		١٩١
٨٣١		١٦٠
$\frac{٨٥٦}{٣٢}$	$\frac{٣١}{٣٢}$	٠٣١

ومن ثم يتضح ان حادثة فتح القسطنطينية قد كانت بعد الهجرة المحمدية بقدر ثمانمائة وست وخمسين سنة هجرية مع زيادة سنة قريظة واحدة ناشئة من كسر $\frac{٣١}{٣٢}$ بعد فرضه دورا كاملا وعدادا صحيجا شاهلا حتى تتم جملة ذلك ٨٥٧ وهذا هو المطلوب وهو عين تاريخ هذه الحادثة الشهيرة حسبما ذكره سائر المؤرخين الاسلاميين وارجعه فى ضمن قوله (بلادة طيبة) بعض الادباء المعاصرين كما أسلفنا ذكره فى المقدمة

مثال آخر من الصورة الثمانية - المطلوب تحويل سنة ١٨٧٣ الميلادية الحاضرة الان الى سنة هجرية أعنى معرفة السنة القمرية المقابلة للسنة الشمسية الحاضرة والجواب هو كما يظهر من هذه العملية الآتية

		١٨٧٣
		٦٢٢
	٣٢	١٢٥١
	$\frac{٣}{٣٢}$	٩٦
٣٩		٢٩١
١٢٥١		٢٨٨
$\frac{١٢٩٠}{٣٢}$	$\frac{٣}{٣٢}$	٠٠٣

ومن ذلك يتضح ان السنة الهجرية المقابلة لسنة ١٨٧٣ الميلادية التى هى العام الميلادى الحال هى سنة ١٢٩٠ القمرية ومع زيادة بعض اجزاء كسرية $(\frac{٣}{٣٢})$ ليس لها اقيمة اعتبارية حيث كانت هذه الطريقة العملية اعلاه فى الجملة تقر بيبه والاقس اراد مقابلة السنوات الميلادية بالهجرية على وجه الضبط مع معرفة مبداء السنة القمرية باليوم والشهر من السنة الشمسية فليراجع الجدول الزمنى المسطر فى آخر الكتاب المشي نظم التالى فى السلوك فيمن تحكّم فرانسوا من قابلهم على مصر

من الملك تعريب العبد الحقيير المطبوع بطبعة بولاق سنة ١٢٥٧ في عهد أفندينا المرحوم محمد علي باشا الكبير حيث ذكر فيه مقابلة كل سنة قريية بتظيرتها من السنوات الميلادية من اول هجرة النبوية الشريفة لغاية عقد ١٣٠٠ من السنوات الهجرية المنيفة

تقسيمات خاصة بالتاريخ القديم

ثم ان المؤرخين الاوروبين قسموا التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقامة وعدمها الى ثلاثة اجزاء اصلية وهي الاعصار الاولى والاعصار الخرافيه والاعصار التاريخيه ثم قسموا الاجزاء الاصلية المذكوره الى مداد اصلية أخرى بالطريقة التي هي بعدمسطوره فاما الاعصار الاولى فهي في اصطلاحهم عبارة عن مددة من الازمان اولها حادثه خلق الانسان وغايتها حادثه الطوفان وتبلبل اللسن وتغرق الناس الى البلدان ومن ثم انقسمت تلك الازمان الى مدتين عظيمتين احدهما مدد الخلقه الدنيويه والثانيه المدد الطوفانيه واما الاعصار الخرافيه فهي عبارة عن المدد المنقضيه بعد تلك المدد من ابتداء تفسر ق الناس على الكرة الارضية وتأسيس الدول والممالك ببلاد الصين وآسيه وبلاد مصر واليونان وما تلا ذلك من انشاء المدن والقرى وسائر أنواع العمران لغاية المدد التي نشأ فيها الانبياء المعبرون والشعراء المشهورون من الامم المتنوعين ووضعوا أوائل اسس تمدن العالم الدنيوى ولذلك انقسمت تلك الاعصار أيضا الى ثلاثة مدد اصلية

الاولى تسمى في اصطلاحهم بالازمان الوثنيه وهي تلك الازمان المميزه بنشأة الدول والممالك ببلاد الصين وآسيه ومصر وبلاد اليونان وانما سميت وثنيه لداي ميل جميع الامم الذين ذكروا في تلك الازمان لترقية ملوكهم الاولين وارباب دولهم السالغين في مرتبة الآلهة المقدسين

الثانيه تسمى عندهم بالازمان البطلمية (نسبة للبطل بمعنى الشجاع) وهي تلك المدد المنقضيه بعد ذلك مما حدث فيه من نوع البشر رجال اختطوا المدن واسسوها وابطال تعدى بعضهم على بعض في تلك المدن وافتتحوها وكان الناس حينذاك قد اخذوا في أن تنورت فرومهم وانتشرت علومهم وشرعوا في أن يميزوا بعض التمييز الحقيقية الآلهية عن الطبيعة البشرية فاقصروا على ان يدعو من تميز من الرجال بخصلة من تلك الخصال بمجرد لقب الابطال او انصاف الآلهة بمعنى كبار الرجال ولذلك سميت تلك المدد الزمنية بالازمان البطلية

الثالثة تسمى عندهم بالازمان النبويه والشعرية وهي المدد التي نشأ فيها الانبياء الكرام والشعراء العظام ووضعوا أوائل اسس تمدن الامم والمبلل وتمكن الممالك والدول ولذلك سميت تلك المدد الزمنية بهذه النسبة الاصطلاحية واما الاعصار التاريخيه فهي المدد التي أخذ علم التاريخ فيها في أن يكون على بعض درجه من

الثبات والاستقامة بخلاف المدد السابقة على تلك المدة حيث كانت يمكن مكين من الغموض والبقامه ولذلك سميت هذه المدد الاخيرة بهذا الاسم فهي تنقسم في العادة الى ستة أقسام عند أهل العلم

الاول يقال له المدد التشريعية وهي المدد التي ظهر فيها في عصر واحد تقريرا بياكل من المشرع اليوناني الاقدموني (نسبة الى لقدمونية اقليم ببلاد اليونان) وه والمسمى باسم ليكورجه اوليكورغه (بالجيم اوبالعين المعجمة) في مدينة اسبرطة ببلاد اليونان والمشرع الروماني المعروف باسم نوميه يونيوليوس ثاني ملك رومية الكبرى ببلاد ايطاليا والمشرع اليوناني الاثيني المشهور باسم سولون بمدينة أبننة أو أثينة (بالتاء المتناة الفوقية اربالتاء المتناة احدى مدائن بلاد اليونان الشهيرة) وهو احد الحكماء اليونانيين السبعة المشهورين والمشرع الصيني المشهور باسم كونفسيسيوس (بضم الفاء الموحدة) في بلاد الصين

الثاني مدد فخر بلاد اليونان

الثالث مدد الفتوح الرومانية اى فتوح دولة الروم الاولى للكثير من البلدان

الرابع مدد الخلاف الذي حصل في الجمهورية الرومانية

الخامس مدد استفعال الادباطورية الرومانية اى سلطنة دولة الروم الاولى

السادس مدد اضمحلال السلطنة المذكوره وهذه المدد تنتهى بنا الى سنة ٤٧٦ قبل الميلاد

التي هي مبدأ تاريخ القرون الوسطى حسبما ذكرناه في المقدمة

ملحوظات عامه

تتعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

ذكرنا في المقدمة ان التاريخ القديم في اصطلاح المؤرخين الاوروبين هو عبارة عن تاريخ عدة أمم شهيره وملل كبيره كانوا في تلك الاعصار العتيقة موجودين وهم المصريون والعبرانيون والفنيقيون والاسوريون والميديون والليديون والسيثيون واليونانيون والرومانيون والقرطاجيون

لكن تاريخ جميع هؤلاء الملل والامم ليس على حد سواء من حيث كونه منتظما او غير منتظم ولذلك لزمنا قبل ان نتكلم على كل واحد منها بالخصوص ان نلقى نظرة عامة اليها وذلك بعدة ملحوظات كما هو بعدآت

الملاحظة الاولى . انتظام تاريخ الرومانيين واليونانيين .

اما تاريخ الامم الرومانية فانه كما هي ترجمة عبارة ويكتور دوزوي وزير المعارف العمومية

الدرس التام ٤٠ في التاريخ العام

في متأخر عهد الدولة الفرنسية السلطانية يتكون منه مجموع جليل وعقد منتظم جميل كأنه قصيدة شعرية من نوع القصائد الجسدية أو الهزلية التي تؤلف للعب بها في المجال التياترية أي الملاعب التصويرية إذ يراه قاريه يتوارد على نظاره وينكشف لبصره شيئاً فشيئاً من أول عهد نشأة مدينة رومية مع ما كانت عليه في أوائل أمرها من حالة الخمول على يد المدعو باسم رومولوس إلى أن بلغت إلى أعلى درجة الكمال فألت إلى النزول حتى نزلت بهم المصيبة الكبرى التي أوقعت هذه المدينة العظمى بعد أن كانت سلطنة سلاطين الدنيا جميعين تحت إدام رئيس قوم متوحشين وانما مثل مدينة رومية هذه كمثل حبة انبذرت في أرض فنبئت ونمت وامتدت وسمت حتى صارت شجرة عظيمة ودوحة ذات فروع جسيمة فأنت أكلاها واثمرت واستكملت عملها واشجرت حتى استقال في ظلها واستنقت بأكلها نحو ثمانين مليوناً من الناس ثم ماتت وذبلت وسقطت من ثقل ما حملت وانقطعت منها الانفاس وانفقدت منها ماء الحياة فاعتزتها الوفاة قال ويكتور دوروي المروي عنه أعلاه « وأما بلاد اليونانيين فقد كان سكانها اقواماً متنوعين ومدائن شتى عامرة بقبائل متشعبين ولم يكن ما يجذب نظر الناظرين في تاريخ بلاد اليونان من حيث التمدن والعمران مدينة واحدة بل مدناً متعددة واقواماً مترددة فان من أراد ان يقف على احوال مدينة اتينيه او اثينه واسسبرطة وكورنثة وأرجوس (يسكون الراء المهملية) ومدينة تيبية او طيبة (اليونانية بالطاء او بالياء) ومملكة مقدونية وغير ذلك من قبائل اليونان المستعمرة ونزائلهم المنتقلة إلى بعض البلدان الغير العامرة لانه ان يردد نظره ويعد بصره على سائر نواحي بلاد اليونان وجميع سواحل البحر الابيض المتوسط او بحر سفيد بل وإلى اقصى بلاد آسية إلى امد بعيد غير انه يرى من ذلك كله منظاراً واحداً وتمناً واحداً واماً لم تتغير احوالها وعهدا ظاهراً للوضوح والمعلومية من جملة كيفيات الحياة البشرية العمومية ومعيشة الملل والامم في هذه الدنيا الدنياوية »

المحوظة الثانية عدم انتظام تواريخ الامم السابقة المعبر عنهم بالتاريخ القديم

وأما تواريخ الامم الاقدمين الباقين غير اليونانيين والرومانيين وهم المعبر عنهم في اصطلاح المؤرخين الاوروبيين بالتاريخ القديم الحقيقي فليس لها رابطاً معنوية تربطها ولا جامعة قدنية تضبطها بل ترى قدماء المصريين والاسوريين والقرطاجيين والليديين والميديين والفرس وغيرهم من الامم المتقدمين يعيش كل منهم في بلاده موحده بحيث لم يخلط بغيره عقائده الدينية ولا مصالحه المدنية ولا شيئاً مطلقاً من احواله الدنياوية والاخروية اللهم الا في الازمان الاخيره من مدة التواريخ القديمة حين اجتمعت جميع هذه الامم غير القرطاجيين تحت ولاية ملك واحد وهو ملك العجم الملقب في ذلك انه مصر بالملك الاعظم غير ان جميع هؤلاء الامم يجتمعهم امر عام واحد وهو انهم انما مهدوا الطريق للتمدن والعمران لا بمشي الزمانيين واليونان وساعدوا

على ما تحصل عند الملتين المذكورتين من ترقى درجة هيثة اجتماع الانسان وسبب ذلك كون الملك اليونانيي الخالفين للاسكندر حكاوا العالم المتمدنة الفارسية وكذلك دولة رومية استولت على ملك القرواطيين ويمكن لنا ان نقول ان ما كان قد حصل في تلك الاعصار السالفة من العقائد الدينية والعلوم والفنون عند الاسوريين والمصريين اغماها والذى جهز تمدن بلاد اليونان وجاءت بعد ذلك رومية ورثته منها واخذته عنها بحيث اننا اذا اردنا ان نعرف اولى المعارف البثرية فلا ينبغي لنا ان نقف عند مدينة رومية ولا اتيه بل يجب ان نسير الى ان نسمى لتلك المداين القديمة التي كانت هي الخزوق العظيمة تلك الاماكن المشرقية الغنية وهي مدينة منيس (مائة رهنه) وبابل واكباتان (قال المعلم بوليت في مجسم التاريخ والجغرافية العمومية واعلمها ما يعرف الآن به مدائن) ومدينة بيرسبوليس (المسماة الآن اشيل ميناروهي التي توجد آثارها على القرب من استقار في الشمال الشرقي من شيراز كما في المجسم المذكور)

المحدوطة الثالثة ليس التاريخ القديم بعد العبارة عن تاريخ الامم المتوسطة على سواحل البحر المتوسط الابيض (او بحر سفيد)

قال ويكتور دورون المذكور آنفا « يهزلك نظري في التاريخ القديم السلم في نقل على تواريخ جميع الامم بالنفس الذين ارتكبت تلك الاعصار القديمة على الارض المأمورة كثنين وان لم يتعد على وجه العموم سواحل البحر الابيض المتوسط (او بحر فيد) انهم الى اما غير بعيد من جهة بلاد الهند يعرف بعد من تواريخ الامم الموجودين في ذلك العهد خارجا عن المنطقة الضيقة المحيطه بذلك البحر غير بعيد وفي الواقع ونفس الامر نحن لم نعرف من التواريخ القديمة فيما يتعلق بأسلاف سكان بلاد اسبانية (المعروفة عند العرب بجزيرة الاندلس) المسلمين بالايبير والاييرين واسلاف سكان بلاد الجول والغاللة (فرانسة) المسلمين بالسلت او السلتين ولا فيما يتعلق بأسلاف سكان بلاد الالمان المدعوين باسم الجرمان او الجرمانيين واسلاف سكان بلاد اسبانية (بلاد اوروة) المعروفين باسم الاسبلاوا والاسلاوين غير بعض اخبار مهممة وآثار مظلمة ولا نعرف غير الاسم من أحوال الاقوام المسلمين بالسيبتين (وهم باجوج وما جوج اى أسلاف سكان بلاد الروس والترك) وأما الخوفان لهم علوم اعظيمة وآداب جسيمة لم تنزل تمكسف للعلماء الاور وباريين الاخرين شيئا فشيئا غير انهم ليس لهم تاريخ يؤثر اكونهم وان كانوا قد حفظوا ابغاية الذقة والتحرى عقائدهم الدينية في ضمن قصائد شعريه تذكر واقفاتهم ويساتهم التخيلية فيما يتعلق بآلهتهم غير انهم لم يتعرضوا فيها للذكور وحادثه تاريخية من أحوالهم الدنيوية

وكذلك مله العرب المسلمين لا يعرفون شيئا من اخبار أسلافهم المتقدمين وأما الصينيون فان لهم حوادث متويزة متفحة وتواريخ زمنية محققة مستقيمة تصعد الى أقصى الاعصار القديمة غير انهم يعيدون بكيفية معاشية لم تنزل ابغاية الآن مخا انة لكيفية عيشنا بالسكينة ولم ير الوابعد ابغاية هذا

انعهد متخصصين خلف أسوارهم العنيفة كائنين في عالم وحدهم بحيث بقي البحث فيما يتعلق بالوقوف على حقيقة أخلاقهم وعوائدهم وكيفية دياناتهم وعقائدهم وترتيباتهم السياسية وهيئات اجتماعاتهم التأسيسية وما اعتري بلادهم من الانقلابات والاحوال منظورا فيه بعد بين العلماء الاوروبوا وبين لغاية هذا الوقت الحال

ولانعرف شيئا أيضا من تاريخ هذه الطائفة السردانية المعروفة لبلاد افريقية ولا من تاريخ الاتوام التابعين للطائفة المسماة باليزيدية القائمة في بعض جزائر البحر المحيط الغربي المسماة بالاقياوسية ولاتاريخ القبائل الامريقية المعروفة بذي الجرد الجراء مع انهم كانوا قد اسسوا بلادهم الاصلية في تلك الاعصار الخالية مما لك دولة قبل ان تنزل عليهم انزائل الاوروبية فالمكرم ويكتور دوروي المذكور وحينئذ لم نوث من العلم فيما يتعلق بتاريخ الامم القدم الاقايلا جدا وان كانت اجتمادات العلماء الحاصلة مع سدة العزم لم تنزل تزيد فيه وتوسعه وتقويه « اه

هذا ما سطره ويكتور دوروي في الباب الاول من مختصر تاريخه القديم وبني عليه تبعا لرفيقه الموسيوجي مان أحد أعضاء جمعية العلماء والمدرسين الذين افوا الكتب التاريخية تحت ادارته المشي على ما جرت به عادة المازرخير الاوروبايين السلف من تقسيم التواريخ القديمة الى قسمين أصليين

الاول توار بين الامم القديمة وهي ممالك آسية وافريقية القديمة يعنى الامم الكبيرين والملل الشويريين الذين كانوا قد انتدوا ووافوا تلك لاقار الشرقية وناهر وافي تلك الاعصار العادية ما عدا اليونان والرومانين

الثاني توار بين الامم للمغربية يعنى الامم الاوربية التي حصل الوتوف لهم على توار من حقيقتية وهم اليونان والرومانيون ولذلك انقسم هذا القسم الثاني أيضا في طريقة سلف المؤرخين الاوروبوا وبسبب الطبع الى قسمين متميزين أحدهما تاريخ اليونان والثاني تاريخ الرومانين ولم يتعرض ويكتور دوروي المذكور من التواريخ القديمة لتاريخ من عدا هؤلاء الامم المذكورين من الامم السالفين كالعرب والهنود والصينيين وغيرهم من الامم المتقدمين وهذه هي الطريقة المدرسية القديمة أى الجارى عليها العمل في تدريس التاريخ القديم بالمدارس الاوروبية من قديم الزمان وهي المعروفة بطريقة المؤرخ ريلان وهي عبارة عن الاقتصار في تأليف الكتب التاريخية القديمة وتدريب المتعلمين على ما كان قد التقطه قدماء مؤرخى اليونان والروم في تلك الازمان من أفواه الناس المعاصرين لهم على حسب الروايات المتداولة بينهم في تلك الاعصار الغابرة باثناء سياحاتهم في ممالك المشرق العامرة واودعوه في ضمن كتبهم للمقدمة التي بقيت على مر الازمان فنقلت الى اللغات الاوروبية الحديثة تضيعة مسئلة من غير تدقيق نظر ولا ادعان وذلك كالمؤرخ هيرودوت الاليكارناسى ويودور الصقلي وغيرهما وساثر من حذا على حدو هما وهي

الطريقة التي مشى عليها ابن الاثير الجزري في الكامل والملوك المؤيد أبو الفدا والقاضي ابن خلدون في تاريخهما وغيرهما من سائر علماء المسلمين في جميع ما سار ودوا كتبوه وحرروه من أخبار الأمم المتقدمين مع ما اعتري ذلك من الخلط والخبط والغلط والسقط في أسماء الرجال والبلدان الأعجمية بتحريف جهلة النسخين وتحريف العملة المتأخرين من المترجمين وغيرهم في أثناء النقل إلى اللغة العربية إذ لا سبيل لهم غير ذلك ولا مواد عندهم سوى ما هنالك هذا وأما الآن فإن العالم المدقق والمؤرخ المحقق الذي اشتهر باسم فرانسوا الوفرانيسيس لو فورمان أمين كتبخانة الانستيتوت (أي جمعية العلماء الفرانساوية بمدينة باريس كرسى دولة الفرانيسيس) انتدب لتأليف كتاب في قسم التاريخ القديم فريد وانصب التحذير مؤلف في هذا الفن وحيد اشتمل على ثلاثة جلود يسمى بماعناه الرسالة اليدوية في تواريخ الأمم القديمة المشرقية لغاية الحرب اليونانية الميادية وقد طبع عدة طبعات اخرها المؤرخة في سنة ١٨٦٩ الميلادية أعني من منذ نحو أربعين سنة فنقل إلى اللغة الانجليزية وشرع اليه من الناس بيلاذروية الحجم الغفير فاختطفوا نسخة المدايعة في مسافة بعض شهور حتى صارت نادرة الوجود ممنوعة لا يوجد منها غير اليسير وذلك انما اترجح في قسم التاريخ القديم نظرية جديدة فلسفية فيده واحدت فيه عدة اسلحان عديده على غير الدرقة المدرسية التي كانت لغاية تمام تأييده المعهوده وضم اليه ما لم تكن في كتب التواريخ القديمة المتداولة في أيدي الناس بالمدارس الاوروية مشهوده وعمد فيه أبو اناؤف ولانبار بعمر اعم من المال الاقدمين كانت لغاية الآن في التواريخ القديمة مفقوده فكلم فيه فضلا عن الامم المذكورة فيه بعد على تواريخ هل الهند وأخبار القبائل العربية في أيام الجساعية مستندا في ذلك كله لسمره الاستكشافات التاريخية التي وقف عليها السياحون الافرنجيون المتأخرون ومعتمدا على نتيجة المحادلات العلمية التي انتدب اليها العلماء الاورويون المعاصرون مبينا باراء كل باب من الابواب التي عدها أصل الموارد المعتمدة التي اعتمدها والمواد المعتبرة التي أخذت منها ثم اتصرت تاريخه هذا الكبير حسب القسم منه الحجم الغفير من المفسرين ولا سيما دولة القوم المعروفين بحجمه وورثه الاسويجيرة والسويسيين في جزئين مختصرين وجملين صغيرين لحاجة التدريس على مقتضاها في المدارس الاوروية من الآن فصاعدا على حسب هذا الطريقة النظرية الفلسفية عنون أحدهما بعنوان تاريخ القوم اليهود والثاني بتاريخ الامم المشرقيين والهندود والاول هو المعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاوروباو بين السلف بالتاريخ المقدس كما اوضحنا في موضعه من المقدمة فيما سلف قال المؤرخ فرانسيس لو فورمان المذكور في ديباجة الجزء الاول من التاريخ القديم المسطور ما معناه « وانما عنونت كتابي هذا بهذا العنوان لا بالتاريخ المقدس حسب الجاري فيه لغاية الآن لكوني بنيت في الأكثر على ملحظ تأسيسه على الوفايع البشرية أكثر من بنائه على مجرد اقتصاصه في التوراة العيسوية

وأستسته على اساس الاستكشافات العلمية العصرية كغيره من توارىخ الامم السالفين في تلك
 البمدة الدهرية مع ملاحظة ما هو مبنى عليه من التأسيس في التأليف والتدريس على صفة
 التقديس اعنى كون هذه الامة الاسرائيلية لم تنزل ملحوظة بعين العناية الالهية الى ان فسدت
 وبلغت للحالة الاضحلالية ولم يتعرض المؤرخ المذكور في الجزء الثاني لتسارىخ العرب والصين
 وغيرهم من بعض الامم المتقدمين الذين ليس لهم ناريخ ثابت مبين وان كان قد عذب بابا بخصوصا
 للعرب قبل الاسلام في تاريخه الكبير وقال في ديباجة تاريخه المذكور ما ملخصه وانما لم اعرض
 في كتابى هذا لتاريخ أهل الصين مع كونهم من الامم القديمة أولى التوارىخ المنظومة كما أشار على
 به بعض المشيرين لكونى لم أجد نفسى فى الحقيقة أهمل لتحرير تاريخ هذه الامة المتيقة وادعى انه
 تراءى لى ان تاريخ الامة الصينية وان كان من التوارىخ اليقينية هو دائما معزل بالكلية عن
 سائر توارىخ العوالم الدنيوية على وجهه بحيث لا يلقى ان يدخل فى دائرة كتابى هذا ولا يكونه
 لادخل ايه مطلقا فى اقتصاص أخباراً أنواع الهيئات التمدنية التى كان لها تأثير قريب او بعيد
 على كيفية التمدن المتحصلة عند الامم الاوروبية فى هذه الحقبة الزمنية (اهم عربا بالمعنى)
 والحاصل من نتيجة هذه الملحوظات التمهيدية والفوائد التاريخية القديمة ان كتابتة قسم
 التاريخ القديم وتدرسه من حيث كيفية بنائه وتأسيسه مذهبين مختلفين وطريقتين
 متباينتين

احدهما الطريقة التقليدية القديمة وهى المبنية على ما تفرسه كتب قدماء مؤرخى اليونان
 والروم من الروايات الالهية والحكايات الاولية من غير تدقيق نظر ولا ايمان وهى طريقة
 المؤرخ رولان ومن تبعه من مؤرخى الافرنج اعلاية الان وهى طريقة معربة وكيفية فى اغلب
 تأسيس قسم التاريخ القديم على وجهه العموم غير مصيبة ولذلك صارت متروكة فى هذا الاوان
 لاعتماد عليها ولا استناد اليها اللهم الا فيما اثبتوه فى بدون تلك الاوراق من أخلاق القدماء
 وعوائدهم ودياناتهم وعقائدهم لاستنادهم فيه الى دليل المشاهدات حيث يحقق فيما هو من
 هذا الفجيل ان لا بأس بالاسترشاد بهم والاعتماد عليهم اذ هم فى ذلك خير دليل بخلاف ما يتعلق
 بسلاسل الملوك وترتيب العائلات الملوكية وسائر احوال الدول القديمة فان أكثر أقوال مؤرخى
 اليونان والروم العتيقة وجدت فى ذلك كله بالنحرىات الاخيرة غير صادقة للتحقيقه

الثانية الطريقة الاجتهادية الجديدة وهى المبنية على السندات الاصلية والتجربرات الرسمية
 أى الكتابات الدولية المعتمدة والامارات الاولى المعتبرة التى كانت تلك الدول والملوك قد حرروها
 فى كتاباتهم الالهية بنفوسهم وأودعوا فى داخل قبورهم ونواويسهم وعبروا فيها عن حقيقة
 أحوالهم وتفاصيل وعابهم وأعمالهم حسيما انضحت حقيقة ذلك فى هذا العصر الاخير بالبحث
 والتحرير بمعرفة الجمل الفقير والمعهد الكبير البالغين الى حد التواتر من السياحين المعتمدين

والعملية المشاهدين من الافرنج المتأخرين والعلماء المجتهدين المعاصرين حيث عثرنا على تلك الآثار المعتبرة واختبرنا هذه الاخبار المحررة بقراءة كتاباتهم المسطرة بعتيق أقلامهم في اطلاق قصورهم وعماراتهم وهذه هي الطريقة التي اقترحها المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وهي الطريقة الجادة والمذهب الفويم الذي يقتضي ان يكون لكل مؤرخ محقق ومعلم لعلم التاريخ القديم مدقق هو المادة ولذلك التزمنا ان نتبع في تقرير قسم التاريخ القديم طريقة هذا المؤرخ العظيم أعني اننا نترجم ما يلزم من كتبه هذه غنمة باردة ونضم اليه من مظانها المعتمدة المتفق عليها ما لم يكن يوجد فيها من كل شارده عملا بقوله تعالى في نص القرآن الكريم وهو وأصدق انقائلين « وأسألوا أهل الأذى ان كنتم لاتعلمون » قال المفسرون المراد بالذكر في الآية الشريفة التوراة كما نص عليه أبراهاة الحسيني في كتاب الكليات وليست التوراة المنزلة بمبدلة في نصوص نسخها الاصلية ولا محررة في أصل كلماتها التنزيلية كما هرشائع من قبيل الاوهام على السنة أكثر العوام من أهل الاسلام والتغيير والتبديل انما حصل فيما طرأ عليها بعد ذلك من الشرح والتأويل كما قد يختلف علماء المسلمين في تفسير بعض الآيات المتشابهة القرآنية ادلا يعقل ان أمة تجارى على تبديل كتابه قدس متصف بالتنزيل عليهم من لدن الحضرة القدسية كما نص عليه المحقق ابن خلدون رحمه الله في أوائل الجلد الثاني من تاريخه المذكور أعلاه

وحينئذ فلامر قع للاعتراض علينا بتضعيف سنداتنا من بعض سقماء الافهام بدعوى ان العدالة الشرعية ومشروطة بالاسلام لاننا نقول ان لاننا نحوي في الدعوى والخصومات وغيرها من أنواع المعاملات والعمادات حيث كانت الشهادة فيها هي مظنة الكذب والتدليس اللذين كثيرا ما ينشأن عن الخيبة الدينية بخلاف المواد العلمية فان الاصول الفقهية لا تأبى فيها الاعتماد على أهل الكتاب اذ التدليس فيها آمن ولو اختلف الدين لان علماء كل أهل دين يؤافون هذه الكتب فيها لانفسهم ويدرسونها بدارسهم ولا شبهة فيها للنفس والتدليس ولم يرزل العلماء الاسلاميون السالفون يأخذون السنون والعلوم بتعريب كتب اليونان والروم ويعتمدون عليها كل الاعتماد في عهد الخلفاء العباسيين بدارس بغداد وفي أيام الخلفاء الامويين وغيرهم بدارس قرطبة وغرناطة بالاندلس كما يؤيد ذلك وله يستأنس بما يروى عن النبي عليه الصلاة والسلام من الاحاديث المشهورة والاختبار الماثورة في قوله « أطلبوا العلم ولو بالصين » وقوله ايضا « الحكمة ضالة المؤمن يلبثها حيث وجدها » أو كما قال عليه الصلاة والسلام وما أحسن قول القائل من بعض الأوائل في هذا المقام

خذ العلوم ولا تنظر لقائلها * من أين كان فان العلم مدوح

كدره أنت تلقاها من بلة * ألت تأخذها والزل مطروح

وانما العبرة بضبط التعريب لا بالترجمة على وجه التقريب والعمدة على ضبط أسماء الرجال

والبلدان الاجمعية سواء كان النقل من التوراة او من الكتب التاريخية الأوروبية المنقول منها الى اللغة العربية وهذا هو ما تحراه وتلتزمه وتتوخاه على قدر الامكان ان شاء الله والله المستعان في كل ما نتعناه

وكل يدعى وصلابلي * وليلى لاتقر لهم بذلك

وبناء على ما توضع اعلام من هذه المعلومات الاولية والتقسيمات الاصلية لزماننا ان تقسم هذا التسم الاول حسب اصار عليه من المؤرخ فرانسيس لونورمان المعقول وكما هو الصواب الى عدة ابواب
الباب الاول وهو كالمقدمة لسائر الابواب التسالية له في تاريخ الاعصار الاولية والازمان الاصلية من ابتداء عهد خلق الانسان الى عهد تبلبل اللسان ببابل وتفرق الامم ومنشأ الملل والدول بعد الطوفان

الباب الثاني في تاريخ قدماء المصريين ودول الفراعنة المتقدمين

الباب الثالث في تاريخ الاسرائيليين او العبرانيين وبلاذيهود او فلسطينيين

الباب الرابع في تاريخ الاسوريين والبابليين وأهل بلاد العراق واذربيجان السالفين

الباب الخامس في تاريخ الميديين ودولة الفرس الاصليين

الباب السادس في تاريخ الفينيقيين والصوريين وسكان سواحل الشام الاولين

الباب السابع في تاريخ قدماء الليديين أي أهل أسية الصغرى أو بلاد أرمنية وأهل الشام المسماة سورية

الباب الثامن في تاريخ قبائل العرب في أيام الجاهلية وسالف الحقب

الباب التاسع في تاريخ بلاد الهند وما عرف من أخبارهم بعد

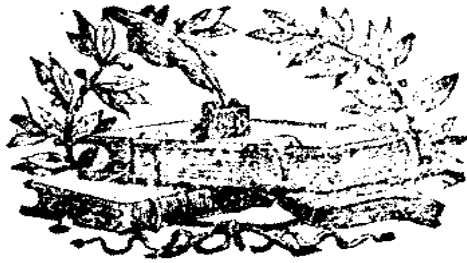
الباب العاشر في تاريخ بلاد اليونان ودولها وحكوماتها في سالف الزمان

الباب الحادي عشر في تاريخ الامة الرومانية ومنشأ مدينة رومية الكبرى ببلاد ايطالية

الباب الثاني عشر في تاريخ القرطاجيين والامم الليبيين وهم سكان بلاد برقة وما والاها من الاقوام المغربيين

الدرس التام ٤٧ في التاريخ العام

وحيث نجهزت منكم الافهام أيها الطلبة الكرام بهذه الافكار العامة والفوائد العلمية التامة التي أردنا ادخالها في أذهانكم على هذا الوجه التام قبل الشروع في تعليمكم واعدانكم بعلم التاريخ العام فلنشرع الآن في الكلام على تاريخ كل قوم من هؤلاء الاقوام في بابها بالخصوص على هذا الترتيب المخصوص عازين ما سنسطره لكم في هذه الابواب من النصوص فيما يتعلق باساطير هؤلاء الامم الاولين بقلم التعريب الى اصل المؤلف الذي أخذنا منه واعتمدنا حتى نستندوا الى أصل الاستناد ونعتمدوا عليه كل الاعتماد فتفهّموا معنى هذه القصص والاختبار وتعلموا مغزى تلك الحكايات والامثال الذي هو حسن التذكار والاعتبار باحوال من تقدمنا من السلف الصالح في تلك الاعصار كما علمتم مما أسلفناه وكما هو الغاية القصوى من تعلم كل علم وتحصيل فحواه ولكن تأخذ الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم



الباب الاول

في تاريخ الاغصار الاولية والازمان الاصلية من ابتداء عهد
خلقة الانسان الى عهد تفرق الامم بعد الطوفان
وفيه فصلان

(معربا من تاريخ اليهود المختصر للأورخ فرانسيس لوفورمان وأعمال مأخذه الباب الاول لغاية الباب
الحادي عشر من سفر الخليفة من التورات)

أفكار تقديميه وفوائد عموميه

هذه المدة تشمل على تاريخ نوع الانسان من أول عهد مباديد أعني من أول ما خلقته الرحم فنشأ
غربيا وحصل له على الأرض أول الاستيطان قبل الطوفان وبعد الطوفان فنازلا الى عهد تفرق
الامم وانتشارهم في البلدان وهي تنقسم كما أسلفناه آنفا بفواصل حادثة الطوفان سالبا وخالفا
الى عهدين مختلفين ومدتين أصليتين

الاولى من عهد خلق الانسان لغاية حادثة الطوفان أعني من ابتداء سنة ١٣٨٤ فإزالة لغاية
سنة ٢٤٨٢ قبل ميلاد المسيح وهي سنة حصول حادثة الطوفان على الاصح أو الاقرب للصحيح
كما اختاره علماء الازمان وهي عبارة عن مدة ١٦٥٦ سنة شمسية حسابا يؤخذ من نسخة
ترجمة التوراة اليونانية المعروفة بالسبعين وكما اختارها المؤرخ الانجليزي الاسمي باسم كلا ترون وغيره
من جمهور المؤرخين الفرنسيين ويعبر عنها في اصطلاح المؤرخين الاوروبين بالمدة السابقة على
الطوفان

الثانية من عهد الطوفان لغاية تفرق الامم في البلدان أعني من ابتداء سنة ٢٤٨٢ ق م
فنازلا الى نهاية هي غير محققة بعد اذ لم يعلم تاريخ معين لهذا العهد واما يفهم من كلام بعض
علماء الازمان الاوروبين لامن قبيل القينيات العلية بل من قبيل الحدسيات التاريخية
ان النمرود كان قد اختط مدينة بابل العراق على شاطئ الفرات واخطت أسور مدينة نينوى على
نهر الدجلة في سالف الزمان قد كان بعد الطوفان في نحو سنة ٢٢٠٠ ق م وبناء على
ذلك تكون هذه المدة عبارة عن نحو ٢٨٢ سنة شمسية ويقال لها في اصطلاح المؤرخين
المدة اللاحقة للطوفان وذلك بعيدا عما نص عليه أبو الفسدي في تاريخه حيث قال ثم ولد لفالغ
(بالغين المهملة في آخره) (رعو) ولفالغ مائة وثلاثون سنة وعنده ولد (رعو) تبايلت

الانسان وقسمت الارض وتفرقت بنوح وذلك لمضى ستمائة وسبعة من سنة الطوفان ، اه ما ذكره ابو
القدامن التميمي والبيهان والفرق جسيم فليتنظر وما قوله ابرو النذاهنا ايضاً هو مخالف لما نقله
بعد عن المؤرخ فرانيس لو نورمان (في الاصل الثاني من هذا الباب) من ارتبيل المثلث وتفرقت
الامم كان في زمن فالعرب سام بن نوح عليه السلام وبالجبال فاقرال المؤثرين في تلك الايام الارواية
ليبعدها ناهي مضطربة فليتنبر وعلى كل حال فقد لزم ان يكون في هذا الباب الاول فصلان

الفصل الاول

في تاريخ الانسان من عهد الحماية اغاية حادثة الطوفان (من سنة ١٣٨٤ قارلا
الى سنة ٢٤٨٢ ق م) وفيه عدة مطالب

مطلب اصل : مأخذ تاريخ اوائل الانسان وعدم امكان التعرف على حقيقة احوال اولية
الدينا قبل الطوفان وبعدها الطوفان

قال المؤرخ فرانيس لو نورمان لا تعرف من تاريخ ارائل الانسان اغاية حادثة الطوفان
ولا في شأن اصل النوع البشري كيف كان غير ما افادناه في الكتاب اقدس (بني التوراه)
وان كان بعض الحوادث الاصلية من هذه التواريخ لازلية توجد مأثورة ، بعض تغيير وتبدل
في الروايات الاصلية والحكايات المأثرة في عدة تقارشتي من الارض ، تباعده بعضها
عن بعض ولا يمكن ادها يتخاطرن هذملين من السنين

ومن المستحيل في الخلة التي صارت اليها الماعرف البشرية في هذا الجليل ان يتوجه اهل احادي
تعيين تاريخ معين لاول نشأ النوع البشري على وجه بين فان التوراة لا يرد فيها عدد صحيح في هذا
العرض و ليس لها في الحقيقة على المرمان لا في غاية ما تو باللاتم ان الائمة السابقة على عهد عاتق
الانسان ولا في الحقبة الماضية من عهد الحماية الى عهد الطوفان بل دل في ابعدها الطوفان
اغاية عهد ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) والتوثيق التي زعمها المفسرون للتوراه انما هي اقوال
هو اية ايس لما في عدة اعتمادية من الحديث الاعتقادية بل هي من قبل المحدثين اثار تاريخية
لا غير وغاية ما يصح ان يقال في هذا المجال هو ان ظهور ونوع الانسان على الكرة الارضية انما هو
حديث عهد دار النبوة لجماعة من الاصل الجولوجية التي تواتت على ما ذكرنا في الكونية
وان ما يدعيه بعض الامم الاقدمين كالصين والهند واليونان (العراقية) والفرس والهنود وغيرهم
من اقدمية وجودهم على غيرهم من العلمين بملايين من السنين في روايتهم المتعارفة على
حسب زعمهم في ما نال الدهران وهو بالكلية راجية و حديث خرافة يأم عمرو

طاب خاقعة الانسان ذكر في أول سفر المذممة التي هو رالكه في الاول من التوراة ان الله
سبحانه وتعالى خاق على هذا الترتيب النور فالنور فالارض فالسماوات والارض فالارض
فالارض فالارض وسائر الارواح والحيوانات ثم تمصبت به فخلق الانسان وكان الله ابي آدم اولاً

في حالة براءة مطلقة من الذنوب ونزاهة محققة من العيوب وسعادة تامة ثم عصى ربه كبراً في جنة عدن اللذيذة حيث كان أولاً قد أسكنه فيها ثم أخرجهم منها وحكم عليه لداعي هذا العصيان هو وخلفه بالسكند والالم والموتان وصرح في سفر الخليفة المذكور بان الله سبحانه كان قد خلقه من أجل أمره للعمل غير ان هذا العمل صار اتعب وأصعب تركه كغير الخاطيئته حيث قال الله تعالى له كما هو نص التوراة « ستأكل خبزك بعرق جبينك » وسرى هذا الحكم على ساثر ذريته

مطلب تاريخ الآباء الاولين والانبياء السالفين - ولاد آدم وحواء اللذين هما أول زوج خرج الى حيز الوجود من يد الخالق المعبود ولدان

أحدهما **قايين** (وهو المعرب في القرآن الشريف باسم **قابيل**)

الثاني **هابيل** وكان الاول قد اتخذ حرفة الفلاحة والثاني حرفة رعاية المواشى وهكذا نصت التوراة على أصعاد أولية هاتين الحرفتين الى أول عهد الخليقة البشرية وقتل قاييل أخاه هابيل حسداً منه وبغضاله حيث كافأ الله أخاه على تقواه ثم هاجر بحالة يأسه على قتل أخيه التي صار اليها يلوم نفسه وتوطن مع بنيه وعائلته وذويه على شرفي جنة عدن حيث انشأ هناك أول مدينة حدثت منذ خلق العالم من المدن سماها **أنوشية** (بالشين المعجمة في آخره) باسم ولده البكرى المدعو باسم **أنوش** وكان الله سبحانه قد خلق الانسان على حالة من الهبات اللدنية العقلية والبدنية بحيث يقدر على أداء الغرض المقصود من ابرازه الى حيز الوجود أعنى كونه ينشئ اجقاعات بشرية منتظمة ويحدث شركات تأنسية وترتيبات تمدنية تامة وقد نص سفر الخليفة المروى عنه أعلاه على ان عائلة قايين او قاييل هي التي ينتسب اليها أولية اختراع الفنون الصناعية ثم ذكر فيه انه ولد لـ **أنوش بن قايين** او **قاييل**

لامك اولامخ (بالكاف في آخره وقد يعرب بالخاء المعجمة من فوق) وولد لامخ عدة أولاد منهم **جاييل** الذي هو كالمخصوص بتن التوراة أبو الرعاة والقاطنين تحت الخيام

وجوبال مخترع الموسيقى (وهو فن الالحان والمغاني)

وتوبال قايين او **توبال قاييل** الذي هو مبتدع فن سبك المعادن وصناعتها

ومهم أيضاً البنات المسماة **نعيمه** (على صيغة التصغير) وهي المخترعة لصناعة غزل صوف المواشى ونسج الاقشة منه

ثم ولد لـ **آدم** ولد ثالث يسمى باسم **شيث** ووهب الله آدم عدة اولاد آخرين كثيرين لكن كان ولده **شيث** هو الذي عمر تسعمائة واثنى عشرة سنة وصار له خلف كثير حافظوا بعبادة الامانة على بقاء الروايات الدينية الماثورة عن النبوة الاولى فيهم الى عهد الطوفان بخلاف ما كان عليه غيرهم من بقية ذراري آدم في تلك الازمان من الاعتماد على عبادة الاوثان والانهماء على الرذائل التي تخل بمرتبة الانسان ثم بعد ذلك صارت هذه الفضيلة وآلت تلك المنقبة الجميلة من أبناء **شيث** ابن آدم الى بنى **سام بن نوح** (عليه السلام) ومن أبناء **شيث بن آدم**

اينوس (بالسين المهملة في آخره)
 وقائنان اوقينان (بتشديد الياء او بتخفيفها للتعريب)
 ومهلائيل (بياء مهموزة ثم ياء أخرى مثناة من تحت)
 ويرداويزد (بالدال المهملة او بالذال المنجمة كما في تاريخ أبي الفدا)
 وحنوخ (بجاء مهملة ونون ياء او افخاء معجمة في آخره وهو ادريس كما في تاريخ أبي الفدا)
 وهو الذي سار في سبيل المولى الباقي مدة ثلاثمائة وخمس وستين سنة ثم رفع الى السماء
 ومن ولد حنوخ أيضا توزاليم اومتى شلخ (بهاء مثناة من فوقها وقيل بشاء مثناة و آخره هاء
 مهملة كما ضبطه أبو الفدا) وهو اوطولهم عمرا عاش تسعمائة وتسعا وستين سنة
 ثم لامك اولامخ (آخر غير لامخ بن أنوش بن قايين لوقاييل السالف الذكر)
 ثم نوح وهو أبوسام وحام ويافت وقد كان كل منهم اصلا نسل كثير وخلف كبير (كما سيأتي
 توضيحه بعد) اه معربا من مختصر تاريخ فرانسيس لونورمان
 تنبيه حصل في هذا الفصل من تاريخ أبي الفدا نقلا عن ابن الاثير وغيره رجهم الله تعالى
 أجمعين في عمود نسب الآباء الاولين والانبياء السابقين خلط كبير وخبط لا يخفى على الناقد
 البصير وكلاهما في ذلك معذور بالنسبة لما هو هنا مذکور من تصحيح النسب نقلا عن اصل
 التوراة الاصلية وهو أحرى بالالتفات اليه والتعويل عليه والشئ من معدنه لا يستغرب (رجع
 للنقل من مختصر تاريخ فرانسيس لونورمان)

مطلب ما حصل عليه العثور من الآثار الواهية للاجيال الانسانية الخالية
 دلت الاستكشافات العلمية الجيولوجية الاخيرة على تمام نصديقي ما قص في نص الكتاب المقدس
 (بمعنى التوراة) في شأن اصل نوع البشر وكيفية مبادئه في أول الامر وذلك بواسطة ما حصل
 العثور عليه من الآثار العديدة والعلامات المفيدة الدالة على اصل وجود الانسان قبل
 الطوفان في طبقة الاراضي المتكونة بجمدة العهد السابق على مدة عهدنا هذا المنفصل منه بفواصل
 هذه الحادثة الكبيرة المذكورة فان بعض امته منزلية وآلات معاشية عمارية مصطنعة بيد
 الانسان مع بعض عظام بشرية من بقايا اجسام الناس في تلك الازمان وجدت في تلك الطبقة
 الارضية مختلطة بآثار عظام الحيوانات الغائبة والوحوش الهائلة التي كانت موجودة بتلك
 الاعصار فيما نحن مقيمون عليه الآن من الاقطار ثم زالت بحادثة الطوفان كنوع الحيوان
 المسمى باسم الماموت (او الفيل ذي اللبد) ونوع الحيوان المعروف باسم الكركدان او الخرطيط
 (أو ذى القرن القاتل للقيس) ذى الشعر الطويل وقرس البحر والنمر والذئب والضبع والذئب
 وقد وجدت جميع تلك الحيوانات كلها اكبر جسمها واكثر قوة وعزما من انواعها الموجودة الآن
 وقد كانت درجة الهواء الجوية من الكرة الارضية على العموم اقل الجبهات المنزلية من بالخصوص

لا اقل في تلك الاعصار السالفة الشدة مساوية وصحوبة على نوع الانسان مما صارت اليه بعد في الازمان الخالفة لغاية الان فكانت اشبه بما هو متسلطن في هذا الزمان من درجة الهواء الجوبة بالجهات الشمالية من بلاد الروسية وكان البرد الشديد متحكما بجميع بلاد اوروبه يقع فيها من الجبال قطع هائلة من الثلج فتبقى في جميع الاودية المرتفعة وكان وادي الرون (بلاد اوروبه) مثلامتد الغاية جبال يوربه وكان بعض انواع الحيوانات التي لا يمكن ان تعيش الا في نواحي انقطب تعيش على سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) في ذلك الزمان ومن ثم يعلم كيف كانت من حالة الشدة والصعوبة معيشة اناس قبل الطوفان في مثل هذه الدرجة من الاقليم وفي وسط وحوش غائلة يضطرون للدفاع عن انفسهم منها على الدوام في كل حين واوان وفي الحقيقة يظهر ان ما كان قد قضى الله سبحانه وتعالى به على النوع البشرى من الالم والحسك على سبيل العقوبة في نظير عصيان آدم عليه قد كان ظهرا اثره على الناس في ذلك العهد منذ غدا مباشرة لانه على وجه اصعب واتعب مما صار اليه الحال فيما بعد .

وقد كان الناس انذين حصل انعشور لهم على بعض الاثار في الاراضي السابقة على حادثة الطوفان من تلك الاعصار في اوضح حالة من التوحش والاعسار لا يعرفون زراعة الارض ولا رعاية المواشى ولا بناء مساكن ياؤون اليها بل كانوا بعائلاتهم يهيمون في الغابات ويتغنون بمجرد اثرات الوحشية وماتهم من الصيد ويسكنون الكهوف الجبلية ويستترون بجبال الحيوانات ليدفعوا عن انفسهم شدة البرد وكانوا يجعلون صناعات المعادن لا يتخذون منها الاسلحة الحربية والادوات المنزلية ولم يكن لهم من الادوات في ذلك الزمان غير قطع من حجر الصوان مقطعة على هيئة خليطة او عظام حيوانات مسنونة ومع ما كان عليه نوع الانسان في تلك الازمان من حالة التوحش وابداه يرى بديهيا انه كان له قوى عقلية وغرائز خلقية يفوق فيها اسائر انواع المخلوقات من حيوان ومعدن ونبات وذلك ان الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان كانوا بوسيلة ما يديهم من تلك الاسلحة الغشمية يغيرون على الوحوش التي تغتفر منها الابدان في هذا الزمان وبقوة التحيل والخداع يتوصلون لانظفربها والغلبة عليها فضلا عن مجرد الدفاع وكانوا يعتقدون في حياها اخرى غير الحياة الدنيا ويتخذون محافل جنازية على مقابر موتاهم ويعانون ربهم صور بعض الحيوانات المحيطة بهم بسن حصة يجعلونها كالاقلام على ارجار لينة او قطع من العظام من هذا القبيل ما حصل عليه العثور بهذا العصر في كهف باقليم ريجورد (بلاد فرانسة) من صورة فرد من نوع الحيوان المسمى بالمماموت السالف الذكر مرسومة بيد رجل من الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان في سالف الدهر واقديري في بعض تلك المبادى الاولية من الصناعة التصويرية ان نوع الانسان كان عنده الشعور بالامر المنظر به وان كان لا يمكن لاحد ان يجهت في تعيين وقتها حين لاوية هذا النفس المطمئ

ولقد ثبت يدل على الاستكشافات الجيولوجية ان النوع البشري كان قد انتشر قبل الطوفان ولم
 بجميع سطح الكرة الارضية وانه لم يكن شاغلا منها الاقل من المسافة التي هو عليها الآن ودل كل
 ما استكشف من هذا القبيل من آثار ذلك الجيل على ان نزع الانسان قد كان في كل مكان من الارض
 في ذلك الزمان على مثل حالة التوحش التي كان عليها الجميع لا يتفاوت في ذلك بعضهم عن بعض
 غير انه مما ينبغي التنبيه عليه وبقتهى التيقظ انيه ان البحث عن تحقيق هذا المقصد لم يحصل بعد
 في اقطار بلاد آسية التي اتفق جهور العلماء عموما على انها كانت لنوع الانسان هي اول مهد
 وفي الواقع ونفس الامر قد كانت الامم الذين هاجروا من تلك الاقطار في أوائل ذلك العصر قد
 مكثوا على الحالة التي كان عليها آدم عند خروجه من جنة عدن بخلاف القبائل الذين بقوا منهم على
 انقرب من ذلك الوطن الاصل والمهد الاولي فانهم كما يؤخذ من ذات حكاية التوراة كانوا هم
 الذين حصل فيهم تقدم المدن الانسانية الحسنة المتصورة في مادة انشاء اول المدن والتثبيث بأول تربية
 المواشي وزراعة الارض واختراع صناعة المعادن وحرفة الغزال والحائك وذلك هو غاية ما كان قد
 وصلت اليه درجة المدن الانسانية فيما هنالك

مطلب قصة الطوفان ومع ذلك فقد كان فساد اخلاق الناس في ذلك الوقت لا يزال يزيد الى
 ما لانهاية له من الحدود وبلغ بهم وطغيانهم لغاية ان المولى سبحانه وتعالى غضب عليهم واراد
 ان يدمر ديارهم ويستأصلهم من أولهم الى آخرهم وكان نوح الذي هو من نسل شيث تدبى وحده
 ينادى بالاستقامة والصلاح ولذلك اتم الله عليه وأمره أن ينشئ سفينة ليقيم عليها هو وبنوه مع
 سبعة أزواج من جميع أنواع الحيوان ثم ابتدأت طامة النوفان وهي عبارة عن غرق سائر امم
 بجميع سطح الارض واناف على أعلى رؤس الجبال العليا وأهدت سائر الناس الذين كانوا موجودين
 في ذلك العصر بجميع أقطار الدنيا غير نوح وعشيرته حيث التجأوا الى سفينة

وقد تبق في ضمن الروايات الادلية المتدارة عند أكثر الامم القديمة ذكرى حادثة الطوفان
 والرجل السالح الذي أنجاه الله لقصد عمارة الارض بالثاني واستكشف العلماء الجيولوجيون عدة
 آثار عديدة تنبت حصول هذه الحادثة الطبيعية الشديدة وقرروا انها آخر الحوادث الكبيرة التي
 كانت سببا لتكوين الكرة الارضية وصيرورتها الى الحالة التي هي عليها الآن وقالوا ان الانقلابات
 التي هي من هذا القبيل كانت كثيرة في سالف عهد خلقة الاكوان قبل ظهور الانسان وان
 كل دور جديد من أدوار تكوين الارض كان مسببا عن طامة كبرى من هذا القبيل وكان دور هذا
 الطوفان الاخير عواندى قارن وجود الانسان على الارض وانه هو آخرها وبه تشكلت الاراضي
 القارة (أى البرور المقابلة للجزائر والبحور) على الهيئة التي نراها عليها الآن من الجبال
 والسهول والوديان لم يتغير منها شئ فيما بعد عما كانت قد صارت عليه في ذلك الزمان بحادثة
 هذا النوفان اللهم الا في بعض بقع يسيرة وقطع من الارض غير كبيرة لاسباب حوادث
 خصوصية وبواعث محلية

مطلب تحقيق عينية الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام

ثم انه بعد ان مكثت المياه الطامية على سائر سطح الارض مسافة مائة وخمسين يوما اخذت في اتناقص وفي الشهر الثامن من ابتداء تاريخ الطوفان وقفت السفينة على جبل ارارات او عرارات (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان) والمراد به الجبل المسمى باسم اراراته عند سلف القبائل الياقوتية الاولى وباسم ميرو عند أهل الهند وباسم جبل البرج عند الفرس أعني بولورداغ أي جبل بولورا والريوة الالامية (نسبة الى جبال أليه) المسماة باسم يامير في ولاية بخارى الصغرى (أي بلاد تركستان الصينية) وليس على الجبل المسمى باسم عرارات بيلا دارمنية قال المؤرخ المذكور هذا ما يدل عليه صريح نص التوراة وقضية ذلك انه قد تصرح فيها بان بنى نوح انما وصلوا الى سهل سنار الكائن فيما بين دجلة والفرات من الموضع الذي وقفت عليه السفينة سائر ثمانين يوما من المشرق الى المغرب وهذا دليل لا يروج معه ان يظن كون مبداء سيرهم كان من بلاد الارمن بل من الكتله الجبلية الكائنة بولاية بخارى الصغرى (بيلا الصين) كما ينطبق عليه هذا الدليل على وجه تام مبين اه . فنأمل هذا مع كون المكرم ويكتورد وروى مشى في تواريخه على ان سفينة نوح وقفت على جبل ارارات بيلا دارمن وقال أبو الفدا (صفحة عدد ١ من نسخة تاريخه المطبوع بمدينة القسطنطينية في سنة ١٢٨٦ الهجرية) مازسه « وكان استقرار السفينة على الجودي من أرض الموصل » اه كلامه بلفظه ومعناه وهو مخالف لما حققه المؤرخ فرانسيس لونورمان أعلاه فان أرض الموصل هي بلاد أرمنية بعينها وانما أخذ أبو الفدا قوله هذا من أقوال مفسري القرآن الشريف حيث قال الزمخشري في الكشاف « الجودي جبل بالموصل » اه وزاد المولى أبو السعود في تفسيره « الجودي هو جبل بالموصل أو بالشام أو بلاد » اه وفي اتقان السيوطي « الجودي جبل بالجزيرة » اه ومن المعلوم يقيين ان جميع هذه الاماكن هي في جهة الغرب من المكان المدعو باسم سنهار الواقع عند ملتقى دجلة والفرات من اقليم بابل القديمة (ولاية بغداد الآن) لانها كلاهما من ممالك غرب آسية كما هو مذكور في جغرافية المعلم فورتنبير الفرانساوي الشهير واذا كان مبداء سفر بني نوح بعد الطوفان قد كان منها يترتب عليه ان سفرهم كان من المغرب الى المشرق بخلاف الوارد بنص التوراة فليتنظر هذا مع ما حققه المؤرخ المحقق والعالم المدقق فرانسيس لونورمان السالف قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير ما ملخصه وأما سبق الظن لكونه هو جبل ارارات الكائن بيلا دارمن فاذن ذلك الادعى ان القبائل الذين هاجروا من بلاد تركستان الى تلك الاوطان في سالف الازمان اطلقوا على بعض الاماكن من اوطانهم الجديدة أسماء بعض اوطانهم القديمة كما هي العادة للمعهودة اه معربا باختصار (رجع للنقل فيما يتعلق بالطوفان من كتاب مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

قال مؤلف الاصل ثم أخذت الارض في الانكشاف فإرسال نوح عليه السلام جماعة من الخدام

الذي كان معه بالسفينة طارت ثم رجعت عند غروب الشمس وفي منقارها غصن من شجرة زيتون استدل به على ان المياه قد تقشعت عن الارض وانه يمكنه ان يخرج اليها ويسـتولى عليها حيث جفت ونشفت ولما خرج نوح من السفينة مع بنيه الثلاث ومن كان معهم من الاناث قرب للمولى سبحانه وتعالى قربا ناشكرا له على ما اولاه من النجاة وعاد يزرع الارض كما كان وكان نسله كثيرا جدا حيث عـر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة وكان مـبلغ عمره حين لحقته الوفاة تسعمائة وخمسين عاما

الفصل الثاني

(في تاريخ نوع الانسان بعد الطوفان من سنة ٢٤٨٢ فنارالغاية نحو سنة ٢٢٠٠ ق م)

مطلب تفرق الامم بعد الطوفان الى البلدان

قال مؤلف الاصل وكانت ذرية نوح قد تكاثرت جدا في اسرع وقت غير انه من ابتداء ذلك العهد كانت اعمار بني آدم قد تناقصت نقصا كبيرا وصاروا يعيشون كثيرا بل صارت الاعداد البشرية في ذلك العصر على العموم لا تنيف على متوسط الاعداد المعتادة في هذا العصر كما صار ذلك من المعلوم بدليل ما شوهد من هذا القبيل في اقدم الـ كتابات المصرية العتيقة المؤرخة من نحو الف سنة قبل بعثة ابراهيم عليه السلام وان كان سام بن نوح (وكذلك اخواه المذكوران بحسب التخمين) قد عمـر عدة قرون وقد ذكر نص التوراة ان اهل البيت الذي نشأ فيه ابراهيم عليه السلام كانت اعمارهم لغاية نشأة ابراهيم فيهم تطول أكثر من اعمار غيرهم من الناس الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت وذلك من غير شك ولا نكر لداي ما كان قدا اعتاد عليه الـ آباء الاولون والانبياء السالفون في طريقة معاشهم من اخلاق القناعة والاكتفاء من العيش بالشئ النزر

وكان كل اهل بيت من البيوتات واطراف كل عائلة من العائلات في ذلك العصر يتكلمون في اول الامر بلغة واحدة ويتفاهمون بلهجة متحدة فلما توالى بعد الطوفان عدة قرون من الزمان كانت ذرية نوح عليه السلام قد كثرت جدا واستقرت في السهول المتسعة الكائنة من بلاد آسية فيما بين دجلة والفرات من تلك الاقطار وهي القطر المسمى في مبادئ ذلك العصر باسم سمنهار ومعناه بلغة بني سام القديمة بلاد النهرين ثم تحكم فيهم الكبر والعجب بانفسهم لداي كثرتهم وزيادة قوتهم وشوكتهم حتى تخيل لهم انهم على كل شئ قادرين وتوهموا بجهلهم انهم بكل امر جديرون فقال بعضهم لبعض هيا بنا نبني مدينة وصرحا عاليا تبلغ رأسه السموات تتقم الله من كبرهم بان خلط لغاتهم بحيث صاروا لا يفهم بعضهم بعضا فاضطروا للفرق في البلدان وذهبت كل عائلة أو جملة عائلات مجتمعة بما بقي معها من اللهجة التي حفظتها فتكلمت بها من حيث تدر من ثم تولدت في اقطار العالم أنواع اللغات المتنوعة والالسن المتفرعة التي رتبها العلماء على عدة مراتب متميزة بحسب ما يوجد بينهما من علائق المشابهة والموافقة وعلى هذا الوجه كان أصل منشأ الانسال البشرية

الثلاث الذين عمرت بهم الدنيا بالثاني بعد الطوفان وهم

ولد حام انشروا في قطعة من آسية وافر يقبه

ولد سام باقطار آسيه

ولد يافث باقطار اوروپه

وبقي الصرح المذكور غير تام التشييد والتعمير يسمى باسم بابل ومعناه بلغة متى سام السلف الاختلاط لداعي اختلاط اللسان واللغات في ذلك الموقف وكانت حادثة نبأ بابل اللسان واللغات وتفرق الامم الى سائر الجهات كما يؤخذ ذلك من ظاهره معنى عبارة التوراة وان كانت قد كثرت عليها من المفسرين لها الشروح والتأويلات في زمن ولد سام المسمى باسم فائغ (بالعين المعجمة في آخره) وكان خامس ولده وقد وقعت تلك الواقعة على عهد قريب من مولده فدمى بهذا الاسم ومعناه الفراق تذكارا منهم لهذا الحادث

تتميمه قف على هذا القول مع ما سبق عن أبي الفدا من النقل

قال مؤلف الاصل على انه لا يوجد في نص التوراة ما يمنع من الظن بأن عدة عشائر من ابنا نوح الذين كان قد أعدهم الله لعمارة الارض بعد الطوفان بالثاني كانوا من قبل قد هاجر وامن ذلك المكان الذي كان قد اجتمع فيه جايهم والتأم فيه شملهم وانما اوابعض نزائل مستعمرة خارجا عن مركز هذا النجم العام ودليل ذلك أن تناسل اولاد نوح عليه السلام من يافث وسام وحام على الوجه الذي ورد به في سفر الخلدية من التوراة لم يتعرض فيه الا لام الطائفة البيضا من نوع البشر ولم يذكر الطائفة الرنجية اواله واولاد الهائنة الصذراء (بني الاصفر) التي منها سكان بلاد الصين

مطلب ذراري بني نوح عليه السلام - نسل حام

يظهر ان من قبيل اليقينيان الرنجية والحوادث التاريخية الصحيحة كون بني حام كانوا قد توطنوا اولاً في أكثر اقطار بلاد آسية الغربية والجنوبية قبيل بني سام وأن هؤلاء الاخيرين طردوهم منها وازالوهم عنها ودليل ذلك ما ذكر في التوراة من أن النمرود الذي هو والد كوش بن حام حكم ولاية بابل وانتط مدينة آراش وشالانة (مدينة أور) في بلاد سنهار وكان اول من انشأ اقدم دولة وسلطنة في سالف الاعصار وان جماعة من بني حام كانوا اول من عمر البلاد المحسطة بنهر جيحون لغاية اله عبيد الاعلى من مجرى نهر السند وهذا انفت كلمة جميع العلماء الآن على الاعتراف بان الاقطار السكانية على شواطئ نهر الدجلة من بلاد الميديه والفرس لغاية بلاد الهند كانت عامرة في سالف العهد من بني كوش بن حام قبيل ان يشغلها بنو سام والقوم المسمرن باسم الأرياءو الآريين الذين هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ولنا من الاسباب القوية ما يقتضي أن القوم المسمرن بالسكر بينوهم اول سكان الجزء الاعظم من بلاد الارمن في سالف الزمن كانوا أيضاً من ولد حام ولا شبهة لاحد في أن ولد حام المذكورين كانوا هم القوم المتحكمين دون غيرهم من الاقوام

الدرس الثام ٥٧ في التاريخ العام

السالفين في أول الامر على سواحل بلاد القرمان و بلاد الجيدرو زية (وهي الاقليم المدعو الآن من بلاد ايران التي هي مملكة العجم باسم ميكران) وعلى طول سواحل البحر المحيط الهندى وسائر الاطراف الجنوبية من الجزيرة العربية

وهكذا يرى مما ذكر أن بني حام هم الذين كانوا أول المهاجرين عن مركز اجتماع الناس الاولين من الانسال الثلاثة الاصليين الذين تفرقوا بعد تبلبل اللغات والالسن بعصر ح بابل في سالف الزمن وانتشروا أولا في أوسع مسافة من الكرة الارضية وانشأوا أقدم الدول الملوكية وانهم كانوا هم الذين حصل فيما بينهم اسرع الحركات التقدمية في امور التقدم المادية غير ان نزاع عليه السلام كان قد دعا باللعنة على ولده حام لدعي انه كان قد آسأء الادب في حقه اذ كان أبوه قد شرب خمر افسكر فانتكشفت عورته فضحك منه فعضب عليه أبوه فقال له انك لتكون خادما ليافت وسام ولقد تحققت تلك اللعنة على الوجه التام وذلك ان الممالك التي كان بنو حام قد أنشأوها لم تلبث ان تخالطت مع أقوام من نسل أخويه المذكورين فتنازها وهام معهم وكانت الدائرة على أبناء حام والغلبة لابناء يافت وسام فاخذوها منهم واستوطنوها بدلا عنهم واقام ولد سام في بلاد كلدة والشام وفلسطين وجزيرة العرب واقام منهم القوم المدعوون باسم الآريين في بلاد الهند وقارس (بلاد العجم) ولم يبق لنسل ولده حام الملاعين دولة الا بافرقية وخصوصا بالديار المصرية حيث كان لهم بمصر في ذلك العصر ابنى نزلة مستعمرة وابهج دولة ظاهرة (يعنى دولة الفراعنة الغابرة) بل استجيبت الدعوة الابوية باللعنة على بني حام حتى في تلك الاقطار فيما بعد على توالى الاعصار حيث كان بنو حام وان مكنوا مستبدين بدولتهم مستعلين بصولتهم في تلك النواحي أكثر من غيرها لكنهم كانت عاقبة أمرهم في آخر عصرهم بأن صاروا فيما بعد خدما لابناء سام وكذلك بعد أن مكثت بلاد الفنيقية والديار المصرية وشمال افريقية مدة مديدة من الدهر في قبضة اليونانيين والرومانيين الذين هم من ولديا فت صاروا بعد ذلك أيضا تحت طاعة العرب المسلمين مسافة مديدة من القرون واستولى الحبش الذين أصلهم أيضا من ولد سام على الايتيوبيين (وهم سكان بلاد الحبشة الاقدمون) وبالجملة فاذا كان ولده حام قد بقوا لغاية هذا الاعصار متوطنين في بعض الاقطار على وجه بحيث يتكون منهم دائما اصل اهلها فانهم منذ آلاف من السنين لم يتيسر لهم فيها ان يكون لهم حياة أهلية ولا هيئة اجتماع ملية خاصة بهم أعنى انهم لم يعودوا لأن يكونوا على صورة دولة او ملة مستقلة

مطلب ذكر ولد سام واما ولد سام فقد كانوا ثانيا من انتشار في الارض بعد مهاجرتهم من مركز التجمع الاصلي والمكان الاولي الذي كان قد اجتمع فيه افراد الانسان بعد الطوفان وتوطنوا في النواحي الممتدة من عند النواحي العليا من بلاد الميزوبوتاميه (بلاد الجزيرة) لغاية جنوب جزيرة العرب ومن عند سواحل بحر سفيد لحد ما وراء نهر الذهب لة وحينئذ فن ولد سام بن نوح

الدرس الثامن ٥٨ في التاريخ العام

كان أصل الاسوريين (اوالمريانيين) والعبرانيين (أى اليهود أو الاسرائيليين) والعرب والاسوريين (الشاميين) **مطلب ذكر ولد يافث** وأما يافث بن نوح فدلول هذا اللفظ فى اللغة المرياوية القديمة الانتشار وانما سمي بذلك لكون خلفه انتشر واعلى مسافة تسعة من الاقطار وقد كانوا آخر من اجتمع شملهم فاجروا من المكان الذى كان قد اقام فيه نوح عليه السلام عند خروجه من السفينة (على الخلاف السالف الذى حصل فى هذه المسألة بين العلماء الاعلام) قال مؤلف الاصل وانما يذكروا فى التوراة تعداد جميع شعوب بنى يافث الذين توطنوا فى جميع البلدان بعد الطوفان لدعى ان موسى عليه السلام كان قد اقتصر منهم بالسرور على الامم المعروفة للعبرانيين المعاصرين له واما علماء هذا العصر الاوروبيون فانهم استدلو بالبراهين المستنبطة من المشاهات الغيزولوجية (نسبة لعلم الغيزولوجية أى علم منافع الاعضاء الحيوانية ومعرفة كيفية تركيب البنية الجسدية) ودلائل العلائق اللغوية فتوصلوا فى هذه المسألة بطريق الاثبات لتتم ما ذكر من شهادة سفر الخليفة من التوراة وارجعوا عدة عديدة من الامم التى هى الآن موجودة لاصل الشجرة اليافثية واتفق جمهورهم على وجه العموم على ان من ولد يافث بن نوح فى بلاد اوروبية اليونان والرومانيسين والجرمان والالمان والسليتين والاسكنديشاويين والاسلاويين وفى بلاد آسية فارسا والميديين والبكتريين والطبقات العليا من أهالى بلاد الهند وذلك ان هؤلاء الاقوام المتأخرى الذكر كانوا قد اجتمعوا فى سالف العصر باسم الآريين وهم كانوا مدة مديدة وأعصارا عديدة ملتئين فى الاقطار التى يسقىها كل من نهري جيحون وسيحون أعنى بالقطرين المسميين أحدهما ببلاد البكترية (وهى المسماة الآن بخانية بلخ من بلاد التتار المسماة ببلاد آسية) والثانى ببلاد السوجديان (وهى ما يسمى الآن بخانية بخارى وخوقند وما يليها من تلك البلدان) وقد كانت تلك الاقطار هى أول الأوطان التى أقام فيها جميع بنى يافث فى سالف تلك الأزمان ثم تفرع منهم فرع توجه الى جهة الجنوب وتعدوا الى ما وراء الهند كوش والهند كوه (بالشين المعجمة او بالهاء فى آخره) وهى سلسلة الجبال السكائنة فى وسط بلاد آسية فيما بين ٢٤ الى ٣٦ درجة من العرض الشمالى و ٥٩ الى ٧٢ درجة من الطول أعنى البلاد الممتدة (من عند تخوم مملكة فارس الى حد الشاطئ الايمن من نهر السند) وتوغلوا فى بلاد الهند بازالة من كان قد سبقهم اليها من ولد سام عنها او بادخالهم تحت طاعتهم وغلبيتهم عليهم وتوطن فرع آخر منهم بالبلاد الممتدة فيما بين بحر الخزر والدجلة وفى جبال بلاد الميديه وفارس بل يرى انهم كانوا قد خالطوا فى بعض الاحيان من سالف الأزمان الاسوريين وحكموهم مسافة عدة قرون من الزمان وحيث كان الامر كما ذكر يتتضى ان يكون ولد يافث هم من يعبر عنهم أيضا باسم النسل الهندى الاوروبى للاشاره الى سعة ما استولوا عليه من الممالك والبلدان (قال مؤلف الاصل) وهذا هو النسل الذى نحن منه

الدرس التام ٥٩ في التاريخ العام

وهو النسل الشريف الصحيح والفرع النوحى المدعوله بالوجه الصريح الذى نيط اليه من الملك
 المدير لجميع الكائنات امانة تبليغ درجة الفنون والعلوم والفلسفة وسائر المعلومات الى درجة
 كمال ليصل اليها غيرهم من النسلين الاخرين فقد ورد في نص التوراة ان نوحا عليه الصلاة والسلام
 دعا يافث بقوله «بارك الله في يافث وأمدّ عقبه الى أمد بعيد واسكنه في خيام سام وجعل حامله
 من الخدام والعبيد» ولقد تحقق هذا الدعا وتصدق هذا الرجا وظهر من هذا الخبر بالغيب
 اتم الاثر فان نسل يافث لم يكونوا فقط أكثر عددا وأكبر مملكة كما وعدا من سائر من عداهم من
 نسل أخويه بل هو النسل المتسلطن على المملكة الدنيا ولم يزل يتقدم في كل يوم الى ان يصير
 ليده مقالة السلطنة العمومية

مطلب مراتب اللغات البشرية الاصلية اعلم ان كل واحدة من الفروع البشرية الاصلية
 الثلاثة التى ذكرنا كيفية نسبتها بناء على سفر الخليفة من التوراة يقابلها مرتبة أصلية وفصيولة اولية
 من مراتب اللغات البشرية التى حصل الاستدلال على ترتيبها بواسطة عز اشتقاق اللغات الانسانية
 ومقابلة بعضها ببعض من حيث المشابهات اللسانية وذلك انه قد تحقق بالادلة النظرية انه يوجد
 أظهر المشابهة اللغوية بين اللهجة الهندية المقدسة القديمة المسماة باسم السنسكريت ولغات فارس
 واليونان وايطالية القديمة والسنة الجرمانيين والاسكندييناويين والسلميين والاسلاويين (بلاد
 أوروبا) وثبت عند العلماء الاورواپويين المتأخرين اتحاد المواد الاصلية والاصول الاولية التى
 قد كان منها نشأ اشتقاق جميع هذه اللغات المتنوعة واللهجات المتفرعة وعلم انها كلها ترجع
 الى لغة أصلية ولهجة اولية وهى لسان القوم المسمين لآريين السالفين في قديم الزمان حيث
 استدلل على معظمها الآن ومن ثم استنبطوا معنى انهم بنوعا على ما تحقق عندهم من النسبة
 بين اللغات بانضمامها الى ما ثبت من الروايات عن التوراة انه يوجد أصل عام لجميع فروع
 نسل يافث بن نوح عليه السلام

وغاية ما هنالك ان أصل ما جوج بن يافث هو المسبثنى وحده من ذلك كله حيث تحقق ان اللغات
 التورانية (نسبة الى بلاد توران التى هى بلاد التتار المستقلة الآن فى مقابلة بلاد الفرس المسماة
 بايران) وهى اللغات التتارية (أى لغات قبائل التتار بلاد آسية) واللغات الفنلندية (لغات بني
 ما جوج بلاد أوروبا) أعنى سائر لغات ولده ما جوج المذكور يتكون منها مرتبة لغوية منفردة
 وحدها وفصيولة من اللغات مقيمة عن غيرها مستقلة بفردها لكن هناك بعض علامات تدل
 للظن بأن تقدمات العلم لا بد وانها تصل ذات يوم لارجاع فصيلة اللغات المذكورة الى أصل اولى
 وماخذ سابق من أصول مرتبة اللغات الهندية الاوروبية وعسى ان تكون هذه الطائفة
 اللغوية الى اوجبة انما هى فرع انفصل من أصل شجرة مرتبة اللغات الهندية الاوروبية
 بالعمومية قبل غيره من سائر الفروع اللغوية

الدرس الثامن ٦٠ في التاريخ العام

وليس اتحاد لغات بنى سام باقل وضوحا من اتحاد مرتبة لغات بنى يافث وذلك انه قد تحقق عند علماء الأفرنج الآن ان لغات الكلدانيين (أى البابليين او قدماء العراقيين) والسوريين (أى قدماء أهل الشام) والعبرانيين والاسوريين والعرب والحبشة كلها مرتبطة بعضها مع بعض بأشد الروابط القرابية واوكدا للعلائق النسبية بحيث يتكون منها مجموع مرتبة لغوية تام وأصل فصيلة لسانية عام ويقتضى ان ينضم اليه أيضا لسان الفنيقيين (أى السوريين) وان كانوا من ولد حام بواسطة ولده كنعان لكنهم لما كانوا قد دخلوا بنى سام مخالطة شديدة مدة أعصار مديدة امتزجوا بهم بطريقة أكيدة جدا حتى تسكروا بلغتهم وصاروا من حيث ترتيب اللغات يعدون في مرتبتهم وكذلك لغات بنى حام يتكون منها مرتبة لغات متميزة وفصيلة لهجات متبانية لم ينزل نظر علماء اشتقاق اللغات البشرية يؤدي للوقوف عليها وأحسن ما عرف منها واهه وأقواه واتمه اللغة القبطية القديمة حوت ثبت بواسطة معرفتها والوقوف عليها الآن انه يرجع اليها بالضرورة لغة الليبيين (سكان جبال ليبيا وهي بلاد برقة وما والاها من بلاد افر بقية) وهذه اللغة هي التي لم ينزل يتكلم بها الغاية الآن الاقوام المعروفةون بالقبائل والطوارق بشمال بلاد افر بقية وكذلك اللغة الايتيوبية القديمة التي لم ينزل يتكلم بها الغاية عصرنا هذا قبيلة العرب البشارية المقيمة على شواطئ نهر النيل الاهلى

تتمة

تشمّل على عدة مسائل

المسألة الاولى (من تاريخ جيلمان)

(قال مؤلف الاصل) قد تحصل لنا مما ذكرناه ان تاريخ تمدن بلاد المشرق الذى ذكرت أخباره وانتشرت آثاره عن السلف فى قديم الزمان يصح ان يقال انه يرجع لتاريخ طوائف ذرارى نوح الثلاث الذين تعمرت منهم الارض بالثانى من بعد الحادث الطوفانى وهى متبانية كل منها عن الاخرى كل التباين فى الاخلاق والعوايد والالسن والعقائد وهى كالمبين بعد الاولى طائفة بنى يافث ويعب عنها أيضا بالنسل الهندى الاوروبى وهى تشتمل كما ذكرناه آنفا على الطبقات الشريفة العليا ببلاد الهند وفارس واهل جبل قوه قاف والقوقازية واهالى أقطار أوروية كلها

الثانية طائفة بنى سام وهى تشتمل على جميع اهالى بلاد اسية الغربية والجنوبية من عند نهر الفرات الى حد بحر سفيد

الثالثة طائفة بنى حام وهى تشتمل على جميع اهالى أفر بقية وخصوصا المصريين والايثيوبيين غير ان الفنيقيين والقرطاجيين الذين هم خلفهم وان كانوا من بنى حام بواسطة ولده كنعان

الدرس الثامن ٦١ في التاريخ العام

لكنهم لداعي اختلاطهم ببني سام صح أن يلحقوا بهم ويغدوا منهم والذي دل على تمييز الطوائف أوالاتسأل الثلاثة المذكورة هو ما حصل بعناية علماء الافرنج المتأخرين من امعان النظر الدقيق وزيادة التأمل بعين التحقيق فضلا عن الاخبار التوراتية والآثار التاريخية ومقابلة الاشتقاقات اللغوية وكيفيات تركيب البنية الجسمية في افراد كل واحد منهم حيث دهم كل ذلك على اخوية سائر الامم المتنوعة والاقوام المتفرقة عنهم ورجوعهم الى أصل واحد منهم فن ذلك ما ثبت عندهم مثلا من ان اللغة الهندية المقدسة القديمة المسماة بالسانسكريت يوجد بينها وبين لغات فارس واليونان وايطالية القديمة مشابهة عظيمة جدا وان هذه اللغة العتيقة قد كانت مستعملة بالحقيقة فيما يتعلق باصولها الاصلية في الاعصار الاولى لاقل في سائر الاقطار الممتدة من أول بلاد الهند لغاية بلاد الاسكندرية (بلاد أوروبا) ومن ثم استنبطوا أن الهنود والفارس والجرمان أو الالمان واليونان كلهم يرجعون الى أصل واحد عام وهو يافث بن نوح عليه السلام وان عينية بني يافث مع الطائفة الاهلية التي يعبر عنها في اصطلاح العلماء المتأخرين من الملل الافرنجية بالطائفة الهندية الجرمانية أو الهندية الاوروية قد صارت من أوضح الواضحات والعلوم البديهيات على الوجه التام

وكذلك ثبت لديهم فيما يتعلق بطائفة ولد سام ان اللغة هي الرابطة العامة والعلاقة الثابتة الجامعة بين الكلدانيين والسوريين والعبرانيين والعرب باضافة الفنيقيين اليهم ولاغرابة فيما لوحظ من اتحاد لغة الفنيقيين مع لغات بني سام وان كانوا هم من بني حام اذا نظرنا لما علم من شدة اختلاطهم وما ثبت خصوصا من كون الفنيقيين المذكورين كانوا قد صاروا تحت ساطة الساميين من أول الامر في سالف الدهر (قال المؤرخ جيلمان المحكي عنه أعلاه) وما كان يظن اولاً منذ مدة مديدة من الزمان بين العلماء الاوروباء وبين ان لغة قدماء المصريين هي لغة مستقلة بذاتها ولهجة منفردة على حذتها غير ان نالم يزل يتحقق عند العلماء المتأخرين من العلائق العديدة والمناسبات الاكيدة بين اللغة الفرعونية والعبرانية يؤخذ منه كما هو المتبادر انه يقتضى ارجاع اللغة القبطية الى أصل جماعة اللغات السامية كما هو الظاهر (اه الى هنا معربا من تاريخ جيلمان) قلت وهذا لا يخالف ما نقلناه آنفا عن مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانسيس لوتورمان من ان لغات بني حام وهم المصريون والليبيون والايثيوبيون هي مرتبة من اللغات البشرية مستقلة وفصيولة متميزة من اللهجات التي اختلفت بها كل قوم من بني نوح عند تفرقهم بعد الطوفان وذلك ان مرتبة اللغات السامية وان كانت كذلك لكن ثبت عند بعض علماء الاشتقاقات اللغوية المتأخرين ان بينها وبين اللغات السامية مناسبة شديدة وقاربة أكيدة بحيث لا يمكن الا أن تكون كلتا الطائفتين طائفة متحدة وكان لغات بني سام وحام قد كانت في الاصل واحدة كما في ذكره فرانسيس لوتورمان في تاريخه الكبير فليتأمل .

(ثم قال المؤرخ جيلمان بعد ذلك أيضا) ومن ثم استقر الحال على ان بنى سام وحام و يافث هم الذين تكونت منهم الاقسام الثلاثة الاصلية التي ترجع اليهم المرتبة الالهية البشرية البيضاء المسماة في اصطلاح العلماء الاوروبوا وبين المتأخرين بالقوقازية التي عمرت بلاد آسية الغربية وسائر الاقطار الاوروبية وشمال افريقية غير ان هناك مرتبتين اخريين وهما المرتبة الصفراء او المغلية (اي التتارية) التي اقامت دائما بالاقطار الشرقية والشمالية من آسية والمرتبة السوداء او النجبية التي انحصرت ببلاد افريقية اما السوداء فلاتار يخ لها واما الصفراء التي من قبائل المغل او التتار والصينيون فقد بقيت معزل تام عن مركز المدن العام فلذلك لم تتعرض لتاريخ عاتين المرتبتين من المراتب الالهية البشرية الى آخر ما ذكره وبنى عليه طريقته التاريخيه

المسئلة الثانية

مطلب ترتيب سكان الكرة الارضية على ثلاث مراتب أصلية

ما ذكر أعلاه في ضمن عبارة المؤرخ جيلمان فيما عنده تعلقناه هو جملته المراتب البشرية الالهية التي تنقسم اليها سكان الكرة الارضية من حيث الصفات الطبيعية والعقلية التي تتميز بها كل مرتبة منها عما سواها وذلك ان علماء التنوع جرافية والجغرافية رتبوا جميع سكان الكرة الارضية من هذه الحيثية على ثلاث مراتب أصلية يعبر عنها بالانسال أو الالاتواع الالهية البشرية وهي تتميز بظواهرها وتباين تباينها وافر باختلاف الالوان وتقاطيع الوجوه وشكل الرأس والشعر واللغات وغير ذلك مما بعد آت

الاولى المرتبة البيضاء وهي عبارة عن النسل او النوع الابيض من جنس البشر والادميين وتسمى أيضا بالمرتبة القوقازية والقوقازية (نسبة الى جبال قوقازة او قوقازة المسماة في كتب العرب بجبال قاف وهي بسلسلة الجبال السكائنة فيما بين البحر الاسود وبحر الخزر وهي بلاد الجركس والاباطة وجرجستان) وانما نسبت هذه المرتبة اليها لكون تلك الجبال هي موضوعة تقريبا في وسط الاقطار التي توجد فيها هذه المرتبة الالهية ولداعى انه انما وجد في نواحي تلك السلسلة الجبلية أكمل افراد هذا النوع وأجل النموذج لهذا الفرع من الخلق البشرية وتنتشر هذه المرتبة في غربي القارة القديمة اعنى في جميع بلاد أوروبا والنصف الغربي من بلاد آسية وشمال افريقية وقد نزل منها عدة زرائل مستعمرة وقبائل متكاثرة في بلاد القسم الثالث والرابع من أقسام الدنيا العاصرة ولا سيما في بلاد آسرية

والصفات الاصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الالهية هي كون الرأس منها على شكل بيضاوي منتظم والجهة عريضة تكاد ان تكون افقية وسعة العينين مع كونهما في الاكثر شقراوين او زرقاوين وشعورها جعدة دقيقة متضفرة في الغالب وعلى وجه العموم سمراء او شقراء الا في الاقطار الجنوبية من الكرة الارضية حيث تكون شعورها هذا النوع سوداء وزاوية الوجه منه على العموم

الدرس الثامن ٦٣ في التمازج العام

منفرجة جدا (ونعني بزواية الوجه المتكونة من خطين متوهجين يبتدى أحدهما من ثقب الأذن والثاني من ابرز موضع من الجبهة ويتقاطعان عند اطراف الاسنان القواطع العليا) وأظهر ما تتميز به هذه الطائفة الاهلية من الصفات المميزة الاصلية هو كون البشرة الجلدية متهايبضا ووردية وقد يكون لونهما مائلا للصفرة بل قد يكون أسودا بالكلية في الاقطار الجنوبية وهذه هي صفاته الحسية بمعنى الظاهرية واما ما يتميز به من الصفات العقلية والمعنوية بمعنى الباطنية فهو كونه ذات نشاط وأقدام على الامور وطمع كبير واليه ترجع جميع الاعمال والملل الذين يبددهم مقاليديرياسة التمدن ومقاويديسياسة قوة الدول

الثانية المرتبة الصفراء والنسل أو النوع البشري الاصفر (وهو ما يبرعنه عندنا بيني الاصفر) وتسمى هذه المرتبة أيضا بالمرتبة المغلية (نسبة الى المغل بمعنى التتار أي التتارية) وانما نسبت هذه المرتبة البشرية بهذه النسبة الاصطلاحية لتكون اقوام التتار هم الذين يوجد فيهم -م أم أنموذج من افراد هذه الطائفة الاهلية وعى تنتشر في جميع الاقطار الشرقية من بلاد آسية وقد يوجد منها أقوام قلائل وبعض قبائل في شمال هذا القسم من الارض وفي النيبات الشمالية من بلاد أمريكا وأوروية وفي شمال الاوقيانوسية

والصفات الاصلية التي تمازجها هذه المرتبة البشرية الاهلية هي كون وجوههم عربضة مستو وأنوفهم -م فطسا وأعينهم -م مس- تطيلة جدا مع كونها ضيقة من تنعمة مائلة الى الخارج وشعورهم سوداء مصقولة متوترة والوانهم صفرة اوزيتونية وزاوية وجوههم أقل انفرجا من زاوية وجوه المرتبة البيضاء وكثير من الاقوام الذين هم من المرتبة الصفراء -هه ولا سيما أهل الصين قد كانوا من أقدم الامم المتقدمة في سالف الاعصار واعتق الملل المتصورة في جميع الاقطار وكانوا قد عرفوا من قديم الزمان كما عرف ارباب المرتبة البيضاء عدة فنون بدعية وجملة صنائع عجيبية غير انهم بقوا في مادة التمدن والحضارة على حالة واحدة من غير تقدم حتى فاقهم ارباب المرتبة البيضاء بكثير الآن واقصر سكان الارض المعروفة قامت وهم -م الاقوام المسكون بالاسكيميين واللايونيين (وهم سكان أقصى شمال اوروية وآسية) هم من هذه المرتبة (وأطولهم قامت يبلغ أربعة أقدام أي نحو متر و ٣٥ ستمترا في الاكثر)

الثالثة المرتبة السوداء او الرنجية وهي تنتشر في وسط بلاد افريقية وفي جهة الجنوب منها وفي جنوب بلاد الاوقيانوسية كبلاد الأسترالية منها ويعرف أهل هذه المرتبة بكون ألوانهم أما سوداء أو مسودة وجبهاهم -م مخفضة مع كون الفكين بارزين والاسنان مائلة مع كونها أطول من اسنان المرتبتين الآخريين وأنوفهم فطساء عريضه وشدها هم غليظة واقواهم متسعة جدا واصداغهم مسر تفعة وشعورهم صوفية وزاوية وجوههم قليلة الانفرج وأهل هذه المرتبة هم أقل تمدنا والظاهر انهم أقل فها وفطنة من ارباب المرتبتين السالفتين وقد استرق منهم الارروبايون ادوا ما كثيرين

الدرج الثامن ٦٤ في التازيح العام

وتقولهم الى بلاد امر يقية بحالة المأسورين فاستخدموهم هناك في نزائلهم وأدخلوهم في مستعمرات قبائلهم

هذه هي المراتب الالهية الاصلية التي ارجع اليها العلماء الاور وباويون جميع أنواع الامم والممل الموجودين على سطح الكرة الارضية من الخلقة والبشرية وهناك عدة فروع أو انسال بشرية ثانوية بمعنى انها غير مستوفاة للصفات التي تمتاز بها على وجه بحيث تعد من احدى تلك المراتب الاصلية بل يوجد فيها بعض صفات من كل واحدة منها فهي مشتركة بينها ولذلك سميت بمراتب البين بين الالهية أو بالمراتب القرعية او الثانويه فيها

أولا المرتبة الجراء ويقال لها الامر يقية وهي سكان بلاد امر يقية المتوحشون أي اهلها البلديون الاصليون وهم ذراري الاقوام الذين كانوا متوطنين بتلك القارة الجديدة قبل أن ينزل الاور وباويون اليها ويستولوا عليها ويتميزون بكون جلودهم حمراء نحاسية وشعورهم مستوية متدللية واعينهم متسعة ورؤسهم مستطيلة وجباههم منخفضة وانوفهم كبيرة بارزة

واطول سكان الارض المعمورة وهم القوم المسعون بالبتجونيين أو البتغونيين (بالجيم المجمة التحتية أو بالعين المجمة الفوقية) هم من أهل هذه المرتبة الالهية الفرعية (وهم أناس يبلغ ارتفاع متوسط قاماتهم من ٦ الى ٧ اقدام أي الى أكثر من مترين لا الى أكثر من ٨ اقدام أي الى ما يقرب من ثلاثة امتار كما بالغ في ذلك بعضهم)

وقد ثبت عند العلماء الاورو باويين أن بعض الاقوام الامر يقيين الاصليين في الاعصار السالفة قبل أن تنزل عليهم النزائل من الاورو باويين قد كان لهم دول قوية وممل متمدنة غير انهم الآن انما هم اقوام متوحشون وقبائل ضعاف بدويون (انتهى الكلام على هذه المسئلة معربا باختصار من جغرافية فورتنبير الكبرى)

المسئلة الثالثة

مطلب حل مسئلة كبيرة ومنظرة هي بين العلماء الاورو باويين شهيرة وهي هل جميع سكان الأرض من مراتب الانسان هم من أصل نسل واحد ونوع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان وهذه المراتب انما هي فروع عنه متفرعة أم هم أنواع مستقلة متنوعة وبعبارة أخرى هل افراد العالم هم من نسل آدم واحد بمعنى أنهم هل كانوا في أصل نوعهم متحدين أم هم من انسال عدة أوادم متعددين ويا هل ترى كيف الحال في هذه المجال وحاصل ما يقال في الجواب عن هذا السؤال هو ان هذه المسئلة خلافية فيها قولان شهيران ومذهبان مختلفان

القول الاول - قال بعض علماء الطبيعيات من الافرنج الآن وهم القائلون بتعدد أصل الانسان ان أصل جميع الناس من العالم متعدد وانهم ليسوا من نسل آدم واحد ولا نوع متحد قالوا بل هم انواع متنوعة لافروع متفرعة وبنوا على هذا الكلام أن الطوفان لم يكن بعام واقوعه دليل

دليل لهم على ذلك وغاية ما يروج مذهبهم هذا فيما هنالك هو ان سفر الخليفة من التوراة لم يتعرض فيه عند الكلام على عود تناسل الامم والملل الاقدمين من ابناء نوح الثلاثة يافث وسام وحام لغير المرتبة البيضاء وبعض المرتبة الصفراء من العالمين ولم يتعرض لكيفية تناسل الاقوام الزبانيين ولا لاهل الصين وغيرهم من كثير من الامم والملل الذين يقتضى أن يكونوا من أول عهد خلقة العالم في الاقطار المتنوعة من الارض المعمورة موجودين مع تنوع انسالهم وانواعهم وتباين تقاطيع بنيتهم وطبائعهم اذ منهم الابيض والاسود والاصفر والاحمر وما بين ذلك القول الثانى - مذهب الطبيعيين القائلين بوحدة نوع الانسان على جميع الكرة الارضية من كل مكان سواء الابيض منه والاصفر والاسود والاحمر وبعموم حادثة الطوفان على سائر البلدان قالوا واختلف الصفات والالوان انما هو ناشئ عن اختلاف احوال الاكوان المعبر عنه عندهم بالوسط الذى يكون عليه الانسان أى اختلاف الاحوال الجوية والوسائل المعاشية والعوائد المدنية التى يتكون عاينها الشخص بحسب اختلاف الاوطان وهذا هو القول الصحيح والمذهب المعتمد الرجح الذى عليه جمهور علماء الانام من الافرنج وأهل الاسلام قال أبو الفدا فى تاريخه ما نصه

« والصحيح ان جميع اهل الارض من ولد نوح عليه السلام لقوله تعالى « وجعلنا ذريتهم هم الباقين » فجميع الناس من ولد سام وحام ويافث اولاد نوح عليه السلام « الى آخر ما ذكره واستدل علماء الافرنج على وحدة النوع البشرى فضلا عن هذا الدليل النقلى بدليل آخر واقعى عقلى وهو ما شوهد فى جميع أنواع الحيوان من انه اذا حصل تزاوج نوعين مختلفين تولد منهم ما نتاج يصير عقبيما كالبغل المتولد عن مزاجرة نوع الفرس والجار وبالعكس وما أشبه ذلك من أنواع الحيوان بخلاف نوع الانسان حيث يتولد عن مزاجرة انساله كالابيض مع الاسود مثلا ذرية مولدة فرعية لا يزال يوجد فيها الصفات النوعية من التناسل وغيره كما يحصل تعلية الفرس العربى على البرذون اذ يترتب على ذلك تحسب من مادة النتاج لاعداد الانتاج ومن ثم استنبطوا ان مراتب الانسان تزجج كلها الى نوع واحد وأصل متحد بمعنى انها فروع عنه متفرغة لا انواع متنوعة واجابوا عن اقتصار التوراة فى توزيع بنى نوح على الارض وذكر البعض دون البعض بانه انما ذكر فيها الامم المعلومة للعبانيين فى ذلك العصر واستدلوا على عمومية حادثة الطوفان بما تحقق عندهم أيضا من البرهان على وجود طامة كبرى من هذا القبيل فى روايات اغلب الامم السالفين فى ذلك الجيل مع ذكر الرجل الصالح الذى نجاه مولاة وان اختلف منه الاسم فى رواية كل قوم منهم كما قدمناه وعلى كل حال من هذين القولين والمذهبين الشهيرين فبيان كيفية تناسل بنى نوح عليه السلام وانتشارهم فى اقطار الارض حسبا لمقتضى فى الباب الحادى عشر من سفر الخليفة من التوراة وكما دل عليه ما تحقق وثبت عند علماء

الافرنج المتأخرين من المعلومات هو كما في هذا المطلب التالي آت

المسئلة الرابعة

مطلب تفصيل ما اجل فيما تقدم عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام فيما يتعلق
يتناسل جميع أهل الارض من بنى نوح عليه السلام

عائلة حام نص في سفر الخليقة من اتوراة على أنه ولد لحام بعد الطوفان أر بعه صبيان وهم
أولا كوش (بالشين المعجمة في آخره)

ثانيا مصر او مصرائيم (ببائين أولا همام موزة فم في آخره)

ثالثا - فوت (بباء مثناة فوقية في آخره)

رابعا - كنعان (بفتح الكاف في أوله ونون موحدة في آخره)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير اما كوش فولده الايتيو بيون وهم اسلاف الحبس
حيث تحقق كون الكوشيين هم عين الايتيو بيين وذلك أن كل ما عثر عليه من الكتابات
الهيورجليفية المصرية العميقة وجد فيه التعبير باسم كوش عن جميع الامم والاقوام الساكنين
على سواطئ الصعيد الاعلى من النيل بجهة الجنوب من بلاد النوبة وبذلك ثبت ان كوشا هذا
هو أبو السودان

وأما مصرائيم فهو أبو المصريين لما أنه كان يبرعن وادي مصر في التوراة دائما بلانظ مصرائيم ولم
يزل العرب لغاية هذا العصر يسمون جميع وادي مصر بتمامه أو كزسى ولايته فقط باسم مصر
(واخطأ من زعم أن مصرائيم هذا هو عين مينيس الذي هو أول ملوك مصر كما سيأتى توضيحه
في الباب الثاني)

وأما فوت فلم يثبت بعد على وجه التحقيق الجد عند العلماء الاوروبوا وبين بهذا العهد
أنه ابوا الامم والاقوام الساكنين على السواحل الشمالية من افريقية وان كان قد ذهب جماعة من
اعلمهم بهذه المادة ان اسم فوت هذا اذا أخذ على اعم اطلاقاته انما يدل على الاقوام اللبيين
الاولين (أى أهل جبال برقة وما والاها من قبائل البربر المغربيين) الذين نزل بهم فيما بعد بعض
قبائل من بنى يافث وتوطنوا معهم

وأما اسم كنعان فلا شك في أنه يشمل الفنيقيين (أى الصوريين) وكل من انتسب اليهم بما كد
القراية من القبائل الذين كانوا قبل ان ينزل عليهم العبرانيون متوطنين بالقطار المدعو باسم كنعان
(من سواحل الشام) أى فيما بين صيدا وغزة لغاية سدوم وجوورة (من قرى قوم لوط عليه
السلام) اعنى سائر البلاد المحصورة فيما بين بحر سفيد وبحيرة لوط وهى البلاد المسماة باسم يهودا
أو فلسطين أو بلاد القدس الشريف

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور ومما يظهر من قبيل الامور المحققة والظنون المصدقة ان بنى حام سكنوا في اول الامر الجزء الاكبر من بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل ان يتوطن بها بنو سام حيث جاء هؤلاء فطردوهم منها وأزالوهم عنها بدليل ان النروذ الذي هو من نسل حام حكم ولاية بابل واختط فيها المدينتين المسماتين باسم (أراش وشالانة) ببلاد سنهار أو شنغار وانه كان أول من أحدث دولة وأنشأ سلطنة في قديم الاعصار وقد كان في ذلك العهد من بنى حام أيضا أول من سكن البلاد المحاطة بنهر جيحون مما يمتد لغاية نهر السند ولذلك سميت سلسلة الجبال الكائنة بتلك البلدان باسم هندكوش وبقي هذا الاسم يطلق عليها لغاية الآن وقد اتفقت كلمة جميع العلماء الاورو باويين في هذا الاوان على ان سواحل نهر الدجلة وبلاد فارس الجنوبية وجزء من ذات بلاد الهند (حيث يدعون القبائل الذين هم هناك من أصل بنى حام لغاية الآن باسم الكوشيكاس) قد كانت كلها معمورة بأقوام من بنى كوش بن حام قبل ان ينزل بها عليهم أقوام من بنى سام ومن الآريين الذين هم من بنى يافث وهناك أدلة قوية تدل للظن بأن القوم المسمين باسم الكاريين الذين هم أول من توطن بجزء عظيم من بلاد آسية الصغرى أو أرمنية هم أيضا من ولد حام ولقد تسلطت عائلة حام أيضا على سواحل بلاد القرم وبلاد الجيمدر وزية (المسماة الآن باسم ميكران من بلاد فارس المسماة باسم ايران) وعلى طول البحر المحيط الهندي وجميع جنوب جزيره العرب كما ذكر آنفا في غير هذا المكان

عائلة سام — قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير أيضا ما معناه ذكر بنص التوراة

انه ولد لسام بعد الطوفان خمسة صبيان وهم كالمسطر أدناه

أولا - ايلام (بكسر الهمزة في أوله)

ثانيا - اسور (بمد الهمزة في أوله)

ثالثا - ارفخشذ (بالذال المعجمة في آخره) ومن ولد ارفخشذ عابر وقحطان

رابعا - لود (باللام والواو والذال المهملة في آخره)

خامسا - آرام (بمد الهمزة والراء المهملة والياء في آخره)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه كان أول من ولد لسام بعد الطوفان حسب ما ورد في سفر الخليفة

من التوراة مع غاية الايضاح والبيان هو ولده المدعو بايلام وهو أبوالقوم المدعويين بالابلاميين

الاقدمين الذين كانت مساكنهم ببلاد سوزيان (وهي المسماة ببلاد خوارزم الآن)

وأما آسور فهو الولد الثاني لسام وهو أصل القوم أولى الدولة القوية والصوله الشديدة المعروفين باسم

الاسوريين أو السريانيين الذين كان لهم أعظم مدخلية في تاريخ بلاد آسية الجنوبية قال في

التوراة مانصه و اختط آسور كلا من مدينة نينوى و ريزاته (مدينة رأس العين ببلاد الجزيرة) و مدينة كالاش ، و دل على ذلك ما تحقق الآن عند علماء الاقرفج المتأخرين من قراءة الكتابات الاثرية القديمة من أن اللغة التي كانت مستعملة في إقليم بابل و بلاد كلد (أى بلاد العراق القديمة) هي عين اللغة التي كانت يتكلم بها في مدينة نينوى و هي اللغة الميريانية العتيقة و كان أكثر الاهالى بتلك البلاد من نسل آسور هذا و ان كان أصل أساس الطوائف الاهلية الاصلية فيها هم من بني حام بواسطة ولده كوش المذكور آنفا حيث كان أول تأسيس السلطنة فيها على يد العمود كما ذكرناه سالفا و خالفا و بذلك علم ان سكان تلك الاقطار في سالف الاعصار كانت مختلطة من بني سام و حام و غيرهما من أصول الانام

و أما ر فنخشذ فهو نالك أبناء سام و معناه في اللغة الميريانية متاخم كلد (العراق) و من ثم علم انه كان أصل جميع الامم الذين كانوا بأضيقت رابطة النسب من تبطين و في تلك الازمان بعد الطوفان بتلك الاقطار متوطنين و منهم تناسل العرب و العبرانيون و بيان ذلك ما ذكره بالتوراة من ان من ولد ر فنخشذ المذكور عابر الذي هو جد ابراهيم و الملة العبرانية و قحطان الذي هو أبو قبائل العرب الجاهلية الأولى الذين اختلط بهم فيما بعد بنو اسماعيل و صار لهم الغلبة عليهم و يدل على ذلك أيضا ما سيأتى ذكره (في الباب الثالث) من ان ابراهيم عليه السلام في وقت بعثته كان متوطنا بين أظهر الكلدانيين

و أما لود فهو أصل أسلاف القوم الاقدمين المسمين بالليديين و بحسب الظن القوي قد كان هؤلاء القوم قد أقاموا في اول الامر على القرب من بلاد الآسورية و الجزيرة ثم هاجروا بعد ذلك في سالف العصر و توطنوا في النهاية الغربية من بلاد آسية الصغرى (وهى أرمنية) حيث دلت انظار علماء هذا العصر الاخير فيما بقى من اللغة الليديية و رواياتهم الاهلية من الشئ اليسير على انهم من أصل الذرية السامية

و أما آرام فهو كما نصت عليه التوراة رابع أبناء سام و هو أصل نسل قدماء أهل الشام الذين كانوا متوطنين في الجهات الكائنة فيما بين بحر سفيد و الفرات بل قد كان أيضا من الآراميين جماعة كثيرة في الجهة الغربية من بلاد الجزيرة و لذلك كان العبرانيون يقسمون بلاد آرام الى عدة أقسام فيقولون

الاول آرام النهرين و يريدون بذلك ما كان يعبر عنه عند اليونان من الجهات ببلاد الميزوبوتامية اى ما بين النهرين دجلة و الفرات (وهى المبرعنا عند علماء الاسلام بجزيرة ابن عمر) و يطلق الجزيرة على الوجه العام

الثاني بلاد آرام الحقيقية و يعنون بذلك بلاد الشام الاصلية التي كان أقدم كراسيمها و أعظمها من قديم الازمان هو دمشق الشام

الدرس التام ٦٩ في التاريخ العام
الثالث آرام سبا وهي القطر الذي فيه فيما بعد نشأ ملك مدينة بلير (وهي تدمر)

عائلة يافث — ذكر سفر الخليقة من التوراة انه ولد ليا فث بن نوح عليه السلام بعد

الطوفان سبعة صبيان وهم

أولاً جومير (بأمانة الميم على الياء المثناة من تحت والراء المهملة في آخره)

ثانياً ماجوج

ثالثاً ماداي (بببء مثناة تحتية مشددة في آخره)

رابعاً نوبال (بالتاء المثناة فوقية في أوله)

خامساً مسوخ (بضم الميم في أوله وحاء معجمة في آخره)

سادساً تيراس (بكسر التاء المثناة فوقية في أوله وسين مهملة في آخره)

سابعاً چاوان (وهو المعرب بيونان)

قال المؤرخ فرانسيس لوتورمان فاما جومير فهو أصل العشائر القديمة والقبائل العتيقة التي كانت قد توطنت في غابر الأزمان حول بحر بنطس (بضم الباء الموحدة في أوله وسكون النون وضم الطاء المهملة وبالشين المعجمة في آخره) أو بحر بنتسكان وهو المسمى بالبحر الاسود الآن وفي شمال البحر حيث جزيرة الهيلينية (وهي بحيث جزيرة المورة ببلاد اليونان) وقد نسب لجومير هذا في التوراة ثلاثة أولاد وهم

أولاً اسكيناز (بفتح الهمزة في أوله والزاي المعجمة في آخره) وهو أصل الاقوام المعروفين الآن من الاور وباويين باسم الجرمان أو الالمان أو الجرمانيين أو الالمانيين والاسكاندينيا أو الاسكاندينياويين وكانوا حينذاك منضمين بالشمال الشرقي من بحر بنتسكان

ثانياً قدريفات وهو أبوالسلت والستيين والغالة أو الغليين (أي اسلاف أهل البلدة المعروفة باسم قرانسة الآن) وقد كانوا في أول الامر قبيل أن يأتوا الى قرانسة متوطنين بالجبال المسماة في قديم الزمان باسم جبال الريفة وهي المعروفة الآن بجبال الكربات (ببلاد اوروبه)

ثالثاً توجارمة وهو أبوالارمن كما علم ذلك من الروايات المأثورة والحكايات التي هي لغايد الآن بين هؤلاء القوم مذكوره

وأما ماجوج (قال المؤرخ فرانسيس لوتورمان في تاريخه الكبير السالف الذكر والبيان) فلا يزال مذكوراً في نصوص التوراة (كما هو كذلك في نص القرآن) مصحوباً باسم ماجوج والذي يفهم من اشارات انبياء بنى اسرائيل العديدة الى كثرة مفاسد هؤلاء الاقوام العنيدة هو انهم أقوام رحالة نزلة كانوا يهاجرون بجهة الشمال الشرقي المجاور لبحر الخزر وقيل هم قريون مما يعبر عنه عند اليونانيين باسم الماسيچيتيين وسماهم يوسف مؤرخ اليهود باسم السيتيين والظاهر من جميع

ما ذكر في الكتاب المقدس أن بأجوج وماجوج عبارة عن جميع القبائل العديدين المعبر عنهم عند العلماء الاوروبواو بين المتأخرين بالمرتبة التوراتية وهي تنقسم الى نوعين كبيرين أحدهما الاوجريون الفنلنديون والثاني أيضا الى فرعين آخرين أحدهما الفرع التركي وهم أهل بلاد تركستان وصغارى بلاد آسية الوسطانية (ومنهم نسل اترك بنى عثمان المستولين على مدينة القسطنطينية الآن) ومنهم كذلك القوم المعروفون بالبحر المقيومين ببلاد اوروپة من مدة مديدة من الدهر والثاني الفرع الاورالى الفنلندى وهو يشمل القوم المعروفين باسم الفنلنديين والاستونيين والايثوديين وسائر القبائل المتوطنين بالمنطقة الشمالية من اوروپة وآسية بخلاف قبائل الفرع الثاني من الفرعين المذكورين آنفا وهم الدراويديون حيث كانت مواطنهم بالجهة الجنوبية فهم ما يتركب منهم الاهالى البلديون ببلاد هندستان وغيرهم من الاقوام الذين غلبت عليهم الاقوام الآريون واستولوا على ما كان لهم هناك من الاوطان وأما توبال فهو أصل القوم المعبر عنهم عند اليونان باسم التيباريين ومن نسلهم القبائل المتوطنون لغاية الآن باودية جيل قوه قاف

وأما مسوخ فهو أبوالقوم المعبر عنهم في تاريخ هيرودوت باسم المسوخيين الذين كانوا مقيمين بالارض الكائنة بين بلاد التيبار ينيين المذكورين واقليم افر يجية (ببلاد آسية الصغرى) وأما تيراس فهو أصل القوم المسمين عند اليونانيين باسم الاتراسيين (أى أهل اقليم تراسية القديمة وهو الجزء الشمالى الشرقى من الايالة المسماة باسم الرودى الآن) ودليل ذلك ما ذكره بكتب مؤرخى اليونان من أن الاتراسيين كان أصلهم من بلاد آسية الصغرى ثم هاجروا فى تاريخ لم يزل بعد مجهولا من اقليم بثنية (بكسر الباء الموحدة فى أوله) وهو الجزء الشمالى الغربى من الايالة المسماة باسم الاماضول الآن) وتعدوا بوغاز هيلىسبون أو هيلاسبونوس (وهو بوغاز الدردانيل المدعى الآن باسم بوغاز شقى قلعه على لسان اترك بنى عثمان) وتوطنوا بالاقطار الكائنة على شمال اقليم مقدونية من بلاد اليونان

وأما جوان العرب بيونان فهو أبوالقوم اليونانيين المعبر عنهم الآن بالاجر يكيين أو الهيلينيين فى بعض الاحيان وذلك انهم كانوا قد خرجوا من الاقطار الجنوبية من آسية الصغرى وامتدت أوطانهم على سواحل البحر المسمى فى سالف الزمان باسم بحر ايجية (وهو ما يسمى الآن ببحر الارخبيل أو بحر جزائر اليونان وهو جون أى جزء من البحر داخل فى الارض من أصل البحر الابيض المتوسط أو بحر سفيد) وكذلك فى الجزائر الكائنة فى البحر المذكور ومن أبناء يونان أيضا سكان جزائر الارخبيل اليونانى وجزيرة كرىدا وجرىدوك كذلك أهل اقليم الايبير (وهم القوم المعروفون الآن باسم الارنثوط) وأصل كثير من سكان بلاد ايطالية الاقدمين والحاصل ان العلماء الاوروبواو بين المتأخرين اتفقت كلمتهم على وجه العموم لما صار عندهم من

ألقر بالمعلوم على ان من بنى يافث بن نوح عليه السلام بلاد اور و پة كلا من اليونان والرومان والجرمان أو الالمان والسلت والاسكندرية اوة والاسلاو بين وفي بلاد آسية الفرس وعلية الاقوام المدعوز بالمديين والبكتر بين والطبقة العليا من أهل بلاد الهند المجتمعين تحت اسم الآريين هذا حاصل ما وضعه المؤرخ فرانسيس لونورمان من التفصيل والبيان في تاريخه الكبير وان كان قد يستغنى عنه بما عرناه آنفا من تاريخه الصغير وهو بيان ما ذكره أهل النسب والتواريخ من مجل قوهم ان جميع أهل الأرض بعد الطوفان هم من أولاد نوح الثلاثة وهم يافث و سام وحام فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة و يافث أبو الترك والخزر والصفالية و ياجوج وماجوج وهو القول الصحيح كما قدمناه وذلك بواسطة ما توضح اعلاه من تمدد نسلهم فليعلم ذلك وهو غاية ما هنالك

المسألة الخامسة

مطلب - تفصيل ما اجل فيما سلف عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام على مراتب لغات نوع الانسان

قال في القاموس ما نصه واللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم جمعها لغات ولغون ولغوا لغوات تكلمها اه وفي المصباح «ولغى بالامر يلغى من باب تعب ليج به ويقال اشتقاق اللغة من ذلك حذف التلام وعوض عنها الهاء وأصلها لغوة مثال غرفة وسمعت لغاتهم أى اختلاف كلامهم اه وفي الصحاح « واللغة اصلها لغى أولغوا والهاء عوض وجمعها لغى مثل برتويرى ولغات أيضا وقال بعضهم سمعت لغاتهم بفتح التاء وشبهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء والنسبة اليها لغوى ولا تقل لغوى اه صحاح

وحاصل ما يفهم من أقوال اللغويين المنقولة أعلاه فضلا عن اختلافهم في أصل مأخذ لفظ اللغة واشتقاقه ومبناه هو أن اللغة عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم في معاملاتهم ومخاطباتهم ويعبر عنها أيضا بالهجة قال علماء اللغة الألفية اللسان ويعبر عنها أيضا باللسان من باب تسمية الشيء باسم آله الاصلية وهل اللغات الانسانية هي من الاوضاع الالهية أو البشرية هذه مسألة خلافية مشهورة بين العلماء الاوروايين والاسلاميين والاصح عندنا انهم من الاوضاع البشرية ناشئة عن القوى الادراكية الخصوصية والمزايا النطقية التي اودعها الله سبحانه وتعالى في نوع الانسان دون سائر أنواع الحيوان وعلى كل حال من هذه الاحوال وبناء على كل قول من تلك الاقوال فتاريخ أصل منشأ اللغات البشرية في مبادئ تلك الحقبة الدهرية هو امر لم يرزل بعد من قبيل النجهول اذ لم يستدل على حقيقة حاله جمع قول ولا منقول كما ان حقيقة حال ذات الانسان في مبادئ أمره لم يوقف عليها غاية الآن وغاية ما يصح أن يقال في هذا المجال كما هو

ملخص ما شرحه المؤرخ فرانسيس لونو رومان في تاريخه الكبير نقلا عن بعض علماء اشتقاق اللغات فيما يتعلق بهذا الامر في هذا العصر الاخير هو ان اللغات البشرية على العموم لا بد وانها مرت بثلاثة احوال دورية وان منها ما وقف عند بعضا ومنها ما مرت بجميعها وهي الاولى الحالة المقطعية بمعنى ان اللغات الادمية كانت مركبة في الاصل من مقاطع لفظية اى كلمات ساذجة بسيطة غير متصرفة ولا متغيرة الاخر ينطق بها الصوت دفعة واحدة وكانت تلك الكلمات اسماء وفعالا في أن واحد بحيث تدل على معناها بقطع النظر عن كيفية استعمالها والذي يخصص المعنى المراد منها من الفعلية والاسمية انما هو كيفية تجادها مع غيرها من الكلمات المستعملة في الجملة الكلامية وهذه هي حالة اغلب لغات المرتبة الالهية الصغرى المعبر عنها باللغات التورانية (أى التتارية ولغات أهل الصين القديمة والحديثة ولغات أهل الهند والصيني على وجه العموم وغيرهم ومن هذا القبيل اصل اللغة التركية العثمانية وان كانت قد ترفت بالاخذ من اللغة العربية والفارسية على حسب ما صار اليه اهلها من الحالة التمدنية)

الثانية الحالة الالتحامية أى اللغات التى ينضم فيها الى أصل يذية الكلمات الاصايف حروف زوائد دلالة على اختلاف الاحوال انرادة منها وهى وان كانت متصرفة متغيرة الا واخر أيضا كاللغات المتصرفة التاليفية لكنهما لم تبلغ من حسن الحال ما عليه لغات الحالة الاتية به من درجة الكمال

الثالثة الحالة التصريفية أى اللغات ذوات التصريف بمعنى التى يعترى كلماتها من احوال التغيرات الاخرية واتصريفات الفعلية ما يدل على اختلاف أنواع الدلالات المتنوعة حسبما يقتضيه اختلاف انواع الاستعمالات المتفرعة من العددى الافراد والتنزنية والجمع والجنس أى التذكير والتأنيث والزمن أى الماضى والحال والاستقبال وما يتفرع عنه من احوال الغيبة والتكلم والخطاب وغير ذلك من الاحوال حسبما يقتضيه المقال وهذه هي حالة لغات بنى سام وياقت المعبر عنها باللغات السامية أو اللغات الاوروبية الهندية أو اللغات الآرية (أى لغات سكان بلاد الهند الاقدمين المسمين بالاريا والاربيين) ومن ثم فهم ان مرتبة اللغات المتصرفة تنقسم الى طائفتين كبيرتين وفصيليين أصليتين احدهما اللغات السامية والثانية اللغات الاوروبية الهندية أو الآرية والى هاتين الطائفتين اللغويتين ترجع لغات جميع الامم المتمدنة الشهيرة والمثل المنحضرة الكبيرة التى تذكر تواريخها فى ضمن قسم التاريخ القديم ولذلك ازمننا هنا ايها الاخوان ان نسردها لكم لتكون عندكم من المعلوم فنقول

أما اللغات السامية فهى ثمانية

الاولى اللغة العبرانية وهى التى كان يتكلم بها بنو اسرائيل والغنبيقيون بيبين وسائر القبائل الكنعانيين

الثانية اللغة الآرامية وهي التي كان يتكلم بها في سالف الزمن ببلاد سورية (بلاد الشام) وهي تنقسم الى عدة فروع وأقسام احدها ما يعرف باللغة الآرامية التوراتية وهي التي تألف بها بعض أسفار التوراة في القرن السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام الثاني الآرامية الترجية وهي التي كتب بها ترجمة التوراة أي تفاسيرها التي تحررت في أوائل التاريخ المسيحي الثالث اللغة السورية الكلدانية وهي اللغة العامية التي كان يتكلم بها اليهود ببلاد فلسطين بعد فساد لغتهم العبرانية في وقت ظهور عيسى عليه السلام وكتب بها تأليفات احبارهم المسماة باسم التلمود (بالشاء المثلثة في أوله) الرابع اللغة النبطية وهي لغة قدماء سكان الشمال الغربي من جزيرة العرب الخامس اللغة السامرية (نسبة الى الارض المسماة باسم سامر به بلاد فلسطين) وهي اللغة التي حدثت على الارض المسكونة باحد الاسباط أي قبائل بني اسرائيل القديمة المدعو بسبط افرايم بعد ان افتتحها الاسوريون ثم بقيت بصفة اللغة الادبية عند القوم المعروفين من اليهود بالسامريين وهم معتزلة الديانة اليهودية

الثالثة اللغة السبئية (نسبة الى سبأ) وهي اللغة المستعملة لغاية الآن عند القوم المدعويين بالمنديين المتوطنين في جنوب حوض الفرات وهم قوم وثنيون يتدينون بمذهب ديني مخصوص متكون من بقايا جاهلية الاسوريين والفرس الاقدمين

الرابعة اللغة السورية وهي اللغة التي كان يكتب بها في كل من بلاد ايديس (وهي أورفة) ونصيبين أو نصيب (وهي انطاكية) من بلاد الجزيرة في القرن الثاني لغاية القرن السادس من تاريخ المسيح

الخامسة اللغة الاسورية والسريانية وهي التي كان يتكلم بها أهل مدينتي بابل ونيوى وبها عثر الآن على بعض كتاباتهم المأثورة من قديم الزمان السادسة اللغة الحيرية وهي لغة أهل جنوب جزيرة العرب في سالف المدة العصرية ولا يوجد منها الآن غير بعض كتابات أثرية

السابعة اللغة الغيزية (بالغين المحجة في أوله) وهي لغة بلاد الحبشة القديمة وقد كانت موجودة في تلك البلاد الافريقية حتى بعد ان تمكن بهادين النصرانية أعني في القرن الثالث من تاريخ المدة الميلادية

الثامنة اللغة العربية وهي التي يتكلم بها لغاية الآن دون جميع اللغات السامية التي كانت مستعملة في سالف الزمان وتفرع الى بعض لغيات يسيرة لا يختلف بعضها عن بعض مخالفة كبيرة وهذه اللغة وان كانت في سالف الزمان لم تكن اللغة التي اعلمها عيل أو معدل لكنها قد انتشرت

فما بعد بانتشار القرآن في كثير من البلدان بهذا الزمن من عند أقليم بابل لغاية مراكش ومن عند بلاد سورية لغاية بلاد اليمن

فهذه هي جملة اللغات المعبر عنها بالسامية وهناك طائفة لغوية أخرى من اللغات الحامية تشاركها في الهام من الهيئة والمزية يعبر عنها باللغات النيلية لتكون معظمها ولا سيما الهما وأعظمها وهي اللغة المصرية القديمة كان يتكلم بها من أبناء حام الاقوام المتوطنون بوادي النيل وأعظم اللغات التي هي من هذا القبيل هي

أولا - اللغة المصرية القديمة المعبر عنها بالقبطية أو بالهيوري جليقية وهي أقدم اللغات التي بقيت لنا منها كتابات أثرية وكانت قد بقيت يتكلم بها لغاية القرن السابع عشر من المدة المسيحية ثم غلبت عليها اللغة العربية فأنعدمت بالسكينة ولم يبق لها أثر الا في صورة الادعية والصلوات التعبدية المستعملة عند قس الطائفة النصرانية المصرية المعروفة بالقبطية

ثانيا - لغة القوم المعروفين باسم الجلي (بفتح الجيم المعجمة واللام المشددة المفتوحة) ببلاد الحبشة وما لحق بها من سائر اللهجات المتنوعة التي يتكلم بها الطوائف السودانية المتوطنة فيما بين النيل الابيض (المعبر عنه بالبحر الابيض) والبحر الاحمر وان أهل جزيرة مدغشقر ولغات بلاد النوبة وكردفان وهي كثيرة لا حاجة لحصرها غير ان لا بأس بأن يقال ان منها اللغة المسماة بالبشارية التي لم ينزل يتكلم بها القوم المسمون بهذا الاسم والظاهر انها بقايا اللغة التي كان قد كتب بها الكتابات الهيوري جليقية المأثورة عن الدولة الايتوبية بمدينة ميرويه القديمة (التي كانت موجودة في سالف الزمان ببلاد السودان وهي بامالقة تهمه الميم على ياء مفتوحة تحتية يليها راء مهمل مضمومة ثم واو مفتوحة بعد ياء مشددة تحتية ساكنة فهاء ساكنة أيضا كما خرف نحو سيويه) وكذلك لغات أم البربر (ببلاد المغرب) وهي بقايا اللغة الليبية القديمة ولم ينزل يتكلم بها القبائل المتوطنة في جهة الشمال والشمال الغربي من أفريقيا كاللغة المعروفة بلغة القبائل ببلاد الجزائر المغربية ولغة الطوارق وغير ذلك مما يطول شرحه

فهذه هي طائفة اللغات الحامية النيلية وهي وان كانت مرتبة لغوية بخصوصية تقابل مرتبة بني حام في جملة ما سلف ايضاحه من مراتب الانسال النوحية غير انه استقر الحال عند علماء اشتقاق اللغات من الافرنج المتأخرين على ان يبينوا وبين لغات بني سام من العلاقات القرابية والروابط النسبية ما يقتضي ان تعد منها وان كانت هي مرتبة من اللغات منفردة عنها او كأن لغات بني سام وحام كانت في الاصل واحدة كما قال به بعضهم وذهب اليه وتقدم في موضعه النبيه عليه

وأما اللغات الباقية المعبر عنها بالهندية الاوروباوية أو اللغات الآرية فهي كثيرة جدا لانكاد تنحصر عددا ولكنهم امرتبه على ست مراتب فرعية

الاولى - اللغات الهندية وأصلها اللغة المعروفة باسم السنسكريت أي اللغة الالهية وهي اللغة المقدسة بمعنى المطهرة المحترمة عند أهل الهند حيث يوجد بها كتبها أصول ديانة أرباب المذهب المعروفين بالبراهميين وتدوين علومهم وهي لغة عميقة كان يتكلم بها في بلاد الهند مدة أكثر من عشرين قرناً بقيت عندهم فيما بعد بصفة لغة أدبية وتولد منها اللغة المسماة بالپالية التي كان يتكلم بها في سالف الزمان بشرقى ولاية هندستان ثم صارت هي اللغة العلمية لأرباب المذهب المعروفين باسم البوذيين في جزيرة سيلان والمادورة والهند الصينية وسلطنة برمان (بكر الباء الموحدة في أوله) وكذلك لغيات بلاد الهند العامية التي كان يتكلم بها في تلك البلاد فيما قبل الميلاد ثم الالسنة المتنوعة المتفرعة عنه فيما بعد وهي الهندى والهندستانية والبنغالى والجوزراتى والمهراتى والنيبالى وغير ذلك

الثانية - اللغات الإيرانية وأصلها اللغة المسماة بالزندية وهي أصل اللغة الفارسية ومن هذه المرتبة أيضاً من اللغات التي يتكلم بها الغاية الآن اللغة الافغانستانية والبيلوتشية والكردية والارمنية وغير ذلك

الثالثة - اللغات اليونانية اللاطينية المسماة أيضاً بالپيلاجية فأما اليونانية فهي من معلومة وأما اللاطينية فهي لغة أهل بلاد ايطالية القديمة ومنها تفرعت في مدة القرون المتوسطة جميع اللغات الاقربحية المستعملة الآن في بلاد أوروبا الجنوبية كالايطالية والفرنسية والبروتونية والاسبانية والبرتغالية ولغة بلاد الجريزون (من جهة ورية أسونجور هيلاد الاوروية) و لغة ولايتى الافلاق والبغدان المسماة الآن باللغة الرومية

الرابعة - اللغات اللتية الا - لاوية ومن هذه المرتبة اللغوية اللغة الليتانية والبروسيانية والاسلاوية وهي المستعملة في صور الادعية والصلوات التعبدية بكائنات بلاد الروسية والبلغارية والروسية والصربية والمجارية والتيكية والبوهمية وغير ذلك

الخامسة - اللغات الجرمانية والالمانية وهي على فرعين أحدهما الجوتى أو الغوتى (بالجيم أو بالغين المجمة) واليه ترجع اللغة الاسكندنافية القديمة المسماة بالنورسية وهي أصل اللغة الدانيمرقيه والاسويجيه وكذلك اللغة السكونية التي هي أصل الانجليزية واللغة الالمانية السفلى التي هي أصل الفنكسية والثانى الفرع الالمانى الاصلى واليه ترجع اللغة الالمانية العليا والسوابية والنساوية والفرانكونية

السادسة - اللغات السلتية وهي أيضاً على فرعين أحدهما الا بر يطانية والثانى الغالية والى كل منهما يرجع بعض لغات فرعية لم يزل يتكلم بها لغاية الآن في بعض الجزائر الا بر يطانية (جزائر بلاد الانجليز) وبعض الاقاليم الفرنسية (هه) هذا المطلب، والذي قبله معرباً من تاريخ فرانسيس لونورمان الكبير

المسألة السادسة

مطلب - اين كانت جنة عدن التي كان قد وضع فيها أبونا آدم في أول الامر ثم اخرج منها وهل كانت في السماء أم في الارض وماذا كان صنف نوع الشجرة التي كان الله سبحانه قد نهاه عنها هذه مسألة لم تحل بعد لغاية هذا العهد عند العلماء الاورباويين ولا عند العلماء الاسلاميين أما الشق الاول منها فهذا هو تعر يب ماذا كره فيه المؤرخ فرانسيس لونورمان عند الكلام عليه في تاريخه الكبير كما هو بعد مسطور قال المؤرخ المذكور وكان مسألة تعيين تاريخ معين لاولية خلق الانسان هو مما لا حاجة اليه ولا سند قوي يثبت له ولا عليه فكذلك يقال في حق من تتعلق منه الآمال بتعيين المكان الذي قد كان فيه أول مهد لنوع الانسان ولا اين كان موضع جنة عدن من الجهات على حسب ما يفهمهم من التوراة حيث لم يرد فيها دليل قطعي في هذا الموضوع ولكون علم المفسرين لهاوا أكثرهم تعلقا بالاعتقاد فيها توقفا في هذا المشروع فوجب علينا أن نتقدمي بهم في ذلك ونقتصر على ما اشتر من القول العام فيما هنالك وهو القول بان بلاد آسية هي التي كانت أول مكان لأول عائلة من نوع الانسان وأول مهد لكل تمدن وعمران اه كلامه وهو الصواب وان كان أكثر المتفلسفين من العلماء الاورباويين على ان جنة عدن كانت بالارض فيما بين دجلة والفرات وكثيرا ما يعبرون عنها بالجنة الارضية ومن المعلوم ان معنى الجنة البستان وكون جنة عدن بالارض هو ما يجنب اليه أكثر ميل علماء الاسلام وان كانوا توقفا في هذه المسئلة أيضا عند تفسير ما ورد فيها من الذكر في القرآن قال المولى أبو السعود رحمه الله عند تفسير قوله تعالى «ووقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها حيث شئت مما رعدا ولا تقر باهذه الشجرة فتكونا من الظالمين» ما نصه «و المراد بها (أي بالجنة) دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى أرض الهند كما في قوله تعالى «اهبطوا مصر» لما ان خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكروا والتذكير لما أنه من اعظم النعم ولائها لو كانت دار الجنة لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم أن الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والدلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع اه

وأما الشق الثاني اعني تعيين نوع الشجرة المأكول منها فهو أيضا مما كثرت فيه الاقوال قال المولى أبو السعود رحمه الله في تفسير الآية الشريفة المدكوزة اعلاه «و المراد بها (أي بالشجرة) الجنة أو العنبة أو التينة وقيل هي شجرة من أكل منها حدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع» اه والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال

المسألة السابعة

مطلب - أصل منشأ الممالك القديمة فى وادى النيل والفرات والدجلة (معرباً من مختصر التاريخ القديم تأليف ويكتور دوروى) قال مؤلف الاصل ما معناه ان ما ذكر اعلاه فيما يتعلق باولية الدنيا هو ما اقتص فى سفر الخليفة من التوراة وثص فيها أيضاً على أن النمرود قد كان أول رئيس تقلد سياسة الامم والملل غير أن سفر الخليفة من التوراة لم يتعرض فيه لبيان تأسيس اقدم الدول فيما سلف من تلك الاعصر الاول ولم يصل علم العلماء بعد من الاستكشافات التى حصلت فى هذا الوقت لما يسد فراغ ما حصل عليه منها الصمت وغاية ما يمكن أن يقال فى هذا المجال هو انه يظهر كون الناس قد اجتمعوا من أول الامر على هيئة الاجتماع والائتناس والتعاون بعضهم ببعض على ظهر الارض وانهم توطنوا فى سالف العصر على شواطئ الانهار الكبيرة التى اخصبت مياهها تلك الاقطار الشهيرة من الديار المصرية وبلاد الآسورية (بلاد العراق) حيث كانت طرق المعاش فى تلك السهول سهلة الحصول لكون الاقوات الضرورية فيها تكاد ان تخرج منها بمجرد القوة الطبيعية (أى من غير معالجة صناعية) (قال مؤلف الاصل) ولكن متى كان أول اجتماع الناس على هيئة الجمعية البشرية وياهل ترى من كان رؤساءهم الاولين وزعماءهم السابقين وكيف كانت احوالهم وماذا كانت اعمالهم لاندورى ولا نخال تدرى بل لانزال نجهل حقيقة هذا الامر الى آخر الدهر (اه معرباً من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى)



مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الاول من الفوائد والافكار

مسألة عمر الدنيا

معلومات أولية وتقسيمات أصلية

- ١ - ما المراد بالقرن لغة واصطلاحاً
- ٢ - ما المراد بالسنة أو العام والشهر والاسبوع واليوم والساعة والدقيقة والثانية والثالثة الزمنية
- ٣ - ما المراد بالشهر القمري أو الشمسي
- ٤ - ما المراد بالسنة القمرية أو الشمسية وما المراد بالسنة البسيطة أو الكبيسة وما عدد أيام كل واحدة منها
- ٥ - ما الفرق بين عدد أيام السنة القمرية والشمسية البسيطة والكبيسة وماذا ينبغي على ذلك
- ٦ - ما السنة القبطية وما الفرق بينها وبين السنة الشمسية المعتادة
- ٧ - ما المراد بالقرن القمري أو الشمسي
- ٨ - ما معنى العصر والدهر
- ٩ - ماهما التاريخان اللذان يحتاج اليهما في تعليم علم التاريخ العام هنامن تواريخ الامم المختلفة
- ١٠ - ما المراد بالتاريخ المسيحي أو الميلادي وما مبدأه
- ١١ - ما المراد بالتاريخ الهجري وما مبدأه
- ١٢ - ما قدر الفرق بين التاريخ الميلادي والهجري
- ١٣ - ما المراد بمسألة عمر الدنيا وهل هي مسألة اتفاقية أم خلافية
- ١٤ - ماهما القولان الاقرب للصحة من جملة الاقوال العديدة التي تشعب اليها الخلاف في هذا المجال وما أصل تشعب هذا الخلاف
- ١٥ - ما الذي يتضمنه الذوق السليم ويقضى به العقل المستقيم فيما يدعيه بعض الامم من الاسمية في القدم وماذا يعجز التشبث به في تحقيق هذه المسألة التاريخية
- ١٦ - ماهو القول الذي يلزم اتخاذه مبدأً تاريخياً ومنشأً زمنياً للشيء عليه هنا طريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية
- ١٧ - ماهي القاعدة العمومية في تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية وما كيفية توضيحها بالامثلة العملية

تقسيمات خاصة بالتاريخ القديم

- ١٨ - كيف قسم المؤرخون الاوروبيون التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقامة وعدمها
- ١٩ - ما المراد بالاعصار الاولى
- ٢٠ - ما المراد بالاعصار الخرافية وانى كم قسم تنقسم
- ٢١ - ما المراد بالاعصار الوثنية والبطالية والنبوية والشعرية
- ٢٢ - ما المراد بالاعصار التاريخية والى كم قسم تنقسم وما المراد بالمدة التي يعبى
- ملحوظات عامة

تعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

- ٢٣ - الملحوظة الاولى — ماذا يلحظ فيما يتعلق بتاريخ اليونان والرومانين في جملة التاريخ القديم على وجه العموم من حيث كونه منتظما أو غير منتظم وما هو القول المروى في هذا المعنى عن المؤرخ ويكتور دوروى
- ٢٤ - الملحوظة الثانية — ماذا يلحظ من حيث الانتظام وعدم الانتظام في شأن توارىخ باقى الامم القدام وماذا قال المؤرخ ويكتور دوروى في هذا المقام
- ٢٥ - الملحوظة الثالثة — ماذا يلحظ في شأن تاريخ جميع الامم المذكورين فيما يعبر عنه ما تارخى القديم على وجه العموم حسبما ترا آى للمؤرخ ويكتور دوروى وماذا بنى على ذلك لتاريخ القديم من التقسيم
- ٢٦ - يقتضى التوضيح والبيان للطريقة التاريخية الجديدة التى مشى عليها المؤرخ فرانسيس لونورمان وماذا بنى عليه طريقته هذه من أقوى الاساس والبنيان
- ٢٧ - وحينئذ فما هما الطريقتان التاريخيتان المستعملتان عند متأخرى علماء الافرنج الآن وما أساس كل واحدة منهما وما أصوبهما
- ٢٨ - ما درجة قوة الاعتماد التى يعتمد عليها وما كيفية الاستناد التى يستند اليها فى تعليم علم التاريخ العام بهذا الدرس التام
- ٢٩ - ما عدد الابواب التى ينحصر فيها الكلام على قسم التاريخ القديم على مقتضى هذا الوجه من الاستناد القويم

الباب الاول

أفكار تقديميه وفوائد عموميه

٣٠ - ماهى المدة التى ينحصر فيها بالباب الاول الكلام وكيف يتجربى عليها الانقسام على حسب ما يؤخذ من كلام بعض علماء الازمان الاورورباريين ومامة دار تلك المدة على حسب قول بعض المؤرخين الاسلاميين وما حال أقوال علماء التاريخ فى توقيت الحوادث بتلك الاحصار التاريخية على وجه عام

الفصل الاول

٣١ - مامة دار المدة التى يتكلم عليها فى الفصل الاول من الباب الاول وما مبدأها وانها من أصل جملة عمر الزمان

٣٢ - ما أصل مأخذ تاريخ أوائل الانسان وهل يمكن الوقوف على حقيقة أحوال أولية الدنيا قبل الطوفان وبعدها الطوفان

٣٣ - ما كيفية ترتيب خلق المخلوقات حسب ما ذكر فى التوراة وما الحالة الأولى التى كان الله سبحانه وتعالى خلق عليها الانسان ثم ماذا وقع منه بعد ذلك وماذا ترتب على ما حصل منه من العصيان

٣٤ - من هم اولاد آدم الاولان وماذا كانت حرفة كل واحد منهم وما أول خطيئة قتل نفس وقعت فى الدنيا وماذا ترتب على هذا البغي والعدوان

٣٥ - ما أول مدينة أنشئت فى الدنيا

٣٦ - كيف كان الله سبحانه وتعالى قد خلق نوع الانسان من حيث الهبات اللدنية العقلية والبدنية وأى عائلتى ولدى آدم الاولين ينتسب اليها اختراع الفنون الصناعية

٣٧ - من ولد أنوش بن قابيل ومن هم ولد ولده وماهى الخاصية التى ذكر بها كل واحد منهم فى التوراة

٣٨ - من هو ولد آدم الذى بقيت فى عقبه فضيلة تحفظ الروايات الدينية الماثورة عن النبوة الأولى والى من انتقلت هذه الفضيلة بعد الطوفان

٣٩ - من هم أبناء شيث بن آدم وماذا ذكر فى التوراة لحنوخ أو ادريس بن شيث من خواص الصفات

٤٠ - من هم ولد حنوخ وماذا ذكر فى التوراة لكل واحد منهم من خواص الصفات وما عمود النسب من آدم الى نوح عليهما السلام

- ٤١ - هل ما ذكره تقي الدين التوراة من تناسل بني آدم لغاية نوح عليهما السلام هو موافق لما تناقلته أقلام الرواة من مؤرخي الاسلام أم كيف الحال في هذا المقام
- ٤٢ - ماذا دللت عليه الاستكشافات العلمية الجيولوجية الاخيرة فيما يتعلق بأصل وجود نوع البشر وكيفية مباديته في اول الامر
- ٤٣ - كيف كانت درجة الهواء الجوية من الكرة الارضية في تلك الايام الاولى وماذا ينبغي على ذلك من حيث ما قضى الله به من العقوبة على بني آدم في تطير الخطيئة الابوية
- ٤٤ - كيف كانت حالة الناس قبل الطوفان من حيث مادة التمدن والعمران وماذا ثبت بدليل الاستكشافات الجيولوجية من حيث انتشار نوع الانسان على سائر البلدان من الكرة الارضية بالنسبة لما هي عليه الآن واين كان اول مهد لنوع الانسان وماذا كانت قد بلغت اليه غاية درجة التمدن والعمار في تلك الاعصار
- ٤٥ - ما زبدة قصة الطوفان على حسب ما ورد في نص التوراة من الابضاح والبيمان وهل لذكرى هذه الحادثة العظيمة آثار في ضمن الروايات الاهلية المتداولة عند بعض الامم القديمة غير العبرانيين وما قول العلماء الجيولوجيين في شأن هذه المسألة الجسيمة
- ٤٦ - في أي مكان كان الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام وما كيفية تحقيق هذا المقام
- ٤٧ - كيف عرف نوح عليه السلام ان المياه قد تقشعت عن الارض وماذا فعل من العبادات والاعمال بعد النجاة حسب ما ورد في التوراة وكم عمر نوح بعد الطوفان وما سمله عمره من الزمان

الفصل الثامن

- ٤٨ - ما مقدار المدة التي يتكامل عليها في الفصل الثامن من تاريخ الانسان بعد الطوفان على مقتضى بعض الاقوال التي قيلت في هذا الشأن
- ٤٩ - هل كانت مدة اعمار بني آدم بعد الطوفان كما كانت قبل الطوفان وماذا آلت اليه بالنسبة للاعمار البشرية المعتادة الآن وهل هذه القاعدة كانت كلية ام لها بعض احوال استثنائية
- ٥٠ - ما قصة حادثة تفرق الامم بعد الطوفان الى سائر البلدان وما اسم المكان الذي كان قد اجتمع فيه بنو نوح عليه السلام من بلاد آسية بعد الطوفان واين كان ذلك المكان وما منشأ تنوع مراتب اللغات والانسال الثلاثة البشرية التي تعمرت بهم الارض بعد الطوفان

- ٥١ - ما كيفية نوزي مع ذراري نوح عليه السلام في أقطار الأرض المعمورة على وجه عام
- ٥٢ - في زمن أي ولد من بني سام كانت حادثة تبلبل اللسان وتفرق الأمم في سائر البلدان على حسب ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان وما القول الذي يقابله من أقوال علماء الإسلام
- ٥٣ - هل في نصوص التوراة ما يمنع من الظن بأن بعض عشائر من بني نوح كانوا قد هاجروا من مركز مجتمعهم قبل حادثة تفرق أكثرهم وما دليل ذلك
- ٥٤ - من كان أول المهاجرين من بني نوح عليه السلام عن مركز الاجتماع الأصلي وما كيفية سير بني حام في عمارة الأرض بعد الطوفان وأي بني نوح دعا عليه أبوه وماذا ترتب على ذلك الدعوة من المترتبات حسب ما ورد في التوراة
- ٥٥ - من كان ثاني المهاجرين من بني نوح عن مركز الاجتماع الأصلي وما كيفية سير بني سام في عمارة الأرض بعد الطوفان ومن هم الملل المتناسلون منه
- ٥٦ - من كان آخر المهاجرين من بني نوح عليه السلام عن مركز الاجتماع الأصلي وما معنى لفظ يافث في اللغة السريانية القديمة ولماذا سمى بذلك وما الداعي لعدم ذكر شعوب بني يافث في التوراة وماذا توصل علماء الأفرنج المتأخرون لارجاعهم إلى ذلك النسل الأولى
- ٥٧ - ما حصرية بني يافث على النسلين الآخرين وما أصل ذلك حسب ما ورد في نص التوراة
- ٥٨ - ما صراتب اللغات البشرية الأصلية وما هي الأدلة التي توصل بها علماء الأفرنج المتأخرون لترتيبها وما حاصل ما تحقق عندهم في هذه المسألة العلمية
- ٥٩ - ما ذاتبت عند علماء الأفرنج المتأخرين في شأن اللغة القبطية القديمة بالخصوص

تتمية

المسألة الأولى

- ٦٠ - ما حاصل ما ذكر في شأن عمارة الأرض بين بني نوح عليه السلام بعد الطوفان وما الدليل العقلي على هذا الإثبات فضلا عن الدليل النقلى الذي يؤخذ من صريح التوراة
- ٦١ - ماذا كان يظن أولاً في شأن لغة المصريين القديمة وماذا تحقق عند علماء الأفرنج المتأخرين في هذا الخصوص وما كيفية التوفيق بين هذا القول وما سبق عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من النقل في النصوص
- ٦٢ - ما الذي استقر عليه الحال في كيفية عمارة الأرض من بني نوح عليه السلام بعد الطوفان

المسألة الثمانية

- ٦٣ - ما كيفية ترتيب سكان الكرة الارضية على ثلاث مراتب أصلية وما حيثية تباينها
- ٦٤ - ماهى المرتبة الاولى وما المراد بها وما الداعى لتسميتها بالقوقازية وما مكانها من الكرة الارضية وما الصفات الاصلية التى تتميز بها هذه المرتبة الاهلية من الصفات الحسية والمعنوية
- ٦٥ - ماهى المرتبة الثانية وما المراد بها وما اذا سميت بالمغلية وما مكانها من الكرة الارضية وما الصفات التى تتميز بها هذه المرتبة الاهلية من الصفات الحسية والمعنوية
- ٦٦ - من اقصر سكان الارض المعمورة ومن أى مرتبة أهلية هم من هذه المراتب المذكورة
- ٦٧ - ماهى المرتبة الثالثة وما مكانها من الكرة الارضية وما الصفات الاصلية التى تتميز بها هذه المرتبة الاهلية من الصفات الحسية والمعنوية وما درجتها من حيث التمدن والفهم بالنسبة للمرتبتين السالفتين
- ٦٨ - ما الفرق بين المراتب الاهلية الاصلية والثانوية
- ٦٩ - ما أشهر المراتب الاهلية الثانوية وماهى الصفات التى تتميز بها عن المراتب الاهلية الاصلية
- ٧٠ - من أطول سكان الارض المعمورة وما المرتبة الثانوية التى هم منها
- ٧١ - ماذا ثبت عند علماء الافرنج المتأخرين فى شأن تمدن أهل امريقة الاصلين فى سالف الزمان وما حقيقة حالهم الآن

المسألة الثالثة

- ٧٢ - هل جميع سكان الارض من نوع الانسان هم من أصل نسل واحد ونوع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان ام كيف الحال يقتضى توضيح ما قيل فى هذه المسألة من الاقوال وما الاحتج به كل صاحب مذهب لمذهبه من وجوه الاستدلال وما القول الاصح والمذهب الارجح من هذه الاقوال

المسألة الرابعة

- ٧٣ - بيان تناسل ابناء نوح عليه السلام - من هم اولاد حام وسام ويافت ومن هم الامم والاقوام المتفرعة عن ذرية كل واحد منهم

المسألة الخامسة

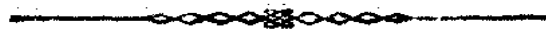
٧٤ - بيان مراتب اللغات البشريه - ما المراد باللغة وما هي الالفاظ المرادفة لها وما هي الاحوال الدورية التي يقتضى ان اللغات البشرية قد مرت بها على تمامى الاعصار وما مرتبة اللغات السامية وكم هي وما هي والحامية والياقثية وما مراتبها والفروع المتفرعة عنها

المسألة السادسة

٧٥ - اين كانت جنة عدن التي كان قد وضع فيها آدم في أول الامر وهل كانت في السماء ام في الارض وما معنى الجنة وما نوع الشجرة التي أكل منها وماذا قال علماء الاقربنج والاسيلا م في هذا المقام

المسألة السابعة

٧٦ - ماذا قيل في شأن منشأ الممالك القديمة بعد الطوفان وما قدم الممالك في سالف الازمان



الباب الثاني في تاريخ المصريين والفراعنة المتقدمين

اعنى تاريخ الديار المصرية والنيل وما يعتريه من الاحوال السنوية واخبار دول الفراعنة السالفين في الاعصار الغابرة من اول عهد تأسيس الدولة الفرعونية في الديار المصرية لغاية افتتاحها بالدولة الفارسية
وأصل ما آخذ هذا الباب الاصلية هو

اولا من كتب التواريخ المأثورة عن مؤرخى السلف من اليونان والروم وغيرهم
ثانيا من مجاميع النصوص الاصلية وذات الكتابات الاثرية الاولية التي حصل العثور عليها في نواويس قدماء المصر بين وقبورهم واطلال عماراتهم وقصورهم وغير ذلك
ثالثا من تأليفات متأخرى العلماء الاوروبوا وبين واهل الخبرة بأحوال المصر بين المسمين
بالايجيبييتولوجيين وسياحات السياحين من الافرنج العصريين

اذكار تقديميه وفوائد عموميه

تجرت عادة المؤرخين الاور و باو بين بأنهم يتدوّن من الامم المذكورين في قسم التاريخ القديم بتاريخ العبرانيين وكثيرا ما يفردونه بالتأليف ويعلمونه لاطعالمهم في المدارس الابتدائية باسم التاريخ المقدس أى المظهر الشريف وأكثرهم على الابتداء من ذلك بتاريخ قدماء المصريين والفراعنة المتقدمين وهى طريقة الجمهور ومذهب الجمل الغفير وقد استصوبنا المشى على هذا المسلك الاخير لكون هذا البلد العظيم هو بلدنا وهذا الوطن الكرم هو وطننا واول ما يقتضى للانسان أن يتحلى به من انواع العرفان هو ان يعرف تاريخ وطنه ويقف على حقيقة التغيرات التى اعترت هيئة تمدنه واذا كان هؤلاء الاقوام من الافرنج الذين هم بديننا كفار وليدوا المصرنا من العمار يضربون آباط آلات البخار ويوقدون اسرعة سيرها فى البرور والبحار

ذخائر الفهم الجرى من شديد وقود النار و يهرعون من أقصى بلادهم لشاهدة ما بنى على
 بحر الاعصار لاوطاننا هذه من بعض الآثار و يسارعون للوقوف منها على حقائق التوار يخ
 والاخبار و يذلون نفائس أنفسهم وأموالهم و يصرفون اهزواقاتهم وأحوالهم في السفر لعناية مثل
 الاهرام وهى اقرب الينامن يدنا الى فينا وقائمة برأسها الى عنان السماء فينا و ما منامن تتعلق
 رغبته بعينتها وتشوق علقته لمشاهدتها حتى ان من جملة هدايتهم وزمرة فلاسفتهم و حكمائهم
 طائفة من أهل العلم عندهم مخصوصين يعتمنون بمعرفة أحوال ديار مصر بالخصوص و يعمنون
 بمطالعة ما يتعلق بهامن الآثار والنصوص يقال لهم الايجيبتيلولوجيون يعنى أهل العلم والخبرة
 بأحوال مصر فى سالف العصر افلسنا الى منهم بالعناية بمثل هذا الامر وهل لا يقتضى أن يكون
 صاحب الدار ادزى بما فيها وأولى بمعرفة حقائق ظواهرها وخوافيها ورحم الله عصر ابصر
 مضى ودهرا انقضى وانقضى كان فيه مثل الشيخ عبد اللطيف البغدادى العقيه اللغوى الطيب
 نزيل مصر رحمه الله وأكرم فى أعلى عليين من الجنان مشواه يذهب بنفسه ويتسلى على
 الاهرام بجلالة قدره وبقديس ما عليه بناؤها من الابعاد والمقادير وينظر فى حقيقة احوالها نظره
 العالم البصير ويرجع الى خلوته فيكتب مثل رحلته المسماة (بالافادة والاعتبار فى الامور
 المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر) واقسدسرح بنا سائهم الفكر الى ما آل اليه الخيال
 من حيث العناية بالعلم فى هذا العصر ولا حول ولا قوة الا بالله واليه يرجع كل امر فلنكف عنان
 القلم ولا نقطع بعناية الدولة الخديوية اعزها الله من اصلاح الاحوال فى الحال والاستقبال حبل
 العثم ونرجع لما نحن بصدده من تاريخ ديار مصر فى سالف الدهر ونبتدئ به جريا على الغالب
 فنقول ان فى هذا الباب مقدمة وعدة فصول تستمل على جملة مطالب

مقدمة

فى بيان جغرافيسة ديار مصر الطبيعية و ذكر احوال نهر النيل

المبارك وما يعتر به من احوال الزيادة والنقص السنوية

مطلب - ما المراد بما يعبر عنه بمصر فى كل عصر - قال الجوهري فى الصحاح ما نصه المصر
 هى المدينة المعروفة تذكرو وتؤنث عن ابن السراج والمصر واحد الامصار والمصران الكوفة
 والبصرة والمصر ايضا الحد والحاجز بين الشيتين قال (الشاعر)
 وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا

واهل مصر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بمصورهاى بحدودها، الى آخر ما ذكره من المعانى اللغوية المعهودة في هذه المادة العربية

وقال الفيروز بادي في القاموس في ضمن عبارته ايضا مانصه والمصر بالكسر الحجازيين الشينين كالمصر والحديين الارضين ، الى أن قال « ومصر والمكان تمصيرا اجعلوه مصرا فتصر والمصر المدينة المعروفة سميت لمصرها ولانه بناها المصر بن نوح وقد تصرف وقد تذكر وجر مصار ومصارى جمع مصرى والمصران الكوفة والبصرة ويزيد ومصر محدث ، الى آخره وقال صاحب المصباح مانصه « مصر مدينة معروفة والمصر كل كورة يقسم فيها الفئى والصدقات قال ابن فارس وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف والتأنيث فتتبع والجمع امصار ، الى آخر ما أوضحه ومن ثم يفهم ان لفظ المصر وان كان في الاصل علما جامدا مر تبجلا لاحد ابناء حام بن نوح عليه السلام لكثرة في أصل اللغة العربية صار من جملة مدلولاته اللغوية وهو الحجازيين الشينين والحديين الارضين وان من اطلاقه اللغوية ايضا المدينة المعروفة وهو في هذه الحالة معرفة تامة من جملة الاعلام الخاصة وحينئذ يجوز فيه التأنيث على اراة البقعة او البلدة فيمنع من الصرف للعلمية والتأنيث ويجوز ثنونه بناء على القاعدة النحوية المعلومة ان يكونه ساكن بالوسط كهنداسم امرأة مخصوصة ويجوز فيه التذكير على ارادته بالبلد او المكان فيجربى مجراه وقد يطلق على القطر بتمامه كما أسلفناه وقد يكون نكرة عامة يطلق على كل مدينة عامرة وفي هذه الصورة الاخيرة يذكر ويؤنث ايضا ويجمع على امصار وفي عبارة بعضهم ان المصر هي كل بلدة اجتمع فيها حكم شرعى وسياسى اى قاض ووال وحينئذ تكون مثل بنها العسل وطن سدنا ودمنور ومنية ابن خصيب واسيوط وقنا واسنا وما اشبهها من مقر كل مديرية فضلا عن مثل القاهرة ودمياط ورشيد والاسكندرية من المدن المحكومة بما يعه عنه بدواين المحافظات يصدق عليها اسم الامصار وهكذا الحال في سائر الاقطار وفي هذه الصورة ايضا اشتق منه فعل متصرف يقال مصر البلدة تمصيرا فتصرت اى صارت مصرا كما يقال مذبنا مذبنا فتصدت بمعناه فاللفظان مترادفان وعلى كل من الحالتين يجوز ان يدخل على لفظ المصر اداة التعريف كما يجوز فيه التذكير والتأنيث والتصريف وعدم التصريف كما يفهم من ضرب عبارتى القاموس والصباح خلافا لصاحب المصباح حيث خص جواز التأنيث والتذكير مع هذا الجواز الاخير بحالة التنكير كما يفهم من نص عبارته الذى هو بأعلا مسطور

ومن الحالة الاولى ورد قوله تعالى « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » وقوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوا القوم كما بمصر يوتا » وعلى الحالتين المذكورتين ورد قوله تعالى « اهبطوا مصرا » بالتنوين فى القراءة المشهورة وورد ايضا فيما يعرف « اهبطوا مصرا » بدون ان يصرف قال المولى ابوالسعود رحمه الله فى نفسه هذه الآية البشرفة سائنه « والمصر البلد العظيم وأصله

الجد بين الشيشين وقيل ار يده العلم وانما صرف لسكون وسطه أوبتأو يله بالبلد دون المدينة
ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضى الله عنه غير ممنون وقيل اصله مصر ائيم فعرب ه اه
وقد تحصل لنا ما ذكر اعلاه ان لفظ المصر له طالتان تشتملان على ثلاث اطلاقات الحالة الاولى
أن يكون منكر ا يطلق على كل مدينة من سائر الاقطار اجتمع فيها بعض شروط على حسب
اختلاف الاقوال في ذلك وانها حينئذ تجتمع على أمصار واشتق منها فعل يتصرف كسائر الافعال
معنى التمدن والاستحضار

الثانية أن يكون معر فاوله في هذه الحالة اطلاقا ن احدها أن يكون علما على كرسى ملكة
قطر مصر في كل عصر وحينئذ فكل من مدينة منفيس أو منف (مائة رهينة) وطيبة الصعيد
(مدينة أبو) وكذلك الفسطاط (مصر القديمة) والقاهرة المعزية كلها يطلق عليها اسم مصر
بطريق العلمية الثانية أنه قد يطلق على سائر القطر المتدمن أعلى الصعيد يعنى من ههنا مدينة
اسوان الى غاية البحر المتوسط الابيض أو بحر سفيد

ومصر بهذا المعنى الإخيري تسمى ايضا في اللغة اليونانية واللاتينية باسم ايجيبتوس (بجيم فارسية
بعدها ياء ثنائية تحتية ثم ياء فارسية بعدها تاء ثنائية فوقية ينتهى بين مهملة في آخره كأكثر
الاسماء اليونانية) وهو المرخم بلفظ (ايجيبت) في اللغة الفرانساوية والمغرب بلفظ القبط في اللغة
العربية وحينئذ فلفظ القبط كما يطلق على ذات القطر يطلق كذلك كما لا يخفى على هذه الطائفة
النصرانية التي هي بقايا اقدماء اهل مصر وجمعها قباط كما يجمع لفظ العرب على اعراب والترك على
أتراك وهكذا

وتسمى مصر ايضا في اللغة القبطية اى المصرية القديمة باسم (كيمي اوالكيمي اى الخامسة بمعنى
أرض حام بن نوح عليه السلام)

ويعبر عنها في التوراة بالعبرانية باسم مصر ائيم (بيائين تحتيتين اولاهما مهموزة) كما سلف تعريف
ذلك ومصر بهذا الاطلاق الاخير (قال المؤرخ فرانسيس لوتورمان في مختصر تاريخه الصغير) هي
هذا القطر المستطيل من الجنوب (المعبر عنه على لسان اهل البلاد القبلى) الى الشمال (المعبر عنه
عندهم بالبحرى) وهو الكائن في الزاوية الشمالية الشرقية من قسم افريقية او كما كان السلف
الاقدمون يقولون من بلاد الليبية (وعى برقة وما يليها من الاقطار المغربية) وذلك حيث تمتص افريقية
ببلاد آسية بواسطة برزخ السويس ووجه مصر من جهة الشمال هو البحر الابيض المتوسط او بحر سفيد
ومن جهة الشرق برزخ السويس والبحر الاحمر او بحر القلزم ومن جهة الجنوب بلاد النوبة حيث
يخترقها النيل قبل أن يدخل مصر من عند جنادل اسوان (المسماة أيضا بشلالات اسوان)
وحدها من جهة الغرب صحارى يوجد فيها بعض الواحات أى أراضى خصبة ينبوع فيها بعض
عيون من الماء فتزرع ارضها ويسكنها الناس وهى المسماة بسلسلة الجبال الليبية أو البرقية
وتتم في جهة الجنوب الغربى الى قريب من البحر الابيض كما ان الجبال الشرقية المسماة بسلسلة
الجبال

الجبال العربية تمتد الى سواحل البحر الاحمر وتمتد تلك الصحارى ايضا الى امد بعيد في داخل ذات بلاد مصر وكل ما كان من دياره مصر لم يصل اليه الري بزيادة نهر النيل السنوية فهو غير قابل لسكنى الناس فيه لكونه لا يخرج به اثمار من حبوب ولا خضراوات ولا اشجار ولا اعشاب مطلقا ولا يوجد فيه ماء غير بعض آبار على مسافات متباعدة بعضها عن بعض في تلك القفار وبعض تلك الآبار اقل عرضة من بعض لان يفيض ماؤها في درجة من الجو هي على الدوام متقدمة النار وفي صعيد مصر اى في الجهة الجنوبية (الوجه القبلى) منها ترى المطر حادثة نادرة جدا وجميع ارض مصر عبارة عن رمال او صحور ما عدا ارض وادى النيل وهو وادى لغاية نزع النهر فيه الى عدة فروع اعنى في مسافة أكثر من ثلاثة ارباع طول الديار المصرية لا ينيف متوسط عرضه على أربعة فراسخ وخمسة وفي بعض المواضع منها هودون هذا القدر بكثير كما ذكره المؤلف رويو

ولقد أصاب المؤرخ اليونانى المعروف باسم هيرودوت حيث قال ان ديار مصر كلها انما هي هبة من هبات النيل اه وذلك انه لو انعدم النيل من ارض مصر لكانت كلها اجراء جديبة وأرضا غير خصبة لاما فيها ولا زرع ولا نبات بها ولا ضرع ولو انحرف مجرى النيل من الجهة العلوية لانعدمت الديار المصرية بالكلية وكانت قد خطرت هذه الفكرة بخاطر أحد سلاطين بلاد الحبشة السابقين في القرن الثالث عشر من التاريخ المسيحي ثم لرجل برتغالى يقال له الفونس دالبوكيرك كان عاملا لدولة البرتغال (احدى الممالك بأوروبا) على ما كانت قد استولت عليه مدة حقبة من الزمن ببلاد الهند الشرقية في القرن الرابع عشر وأراد كل منهما أن يصرف نهر النيل عن طبيعى مجراه بأن يسده من اعلاه ويوجه مصبه الى جهة البحر الاحمر فلم يتهيأ له تحقيق ما عناه وفي الواقع ونفس الامر ترى نهر النيل فيه خاصية ظاهرة دون غيره من الانهار وهى كونه في جميع الجزء الاسفل من مجراه لا يأتية مادة أخرى تنضم اليه وانه بخلاف سائر الانهار يعترىه النقصان كما نزل الى أدناه بدلا عن أن يزداد كما اسفل لداعى كونه يفرغ مائه في الترع والخجان المعدة لرى الاراضى ولا يصب فيه ما يجبر هذا النقصان (اه معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

وعبارة المؤرخ ويكتور دوردى في تاريخه القديم عند الكلام على ديار مصر لا بأس بايرادها هنا أيضا وهى هذه قال المؤرخ المذكور في هذا الشأن ما تعريبه ان ديار مصر عبارة عن واد تبلغ مساحته ٨٨٠ كيلومتر اطولا (والكيلومتر عبارة عن الف متر والمتر ذراع وثلاث ذراع بالذراع المصرى المعمارى المعتاد) وهو منحصر من جهة الجنوب بين سلسلتين جبليتين صوانيتين لا يبلغ عرض ما بين سفحهما ومجرى النهر غير بعض مئين من الامتار ثم تتباعدان شيئا فشيئا حتى تسكادان أن تزولا بالكلية كلما نزل النهر الى جهة الشمال وتنتهى ديار مصر

من هذه الجهة ببحر سفيد واما حدها من جهة الجنوب فقد كان غير ثابت ولا شك في انه انما تعينت حدودها على وجه القطع من هذه الجهة بجنادل أسوان من بعد حروب طويلة حصلت بين المراعنة المتقدمين وملوك بلاد الايتيوبية (ملوك الحبشة السالفين) وذلك انه يوجد في ذلك الموضع من النهر بعض مخور تطل مجراه كأنها حد فاصل للسفر فيه (وهي المعبر عنها بجنادل أسوان أو شلالات أسوان) ويمتد على مينة هذا الوادي ويمسرتة صحارى جديدة متكونة من رمال غير ثابتة تحركها الرياح كأنها بحر من البحار وكثيرا ما يحصل الغرق على هذا الاوقيانوس من البرارى وذلك ان تلك الرمال في أغلب الاحوال قد تنقلها الرياح فتجتمع عندما يعاينها من بعض الصخور والجبال فتبتلع قوافل من السيارة كاملة مما عها من الاجمال والجمال ودائما يخشى من هذا الامر على وجود ارض مصر قال المؤرخ اليوناني المشهور باسم هيرودوت مامعناه ان ارض مصر هي هبة من هبات النيل ومعنى ذلك كما يظهر هو ان بحر سفيد قد كان في سالف الزمان داخل الى امد بعيد في هذا الوادي المديد ثم صار النيل على توالي الاعصار يأتي من اعلى الاقطار بما يجرمه معه من المواد الراسبة الكثيرة (وهي المعبر عنها بالطمى) حتى ارتفعت الارض التي ياقبها عليهم او يدعها فيها بالدرجة شينا فشيئا الى ان انسد البوغاز (بمعنى الجزء من البحر الداخل في البر كما هو معلوم من التعريفات الاصطلاحية المستعملة عند علماء الجغرافية) الذي كان متمكونا من البحر الابيض المتوسط في موضع ما يدعى من ارض مصر عند اليونان باسم (الدلتة) من ذلك المكان وقد صار ارضا جافة تزرع بعد ان كان بحرا فيا بالسفن يقلع ولفظ الدلتة هذا عبارة عن الجزء الاسفل من وادي مصر من عند اقتراق النهر الى فرعين (المسمى على اسان أهل مصر ببطن البقرة أو فم البحر) الى سواحل بحر سفيد سمي بذلك لكون هذه القطعة الارضية من الديار المصرية مقفلة من جهة الشمال بالبحر الملح محاطة من جهتي الشرق والغرب بفرعي النيل الاصليين على وجه بحيث يتكون منها شكل على هيئة أحد حروف الهجاء اليونانية المسمى باسم الدلتة وبعبارة أخرى أحسن من هذه انما سميت تلك القطعة بهذه اللفظة لكونها يتصور منها شكل مثلث قاعدته بحر سفيد ورأسه مفرق نهر النيل الى الفرعين الاصليين (انتمت عبارة المؤرخ ويكتور دوروى) وانما اوردناها هنا في هذا المكان مع عبارة المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشتمالها على فوائد زائدة عنها وان كان فيها تكرار لبعض المعاني المفهومة منها وشكل حرف الدلتة هذا قريب من شكل حرف الدال من حروف الهجاء العربية وذلك ما كان يسمى في عهد الحكومة الخديوية السابقة بهذا العصر باسم مديرية روضة البحرين وهو مجموع مديرتي المنوفية والغربية (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب الكلام على نهر النيل وصفة هذا الوادي الجليل — قال مؤلف الاصل مامعناه ان وادي النيل يكاد ان يكون في جميع الامكنة من طولها منخضرا بين سلسلتين من الجبال

تسمى احدها وهي الشرقية بسلسلة الجبال العربية والثانية وهي الغربية بسلسلة الجبال الليبية (أو البرقية أي جبال برقة وما والاها من سلسلة الجبال المغربية) وهاتان السلسلتان الجبليتان تتقاربان في بعض الاماكن جدا احدهما من الاخرى ولا سيما في جهة الجنوب من هذا الوادي حتى يتكوّن منهما ما يسمى (في الاصطلاحات العسكرية بالمضيق أو الدربند الحقيقي) ومع ذلك فانك ترى الاقليم المعروف من ديار مصر باسم الفيوم الكائن على غربى النيل في جملة الاقاليم المصرية الوسطى فوق المكان الذى كانت مدينة منفيس أو منف كائنة فيه يروى بواسطة خليجان تخرج من النيل بواسطة بحيرة هناك مصطنعة ولذلك ترى ديار مصر وان كانت من عند شلالات أسوان لغاية ذلك المكان ليست الاعبارة عن واد كنز يأخذ عرضها عند هذا الاقليم في بعض اتساع عظيم ثم اذا بلغ الوادى الى مادون مدينة القاهرة التي هي كرسى دولة مصر الآن) وهي كائنة على القرب من اطلال مدينة منفيس كرسى دولة الفراعنة فى سالف الزمان) ترى النيل يتفرع الى فرعين أحدهما وهو فرع رشيد يتوجه الى جهة الشمال الغربى والثانى وهو فرع دمياط الى جهة الشمال ثم ينحرف الى جهة الشمال الشرقى وقد كان السلف من الامم الاقدمين يعرفون للنيل خمسة فروع أخرى غير هذين الفرعين الاصليين ارتدمت الآن أو صارت غير صالحة للسفر بالسف فيها وترى عدة ترع وخليجان ثانوية تتخترق داخل ديار مصر السفلى أو الوجه البحرى من ديار المصرية

ثم ان النيل يتكوّن منه على القرب من البحر الملح عدة بحيرات أو برك كبيرة مقلبة من جهة البحر ببرزخ من البرمة كونه من طين أورمـل متصلة ببحر سفيد بواسطة فرجات والبحيرات الاصلية منها ثلاث احداها بحيرة المنزلة في جهة الشرق من الجهات البحرية الثانية بحيرة البرلس فى وسط السواحل المصرية الثالثة بحيرة مريوط وهي المسماة فى سالف الدهر باسم بحيرة مريوطيس فى جهة الغرب من سواحل مصر على القرب من مدينة الاسكندرية الشهيرة التي أنشأها الاسكندر الاكبر فى المكان الذى قد كان به القرية القديمة المسماة باسم راكوتيس وقد كانت تلك الجهة معمورة فى سالف العصر وتسمى المسافسة المنحصرة فيما بين ابعده فروع النيل باسم الداته (أو حرف الدال) لذاعى موافقة شكلها الذى يكاد ان يكون شكلا مثلثيا الشكل الحرف المسمى بهذا الاسم من حروف ألف باليونانية اذا كتبت بقلم الثلث (قال مؤلف الاصل اه هذا القول منقولاً من كتاب المؤلف رويو)

مطلب زيادة نهر النيل الدورية — قال مؤلف الاصل وفى كل سنة فى وقت الانقلاب الصيفى اعنى عند او اخر شهر يونية الا فرنجى أو حيزران الرومى (أى عند منتصف شهر يونيو القبضى) يأخذ النيل فى الزيادة وفى مدة يسيرة تبلغ مياهه الى حد ضئيل ثم تفيض عنها فتطفو وتنتشر فجأة فى سائر الوادى لكونه على وجه العموم هو أسفل من ضفتى النيل وقد توصل أيضا

بواسطة أعمال الري الصناعية انشخرخيرات النيل على أرض الديار المصرية الى أكثر من حدود زيادته الاصلية ثم في اواخر شهر سبطم - برالافرنجى أرايلول الرومى (منتصف شهر توت القبطى) تبلغ مياهه الى أعلى درجة من الزيادة وتمكث على هذه الحالة مدة أيام قلائل ثم تأخذ في التناقص شيئاً فشيئاً حتى اذا جاء شهر دسم - برالافرنجى أو كانون الاول الرومى (أواخر هاتور القبطى) رجع النيل لحالته الاصلية وعاد مجراه لدرجة ارتفاعه الاولية وأخذ أهالى مصر في بذر الارض (المعبر عنه عندهم بالتخضير) واستمر واصل هذا العمل كلما تنازل النيل وسفل وينضج الزرع عندهم فيحصل في شهر مارس الافرنجى أو شهر اذار الرومى (برمهات القبطى) وان أعمال الحراثة عندهم لسهولة كثيراً حيث كانت أرض مصر خصبة مستعدة للزرع استعداداً كبيراً وفي مدة فيضان النيل ترى الناس منحصرين في المدن والقري حيث كانت كائنة على ربوات من الارض إما طبيعية أو صناعية قائمة في وسط المياه كأنها جزائر في وسط بحيرة أو بركة من الماء متسعة ينتظرون مع غاية القلق والضجر متى يعرفون الى كم تبلغ درجة فيضان النيل في العام اذ بذلك يتعلق أمر كثرة الحصاد وقتها وهو عندهم ميزان السخاء والرشاء أو القحط والغلاء (قال مؤلف الاصل انتهى هذا القول منقولاً من كتاب رويوشم قال بعد ذلك ما معناه) وهذا الأمر العجيب القائم بنهر يخرج من طبيعى مجراه في أوقات معلومة ليروى الارض ثم يعود الى حالته الاصلية قد كان استغربه الامم الاقدمون لكونهم لم يكونوا يعلمون ان جميع الانهار التي منابعها بالمنطقة الحارة هي بهذه المذابة فتوجهت أفكارهم وتنوعت أنظارهم في تأويل هذه الحادثة الى عدة حدسيات غريبة وتوهوا في هذه المادة بجملة أوهاام عجيبة من أراد أن يطلع عليهم اقليقراً تاريخى المؤرخ هيرودوت داليكارناس المؤرخ اليونانى وديودور الصقلى السالفي الذكر والقول الصحيح في سبب زيادة النيل انها وكثرة نزول الامطار الدورية التي تنزل في أعلى بلاد الحبشة حيث ينزل النيل منها وينقل فيضانه هذا عن الاغبر (اه معرباً من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

وعبارة المؤرخ ويكتور وروى في هذا المطلب لا بأس بإيرادها هنا أيضاً لاشتمالها على زيادة توضيح وهي هذه كما هو معرب قوله الصريح

ان نهر النيل كل عام عند حلول الانقلاب الصيفي في يوم يكاد أن يكون معيناً فيما بين ٢٠ شهر يونيه لغاية أول شهر يوليه (١٤ الى ٢٥ بؤنه) يزداد بالتدريج شيئاً فشيئاً مدة مائة يوم ثم يطفو على ضفتيه في الاقاليم الوسطى وفي القطعة المعبر عنها من الديار المصرية باسم الدلتة وينتشر في سائر البلاد الى آخر شهر سبطم (أواخر شهر توت) فيسرى منه في أراضي مصر كية من الماء باجتماعها مع الانداء التي تتساقط عليهم بالليل تكفي لغذاء النباتات فيها ثم في أوائل شهر اقطوبر الافرنجى أو تشرين الاول الرومى (أواخر شهر توت القبطى) يأخذ في التناقص حتى اذا

حل الانقلاب الشتوى يعود الى مجراه الاصلى و يترك على الاراضى التى رواها راسب باد سماً خفيفا يكون للارض بمنزلة العماد (أو الدبال بالدال المهملة كلاهما بمعنى ما يعبر عنه عند العوام بالسباخ وذلك هو المعبر عنه باسم الطمى على لسان أهل البلاد) ولا يزال النيل يتناقص لغاية آخر شهـرمائس أو ما يه الا فرنجى أو ايار الرومى (او اخر بشنش القبضى) ولا بد من ان الزيادة تبلغ من ٧ الى ٨ أمتار ونصف متر حتى تعلو المياه على جميع سطح الارض الصالحة للزراعة فتأتى المزارع بالحصى بدة الوافرة فان وقفت الزيادة دون ذلك المقدار لزم الاقتصار فى زراعة الارض على ما لحقه الرى فقط وبتى ما عداه منها غير منزع (يعبر عنه بالارض البورا والشراقى) وان اناقت الزيادة على ثمانية أمتار كانت مضرة حيث كاذت المياه حية ثمذتر كد على الارض مدة مديدة فان كانت الزيادة فوق ثمانية أمتار ونصف كان الغلاء متحققة لان الارض تصير مستجيرة فلا يمكن زراعتها ويخشى على الديار المصرية حينئذ من وقوع الوباء فيها ولما كان النيل فى جهة الصعيد منحصر بين ضفتين عاليتين لزم ان يتدارك فيه أمر رى الاراضى الزراعية بالطريقة الصناعية وقد علم بالحساب ان ارتدام الطبقة الارضية العليا من وادى مصر الناشئ عن تراكم راسب مياه النيل المعروف بالدامى يقتضى ان يكون يقدر ١٢٦ ر . ميليمترا (أى مائة وستة وعشرين جزءا من الالف من المتر الواحد) فى كل قرن من الزمن

وهذه الحادثة وان كان قد تخيل للسلف من الامم المتقدمة انهم ان العجائب التى لم تعلم أسبابها صار لا وجه الاّن لاستغرابها فانهم ان المعارف الضرورية وليست انهر النيل بخصوصية حيث كانت جميع الانهار التى منابها فى الاقليم الحار يعترىها أحوال فيضان ينشأ على وجه الانتظام عن الامطار الدورية التى تسقط بتلك الاقطار الارضية وذلك ان جبال بلاد الحبشة التى ينزل منها النيل لما كانت موضوعة فى جنوب دائرة الانقلاب لزم ان ينزل عليها فى كل عام فى موسم رياح الجنوب الغربى أعنى فى موسم سقوط الامطار على تلك الاقطار مقادير جسيمة من الماء تنجر الى مجرى النيل فينقلها مع ما يتبعها من المواد التى تأتى معها من اعلى اراضيها الى اسفل وادى النيل ولولا ذلك الحال لسكانت ديار مصر تستر بها الرمال وكانت الصحارى تمتد بماهى عليه من حالة الجذب والقحولة الى حد البحر الاحمر بالسهولة وباليات شهرى ماذا كان يترتب على ذلك من المترقيات وما الذى كان يلزم عليه من جسيم المضرات لاشك اننا لو فرضنا ان ثنية من الارض منعت مجرى النيل من السير فى طريقه المعتاد الى جهة البحر الابيض المتوسط وصرفته الى جهة البحر الاحمر لزم عليه ان ديار مصر على الحالة التى نعرفها بها الاّن أعنى كونها أحد ما كثر تمدن العالم الدنيوى ومربط بلاد أور و بقية بلاد آسية وافريقية تنحس من خرطة بلاد الدنيا بالكلية وكانت بلاد اليونان لا يقيمسرها أن تستمد شيأ مما منها وكان الاسكندر لا يأتى اليها ولا يفتيحها ولما قيت بلاد افريقية أمة وحدها وبقعة من عزلة عن سائر بلاد الدنيا الى الابد وقام

مانع حصين وقاطع رصين لا يمكن تجاوزه بعد بين بلاد اوروبه وبلاد الهند حيث كان وادى النيل فيما بينهما والطريق الاعظم والمسلك الاقوم

مطلب - مصاب النيل (معر بامن مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى) (قال المؤرخ المذكور) لما كان النيل في الديار المصرية لا يسهل بمادة مائية تلتقي معه طبيعية وكان يخرج منه عدة ترع وخلقجان صناعية تتفرع عنه لقصدرى الاراضى منه لزم ان يتناقص كلما قرب من البحر وهو يمر عند وصوله الى ديار مصر ببعض قطع من الصخر توجد في مجراه وتظهر رؤسها منه على سطح الماء عند بلوغه لادنى درجة الارتفاع (المعبر عنها فى اصطلاح أهل البلاد بالتحاريق) وهذه الصخور هى ما يسمى بشلالات النيل او بجنادل النيل وكان لها شهرة كبيرة عند الامم الاقدمين ومع ذلك فلما كانت هذه الصخور قريبة من وجه الماء كانت غير مخوفة جدا وغاية ما هنالك انما تعطل السفر على النيل بعض التعطيل حيث يترتب عليها حصول بعض انحدارات مائية وتيارات نهريية ولكنها غير مائة للسفر فيه بالكلية ثم ان النيل يجرى من عند اسوان الى مدينة منفىس او منفى واحد حتى اذا بلغ الى قاعدة المثلث الذى يعرف باسم الديلته تفرع الى عدة فروع وذهب حتى يصب فى بحر سفيد بسبعة مصاب أصالية كانت تسمى فى سالف الزمان احدها بمصب قانوب او قانوبوس (بوقير الآن) والثانى بمصب البوليبية وهو المعروف الان بفرع دمياط والثالث بمصب سبنييت او سبنييتوس (بالسين المهملة فى اوله) وهى الآن سمود والرابع المصب الفاتمى او الفاتمى (بالميم او بالنون الموحدة الفرقية) وهو فرع رشيد والخامس مصب منديس أو الدية والسادس مصب مدينة تانيس (المسماة ام فرح اوسان الآن) والسابع مصب مدينة بيلوز (وهى المسماة فى سالف الزمان بمدينة اواريس وفى التوراة باسم لبنه (يضم اللام) والان باسم تينه (بالتاء المثناة الفوقية فى اوله) ولم يبق الان من فروع النيل التى ينصب بها فى بحر سفيد غير فرعى دمياط ورشيد وساعداهما صار الآن من قبيل الترعى والخلجان ولما كان النيل يطفو مائة فى اثناء جريانه على كلتا ضفتيه بدون مانع يمنع لزم ان الخطة الارضية المتشكلة بين فرعيه الاصيلين بشكل الدلته لا تمتد فى البحر الملح الا شيئا قليلا اعنى بنحو ثلاثة امتار اربعة فى كل عام حدا وسطا (قال المؤرخ ويكتور دوروى) وهذا بخلاف النهر المسمى باسم الپو (بالباء الفارسية بعدها واو فى آخره) وهو المسمى بنهر بادوس (ببلاد ايطاليا) فانه حيث كان منحصر بين جسرين كانت خطته الارضية المنحصرة بين فرعيه المسماة ايضا بالدلته ترتدم من قاع البحر بما يجبره مائة معه من الرمل والحصا بنحو ٢٥ مترا فى متوسط كل عام (اهم معريامن مختصر التاريخ القديم للمؤرخ المذكور)

مطلب - اختلاف مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول (وهو من الكتاب المذكور آنفا ايضا منقول)

يظهر لعين الناظر لهيئة غيطان الجهات البحرية من الديار المصرية ثلاثة مناظر أصلية تختلف بحسب اختلاف فصول السنة الزراعية فمن أول منتصف فصل الربيع من السنة العادية تجتمع الحصائد وتشال عن الأرض فلا يرى الناظر من مجموع أرض الديار المصرية في هذه الجهة البحرية حينئذ غير أرض زرقاء غبارية يتخللها شقوق عميقة جدا بحيث لا يتيسر للسائر فيها ان يمر بها الا بغاية المشقة فاذا حل وقت الاعتدال انزفت في ترى الأرض كأنها بساط ممتد من ماء أحمر ملح يبرز من باطنه رؤس نخيل وقرى وجسور ضيقة هي الطرق الموصلة بين القرى بعضها البعض ثم متى نزلت المياه عن الأرض لا يرى الناظر الى آخر الفصل غير أرض سوداء وحلوة ولا تظهر محاسن الطبيعة وخيرات البديعة الا في مدة فصل الشتاء بالديار المصرية حيث ترى حينئذ من طرارة الهواء وقوة النبات الحادث وكثرة الثمرات التي تملأ سطح الأرض ما يفوق كل جميل استغربه الرأى في أجل بلاد الدنيا من هذا القبيل وذلك انك ترى ديار مصر من الاول الى الآخر كأنها مرج جميل اوروض ازهار جليل او اوقيانوس زاخر ويشتهر بظهور هذا المنظر الخصب بما يشاهد من ضده خصوصا من الرمال والجبال المحيطة به حيث لا ترى منها غير مطلق القحولة والجدب وفي هذا الاقليم السعيد لا ترى الماء ينجم والثلج أمر مجهول لا يوجد والاشجار لا تكاد تسقط اوراقها الا ليخرج لها اوراق اخرى تستجد ولا ترى النبات في الأرض يتعطل عن العمل وترى الزراع فيها حيث لا يخيب منهم الا مل لا يرون جميع فصول السنة الا كأنها فصل واحد ينتج الكثير من المحصول لولا ان تغير احوال فيضان النيل يوجب الاقتصار على الزراعة في بعض الفصول ومن ثم يعلم ان اذا تم استبدال اعمال الري الطبيعية بأعمال صناعية لزم ان تعطى الاراضى المصرية حصيدتين الى ثلاث حصائد في كل سنة زراعية وينضم لما منح الله سبحانه وتعالى ديار مصر من المزايا الطبيعية ذكرى تمدن عتيق يصعد الى أقصى الازمان بسحر خصوصا نظوكل سياح ذى تبصر وعرفان وذلك ان بلاد صعيد مصر يكثر بها من آثار الامم الاقدمين وتذاكر الاقوام السالفين في الاعصار الغابرة ما يتخيل لناظره ان تلك البلاد هي في الحقيقة مسحورة وذلك هو ما يترآى حتى لاقل ذوى العقول تبصروا وأدناهم تدبروا وتفكروا فانه يرجد فيها نحو عشرين مدينة عميقة وكثير من الاساكن الغير المعمورة كلها تظهر لعين السياح وهو على الدوام لا يزال يتعجب منها انها اطلال قصور وهياكل قديمة وآثار بدائع من فن العمارة عظيمة لامن حيث عظم اجرامها الجسمية وهيئتها الدينية الكريمة فقط بل كذلك من حيث بساطة تركيبها وحسن هندسة ترتيبها وظرافة ما يوجد عليها من الصور والتماثيل الاشارية وكثرة ما هي مزينة به من أنواع الزينة التي تقف عندها الافكار وتنهل منها الابصار حيث كانت كلها الاتخاوعن دلالات معنوية ومعانى تاريخية قال المؤرخ وپكتور دوروى (ناقلا هذه العبارة الاتية عن نص العالم الفرانساوى المدعو باسـم دوروزپراندى كان متوظفا بوظيفة رئيس المهندسين في المعادن واحد اجزاء جماعية العباد

الفرانساوية الذين كانوا حضروا مع غزوة الفرنسيين لديار مصر في مبادئ هذا القرن الثالث عشر لقصد النظر في أحوال هذا القطر ما معناه بالعربية هو ومن ذلك مدينة طيبة سعيدة مصر فانها وان كانت قد توالى عليها الكثير من تقلبات الدهر وصارت الآن اطلالا خربة وتلا لاجسدية لم تزل تملأ من العجب والاستغراب قلب من أطلع على العجائب القديمة والغرائب العظيمة التي توجد بمدينة روميسة الكبرى (كرسى مملكة ايطالية) ومدينة آتينة العظمى (كرسى بلاد اليونان) ولقد وقف عند منظر مدينة طيبة هذه على حين فجأة منهم جميع عساكر الفرنسيين المنصورة صائحين كلهم من شدة العجب والاستغراب صيحة واحدة بالعجب العجيب وهذه المدينة التي اشتهرها الشاعر اليوناني المشهور باسم أوميروس في أشعاره وقد كانت في عصره اجمل مدينة في العالم الانساني لم تزل لغاية الآن بعد مدة أربعة وعشرين قرنا من تخريب الزمان اعجب مدينة تنظر واغرب حاضرة تذكر فان من تأمل لجسامة اطلالها ونظر لعظمة آثارها وتلاها وفخامة عمارتها وما يبق بعد مما لا يحيط به العدد من بقايا عظم سعتها تخيل له انه انما هو في عالم رؤى يامنامية وحالة توهيمية لاحقيقة علمية (٥١) معر بان مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروي

تنبه

مطلب صفة ديار مصر على حها هي عليه في هذا العصر يقتضى أن يتنبه هنا لكون بعض ما ذكره المؤرخ ويكتور دوروي وأبداه من أحوال النيل ومناظر الديار المصرية على حسب اختلاف السنة الزراعية في ضمن المطلبين المسطر بن اعلاه هو ليس بمحقق الآن ولا صادق في حيز الوجود والعيان وان ما ذكره من وصف النيل ومصر من التفصيل والبيان انما هو بحسب ما كان في سالف الزمان وأما الآن فقد تغير منظر البلاد بحسب ما حدث فيها في هذا العصر من الاصلاح والاستجداد بالنسبة لما كانت عليه في العهود السابقة من الاهمال والنساق وذلك ان ديار مصر منذ وليها المرحوم محمد علي باشا الكبير عليه سبحانه الرحمة والرضوان وهكذا بمدة ولاية بعض خلفه الامجاد لغاية الآن صار يترأى عليها في جميع فصول السنة على وجه العموم والاجمال والحق ينبغي أن يقال انها كأنها فردوس من الجنان أو كما قال فيه وتحقق قوله بعض المحقق تخيل الشاعر المفلح حيث قال

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هي الجنة العليا لمن يتفكر
فاولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ولقد صدق فيها كل الصدق قول الآخر
من شاهد الارض وأقطارها * والناس أنواعا واجناسا
ولا رأى مصر ولا أهلها * فلا رأى الدنيا ولا الناسا

ولذلك ترى افاضل الناس في سائر الاعصار من سائر الاقطار يهرعون اليها ليتفرجوا عليها ويقتبسوا منها المعارف والانوار دون سائر الامصار وبيان ما صارت اليه الآن ديار مصر من المنظر الحسن بطريق التفصيل والبيان وبدليل العيان الذي هو أقوى برهان انه لو وقف من ديار مصر على مكان عال ناظر ذوب صرمدية او مسافر في عربات سكة الحديد يقلب نظره ذات اليمين وذات الشمال كما انتقل من مكان الى آخر على حسب اقتضاء احوال التنقل والارتحال لظهر له من حسن منظر هذا القطر وظاهر ما آل اليه من اصلاح احوال الامكنة في هذا العصر بالنسبة لما كان عليه في سالف الازمنة من اختلاف المنظر بحسب اختلاف الفصول حسب ما هو آتفا منقول ما ينتج على فؤاده نتيجة عمل السحر ويهيج من قلبه نفحات الشعر حيث يرى (اولا) ان جميع جهات القطر صارت متقطعة بفروع شجرة من سكة الحديد أصلها في محطة مصر القاهرة وأغصانها متنوعة ظاهرة تمتد من نهايات الجهات السائرة الى أمد بعيد كأنها سدرة المنتهى المذكورة من القرآن الشريف في بعض الآيات ويرى القطاران المجرورة عليها تظهر للناظر على البعد كأنها هي ما ذكرها من عجيب الثمرات ويرى الناظر (ثانيا) منظر آخر يسر الناظر ويروق الخاطر وهو ان هذا النهر الاكرم يخترقها ويزين فروع سكة الحديد ما هو قائم عليها من جميع الاطراف من قوائم الخشب الحاملة لسلكها التلغراف منحصر الآن بين جسرين عظيمين يسكنانه عن الطغيان يسميان بجسرى العموم وجسرى البحر الاعظم (لا كما ذكر في الوصف السالف البيان وانما ذلك بحسب ما كان) ومبداء انشائها ما يصعد لمدة عهد المرحوم محمد علي باشا الكبير عليه سبحانه الرحمة والرضوان ولم تنزل العناية بالمحافظة عليهما في مدة الفيضان من الحكومات الخديوية الخالفة لغاية الآن ويتخللهما على النيل من الحافتين ويخرج منهما من الضفتين اقسام نحو مائة من كبير الترع والخجان منحصرة كذلك بين ما يطبق بها من متين الجسور والقناطر ومكين البنين شبيهة بنجران صالحة للسفر فيها بالسفن في كل زمان وكلها صناعية مستحثة في مدة عهد الدولة الخديوية العصرية بيد الانسان واكثرها يبلغ من الطول من خمسة عشر الى عشرين او ثلاثين فرسخا يفرع عنها مساق وترع اصغر منها كثيرة تروى سائر الجهات المتباعدة عن شواطئ النيل والترع والخجان الكثيرة الى حد يبلغ جدا بحيث يصعب حصرها عدا وان كان البصر المديد قد يحيط بهامدا وهي تأخذ ماء النيل المبارك في وقت الفيضان وتوزعه الى سائر النواحي والبلدان بحيث لا تبقى ناحية من فلول ديار مصر منه بحاله الحرمان وتسمى حينئذ بالترع والخجان النيلية ودمها ما يعبر عنه بالترع الصيفية وهي ما يبلغ قاعها الى استواء أدنى قاع مجرى النيل في وقت تحاريقه فلا يزال يجري فيها ماؤها في غير مدة الفيضان حتى يعود لعادة فيضانه فتسقى منها المزارع الصيفية أما بالراحة او بالآلة فن ذلك مثل الترع الصيفية المسماة بالشرقاوية والبوسوية والاسميلية المعروفة ايضا بالترعة الحلوة الموصلة ماء

النيل الى جهات الترع الماخلة الموصلة بين الحرين الابيض والاسود بجهة السويس وكذلك بحرم ويس والحظاظية والمحمودية الموصلة ماء النيل الى نواحي الاسكندرية ورياحات القناطر الخيرية بالجهات البحرية ولا سيما الترع الصيفية المستجدة باسم الابراهيمية في الاقاليم الوسطى ونواحي صعيد مصر وغير ذلك مما تغير به نظره هذه الديار في هذا العصر وصارت لا يصدق عليها اكثر ما قيل في وصفها في سالف الدهر حيث صارت جميع اراضي الوجه البحري وكثير من اراضي الوجه القبلي من القطر المصري الى ما يعبر عنه على لسان أهل البلاد في العادة في الجهات البحرية بالرواتب وفي جهاب الصعيد بالنباري بمعنى ما يستعمل من ماء النيل بالراحة والارادة في مقابلة ما كان يدعى بالملق بمعنى ما يهه ماء النيل الجاري بطبيعته ولا يمكن الحصول على زراعته بالمزارع النيلية والذي ينطبق عليها في الحقيقة من الوصف الصادق والقول المنحقق الآن هو كما يأتي بعد من وصفها بالتفصيل والبيان على قدر الامكان في كل موسم واوان وذلك ان السنة الزراعية بالديار المصرية تنقسم الى ثلاثة مواسم فصلية

الاول موسم الزراعات الصيفية.

الثاني موسم الزراعات البيلية

الثالث موسم الزراعات الشتوية

فاما مسطره المؤرخ ويكتوردوروي في شأن منظر الجهات البحرية من الديار المصرية في هذا الجزء من السنة الزراعية أى في موسم الزراعات الصيفية أعنى من أول منتصف فصل الربيع من الوصف البديع فهو كما وصف وتفنن في التعبير عما عليه وقف غير انه وصف شيئاً وغابت عنه أشياء وحكى ظاهر بارق حال تلك البلاد في ذلك الاوان من كونها احقرا فقرا كأنها صحرا حسبا كان ولكن فاته شنب ما حدث فيها في هذا الزمان من حسن المنظر بالاستجداد والاستحيا ولا بأس بان يقال له هنا على وجه التمثيل مع بعض تعبير في البيت وتبديل كما قال الشاعر الفصيح

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مخضر مليح

المير الرائي الآن ان منظر البلاد في مثل هذا الاوان بالوجه البحري من القطر المصري بل وفي الاقاليم الوسطى وبعض نواحي الصعيد قد تحوّل الى منظر حسن جديد بواسطة ما حدث الآن في منظر تلك البلدان من تقطع الارض البور بما يتخلل المنظر المذكور من أصناف الزراعات الصيفية المعهودة لاهل مصر من سالف العصر مع ما ابتدع او توسع فيه من أصناف الزراعات الصيفية الجديدة كالنيلة والارز وقصب السكر والتنبالك والاقطان حيث يمتلئ قلبه سرورا ويتفقأ به بحجة وحبورا اذا نظر لآلات الجنز المعبر عنها بالبواير قائمة بما اخنها الشاحنة

في وسط تلك القفار وعلى الجانبين من شواطئ النيل وسائر الترع والمخجان تشغل معامل السكر ودواليب حليج الاقطان وتسقى تلك المزارع الحضرًا مع السواقي المعروفة بالنواعير بدلا عن عمل الانسان مع حسن منظر القرى والنواحي والمدن محمفة بالبساتين والاشجار مصطفة في وسط تلك الصحرا بما فيها من التين والزيتون والنخيل والاعناب وغير ذلك من أنواع الاثمار

المير المسافر في خط سكة الحديد المتوجه الى جهة الصعيد من سعة الاراضي المترعة بالقصب السكري ما يقضى منه العجب الميمد نظره الراكب على عربانات خط سكة الحديد المتوجه الى جهة السويس فيرى تلك المدن والعمارات المصرية القائمة برؤس منارات مساجدها وقباب معابدها في وسط تلك الاراضي المتسعة المستحياة من تلك الجبال على الجانبين من التربة الاسعيلية المستجدة المعروفة بالتربة الحلوة وعلى ترعة برزخ السويس الحادثة المسماة بالتربة المملحة حيث يجد ان الارض الزراعية قد اغارت من تلك الجهات على الاراضي الرملية واستولت منها على مقدار وافرحج عن حالة الموات وصار ارضا منزرعة تسر الناظر وتروق الخاطر ولا يخجلو ان يلاقى نظر الناظر في خلال تلك المزارع الوسيعة والمناظر البديعة حقير منظر رجل فلاح ضئيل يعمل بالشادوف على بئر مصطنعة لسقى مقدار قليل من أرض له ضيقة منزرعة بالذرة البلدية او ببعض الاقطان (نحو نصف فدان) ولعمري ان هذا المنظر الحقير لا يلبث بان يقف عليه نظر الناظر البصير من تلك الوسايا المتسعة من حيث ما يدل عليه ذلك المنظر التقير من صبر الفلاح المصري على كد العمل وكونه بكل مشقة على مصلحة معاشه بتحميل

فاذا حل موسم الزراعات النيلية أعنى وقت الاعتدال الخريفي او اوان فيضان النيل صبح من وصف الواصف المسطر انفا ما قيل غير انه فاته انه بصيرورة أكثر الاراضي من قبيل الرواتب والنباري صارت تزرع أكثر تلك الاراضي الشبيهة بالقفار والبراري بالمزارع النيلية كالاصناف الحضارية والذرة المعروفة بالذرة الشامية وغيرها من المزارع المتنوعة البلدية وينضم اليها ما يبقى على الارض من المزارع الصيفية فيحدث من مجموع ذلك منظر جميل حيث تسقى المزارع من الآن بالراحة من ماء النيل فيستتر وجه الارض في ذلك الاوان في كثير من الجهات بما هو أشبه ببساط من سندس أخضر جليل

ثم اذا حل موسم الزراعات الشتوية وعمت عملية التحضير كان منظر وادي مصر في مثل هذا الاوان بهذا العصر ابهى وابهج وانور وازهى وازهر وأخضر مما هو في الوصف السالف مسطر يفوق خصوصاً في ذلك الاوان ما هو في كتب الادب العربية في جملة منتزهات الدنيا السبع قديداً كمن وصف غيضة دمشق الشام بلجنة عدن التي سبق عليها الكلام وكل ذلك بعناية الدولة الخديوية ورعاية الهمة الدائرية في هذه الحقبة العصرية

وبالجملة فاعلموا ايها الاخوان ان وطننا هذا بحسب موقعه الجغرافي الجليل الشأن وبعض ما نذكر

أيضاً من وصفه التعريفى أعنى كونه الوصلة بين بلاد آسية وأوروبة وأفريقية والطريق الاعظم الى بلاد الهند الشرقية ومخزن ميرة الحرمين الشريفين والجامع الآن خصوصاً بواسطة ما حدث من جدول برزخ السويس بين البحرين (الاحمر والابيض) هو اجل الاوطان وان بلدنا هذا هو افضل البلدان ولعل هذا هو معنى ما سارت به الركبان من القول بان مصر هي ام الدنيا ومصداق ما ورد فيها من الآيات القرآنية والروايات النبوية ذات السندات العليا كقوله صلى الله عليه وسلم «مضر اطيب الارض ترابا وعجمها اطيب العجم» وغير ذلك مما ذكره المقرئ وغيره فيما يعلم وان هذا البلد العظيم والمقام الكريم لا يحيط به الوصف ولا يسع المتكلم عليه غير أن يقف مثلاً بقول سيدى عمر بن الفارض الشاعر المصرى رحمه الله فيما نراه بقوله هذا وعناهُ
وعلى تفنن واصفيه يوصفه * يقنى الزمان وفيه مالم يوصف

مطلب - الكلام على ما ورد فى بعض التواريخ القديمة من ذكر دولة ميرويه (معرباً من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى)

قال المؤرخ المذكور طالمما قيل انه كان يوجد فى قديم الزمان على جنوب الديار المصرية فى القطر المسمى على وجه المجاز باسم جزيرة ميرويه أعنى فيما هو كائن من البلدان فيما بين نهر النيل والغدير المعروف عند السلف باسم الاستابوراس (وهو الغدير المسمى الآن فى بلاد الحبشة باسم ادبرة والتساجزة) دولة ايتيوبية قديمة ذات شوكة عظيمة كان منها على ما يقال قد قامت أقوام من أسلاف سكان بلاد الحبشة تحت قيادة بعض قسس معبود قدماء المصريين المسمى باسم اوزيريس وساروا على مجرى النيل الاسفل الى جهة الشمال حتى نزلوا بصعيد مصر واخذتوا مدينة طيبة الصعيد وانشأوا هناك معابد فى مدينة تيس (بكسر التاء المثناة من فوق مدينة مصرية عتيقة بصعيد مصر لم يوجد لها الآن أثر) وفى جزيرة ايليدنتين (المسماة عند العرب بجزيرة الساج وهى جزيرة اسوان) وجمعوا ما كان مفرقا هناك على شواطئ النيل من رعاة المواشى وحرث الارض واحدثوا منهم دولاً صغيرة ثم عمروا بالتدريج نواحي الاقاليم الوسطى من الديار المصرية ثم ما عرف باسم الدلتة من الجهات البحرية وهذا القول لا اصل له فلا ينبغي الالتفات اليه ولا التعويل عليه اذ لم يعثر لغاية الآن فيما يوجد بصعيد مصر من البلدان على آثار عمارات قديمة سابقة على عهد العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة من البنيان (انتهى كلام المؤرخ ويكتور دوروى فى هذا المقام)

والقول المعتمد الآن فى اصل عمارة ديار مصر فى سالف الزمان هو ما أتى به منقولاً عن المؤرخ فرانسيس لونورمان (رجمه للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب - تقسيم قديم تاريخ الديار المصرية الى ثلاثة أقسام أصلية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه القديم ما معناه اعلم ان تاريخ ديار مصر هو اقدم تاريخ علم له على حوادث تاريخية مؤرخة بالسنوات تذكر وانه يستعمل على أكثر مدة من القرون الصاعدة الى أقصى الدهر تحصر وقد عدّ قدماء المصريين لانفسهم في تلك المدة المديدة والاعصار العديدة احدى وثلاثين دولة او عائلة ملوكية تداولت الولاية بطريق التوالى واحدة بعد واحدة على بلادهم. وقد جرت عادة المؤرخين السلف ان يميزوهن بصفات تعدادهم على حسب ترتيب وجودهم فيقولون العائلة الملوكية الاولى والثانية والثالثة وهكذا الى آخرها ثم جاء المحققون من المؤرخين الخلف فأثبتوا للديار المصرية في تلك المدة الدهرية ثلاث مدد كبيرة او عهود تاريخية شهيرة بناء على ما تحقق عند العلماء الاوروبين المتأخرين من التحريات العلمية والنقصات التاريخية ورتبوا تلك العائلات الملوكية الى كثيرة والدول المصرية المذكورة الى ثلاث مراتب أصلية وهي ما يعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاسلاميين بدول الفراعنة السابقين وهي هذه

الاولى ما يعبر عنه بالدولة المصرية القديمة وهي عبارة عن ولى ديار مصر فى سالف العصر من ابتداء العائلة الملوكية المصرية الاولى لغاية العاشرة وذلك عبارة عما يشمل مدة من الزمن يمكن حصرها بوجه التقريب فيما بين سنة قنارلا الى سنة ٣٠٠٠ ق م

الثانية الدولة المصرية الوسطى وهي عبارة عن العائلات الملوكية المصرية من ابتداء العائلة الحادية عشرة لغاية السابعة عشرة ونشتمل على المدة الزمنية المنقضية من بعد نحو سنة ٣٠٠٠ قنارلا الى سنة ١٧٠٠ ق م

الثالثة الدولة المصرية الحديثة ومبدأها من العائلة الملوكية الثامنة عشرة أى من القرن السابع عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام لغاية العائلة الملوكية السادسة والعشرين اعنى سنة ٥٢٧ ق م

ولنتكلم على تاريخ مصر فى سالف العصر على هذا الترتيب حسبما سطره المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور فى مختصر تاريخه الصغير موزعا على عدة فصول فنقول

الفصل الاول

في الكلام على الدولة المصرية القديمة

مطلب ذكر أصل الامة المصرية ومنشأ عمارة ديار مصر في سالف المدة الدهرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشك ولا تردد الآن في ان اول السكان لمصر في سالف العصر هم من ولد حام بن نوح عليه السلام ومن ذرية ولده المسمى باسم مصر او مصرايم وانهم وفدوا الى الاقطار النيلية من بلاد آسية بطريق صحارى بلاد سورية وتوطنوا في وادى النيل الكريم وهذه حادثة تاريخية ثابتة من طريق العلم وواقعة محققة اكدت كل التأكيد ماورد عن موسى عليه السلام بنص التوراة من الذكر المفيد وأما ما كان يقال سابقا وكان مقبولا عند الجمهور من القول بان أصل الامة المصرية ينتسب الى نسل من الانسال الافريقية كان أول مركزه في مدينة ميرويه وانه نزل بالتدريج من أعلى صعيد شواطئ النيل الى حدسواحل بحر سفيد فهذا قول بعيد لا يسوغ ان يعتد به الآن بدليل ما ثبت بطريق العلم من البرهان وقضية ذلك اننا نعلم اليقين الآن بدليل قراءة ما وجد على العمارة المصرية القديمة من النص والبيان على ان أقدم مركز للتمدن بالديار المصرية قد كان في القطر الكائن حوالى مدينة منفيس اعنى في الاقاليم الوسطى والسفلى أى البحرية من الديار المصرية قبل ان يحصل للمدينة طيبة الصعيد مصر العليا التأسيس وانه يكمن ان نتبع أثر التمدن المصرى ناشئا بالتدريج فى سالف العصر من ثمة فصاعدا مع صعود وادى النيل فى اتجاه بلاد الايتيوبية بعكس ما كان قد توهم أولا فى بادئ الامر غير ان أخبار الاعصار الاولى التى كان قد أقام فيها بنو مصرايم على تلك الارض التى كانوا قد توطنوا عليها قد ضاعت فى بحر ظلمات الروايات الخرافية وانقطعت عنها بالكلية وصارت تاريخ الديار المصرية لا يعتمد على الامن حين ان قامت بهادولة وراثية وولاية سياسية محضة خالصة عن الولاية الدينية يظهر عليها ظهورا بينا اثر القوة العسكرية اعنى انها جاءت فاحدثت الولاية الملوكية بدلا عما كانت انديار المصرية محكومة به لغاية ذلك الحين من الولاية الالهية بمعنى نوع الولاية التى ولات الامم فيها معتبرون كأنهم يلون امر الرعية بطريق الوزارة والتفويض من لدن الحضرة الالهية (انتهى معر بامس تاريخ فرانسيس لونورمان الصغير)

مطلب ما ذكر فى كتب التواريخ القديمة للديار المصرية من الولاية عايمها بالدولة القيسية (معر بامس مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى) - قال المؤرخ المذكور اعلم ان تاريخ الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية يكاد أن يكون مجهولا لنا بالكلية وانما حكى القسس المصريون للمؤرخ اليونانى الشهير باسم هيروdotus ان الالهة المعبودين للمصريين كانوا قد حكموا هذا القطر فى سالف العصر مدة حقبة طويلة من الدهر يريدون بذلك ان خرقة

القسس كانوا قدماء مكثوا مدة طويلة من الدهر ويبدوهم مقاليد ولاية الامر على ديار مصر ثم احوجت ضرورة المدافعة عن تلك البلاد من غارات الاقوام الرحالة النزلة بالصحرى والجبال لاحداث الطبقة العسكرية وبعدها توالي عدة اجيال قام بعض الجنود فاجبر الطبقة القيسية على ان تقسم معها الولاية امرية العمومية وتعترف بصفة الملوكية لاحداث ثساء القوة العسكرية (اه) (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان كما كان)

مطلب أحداث الولاية الملوكية بالديار المصرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان المباشر لهذه الحادثة السياسية رجلا جنديا من قواد العساكر المصرية يدعى باسم مينيس اصل مولده بمدينة تينيس بالاقليم الوسطانية وهي التي دعيت فيما بعد من ذلك العهد بمدينة آيدوس (عذالهمزة في أوله) وقد كان هو الذي اختط مدينة منف أومنفيس واتخذها قاعة ملكه وكرسى سلطنته ولقد نص على اسمه سائر المؤرخين اليونانيين والرومان المعتمد على تأليفاتهم في تدريس علم التاريخ بالمدارس الاوروبية عند الكلام على ديار مصر في سالف العصر واكد ما ذكره عنه منطوق السندات الاصلية الاهلية حيث لم ينزل مينيس هذا يذكر فيها دائما بنت مؤسس السلطنة المصرية وبالجملة فلم نعترا غاية الان على اثر عمارة معاصرة لعهد هذا الملك الذي قد كان من ذريته ملوك العائلة الملوكية المصرية الاولى

مطلب ذكر العائلات الملوكية المصرية الاولى - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ثم جاءت العائلة الملوكية المصرية الثانية وكان أصلها كالأولى من مدينة تينيس المسد كورة آنفا ولا شك انها كانت من أفار بها حيث لم يميزها المؤرخون السالفون دائما عنها وكثيرا ما يخلطونها بها ولقد عثرنا على بعض عمارات اثرية معاصرة لعهد هذه العائلة الملوكية المصرية يشاهد عليها علامات البداوة الاولية والغشامة الاصلية وعدم ثبات طريقة الابنية العمارية مما يدل على ان الفنون الصناعية المصرية في عهد العائلة الملوكية الثانية كانت لم تنزل تبحث عن الطريق المستقيم وانها لم تكن قد بلغت بعد لغاية ذلك العهد لتتمام الاهتداء الى سواء السبيل اللهم الا بشئ قليل

وبعد انقراض هذه العائلة الملوكية الثانية كانت قد جاءت عائلة ملوكية ثالثة أصلها من مدينة منفيس وأخذت بزمام الولاية المصرية في تلك الحقبة العصرية ومن هذه العائلة الملوكية كان أول من خرح فيما يعرف من الفراعنة الفاتحين للملك الاجنبية من تلك الارض الفرعونية وذلك انه عثر في صخور جبل الطور على نقش بارز يشاهد فيه تمثال الملك المسمى باسم **استفرو** (بمهملة مكسورة في أوله يليها سين مهملة ساكنة فنون موحدة فوقية مماله على فاء موحدة فراء مهملة يليها واو في آخره) الذي هو الملك السلف لآخر ملك من ملوك العائلة الملوكية الثالثة

مصوراً على هيئة الزاجرة مثل عرب البوادي الكائنة بالشمال الغربي من بلاد العرب ولقد استدل بما حصل عليه العثور من العمارات المعاصرة للعهد المذكور على ان هيئة التمدن المصرى في ذلك العهد الدهرى كانت قد بلغت من درجات التمام وحسن الانتظام لمثل ما كانت قد صارت عليه في مدة اقماج ديار مصر بدولة الفرس والمقدونيين (أى اليونان أو الروم) غير انها كانت في ذلك العصر متكيفة بكيفية خصوصية وصفة شخصية قائمة بهامع جميع العلامات التى تدل على انها قديمة جداً متوغلة في حيز وجود سابق طويل من سالف الدهر وبيان ذلك ان سكان وادى النيل كانوا قد بلغوا في ذلك العصر لتأنيس سائر أنواع الحيوان النافعة لنوع الانسان بل وبعض أنواع حيوانية من ذوات الثدي لا تعرف لنا الآن الا بالحالة الوحشية فن ذلك أنهم كانوا يستخدمون البقر والطيور العوامت في مصالحهم منذ مدة مديدة وكان المقتنون منهم لتلك الحيوانات قد توصلوا الى ان تخصصوا من كل نوع من هذه الأنواع على أصناف عديدة وكانت اللغة المصرية قد تكونت تكوناً تاماً وتحصلت تخصصاً منتظماً بما هي عليه من الصفات الخاصة بها وتميزت عما سواها من سائر اللهجات المجانسة لها

مطلب عمر الاهرام الكبيرة وبيان تاريخ انشاء هذه العمارات الشهيرة - قال المؤرخ

فرانسيس لوفورمان فيما سطره بمختصر تاريخه القديم وانشاء ما معناه فلما جاءت العائلة المالوكية الرابعة وهى من مدينة منفيس أو منف كالثالثة استنارت تاريخ الديار المصرية وتكاثرت بها العمارات الاثرية وفي ذلك العصر كان انشاء الهرمين العظيمين اللذين انشأهما فى أرض مصر بجوار مدينة منفيس الملوك الثلاثة المصريون وهم الملك **كيوبس** (بامالة الكاف على ياء منبجاة تحتية فواو قباء فارسية بعدها سين مهملة فى آخره) والملك **كفرين** (بامالة الكاف على فاء موحدة) والملك **ميسير نيبوس** فأما **كيوبس** فقد كان ملكاً حروبياً كادل على ذلك ما عثر عليه بصخور جبل الطور من النقش البارز الذى فيه مسطور ما يشهر نصرات الملك المذكور على قبائل البدوان العربية حيث كانوا يناوشون نزائل العمال المصريين الذين كانوا متوطنين بذلك القطر من أرض مصر لقصد استخراج معادن النحاس التى كانوا يعملون عليها فى ذلك العصر والذى خلد ذكر هذا الملك على مر عدة قرون من الدهر انما هو الهرم الذى انشاء وشيد بنائه حيث تحقق بذلك ان يتخذ اسمه مادام يوجد على ظهر الدنيا نوع بشر وذلك ان مائة الف عامل كانوا يعملون كما يقال بطريق التبادل فى كل شهر على اعمال هذه العمارة الهائلة مدة ثلاثين سنة كاملة من العمر لقصد أن تكون له بمنزلة القبر ولقد صارت اعجب المصنوعات التى صنعتها يد الناس من العمل من حيث جسامتها لأقل وان ما يدل عليه بناء الاهرام من تقدم قدماء المصريين فى فن العمارات اعظم جداً ولم يكن قد فاقهم فيها أبداً حتى فى عصرنا هذا

حيث انه مع ما وصلت اليه العلوم من درجات التقديم لم ينزل يصعب حل مسألة كون المهندسين المعمارية من قدماء سكان الديار المصرية كيف توصلوا لأن يبنوا في مجسم عظيم كالاهرام بيوتا ودهاليز في باطنهم لم تزل على ما كانت عليه من كمال الحال الاصلى وحسن الانتظام الاولى ولم يعترورها أدنى خلل في أى مكان منها كان بعد نحو ستمائة قرناً من الزمان مع ما عليه مجسم تلك الاهرام من التحمل بثقل ملايين من الكيلوجرام (والكيلوجرام ألف جرام والجرام عبارة عن نحو ثلث درهم بالوزن المصرى) .

وبالجملة فان عصر العائلة الملوكية الرابعة هذه هو نقطة أوج تاريخ مصر في سالف الدهر والظاهر ان ما كانت قد بلغت اليه الديار المصرية في عهد ملوك هذه العائلة الملوكية من العظمة والثروة الداخلية كان أمراً عظيماً جداً كما يدل عليه عماراتهم العجيبة وتأسيساتهم الغربية وكانت حدود مملكتهم تمتد لغاية جنادل النيل غير ان قاعدة دولتهم كانت بمدينة منف أو منفيس ومركز حياة سلطنتهم باقيا حوالها الا غير

مطلب بيان كيفية تمدن ديار مصر في ذلك العصر - وقد كانت عمارات العائلة الملوكية الرابعة هذه التي مكثت حاكمها على الديار المصرية مدة ٢٤٨ سنة وعمارات العائلة الخامسة التي كانت كذلك منفيسية وقد أقامت مستولية على كرسى المملكة المصرية مدة ٢٥٨ سنة مع ما كانت عليه تلك العائلة الملوكية الرابعة من درجة التمدن المرتفعة عديدة جداً وذلك انه قد استكشف بناس العمال حول مدينة منفيس عدة قبور تحت الارض لجملة أناس من اعيان ذلك العصر كانوا من أرباب المناصب العالية في دولة ملوك هاتين العائلتين من فراعنة مصر وبها استدل على ان الجمعية البشرية المصرية في تلك الاعصار الغابرة جسد من الحقب الدهرية كانت متمسكة بكيفية بهيئة سيادية تامة وذلك ان القوة النفوذية أعنى ان ولايه أمر العامة بتلك البلاد كانت منحصرة بيد طبقة عسكرية قليلة للأفراد يذعن لها بتمام الطاعة والانقياد سائر الطبقات الاهلية من الامة المصرية وكانت تلك الطبقة الجندية على درجات قرابية بعيدة او قرابية كها تنتسب لاصل العائلة الملوكية الاصلية وكانت افراد هذه الهيئة السيادية بصفة كونهم ارباب اوسية عظيمة اعنى اصحاب املاك جسيمة يقطعهم السلطان اياها بشرط أن يكونوا تحت الامانة والطاعة له يتوارثون جميع المناصب العلية والوظائف السقية العسكرية والسياسية ويتعاقبون من الآباء الى الابناء على ولاية الاقاليم المصرية بل تغلبوا أيضاً على الوظائف القيسية واحتكروها لانفسهم كسائر الوظائف السيادية السالفة في مدة الاعصار الوثنية وذلك ان ما عثر عليه بالاستكشاف من قبور الملوك المنفيسيين والاعيان المصريين السالفين في مدة العائلة الملوكية الرابعة والخامسة انما يشاهد على جوانبها صور ومناظر من أطوار الحياة البشرية المنزلية والزراعية وبواسطة هذا التصور يسهل لنا أن نتقن على أسرار كيفية وجود الهيئة

السيادية التي كان عليها أعيان أهل مصر منذ ستمين قرناً من الدهر وتفرج على ما كانوا يتخذونه في جنالكهم وأملاكهم الأرضية من متسع الضياع والمواطن الزراعية ويعرف زراعتهم حيث يعد فيها رؤس المواشى بالآلاف وتوجد فيها الحيوانات ذوات القرون الفارغة والطير المسمى بالكركي والأوز من سائر الأصناف يقتنونه في منازلهم بالحالة التأنسية ويعتنونه على اختلاف الجنسية ونسأدهم ذاتهم في داخل مساكنهم الجميلة بمحاطين بغاية الاحترام والطاعة من أتباعهم بل يصح أن يقال من عبدهم ويعرف أنواع الأزهار التي كانوا يزرعونها في بساطينهم واطعمة المغنيات والراقصات وأنواع الملاهي التي كانوا يحوزونها في منازلهم لترويح أنفسهم ونراهم من أشد غواية الصيد والقنص وغير ذلك

مطلب ذكرنا في آخر الدولة المصرية القديمة - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان - وبانتهاء مدة العائلة الملوكية السادسة انتهت المدة التاريخية الحقيقية التي يطلق عليها اسم الدولة القديمة المصرية وذلك ان الديار المصرية بعد عهد العوائل الملوكية الخمس الأولى كان لها ان حالة السلم الداخلية كانت فيها قد بلغت الى درجة التمام وان حالة البلاد كانت في غاية الانتظام وان أرباب الوسايا البكار كانوا منضبطين تحت الطاعة والوفار والرعايا متحمسين لثقل الظلم والصغار وكذلك العمل الذي كان يجبرهم عليه كبروالة الامور المنشئين للالهرام حتى جاءت العائلة الملوكية السادسة فظهرت في عهدها وائل الفتن الاهلية والمحن الداخلية والظواهر ان مدة حكم الملوك الاولين من أعضاء هذه العائلة الملوكية قد كانت ساكنة وان البلاد كانت في عهدهم آمنة مطمئنة ومنهم الملك المسمى باسم فيو پيس (بفتح الفاء الموحدة في أوله بليها ياء مثناة تحتية فوار قباء فارسية فسين مهمل في آخره) حكم ديار مصر مدة قرن كامل من الدهر وهذه حادثة تاريخية فريدة لم يعهد لها نظيرة معهودة في تاريخ العالم بتمامه وقد كانت مدة حكمه هذه على ديار مصر لا تتخلو عن فخر اذ وقف له على آثار بعض عمارات نص فيها على انه غزا بعض غزوات وانتصر عدة نصرات على أقوام الزنوج المتوطنين بصعيد وادي النيل الاعلى وغيرهم من القبائل الرحالة النزالة الواردين من نواحي بلاد آسية - حيث كانوا يسعون بالفساد على ثغور البلاد من تلك الجهات غير انه قد كان في مدة عهد هذا الملك المديد ان قام رجل من ذوى البغي والطغيان يقال له اکتويس (بفتح الهمزة في أوله) ورفع لواء العصيان بمدينة هيرقا وبوليس أو هيرقلية الصغرى (مدينة مصرية قديمة كانت موضوعة على مسافة ٢٥ كيلومترا من شرقي مدينة تانيس وهي المسماة الآن باسم أهنا س المدينة) بنواحي الدلتا النيلية وعزل من بلاد السلطنة الفرعونية عدة أقاليم مصرية واتخذها لنفسه ملكة خصوصية وجاءت بعد الملك فيو پيس هذا الملكة المصرية المسماة باسم نيتو كريس (بكسر النون الموحدة في أوله) المعروفة في التواريخ بنعت (الجسنة ذات الجندود الوردية) وقد اطرى القسيسين ما ينتون المصري والمؤرخ

هيرودوت اليونانى ما كانت عليه هذه المملكة من درجة الحكمة والكمال وشدة الحسن والجمال فأرادت ان تجتهد في اطفاء نار العتنة والاختلال وكانت قد اشتعلت حتى وصلت الى كرسى المملكة الفرعونية الاصلية فلم تباع تلك الامنية بل أدركتها المنية في اثناء المباشرة لهذا العمل فهلكت وقد خاب منها الامل ومكثت الديار المصرية مدة تقرب من ثلاثة قرون دهرية وهى منقسمة الى مملكتين ومتوزعة بين دولتين متفرقتين احدهما مستولية على نواحي الدلتا المصرية والثانية على بلاد مجرى النيل الصعيدية وكانت العائلة الملوكية التاسعة والعاشرة من ترتيب المؤرخ مايتون المصرى حاكمة على الجهات البحرية والنامنة والحادية عشرة على الجهات القبلية

مطلب بيان انحطاط درجة التمدن المصرى في ذلك العهد العصرى قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان في مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان ما معناه ومن وقت ان افتتحت حادثة تعدى الرجل الباغى المسمى باسم اكتويس المذكور آنفا عهد الثمن الاهلية بالديار المصرية كان قد اعترى شمس التمدن المصرى في ذلك العهد العصرى على حين بغتة منه حادثة انكساف كلى من حوادث الزمان لا يعلم لها سبب بعد لغاية الآن وذلك انه انقضت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون دهرية ونحو لانرى للديار المصرية آثار عمارة أثرية مطلقا وكان ديار مصر في خلال ذلك العصر قد انحمت بالكلية من مراتب الامم والملل ولما انقضى من رقدة تقدمها هذا الاجل كأنه قام يستأنف السير في طريقه بالثانى بدون ان يقفوا اثره الماضى

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور وفي عبارة المؤلف ماريت المشهور (وهو ماريت بك ناظر الانتيقحانة المصرية الكائنة الآن على ميمنة نهر النيل ببولاق مصر المحمية اى ناظر مخزن الاثار القديمة الفرعونية وهو من لدن الحضرة الخديوية بالحفر والبحث عن المواد التى يحصل عليها العثرفى الاطلال القديمة المعروفة بالكفرية لغصد الاستدلال بها على الحقائق التاريخية العلمية مأمور) مانصه كما هو بعد مسطور

وهو ولعمري ان المنظر الذى يظهر من حال دياره مصر في عهد الدولة المصرية القديمة له وجود جردا بأن يقف عليه الناظر البصير وذلك انه بينما كان سائر جهات الارض المعمورة في الحقبة المذكورة منغمسين في ظلمات التوحش والبداءة وكان أشهر الملل والامم الذين صار لهم فيما بعد في المصالح الدنيوية من العناية والمدخلية المنصب الاعظم لم يزوالوا بعد متلبسين بالحالة الوحشية كانت سواحل نهر النيل تظهر اعين الرأى في منظر حسن جميل ومرأى زاهر جليل تغذى قوما من الناس في سالف تلك الحقب أولى حكمة وتمدن وأدب ودولة ذات شوكة قوية تعتمد على حسن ترتيب هائل من أرباب المناصب والعمال الدولية تحكم في نوازل الملة بالاسباب والادلة ومن أول وقت لحظنا فقه همة التمدن المصرية في سالف تلك الاعصار الدهرية ولو بلغت ما بلغت

من التوغل في الاعصار الماضية لم نزل نراها بجحالة كمال على وجه بحيث تكاد ان لا تحتاج لاكتساب فائدة جديدة من الاعصار التالية وان كانت أياما كانت عديدة بل ربما صح ان يقال ان تمدن ديار مصر من بعض الحيفيات اعترام التناقص والانحطام حيث صار لا يبنى في عصر من الاعصار من العمارات مثل الاهرام (انتهى معربا)

الفصل الثاني

في تاريخ الدولة المصرية المتوسطة

مطلب يقظة تمدن مصر في سالف ذلك العصر - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه في مختصر تاريخه الصغير مامعناه وفي وقت ان كانت الدولة المصرية القديمة قد ظهرت الى تلك الدرجة العظيمة من ذلك العهد لم تكن مدينة طيبة الصعيد توجد بعد والظاهر ان تلك المدينة التي كان المصريون يعتقدونها حراما لعبودهم المذعوب باسم آمون كان أول تأسيسها في مدة الاختلال والجزل التي اعترت الديار المصرية بعد العائلة الملوكية السادسة حسبما هو آنفا منقول وكانت هي أول مهد لتلك النشأة الثانية التي نتج عنها اشراق الملك والتمدن المصريين بالثاني وقد جرت عادة المؤرخين بالتعبير عن تلك المدة في اصطلاحهم بمدة الدولة المصرية المتوسطة وكأنها هي مدة القرون الوسطى بالنسبة لديار مصر العتيقة وان كانت سابقة على كل تاريخ يعهد في الحقيقة وقد كان من مدينة طيبة هذه منشأ الملوك الستة الذين قاتلوا عصية البغاة الخارجين على الدولة المصرية الاصلية مع غاية الهمة والنبات بالاقاليم البحرية وغيرهم بحسب التخمين من الغزاة المتعدين على الديار المصرية من ملوك البلاد الاجنبية وكانت عاقبة أمرهم ان استرجعوا دولة مصرهم لا يديهم بالثاني قال المؤرخ ماريت بك (في مختصر التاريخ القديم الذي ألفه للديار المصرية بأمر الحضرة الخديوية ما تعريب عبارته هكذا

ووفي العهد الذي تشاهد فيه الديار المصرية بعد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد استيقظت من طول رقدها كانت الروايات المأثورة فيها من قديم الزمان قد انزوت في زوايا النسيان وحدثت أمور أخرى جديدة فتبدلت أسماء الالهة التي كانت معتادة للمصريين في تسمية العائلات الالهية وتغيرت الالقاب والنوعت بالوظائف التي كانت تعطى لارباب المراتب المصرية وأصحاب المناصب الميرية وتغير كل شيء في مصر بذلك العصر حتى كيفية الكتابة الالهية وحقيقة الديانة المالية وزالت وظيفة قاعدة المملكة السلطانية عن كل من مدينتي تينيس وابليفتمين (جزيرة أسوان) ومنفيس وصارت مدينة طيبة من غير سابقة ذكر لها في المأثورات المصرية السابقة هي قاعدة السلطنة الفرعونية وكرسي الشوكة المصرية السلطانية غير ان دولة مصر في ذلك

العصر كانت قد زالت يدها عن كثير من أملاكها الارضية وصارت ملكة ملوكها الحقيقيين لا تمتد على غير مقدار يسير لا يتجاوز حدود القطر المعبر عنه بلفظ الطيبايد (أى البلاد الطيبية بمعنى الصعيد) ولقد أكد النظر في العمارات المصرية التي حصل الوقوف عليها في ذلك العهد للديار المصرية تلك المحفوظات العمومية كل التأكيذ وقضية ذلك ان تلك العمارات لم يرزل يتظاهر عليها اشارات النقشامة والقساوة ويتبادر منها علامات الغلظ والبدادة وبالاطلاع عليها يظن الناظر اليها ان الديار المصرية في عهد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد عادت تستأنف ما كانت قد تلذبت به من حالة الطفولية في عهد العائلة الثالثة الملوكية ،، (انتهى معربا من تاريخ مصر القديم للمؤرخ ماريت بك)

مطلب ذكر العائلة الملوكية المصرية الثانية عشره — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه

ثم جاءت بعد ذلك عائلة ملوكية أخرى هي بحسب الحدس والتخمين لهؤلاء الملوك الطيبيين الاولين في النسب من الاقربين وأصل منشأهم كاهن من مدينة طيبة الصعيد المذكورة وهي التي يعبر عنها في اصطلاح المؤرخين بالعائلة الملوكية الثانية عشره وسائر ملوك هذه الدولة المصرية كاهن يدعون أماباسم **اوزورتوزان** او باسم **آمونيه** وكانت قد أقامت على كرسى السلطنة مدة ٢١٣ سنة ولقد كان عصر هذه العائلة الملوكية على الديار المصرية من السعادة والرفاهية وحسن الانتظام والسلم في الامور الداخلية والهيبة الفرعونية لدى الممالك الاجنبية على وجه تام وذلك ان ملوك العائلة الحادية عشرة المصرية هذه كانوا قد استردوا ما كان بأيدي الدولة المصرية السالفة من بلاد الجزيرة العربية الشمالية الغربية وكانت قد امتدت من ايديهم في مدة الفتن الاهلية والمحن الداخلية التي كانت قد اعترت الديار المصرية في سالف الحقبة المصرية وادخلوا تحت الطاعة الفرعونية بالطريقة القطعية بلاد اخوبة مع جزء من بلاد الايتيوبية وانشأوا بعض عمارات اثرية عجيبة وابنية غربية تصاهى من حيثية الغرابة عمارات العائلة الملوكية الرابعة وان كان بعضها أعلى منها درجة من حيث كونها نافعة فمن ذلك المغارة المشهورة والبركتة المذكورة كل منهما باسم مغارة موريس وبركتة موريس (بنواحي الفيوم) حيث كان انشأها اثنين انعمارتين العجيبتين و بناء هذين الاثرين الغربيين في عهد ملوك هذه العائلة الملوكية على وجه بحيث يتخلد بهما منهم الذكر ويبقى لهم بهما الفخر فيما بعد على عمر الدهر

مطلب الكلام على بركتة موريس وأصل الباعث على أنشأ هذا الاثر النفيس — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في هذا الشأن ما تعريبه هكذا.

فأما بركة موريس فقد كانت معدودة عند الامم الاقدمين من عجائب ديار المصريين وكانت مع ذلك من انفع المصنوعات الاثرية الماثورة عن المملكة الفرعونية المصرية وبيان ذلك كما أوضحه المؤرخ ماريت بك في مختصر تاريخه القديم المذکور ونص عبارة (معربة) كما هو بعد مسطوره وانا في ذلك العصر قد كان نهر النيل بديار مصر اذا كانت زيادته الدورية غير كافية لرى الاراضى الزراعية بقى بعض الاراضى بدون رى وصار بالضرورة غير منزرع واذا خرج النيل عن مجراه الطبيعى بشدة طغيان قلع القناطر والجسور واصد الترغ والخجان وأغرق القرى والبلدان وأجذب الاراضى الزراعية بدلا عن ان يحصبها وكانت ديار مصر على عمال الدهر لا تزال مترددة بين آفتين هائلتين متخيرة بين ظامتين غائلتين فلما ولى ديار مصر الملك المسمى باسم امونته الثالث من ملوك العائلة الملوكية الثانية عشرة استيقظ لهذا المضرة فانشأ لتداركها عمارة جسيمة جدا وذلك انه يوجد في غربى الديار المصرية بسلسلة الجبال الليبية واحة متسعة من الارض الصالحة للزراعة وهى ما يدعى الآن بالفيوم تتصل بأرض الوادى الذى يرويه ماء النيل بما هو أشبه ببرزخ من الارض كما هو من المعلوم وكانت تلك الواحة ضائعة لا انتفاع بها فى وسط تلك الصحرا وفى وسط الواحة المذكورة هضبة متسعة تساوى درجة استواء سطحها درجة استواء سطح أرض وادى مصر المنزوعة على وجه العموم وعلى جهة الغرب منها منخفض عظيم من الارض يتكون منه واد توجد فيه بركة طبيعية تبلغ عشرة فراسخ طولاً وهى التى تسمى **بركة قارون** فى وسط الهضبة المذكورة شرع الملك امونته الثالث فى ان يحفر حفيرة أو بركة أخرى صناعية على نحو عشرة ملايين من الفراسخ المربعة فتم هذا العمل وصار النيل اذا جاءت زياتة غير كافية لرى الاراضى المصرية المنزرعة توجهت تلك البركة المصطنعة فسالت المياه المخزونة فيها ووقمت أرض النيوم وغيرها من أراضى الشاطئ الايسر من النيل لغاية ساحل بحر سفيد وان جاءت الزيادة فوق الحد المحدود وخشى على القناطر والجسور من هذا المحذور تركت مخازنها المتسعة مفتوحة حتى اذا طفأ الماء على شواطئها انصرف ما ينض من تلك البركة الصناعية بواسطة قنطرة الى بركة قارون الطبيعية (اه متقولا من تاريخ مصر القديم للمؤرخ ماريت بك)

مطلب ذكر ما عثر عليه من العمارات الاثرية المنسوبة الى هذه الحقبة الدهرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان - لامناقضة الآن فى ان عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة قد كان فى تاريخ الديار المصرية من أعظم الاعصار بل يصح ان يقال قولاً لا يخشى عليه من رد ولا اركان بأن تمدن الدولة الفرعونية فى تلك الحقبة الزمنية كان قد بلغ الى أعلى أوج الإفتخار وأتم درجته الانتشار والاعزاز غير ان غارة الملوك

المعروفين في تاريخ الديار المصرية بالملوك الرعاة الذين جاؤا من جهة بلاد آسية وتغلبوا على بلاد وادي النيل بعد ذلك بقليل كانوا كما يظهر قد وجهوا جل همهم وأعمالوا شدة فظاظتهم وغلظتهم نحو اتلاف كل ما يتقى به الملوك العائلة الثمانية عشرة هذه أدنى ذكر أو أثر فاقتفوا آثارهم وأخربوا ديارهم وأزالوا ما كان هؤلاء الملوك المصريون قد أنشأوه من الابنية العظيمة والعمارات الجسيمة حتى أنهم لم يبقوا لهم أثر عظيم مطلقا من مبدولا وغيره ومع ذلك فقد حصل العثور لحالة الصنائع والفنون المدرسية في العهد المذكور على مقدار كثير من النعوجات والعينات المفيدة في جملة أعمدة أثرية عديدة وجدت في قبور بعض الموتى من آحاد الناس ولم يزل يوجد منها العدد الكبير في ذات القبور الكائنة بالناسخية المشهورة بيني حسن من بلاد الصعيد المصرية وقد نقل منها شيء كثير إلى مخازن الاثنية مخازن الاوربية

وهذه المقابر العجيبة والملاحد العرابة هي مقابر بعض اناس من اعابن قدماء المصريين كانوا متقلدين بأعلى المناصب الميرية وأكبر المراتب العمومية في الدولة المصرية وكانوا يعيشون عين كيفية المعاش السيادة التي كان عليهم الامراء العظام والاعيان الكرام في عهد الدولة المصرية القديمة أعنى على الوجه الذي هو من ذلك العصر معهود من انهم كانوا يعيشون بمنزلة الاسياد وباقي الرعية لهم منزلة العبيد بل كانت حاله وجودهم الاجتماعية قد آتت بحسب الظن في هذا العهد من الزمن من أنواع الحكومات الدولية الى صورة الحكومة الاعيانية الوراثة التامة فن ذلك قبر رجل من ارباب الوظائف العامة يقال له آميني او آموني (بمذاهمزة في أوله ياء ميم مماله على ياء مثناة تحتية ساكنة او مضمومة يلبها واو ومدودة ثم نون موحدة بعد هاء ياء مثناة تحتية في آخره) وجد فيه ٤٠٠٠ من هذا القبيل مسطرا عليه بالقلم المصري القديم نص اثر طويل يحكى فيه مناقب حياته بنفسه قائلا « انه بوظيفة قائد عسكر غزا غزوة بلاد السودان ونيط اليه أمر خفر القوافل الحاملة لتلعادن الذهب المجلوبة من بلاد النوبة الى مدينة قبط (المسماة باسم قبطوس عند اليونان) واختصر قصة مدة حياته بوظيفة عامل اقليم من الاقاليم المصرية (المعبر عنها الآن بانظ المديرية) بقوله « وقد كانت جميع الاراضى الكائنة تحت ولايتي من الشمال الى الجنوب محروثة مغروسة ولم يسرق شيء من معاملنا ولم ازعج ما عشت طفلا صغيرا ولا أذيت أرملة قط بل أعطيت عطائي للأرملة والمتزوجة بالسوية ولا قدمت كبير اعلى صغيرا في جميع الاحكام التي صدرت عني » (انتهى نص كلامه معربا بعناه حسبما نقله المؤرخ مارييت بك في تاريخ مصر القديم ورواه)

مطلب - ما حصل في نظام الدولة المصرية المتوسطة من الاختلالات الاهلية والفن الداخلية

ثم بانقراض العائلة الملوكية الثانية عشرة عادت الفتن الاهلية والمحن الداخلية في الدولة المصرية بالثاني وذلك ان العائلة الملوكية الثالثة عشرة وعدة ملوكها استولوا على مدينتي طيبة وسائرهم الاقليات منهم يسمى أما باسم سيبخو وطيب أو باسم نيفرو وطيب (بامالة الطاء المهملة على ياء مثناة تحتية يليها ياء موحدة في آخره) هي وان كانت قد ابتدأت مدة ولايتها على كرسى الدولة الفرعونية بالاستيلاء على جميع أراضي الديار المصرية من غير منازع ولا شريك بالسكينة بل كانت قد امتدت حدود المملكة المصرية في تلك الحقبة العصرية من الجهة الجنوبية والشمالية بدليل ما عثر عليه مما هو من قبيل الصور الهائلة (المعروفة بابي الهول) المصورة فيها ملوك هذه العائلة الملوكية في المسكن السكائن فيه اطلال مدينة تأنيس (سان) باتسى جهة الشمال الشرقي من ديار مصر وفي جزيرة ارجو (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة) على القرب من دنقله غير انها بعد مدة يسيرة من ولايتها كانت قد قامت عليها في الجهات البحرية من الديار المصرية عائلة ملوكية باغية أصلها من مدينة اكسويس (بكسر الهمزة في أوله وهي الآن سخا) وهذه العائلة الملوكية الحادية هي المعدودة في ترتيب المؤرخ ما نيتون المصري باربعة عشرة

مطلب ذكر غارة الملوك الرعاة على الديار المصرية من القرن الحادي والعشرين فنازلا الى القرن السابع عشر ق م — وفي هذه المدة الدهرية كان قد اعترى الديار المصرية منسية هائلة وبليغة غائلة هي أعظم الصائب وأدوم النوائب المسجلة في مجلات تواريخها السنوية حيث جاءت فقطعت ثانياً مرة ما كان حاصلها على شواطئ النيل من سيرا تمدن الجبل ومحت ديار مصر من مراتب الملل والامم مدة حقبة من الدهر وبيان ذلك ان عدة من قبائل العرب والشام الرحالة النزلة وكان من أعظمهم شوكة وأقواهم عصبية الاقوام المسمون بالهيثيين من بني كنعان انتزروا الفرصة مما كان واقعا بين العائلة الملوكية الطيبية والاكسوية من العداوة والاختصاص وما ترتب على ذلك في تلك البلاد بالضرورة من اختلال النظام فجاءوا الى الديار المصرية وأغاروا عليها وأدخلوها تحت طاعتهم وهذا هو ما عبر عنه في اصطلاح اهل التاريخ الاور وباو بين بغارة الملوك الرعاة على الديار المصرية (ويقال له عند الما رخين الاسلاميين ملك العمالة على ديار مصر) وهو آخر مدة الدولة المصرية المتوسطة وقد كان من اخبار الملوك الرعاة المذكورين انهم بعد أن تمكنوا من ديار مصر أخذوا في أول الامر كما فعل التنابيلاد الصين في انهم وجهوا اجل همهم واعملوا كل فظاظتهم وغلظتهم نحو ائتلاف كل ما قابلهم من عمارات القوم السالفين ثم انتهى أمرهم بعد مدة يسيرة من السنين بان أذعنوا الى تمدن القوم المغلوبين وتخلوا وبالاخلاق المصرية وتعودوا بالعمارة البلدية الاهلية فاتخذوا لهم مثل العائلات الملوكية المتقدمة بيوت ملك منتظمة وكانت جهة الصعيد لم ينزل بها من القوم المصريين الاضليين من لم يطرأ عليه شائبة اختلاط الدم

الاجنبي فبقيت فيه العصبية الاهلية والشهامة الاصلية فقام منهم قوم على هؤلاء الاغراب يقر ملكتهم وخرجوا عن طاعتهم وانقسمت البلاد الى ملكتين وانتظم فيها امر دولتين مقيمتين احدهما في الجهة الجنوبية وهى مصرية مخضعة قام بها ملوك العائلتين الملو كيتين الطبييتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وكانت قاعدة ملكها مدينة طيبة والثانية بالجهة الشمالية بيد الملوك الرعاة وقاعدة ملكها مدينة تانيس (سان) المسماة ايضا مدينة اواريس وقد كان في مدة دولة احدا واخر هؤلاء الملوك الرعاة المسمى باسم ابوقيس ان حضر يوسف بن يعقوب الى الديار المصرية فصار له وزيراً وتوطنت عائلته يعقوب على الشواطئ النيلية ودليل ما ذكر اعلاه انه لم يثر لغاية الان للملوك الرعاة على آثار عمارات ولا بنيان اللهم بمدينة تانيس هذه التى كانوا قد اتخذوها قاعدة ملكتهم وجعلوها كرسى سلطنتهم ولقد اتضح بالاطلاع على الآثار المذكورة ان صناعتها كانت أجل وان العمل فيها كان ادق وأكمل من العمارات المأثورة عن العائلات الملوكية المعاصرة لها بالجهات القبلية وما ذلك الادعى ان المملكة التى كانت بيد نسل هؤلاء القوم البغاة كانت بالضرورة أغنى وأهنأ واثرى راسراً مما كان قد بقى بيد دولة الملوك المصرية الاصلية من بعض الافاليم الجنوبية التى كانت لم تزل تقاتل مع غاية المشقة والجهد لقصد خروجها عن طاعة الملوك الرعاة

ولقد يشاهد في تلك الآثار من صحيح الاخبار ان الملوك الرعاة المذكورين كانوا قد انتهى امرهم بأن صاروا فراعنة حقيقيين وتلقبوا بعين الاقارب التى كان يتلقب بها أعضاء العائلات الملوكية السابقين بل تدينوا ايضا بديانة أهل مصر وادرجوا بطريق القهر في ضمن معبوداتهم المصرية الملية وأصنامهم الاهلية ما كانوا يعبدونه في بلادهم الاصلية من الاله المسمى باسم (سيت) وانتهى امره بأن بقى مندرجاً في جملة معبوداتهم الاهلية بالطريقة القطعية الاعلى وجهه كونه في أول مرتبة الالهية كما أرادوا ان يجعلوه في أول الامر ولكن بدرجة ثانوية ولقد كانت اخلاقهم وعوائدهم هم وورعاياهم هى عين عوائد المصريين الاصليين مع بعض عوائد خصوصية قليلة كانوا قد حضر وابها من أقطار آسية التى هى اوطانهم الاصلية

مطلب انقاذ الديار المصرية من يد الملوك الرعاة — كانت ديار مصر قد مكثت مدة اربعمائة سنة من الدهر منقسمة بين القوم الاغراب البغاة المعروفين بالملوك الرعاة والملوك المصريين الاصليين من القوم الصعيديين بل كان هؤلاء القوم المذكورون في أكثر تلك المدة ليسوا بانفسهم مستبدين بل كانوا اتباعا لدولة القوم المتغلبين حتى جاء وقت أحس فيه القوم البلديون بانهم صاروا من اليأس والقوة على درجة بحيث يمكنهم ان يتخلصوا من ربة القوم الباغين الذين هم عليهم من بلاد آسية من الاغراب الطارين وكان قد قام على كرسى ملكة طيبة الصعيد بيت ملك جديد كان أربابه أولى شجاعة تامة ويأس شديد وأصحابه ذوى

حرب عنيد فكان أول من تقلد منهم بتاج المملكة الصعيدية الملك المنفى باسم **أموزيس** (بما همزة في أوله بعد هاء ميم فواو قرأى معجزة فياء، مثناة تحتية فسين مهملة في آخره) وكانت حادثة تقليده على المملكة قد اشتهرت بجرابه لقصد انقاذ الوطن يظهر انها وان كانت غير مستطيلة لكنها كانت حراً بشديدة وذلك ان الملك **أموزيس** هذا غلب الملوك الرعاة وظفر بهم واستولى بطريق العنوة على قاعدة ملكهم وادخل تحت طاعة سائر البلاد المصرية لغاية حدود أرض كنعان وانتقلت عليه القوم الرعاة الى ما وراء برزخ السويس وفروا الى بلاد آسية ورخص الملك **أموزيس** لمن بقي منهم في حيازة قطعة من الارض كان اسلافهم قد تغلبوا عليها ليزرعوها ويتعيشوا منها قال المؤرخ **ماريت** بك المذكور أعلاه في هذا المقام ما معناه ولقد تكون منهم في شرقي الاقاليم البحرية من الديار المصرية نزلة اجنبية بالشروط التي كان قد اقام عليها بديار مصر بنو اسرائيل في ذلك العصر غير انهم لم يكن لهم حادثة هجرة وطنية اى قصة خروج من ديار مصر حكيت في سفر مخصوص من التواراة مثلهم وبالتقدير الازلية العجيبة نرى انهم هم الاقوام العربية اولو البنية القوية والوجوه الكثرة المستطيلة الذين هم لغاية الآن على شواطئ بحيرة المنزلة سكان (اه)

الفصل الثالث

في الدولة المصرية الحادثة

مطلب — ذكر العائلة الملوكية الثامنة عشرة المصرية (اعنى تاريخ ديار مصر في القرن السابع عشر ق م من سالف العصر)

اعلم ان حادثة طرده هؤلاء القوم البغاة المعروفين في تاريخ الديار المصرية بالملوك الرعاة هي أول بشرى العظيمة بقدم مدة حكم العائلة الملوكية المصرية الفخيمة المعدودة بالثامنة عشرة وذلك ان الملك **أموزيس** بعد ان أعاد حدود السلطنة الفرعونية الى درجة كمالها الاصلية اتفت لاصلاح الاحوال الداخلية وجير ما اتافته يد الغارة الاجنبية فأعاد عمارة مدينة منفيس بالثاني وكانت قد اخرجها الملوك الرعاة المذكورون واشاد الماء ابدوا الهيكل في سائر المحال وكانت قد صارت من قبيل الاطلال واستمر على أعمال العمارة والانشاء بالثاني سائر خلفائه الذين اتفقوا آثاره من الملوك الاولين المدعويين باسم **الفراعنة الطوطوسيين والامينوفيسيين** حيث كانت الديار المصرية في مدة عهد هؤلاء الملوك المصريين ايضا قد دخلت في طريق الفتوحات وشذت جيوشها على بلاد آسية أشد الغارات وكان ذلك لقصد ان تنتقم لنفسها مما فعله بها تعدى هؤلاء البغاة فامست وتلت على جميع ارض كنعان

وتعدت الحد ما وراء صحاري الشام من البلدان واغارت على الاسوريين (العراقيين) بلاد الجزيرة وقد كانوا لم يبلغ لدرجة الكمال دولتهم ولم تتم مادة تكوين مدنيتهم وان كانوا في ذلك العصر قد استولوا على مدينتي نينوى و بابل ومن مغازيهم هذه كان لمصريون قد جاءوا الى الديار المصرية بنوع الفرس حيث لم يشاهد له رسم في تصوراتهم ولا عهد له ذكر في تذكيراتهم بعد بل يظهر انه قد كان امرا مجهولا لهم لغاية ذلك العهد

مطلب ١٦٠٠ ق م — ذكر فرعون طوطميس الثالث (اعنى تاريخ الديار المصرية في نحو سنة ١٦٠٠ ق م وكان قد حكم الملك المذكور على ديار مصر مدة نصف قرن من الدهر)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه ما معناه ان اعظم ملوك ذلك العصر وربما صح ان يقال ان اعظم من تسجل له ذكر في سجلات التواريخ السنوية بديار مصر هو الملك المسمى باسم **طوطميس او توتميس الثالث** (بالطاء المهملة او بالتاء المشناة التحتية) وكان الملك المذكور قد صعد على كرسي مملكة مصر بعد مدة طويلة من الدهر قد أقامها وهو بحالة القصور فاستولت على المملكة المصرية بالطريقة التوكيلية اخته المسماة باسم **ها تاسو** وكانت عاقبة امرها ان تغلبت على سائر الامم من ولاية مصر حتى نال اخوها هذا أشده وبلغ رشده فوضع يده على مقاليد المملكة الفرعونية وادار بنفسه فيها الحركة السياسية وان عبارات عهد هذا الملك لمسي كثيرة جدا لا تحصر عدا واتها الجميلة الصنعة جليلة البدعة وان ديار مصر لتظهر لعين المتأمل لها في ذلك العصر في صورة الحكم المرضي الحكومة والقاضي النافذ الكلمة بين سائر الامم والملل المتمدنة في تلك الحقبة من الدهر اذ كان سائر بلاد وادي النيل الاعلى مع ما يكاد ان يكون لغاية درجة خط الاستواء الاقصى داخل تحت قبضة ملك الفراعنة في ذلك العصر وكانت الاساطيل المصرية بمعنى السفن البحرية قد استولت مع ذلك على جزيرة قبرس و بعد عدة غزوات لم تزل تجدد على الدوام مدة ثمانى عشرة سنة من الاعوام كان فرعون طوطميس هذا قد اطاع لسيفه سائر بلاد آسية الغربية وكانت مملكة مصر في مدة ولاية هذا الملك المتخلى بالعز والفخر كما هي عين عبارة بعض ارباب الادب والشعر من أهل ذلك العصر تضع حدودها أين شاءت وتنتقل بثغورها حيث اشتهت وأرادت، وكانت تخوم سلطنتها تمتد على ما يعبر عنه الآن ببلاد الحبشة والسودان و بلاد النوبة والشام و بلاد الجزيرة (بمعنى بلاد الموصل) و بلاد العراق العربي واليمن مع أرمينية و كردستان ولم يعترشوكه الفراعنة الخارجية ولا كيفية سعادتهم الداخلية وهيئة رفاهيتهم الاهلية في مدة العهدين التاليين عهد الملك طوطميس الرابع والملك آمينوفيس الثالث أدنى انخفاط ولاشين حيث كانت آثار هذين الملكين كذلك تضاهى في الكثرة واتقان الفن والصنعة آثار سلفهما هذا من غير شك ولا من

مطابقاً — ذكر ما عثرى الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية من الفتن الدينية والمحن الوطنية (في القرن السادس عشر ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان وبعد وفاة الملك أمينوفيس الثالث حدثت في أحوال الديار المصرية حادثة من أغرب الحوادث وأعجب الوقائع المقيدة في دفاتر التواريخ الفرعونية وذلك ان أمينوفيس الثالث المذكور كان قد توفي عن عدة أولاد ذكور كان أرشدهم واكبرهم سنا واشدهم ولده البكرى المسمى أيضاً باسم أمينوفيس فخلف أباه على تخت المملكة المصرية غير أنه في مدة ولايته على السلطنة الفرعونية ترك نفسه بالكلية في طاعة والدته المسماة بالمملكة طيبة أوتية (بالطاء المهملة أو بالهاء المثناة الفوقية) وقد كانت غربية المولد والحسب وليست بمصرية المحتد والنسب فشرع هذا الملك طاعة لسوء تدبيرها واذعاناً لجناها عنده وتأثيرها في أن ينسخ الديانة المصرية الماثورة من قديم الزمان ويبدلها بالاعتقاد والايان بالله واحديسمى اتان (بالتاء المثناة الفوقية) يعبد في صورة اشراق جرم الشمس قال بعضهم وايس قوله هذا مبنياً على غير اسباب قوية انه هو الاله المعبود باسم آدوناي (بمد الهمزة في أوله وتشديد الياء المثناة التهجئية في آخره) بيلا دآسية عند الام السامية فتوجهت بأمر هذا الملك عملية ظلم وتعذيب منتظمة على سائر افراد الرعية بسائر جهات السلطنة الفرعونية وأغلقت فيهما معابد الاصنام القديمة ومحبت صورهم واسماؤهم التي كانت مثبتة في أساطير تلك العمارات العظيمة خصوصاً اسم وصورة الصنم الشهير المعبود باسم آمون بصفة الاله الكبير في مدينة طيبة الصعيد وتغيرت الاسماء والنحوت المعتادة بين الناس في تلك الاعصار الى شكل غير معهود حتى ان الملك ذاته بدل اسمه وبعده أن كان يسمى باسم أمينوفيس سعى نفسه باسم شواناتان ومعناه اشراق جرم الشمس وأراد أن يقطع بالكلية والجزئية كل مواصلة تربطه بمأثورات اسلافه السابقين واجداده العتيقين فترك كرسى مدينة طيبة المعهود واختط لنفسه كرسى مملكة في م كان آخر جديد هو ما يعرف الآن باسم تل العمارنة بجهة الصعيد وبعد وفاة الملك أمينوفيس الرابع المذكور بقيت الديار المصرية بحالة اختلاية لداعي ما كان قد شرع فيه هذا الملك من تبديل عقائدها الدينية فقام ثلاثة من أعيان أرباب دولته وأصحاب المناصب العالية في مملكته كان كل منهم متشرفاً بماهرته أعنى متزوجاً بكل واحد منهم بواحدة من بناته وتعاقبوا على كرسى السلطنة بعد وفاته وتنازعوا منصب السلطان مدة حقبة من الزمان حتى قام ولده الثانى المسمى باسم هارانهيبي فأعاد انتظام الامر واخذ بزمام الولاية الصحيحة على بلاد مصر

مطلب — ما يظن من قبيل الآراء التخمينية من تداخل الامة العبرانية في هذه الفتن الدينية

قال المؤرخ المسطور اعلاه في هذا المقام ماعناه ولربما يقال هل كان للامة العبرانية بعض مدخاية فيما كان قد هم به وان كان لم يتم الملك آمينوفيس الثالث من اغرب الحوادث اعنى ما حصل منه من الاهتمام والالزام بالاعتقاد في الوجدانية الالهية والحال انهم كانوا قد تكاثروا عددهم وتوفر مددهم بمصر حيث كانوا قد توطنوها منذ عشرة اجيال من الدهر لغاية ذلك العصر والجواب عن ذلك انه لا مانع من الحدس والتخمين بما هنالك بدليل ان مبدء اضطهاد العبرانيين بديار مصر وتحميلهم باثقال الاسر والامر حسبما روى في ضمن قصة خروجهم من تلك الديار بالتوراة قد كان بما يكاد ان يكون من قبيل الضبط واليقين معاصر من الزمان لوقت قطع دابر من كان قد تعدت يد الاستيلاء على كرسى السلطنة الفرعونية من هؤلاء الثلاثة الاعيان البغاة واسترداد الاخذ بالناني بزمام الولاية الملوكية ايده مستحقة ما من أهل بيت المملكة المصرية وان لنا من التهامين العديدة والظنون الاكيدة ما يدل على أن ما ذكره من التوراة من القول بأن الفرعون الذي لم يكن يعرف يوسف هو عين سيبتوس الاول وأما ما ورد بالكتاب المقدس المذكور من أن مدينتي بيتوم ورمسيس بالشمال الشرقي من بلاد مصر إنما كانا بنائهما بمصر ل بنى اسرائيل في ذلك العصر حيث كان فرعون قد حكم عليهم بالاعمال الشاقة فقد دل على ذلك ما صرح به في عدة مواضع من أساطير العمارات المصرية القديمة من الشهادة بان الملك رمسيس الثاني ملك مصر هو الذي شيّد المدينتين المذكورتين في ذلك العصر

مطلب — ذكر فرعون سبتى أوسيتوس الاول وفرعون رمسيس الثاني (اعنى تاريخ مصر في القرن الخامس عشر والرابع عشر ق م من ذلك العصر)

قد كان فرعون سبتوس الاول وفرعون رمسيس الثاني من أر باب العائلة الملوكية التاسعة عشرة التي خلفت بطريق المصاهرة العائلة الثامنة عشرة وقد كانت مدة ولاية كل من هذين الملكين ولا سيما المدعو منهما باسم رمسيس الثاني وهو المعروف عند اليونان باسم سينوس وستريس محلية باليهجة والفخار مملثة بوقائع حربية كبار ولم يعهد لملك من ملوك مصر على عمر الدهر ان أبقى أكثر ولا أجسم ولا أنقر مما وجد لهذا العصر على مر الاعصار بوادى النيل من العمارات والآثار وكلها كان انشاؤها وتشيد عمارتها وبنائها بعمل اسرى الحرب الكثيرين الذين كان يأخذهم كل من هذين الفرعونين الشهيرين في غزواتهم المستمرة على القبائل الرحالة النزلة ببلاد العرب والكنعانيين والفنيقيين (أى الصوريين) والهيثيين وهم قوم كانوا متوطنين على شواطئ نهر الاورنت أو الاورونتس (وهو النهر النابيع من جبال لبنان الى حيث يصب في بحر سفيد ويسمى باسم نهر الآزى الآن) وعلى الاسوريين (أى العراقيين) والارمن وغيرهم من سكان بلاد آسية الصغرى والزوج والليبيين ولقد دل على واقعية تلك الحروب ما حصل العثور عليه من القصائد الشعرية المصرية المسطرة على قسبر النيات المصرية القديمة

المسمى بالبردى (بضم الياء الموحدة في أوله) والاساطير الاثرية المحررة بغاية التطويل والبيان كقصائد الشعرية والتصاوير المنقوشة على الجدران من الهياكل والمعابد الالهية ولقد صار الحصول الآن على مقدار وافر جدا من السندات الرسمية والنصوص الاصلية التي يستدل بها على صحة واقعية هذه الوقائع الحربية ولا يتأخران يتيسر للؤرخين العصريين أن يقصوا تلك الحوادث التاريخية على ما هي عليه من حقيقة الواقعية لغاية أدق أحوالها التفصيلية

ولقد يظهر الآن من فحوى تلك السندات الاصلية والنصوص الالهية منية ممتدة حكم فرعون سيزوستريس هذا بالنسبة لغيره من الفراعنة المصرية على خلاف ما كانت قد تظاهرت به لاعين مؤرخي اليونان في سالف الزمان بالكلية حيث كانوا قد اغتروا بما شاهدوه في تلك الازمان لهذا السلطان من عجيب البنيان وغريب العمارات الاثرية والذي تقتضيه العدالة التاريخية هو ان الملك رمسيس الثاني المعبر عنه على لسان مؤرخي اليونان باسم سيزوستريس هذا لم يكن قد وسع السلطنة المصرية اذ كانت من قبله قد ابلغها طوطميس الثالث لغاية العظمة الدولية ونهاية ما تيسر لسيزوستريس من ذلك الغرض النفيس هو انه اجتهد في حفظ ما كانت اسلافه قد اطاحت يدها عليه من سعة الفتوحات والقبض على ما كانوا قد استولوا عليه من الممالك والولايات ولقد دل جميع ممتدة حكمه على أن الشوكة الفرعونية الفخيمة والصولة المصرية العظيمة التي كانت ملوك العائلة الثامنة عشرة قد ابدعوها وشيدوا بناءها وصنعوها كانت قد كادت تريد ان تنقض وقارب بناؤها ان ينقض حيث ترى جميع الامم الذين كانت دولة ملوك مصر السالفين المدعوين بالطوطميسين والامينوفيسين في جميع الجهات من الجنوب الى الشمال ومن المغرب الى المشرق قد ارغموا أنوفهم وقعوهم واستولوا عليهم وأطاعوهم كانوا قد أخذوا في القيام عليهم واخرجوا عن طاعتهم وترى السودان قد أخذوا في اشتغال نيران الفتن والثوران وترى حيطان الهياكل الدينية والمعابد الوطنية ملوءة بتصورات سائر الانتصارات التي كانت ولاية بلاد الايتيوبية المنصوبون من لدن الدولة المصرية يظفرون بها على هؤلاء الاقوام الخارجين عليها وترى من جهة أخرى جزيرة صغيرة بارزة من البحاري الكائنة على غربي الدلتة المصرية يخرج منها اقوام رحالة نزلة أولوعيون زرقاء وشعور شقراء (وهم الاقوام المعروفون بالليبيين) ينزلون في ذلك العهد من جزائر البحر المتوسط الابيض (أو بحر سفيد) على قارة افريقية فيهددون الاقاليم الشمالية والجزرية ولا تضبطهم الجيوش المصرية الابغاية المشقة والجهد وترى كذلك بلاد آسية مثل هذا الامر مما هو من قبيل رد الفعل وهو رد الكرة على ديار مصر حيث يشاهد من هذه الجهة أيضا القوم الجسون بالهليين وهم قوم أولو شجاعة وبطش شديد يقابلون على عرايا حربية فدعادوا

للتعصب من عهد جديد مع عشرين قوماً آخرين وعقدوا فيما بينهم عقد مخالفة على المصريين من أشد ما يعقد من هذا القبيل ويعهد وبعد ان حاربهم الملك رمسيس هذا مدة ثمانى عشرة سنة متوالية لم يصل من نتيجة محاربتهم الغير المنقطعة الى غير عقد شروط من صالحته معهم على أن يترك لهم سائر ما يديدهم من الاملاك الارضية ولقد حفظت نسخة هذا العقد ووصلت اليانا فى هذا العهد واتضح منها ان الشروط التى اشتملت عليها هى أكثر عود الفخر على الهيتيين منها على فرعون مصر

مطلب ذكر ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثانى ملك مصر

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه ما معناه كلما تأمل الناظر البصير فى حقيقة تاريخ رمسيس الثانى ملك مصر عرف ان هذا الملك كان غير جدير بنعت الملك الكبير الذى كان قد وصفه به أولاً ينادى الرأى اسلاف المترجمين لاساطير العمارات المصرية القديمة من العلماء الاورباويين ولقد استقر الحال الآن بما فيه مقنع كاف لذوى العرفان من الدليل والبرهان على انه يصح أن يقال عنه انه انما كان رجلاً فى النفس شديد الطمع والكبر محب الالاهة والفخر الى ما ليس له نهاية وانه كان ملكاً جائر اللغاية قد بلغ من حب التظاهر والفخر الى ان محام سائر العمارات والآثار التى تيسر له فيها ذلك العمل أسماء الملوك السالفين الذين كانوا قد أنشأوها ووضع اسمه عليها بدلاً عنهم كانه هو مؤسسها وبانيها وقضى سائر مدة ولايته مفتخراً بغزوة غزاها فى عصر شبوبته مستنداً فيها لما حصل منه من الجراءة وهو ابن عشرين سنة فى مبدأ وفائعه الحربية مع الهيتيين وقد دارت عليهم دائرة الحرب وعادت عليهم كرة النزال والضرب فوقع فى مكيدة كمين لهم وتوصل لأن يتخلص منهم وليس معه من الخفر غير نفر يسير ولم يتكرر له واقعة حربية على سائر العمارات التى هى عن مدة ولايته مأثورة غير هذه الحادثة المذكورة وهى التى اشهرها الشاعر المصرى العتيق المدعو باسم بنتاؤور فى قصيدته المشهورة التى اتقن ترجمتها لناعن اللغة القبطية الى الفرائس اوية العالم الفرائس اوى الشهير باسم لوتونت دوروجه (بالجيم الفارسية) ولم يصل اليها غيرهما من الاشعار الفخرية والمؤلفات الادبية المصرية

وقد وصف الملك رمسيس الثانى هذا فى سفر قصة خروج بنى اسرائيل من مصر فى التوراة بالملك الجائر لداعى ما اتقل به على العبرانيين من انقال الظلم والاسر وقدمياهم باجمال المشقة والاصر ولعمري ان هذا الذمت هو ما يصفه به التاريخ من عمى الكشف عن سائر اعماله وتفحفت حقيقة افعاله وان ذات الالهالى المصريين قد كانوا هم أيضاً فى مدة ولايته على هذه الديان

الدرس التام ١٢٠ في التاريخ العام

يتأسون اقسى ريقه من المذلة والصغار واقد حصل العثور الآن على سندات أصلية أثرية وقيودات أهلية مصرية مشر وحافها باقوى ما يأخذ بجامع القلب حقيقة أحوال ما كانت تقاسيه أهالى الارياف فى عهد من الضنك والكرب

مطلب — ذكر فرعون ميرانفته (فى القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المحكى عنه اعلاه مامعناه وقد كانت مدة حكم فرعون ميرانفته وهو ابن رمسيس الثانى السالف الذكر وخلفه على كرسي مملكة مصر كله عصر نحس وشؤم حيث توالى فيه مصائب الدهر على رأس ديار مصر بسوء عاقبة ما كان قد حصل من ايبه فى مدة حكمه من الجور والظلم وذلك ان الليبيين بانضمامهم الى الاقوام البيلاجيين (بالباء الفارسية فى أوله والجسيم البارسية أيضا قبل ياء النسبة فى آخره يعنى اليونانيين) المتوطنين فى جزائر بحر سفيد على سواحله والاقوام المسمين بالآشيين والتيرانيين والسيكوليين والسوردونيين (من سكان البلاد المسماة ببلاد اوروبه الآن) كانوا قد تعصبوا على المصريين وانغاروا على ثغور الديار المصرية من الجهة الشمالية الغربية واضروا بجميع بلاد الدلتة والاقاليم البحرية وبلغوا من وراء مدينة منفيس الى حيث لم تحصل عليهم الغلبة والنصر من أهل مصر الا بغاية المشقة والصبر ولم يكن قد حصل دفع هذه الغارة الشديدة حتى بدأ امر الفتن العديدة وظهر سر المخن المتنوعة التى كان قد تسبب فيها على مصر بنو اسرائيل فى ذلك العصر وانتهت بحادثة هجرتهم بمعنى خروجهم من ديار مصر حيث كانت هذه الحادثة التاريخية فى مدة ولاية هذا الفرعون على الديار المصرية وانتهت مدة ولايته بغارة أخرى جديدة حصلت على ديار مصر فى ذلك العصر أيضا من الاقوام المتوحشين والامم الرحالين التزالين من الآسيين واعقب تلك النازلة الكبرى عصر فتن أهلية ومنازعات داخلية استغرقت سائر آخر مدة ولاية العائلة الملوكية التاسعة عشرة المصرية ولم تنته مدة تلك الحركة الفتنية الا بوقت ان قام على سرير مملكة الديار الفرعونية الملك رمسيس الثالث على رأس عائلة جديدة ملوكية

مطلب — ذكر رمسيس الثالث ملك مصر (وهو آخر مدة القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه وقد كان هذا الملك المسمى بهذا الاسم وهو الذى بنى القصر المتسع المشيد الكائن بالناحية المسماة بمدينة آبومن طيبة الصعيد هو آخر الفراعنة الحربيين العظام وخاتمة الملوك المصرىين الفخام غير ان سائر وقائعه الحربية انما كانت مجرد دفعية (يعنى انها لم تكن من قبيل الغارات البدائية) وكانت جميع هتمه متوجهة على الدوام والاستمرار نحو مقاومة ما كان يتوارد على ثغور مملكة مصر فى آخر ذلك العصر من امواج الامم المتوحشين وافواج القبائل البدويين الذين كانوا يتوافدون اليها ومن كل جانب يغيرون عليها وينذرون على تلك الديار بتقارب الخراب والاندثار فمن ذلك ان الهيتيين الذين هم اشدا أعداء فراعنة الدولة

المصرية الحاضرة كانوا قد بلغوا ما قاصدهم من عقد محالفته شديدة على المصريين وتعصبوا عصبية جديدة مع اقوام كثيرين دخل قيم لغاية القوم الاقدمين المسمين بالدرديانيين الذين هم سكان اقليم تروادة الشهيرين واتحدوا ايضا مع عصبية الامم البيلاجيين وقد كان رأس عصبتهم في ذلك الحين القوم المعروفون بالفلسطينيين الخارجين من جزيرة كريد وكان هؤلاء القوم المذكورون قد عقدوا سالف عهدهم على المصريين من جديد مع الاقوام الليبيين وشنوا الغارة كلهم دفعة واحدة على سائر الاقاليم والولايات الداخلة تحت طاعة الدولة الفرعونية من جهة الشرق والغرب والشمال فنزل الليبيون على غربي الاقاليم البحرية والهيثيون على الديار الشامية وزلق الاساطيل البيلاجية على سواحل أرض فلسطين ودارت رحى الحرب والقتال على البر والبحر معاني عدة محال وقد عثر في آثار أهل مصر القديمة على صورة جميع وقائع هذه الحرب العظيمة منقوشة على واجهة ابواب القصر الملوكي الكائن بجهة مدينة أبو حيث ترى الملك رمسيس الثالث هذا مصورا فيها على هيئة الخارج منصورا من المعركة وفي صورة الخامي لجميع عماله المتسعة من عائلة المهلكة وأنه يدفع صائلة الليبيين ويقمع شوكة الاقوام الآسيين ببلاد الشام مع كون اساطيله البحرية رافعة الاعلام تلتف الاساطيل البيلاجية والسفن الفلسطينية غير ان ظفره بجميع هؤلاء الاقوام لم يكن على وجه تام بحيث أنه لم يضطر لأن يفعل كما فعل أمبراطرة الرومانيين بوقت انحطاط دولتهم حين كرت عليهم داهية الاقوام المتوحشين ولم يكن لهم الظفر بهم بالكفاية وذلك انهم بعد ان انتصروا عليهم وغلبوهم اضطروا لأن اقطعوا اقطاعات أرضية من بلاد الدولة الرومانية وهكذا فعل فرعون رمسيس الثالث في آخر تلك الحوادث حيث نرى عدة قبائل عديدة من الليبيين مكثوا متوطنين بالاقاليم البحرية من الديار المصرية ونرى الفلسطينيين وان كانوا قد اضطروا للاعتراف بسيادة فرعون مصر عليهم لكنهم بلغوا غرضهم الاصلى من شن الغارة على بلاده حيث نراهم قد استمقروا في احوالي غزة وعسقلان ونشاهدهم وقد صاروا قوما أولى قوة عظيمة وصوله جسمية بعد قرن من الزمن لا أكثر كما هو في سفر القضاة من التوراة قد ذكر وتقرر

مطلب — ذكر مبدأ ضبط الكرونولوجية المصرية (أى ذكر الحوادث التاريخية بتواريخها الزمنية على وجه الضبط والصحة اليقينية)

قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه ما معناه ان الكرونولوجية المصرية بمعنى علم الازمان التاريخية أى اقتصاص الحوادث بأوقاتها الزمنية كان قد أخذ من بعدمدة ولاية فرعون رمسيس الثالث هذا فى أن يكون على وجه الضبط والصحة اليقينية وذلك أنه قد عثر على تاريخ فلكى متيدبزيج منقوش على جدران قصر مدينة أبوالمذكور آنفا فسقط به العالم الفرنساوى المشهور باسم بيوت ومنها استنبط ان تقليد هذا الملك بولاية الديار المصرية قد كان فى سنة ١٣١٢

قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد دات أصوص القبولات الهيور بجافية التي استكشفها المؤرخ ماريتت بك في اطلال مدينة منفيس أو منف فيما عاقى بمدة ولاية الملوك الخلف في داخل قبور الأثوار المقدسة التي كان يعبدها المصريون السلف ويسعونها باسم آبيس (بمذالهمزة في أوله يليها باء فارسية فياء مثناة تحتية فسين مهملة في آخره) على تاريخ ولاية كل ملك تقلد فيما بعد على كرسي الديار المصرية من هؤلاء القوم بالسنة والشهر واليوم ونسخة اصل هذه القيودات موجودة بمخزن الاثني فخانات المحفوظة بسراية ملوك الفرنسيس المسماة بقصر لورد (في مدينة باريس)

مطلب — ذكر انحطاط المملكة المصرية (من القرن الثالث عشر فئار لالى القرن العاشر ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وقد تعاقب على ملكة مصر عشرة ملوك كلهم يدعون باسم رمسيس من العائلة المئمة للعشرين بمدة قرن ونصف من الدهر وفي مدة تعاقبهم على سرير المملكة الفرعونية كانت قد انفلتت من ايديهم شيئاً فشيئاً سائر الاقاليم الاسمية التي كانت تابعة للدولة المصرية وكان هؤلاء الفراعنة المذكورون من قبيل الملوك الكسالى الذين هم في جملة ملوك ديار قرانسة بهذه الصفة مشهورون وذلك انه في مدة سلطنتهم على ديار مصر كانت كبار قسس عبادة الصنم المعبود للمصريين السالفين باسم (آمون) في مدينة طيبة الصعيد بذلك العصر قد تغلبوا شيئاً فشيئاً على جميع ولايات الامم المصرية وانتهى أمرهم بأن تجاروا على التتوج بتاج المملكة الفرعونية غير ان تعديهم هذا لم يقترهم عليه كافة أهل البلاد بل كانت قد قامت عليهم بالاقاليم البحرية عائلة ملوكيه أخرى وانصبت خصم الطائفة كبار القسس الصعيدية وحيث كانت هذه العائلة الملوكية الجديدة قد ظفرت بهم وانتصرت عليهم في وقائع حربية عديدة كانت بالضرورة هي التي تسجلت في جملة بيوت الملك التالية بصفة كونها هي العائلات الملوكية المصرية والدول الصحيحة اسرعيه

مطلب — ذكر العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقاليم البحرية (من القرن العاشر فئار لالى القرن الثامن ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ومن وقت ان انزمت كبار القسس الذين كانوا قد تقلدوا بمنصب السلطنة المصرية في الاقاليم القبلية من الديار المصرية ثم زالت دولتهم وتولت صولتهم كانت مدينة طيبة قد زال عنها ما كانت عليه من درجة الاعلوية بالكلية وصارت العائلات الملوكية الخالفة تتخرج كلها من الاقاليم البحرية وفيها جعلوا مقر ملكتهم واتخذوا فيها قاعدة سلطنتهم وصاروا من الآن فئار لا عيارة عن عائلات ملوكية حقيقية من قبيل الدول المصرية المعروفة بدول المماليك البحر ية التي استولت على بلاد مصر الاسلامية بمدة القرون

الوسطى من الاقسام التاريخية وذلك ان ملوك تلك الدول المصرية الحادثة كانوا كلهم يخرجون من الطوائف العسكرية الاغراب عن الديار المصرية الذين كان الملوك الحاكون على شواطئ نهر النيل يتخذون منهم خاصة طوائف حرسهم الملوكية ومن أشهر تلك العائلات المذكورة العائلة الملوكية الثانية والعشرون التي كانت قاعدة مملكتها بمدينة بوباستيس (وهي المعروفة بتل بسطة الآن) وقد مكثت على سرير الملك من سنة ٩٨٠ الى سنة ٨١٠ ق م اذ كانت هي خصوصاً مشهورة بأول ملوكها المسمى باسم فرعون **سيمز ونخيس** (بسين مهمل في أوله يليها بالمشناة تحتية فزاي مجة فواوقنون موحدة فخاء مجة فيه، مشناة تحتية فسين مهمل في آخره) وهو الذي غلب الملك روبروام ملك يهود من أرض فلسطين واستولى على مملكة بيت المقدس واستلب خزان الهيكل المقدس ومن تأمل في جداول انساب سائر الملوك الخارجين من سلسلة هذه العائلة الملوكية استغرب كل الاستغراب وقضى غاية العجب العجاب حيث يظهر له بالطريقة الجلية أن أكثر اسمائهم هي محض أسورية (أى سورانية بمعنى عراقية) كتمرود ونجلات وسرجون وما أشبه ذلك ولا شك ان هذا دليل قطعي وبرهان اقناعي يدل على منشأ ملوك هذه العائلة الاصلية .

مطلب — ذكر الملوك الايتيويين والاسوريين الذين استولوا على دولة الملوك المصريين (من سنة ٧٢٥ فنزالا الى سنة ٦٦٦ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه وكان قد تعاقب على سرير المملكة المصرية من بعد العائلة الملوكية البوسطية خمسة ملوك أصلهم من مدينة تانيس (سان) ومدينة اكوييس (سخا) تركبت منهم العائلة الملوكية الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون وكان آخرهم الملك المشهور باسم فرعون **بوخوريس** الملقب بالمشرع أو القانوني وهو الذي كان قد عزله عن كرسي الديار الفرعونية وقتله في سنة ٧٢٥ ق م اقوام ايتيويية كانوا قد أغاروا تحت قيادة ملكهم المدعو باسم **ساباكون** على ثغور الديار المصرية الجنوبية واستولوا على سائر بلاد مصر مدة حقبة من الدهر تبلغ تسعاً وعشرين سنة وتكونت منهم عائلة ملوكية مركبة من ثلاثة ملوك لا غير ثم طرأ عليهم الاسوريون وتنازعوا معهم مملكة مصر حيث كانت قد صارت في ذلك العصر لحالة العجز وعدم القيام بالذات وأصبحت مفتحة الابواب بالكلية لكل من أراد أن يطردها من الامم الاجنبية حتى ان الملك سيناغريب (ملك العراق) كان قد استعد لفتحها ووصلت مقدمة جيوشه الى مدينة بيلوز (وهي المسماة تبنة الآن أو عين شمس المسماة أيضاً باسم اواريس في سالف الزمان) من تلك الديار ثم رحى الله سبحانه وتعالى عساكره في حصار القدس على وجه غريب بدهيمة الموتان العجيب فاضطر للرجوع الى بلاده بالثاني وفي سنة ٦٧٠ ق م انتزع الملك آسارادون ملك نينوى الديار المصرية من يد الملك طهراقة ملك الايتيوتية وبعد مدة يسيرة من الزمن قام الملك طهراقة بالثاني فطرده الاسوريين منها واستولى

فأبنا عليها ولما تولى ملكة العراق الملك آسور بانيبال بعد الملك آسارادون المذكور أنفعا عاد بالكر في سنة ٦٦٧ ق م على طهراقة ببلاد مصر ومكث الايتيوبيون والآسوريون يتنازعون فيها الامر واشتد بينهما القتال وامتد الحرب والنزال مدة ثلاث سنوات مرت على بلاده صروهى في غاية الدل والاضمحلال حيث كان يطأها العسكران ويدوسها الطرفان حتى تخربت البلاد وهم فيها يتنازعان وأباحت حرمة مدينة طيبة لانتهاك العسكر قسلبت ونهبت وكثر فيها الفساد وكادت أن تخترب بالكابة وقصير من قبيل الاطلال وفي آخره الامر تمت الكثرة على الآسوريين وبقيت البلاد بيد الايتيوبيين

مطلب — ذكر الدولة المصرية الاثني عشرية وولاية العائلة الملوكية الصالجرية (في سنة ٦٦٣ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ولما خرج الآسوريون من الديار المصرية لم يبق للايتيوبيين ولاية ثابتة من غير منازع لهم فيها الا بالاقليم الصعيدية من تلك البلاد وأما الاقاليم الشمالية والبحرية فكانت قد تحصلت لنفسها عنى من زية الاسـ تقلال والاستبداد وقام فيها ابولايه الامر اثنا عشر ملكا صغار تشاركوها فيها واقسموها وكان بعض الكهنة قد أخبر بان مصر كاه ينتهى أمره لان يكون لمن يصب شرابا في اناه من نحاس على ذكر الصنم المعبود لهم باسم ملك افتاء على انه الاله الاكبر بمدينة منفيس واتفق ذات يوم ان اجتمع الاثنا عشر ملكا المذكورون في محفل ديني ليقروا بقرابانا للصنم المذكور فقدم لهم كبير القسس أقدا حان ذهب كانت قد جرت عادتهم باستعمالها في محافلهم ونسبى او تناسى فأنى بأحد عشر قد حلالا اثني عشر ملكا الحاضر بن المجلس فبادر أحدهم المسمى باسم **ابسماتيك** او **اسماتيكوس** ملك قسم مدينة سيديس (صالحجر) حيث بقي دونهم بغير قدح فتزعخودته عن رأسه وكانت من نحاس وصب فيها ما كان قد أعد للقرابان من الخمر ولربما كان قد دبر لنفسه هذا الامر من قبل في السر ليكون هو الملك المشار اليه في خبر الكاهن كما قد يظهر ولما حسده على ذلك رفقائه من الملوك الاثني عشر اضطر لأن فر واختفى في بعض البحيرات بالاقاليم البحرية حتى تيسر له ان استعان بقره امدادية اجتمعت له من جوع الاغراب اليونانيين والكاريين وتوصل لأن غلب بهم عصابة اخوانه الملوك المصريين الذين كانوا قد اقتسده وامعه مملكة الاقاليم البحرية وذلك في واقعة حربية قطعية وقعت بينهم في الناحية المسماة باسم مومانفيس وأخرج كذلك الايتيوبيين من الصعيد وأعاد للديار المصرية حدودها الارضية الاولية أعنى من الشلال الاول لغاية بحر سفيد

مطلب — ذكر مدة ولاية الملك اسماتيكوس على جميع الديار المصرية قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ولما كان الملك اسماتيكوس انما مال الرفعة على كرسى

سائر مملكة مصر في ذلك العصر باعانة الاغراب استمر على ان يدعو اليه منهم الجم الغفير ويستحب منهم الجمع الكثير من الاصحاب فترتب على ذلك ان قام عليه قوم من الجنود المصرية وهاجروا الى بعض البلاد الاجنبية وكان قد ساعد مادة التجارة الخارجية وأحدث طرق مخالطات اهلية مستمرة مع بلاد اليونان والفينيقيين وأخرج بذلك الديار المصرية عن حالة العزلة السرية التي كانت قد انحصرت فيها منذ عدة قرون من الزمن بسياسة ملوكها السالفين وبحسن تدبيره واتقان سياسته كانت الديار الفرعونية في مدة عهده وعهد من خلفه من الملوك الذين تكوّن منهم العائلة الملوكية السادسة والعشرون المصرية قد عادت لعظمتها الاولى واسترجعت على مرتبتها الاصلية

مطلب - ذكروا الدولة المصرية ببلاد سورية

قال المؤرخ المذکور اعلاه مامعناه وحيث كان الملك ايسماتيكوس المدکور اراد ان يثبت أقدام عائلته الملوكية على كرسى المملكة المصرية بواسطة المفاخر العسكرية تشبث بان يسلك سبيل الطريقة السياسية التي كان قد استتبها اسلافه من ملوك العمائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في بلاد آسية وتعلقت رغبته بأن يفتح بلاد سورية فلم يتيسر له أن يستولى منها الا على بلاد الفلستينيين ثم جاءه من بعده ابنه نيجاووا ونيجاووس (بالسين المهملة وعدمها في آخره) فاستمر على ما كان قد بدأ به والده من شن الغارة المصرية على بلاد سورية وظفر في أول الامر في مغازيه بكنثير من النصر وهزم الملك يوزياس ملك يهودا من أرض فلسطين في مدينة ماجيدو (بتشديد الدال المهملة بعدها واو ولعلها ما تسمى الآن باسم مجدله) حيث قتل الملك المذكور (في سنة ٥٠٩ ق م) في حومة المقتلة واستولى فرعون مصر استيلاء وقتياعا على جميع بلاد سورية وذلك انه كانت قد ظهرت في ذلك العصر ببلاد العراق فيما بين دجلة والفرات الدولة الملوكية الكلدانية البابلية (بمعنى العراقية) وكانت قد دنت من أن تبلغ الى أعلى درجة من الشوكة الدولية بمدة الملك المدعو باسم نابوكودونوزور الاكبر وهو المعروف عند العرب باسم بختنصر ولزم ان يتصادم الدولتان المصرية والعراقية بالبلاد الشامية حيث كان كل منهما ما يدعى ان له ببلاد آسية درجة الاعلوية فالتقى هناك الجيشان وتلاطم العسكران تحت أسوار مدينة جرجيسية فظفر بختنصر المشهور ولم يكن بعد غير ولى عهد للمملكة العراقية بفرعون نيجاووس المذكور ولم ينجح بختنصر في استلاب جميع فتوحاته بالديار الشامية وطرده الى الديار المصرية لغير هذه الواقعة الحربية

مطلب - توسيع الدائرة التجارية بالديار المصرية في تلك الحقبة العصرية

قال المؤرخ الموصى عنه اعلاه مامعناه غير ان هزيمة الدولة المصرية هذه ببلاد سورية كانت قد انجبر ضررها وانسد عورها بما كان قد حصل في الديار المصرية بتلك الحقبة العصرية من

تفسير اسباب المعادة الداخلية وتوسيع دائرة التجارة الاهلية وكانت الفنون والصناعات بشواطئ النيل قد تلبست في ذلك الجيل بأخر لباس زاه زاهر جميل وذلك ان الملك نبحاووس كان قد شرع في أن يفتح الخليج من نهر النيل الى البحر الأحمر وبجر القلزم وكان قد حفره من قبله الملك سيتوس ثم ترك العمل فيه ولم يتمه بانذار بعض الكهنة له وبعث الملك نبحاووس أيضا اسطولا من السفن الفينيقية (أى الصورية) للسفر في البحر حول دائر سواحل بلاد افريقية بالابتداء من البحر الأحمر الى بحر سفيد لغرض ان يحدث من ذلك مادة التجارة طريق جديد

مطلب — ذكر فرعون ابرييس — قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه ثم ظهر بعد الملك نبحاووس حفيده المسمى باسم **ابرييس** وكان قد عقد العهد مع الملك سيدياس ملك يهودا من أرض فلسطين على مدافعة صولة الاسوريين لكنه لم يتيسر له أن يحضر في الوقت اللازم لمساعدة مدينة القدس اذ كان قد حضر اليها بختصر وحصرها وانتهك حرمتها ودمرها وانما كانت الاساطيل المصرية قد توجهت الى جهة سورية من الطريقة البحرية فظفرت بكثير من الظفر والنصر على سواحل بلاد الفينيقية ثم بعد ذلك بمدة بسيرة حصل للملك ابرييس هزيمة كبيرة في حرب وقعت بينه وبين القوم اليونانيين المتوطنين (من بلاد برقة) بمدينة قورين وحينئذ ثارت على فرعون ابرييس هـذا ثورة من جنوده فعزلوه وقتلوه وولوا بدلا عنه على كرسي السلطنة المصرية رجلا من سفلة الناس كان قد ترقى الى أعلى المراتب العسكرية يقال له **امازيس** وذلك في سنة ٥٧١ ق م

مطلب — ذكر فرعون امازيس — قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه وقد كان امازيس هـذا ملكا ماهرا سعيدا وسلطانا قاهرا شديدا استرجع جزيرة قبرص ليد المصريين وكانت قد خرجت عنهم واستولى عليهم الاسوريون ثم البابليون وكان أكثر ملوك عائلته الملوكية اعانة لاجتلاب الاغراب من اليونان الى الديار المصرية وفي مدة ولايته السلطانية يشاهدانه قد نشأ على حدود الدلتة المصرية بالاقاليم البحرية المدينة الهيلينية (بمعنى اليونانية) المسماة باسم نوكراتيس (وهي المعروفة باسم قو الآن) حيث كان الملك امازيس هذا قد أذن في سالف ذلك الزمان لجماعة من الهيلينيين (بمعنى اليونان) ان يبنوها ويتخذوها لهم وطنًا ويعمروها فبلغت من درجة النجاح والفلاح الى ما بشر بما تكون عليه فيما بعد من ذلك مدينة الاسكندرية

مطلب — زوال الدولة الفرعونية وسقوطها — قال المؤرخ فرنسيس لونورمان المكرر المذكور والبيان فيما تقدم أعلاه ما معناه ان ديار مصر كانت تظهر اربعين الراى في عصر الملك امازيس على وجه من الروثق والفخار بضاهى ما كانت عليه في أى عصر كان من سالف الاعصار غير ان هذا المنظر كان لا يحجب الاعلى وجه غير تام ما كان قد ظهر في كافة أهل مصر في ذلك العصر من فتور العقل العام وتغير القلوب من الخواص

والعوام وتفرق الكلمة الاهلية وتزق عروة العصبية الاصلية وضعف التراتيب المالية فان تراتيبهم المالية وان كانت في الاسل مبنية على قواعد قوية لقصد ان تكون مخلدة ازلية تقاوم صدمات الدهر كان تمدن أهل مصر في سالف العصر لا يمكن أن يستمر الا ببقائه على حالة واحدة وكيفية ثابتة فلما اعتراد في ذلك الزمان الاختلاط بحركة التقدم والسريان الطارئة عليه من طبيعة تمدن اليونان لزم بالضرورة ان يهتريه الفساد والموتان وبيان ذلك ان الطائفة العسكرية في تلك الحقبة الدهرية كانت قد هاجرت بتمامها تقريرا من الاوطان المصرية فبقيت الملة تبدون جنودا أهلية وحل في مكانهم للمحافظة عليها جنود من الاغراب كان المصريون ينفرون منهم ويبتغضونهم وكان قد اشتد فيهم الغضب العام حتى آل لحالة الثورة والقيام وكان قد قام فيهم رجل من أهل الجراءة والعصبية وتغلب على كرسي المملكة الفرعونية حيث رأى الديار المصرية متوجهة في تلك المدة الزمنية الى طريق جديدة قديمة فساعد على اجتلاب الاغراب فيها أكثر من كل من كان قد سبقه من الملوك السالفين عليها وكان هذا هو السبب في اكتساب الديار المصرية لدرجة الغنى والثروة الاهلية غير انه كان هو السبب أيضا في فتح أعين ذوى الاطماع من الملوك الفاتحين اليها ولما قدموا عليها وجدوا فيها قوما كانوا قد فقدوا عادات استعمال الاسلحة الحربية ولذلك كان الملك ايسدما تيكوس الثالث ابن امازيس لم يصعد على كرسي ملكة مصر النفيس بعد أبيه الا يرى نفسه مضطرا للتنازل عنه والسقرط منه بعد مدة يسيرة من توليه اذ كان قد شن الغارة على القطر المصري الملك قبيز الفارسي واستولى على ديار مصر بطريق العنوة والقهر ومن تاريخ ذلك العصر كانت قد زالت عنها الحياة الاستقلالية وصارت بالتبعية للدولة الفارسية (في سنة ٦٢٨ ق م)

الفصل الرابع

في بيان كيفية تمدن ديار مصر في سالف العصر

مطلب — ذكر ما كان عليه أهل الديار المصرية في سالف الحقبة العصرية من تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية الانسانية المالية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه ما معناه ان ترتيب الامه بديار مصر في سالف العصر على مراتب أو طبوائف أهلية قد كان باتفاق المؤرخين المتقدمين هو القاعدة الاصلية التي ينبنى عليها تركيب الهيئة الاجتماعية بتملك الديار في تلك الاعصار وكان منصب الملك بها هو الرأس لها وانما وقع بينهم الخلاف في عدد تلك المراتب فقط فعددها هيرودوت اليوناني سبعة وهي طائفة القسش وطائفة الجنود وطائفة رعاية البقر وطائفة رعاية الخنازير وطائفة أرباب الحرف والصنائع وطائفة التراجمة وطائفة النواتية وقال ديودور الصقلي انها كانت

بجسالاتها وهي مرتبة القسس والمحاربون والفلاحون والرعاة وأرباب الصنائع والفنون ولقد يدل هذا الخلاف الحاصل في هذا المقام بين المؤرخين المذكورين مع كون كل منهم شاهد بنفسه واخترق بذاته جميع الديار المصرية في تلك المدة الدهرية على أن ما نقلوه لنا من الفوائد التاريخية في هذا الشأن كان غير تام التحقيق ولا مستنبطاً بوجه التدقيق وطالما كان العلماء الأورباويون يذهبون بناء على تأويل مثل هذه الشهادات التاريخية على غير وجودها الحقيقية إلى أن الملة المصرية قد كانت في تلك المدة الدهرية منقسمة على وجه الضبط والدقة إلى فرق متميزة وفرق متفرقة وليس هذا القول بصحيح وللهذا المذهب ما يشهد له بالترجيح وقضية ذلك أن ما يعبر عنه بالخرقة المليية أو الفرقة الأهلية إنما يتحقق في صورة الوجود الخارجية بثلاثة شروط أصلية وهي أن يكون أربابها ممنوعين ألبتة من الاحتراف ببعض حرف أو صنائع خصوصية وأن يكونوا ملزومين بعدم المصاهرة إلا مع أبناء خرقهم وبالأستمرار على الارتباط باتخاذ ما توارثوه من آباءهم من صنعتهم في عين فرقتهم والحال أننا نجد شيئاً من ذلك واقعاً بالديار المصرية في سائر تلك الحقب الدهرية والقول الصحيح في هذه المسألة التاريخية هو أنه نعم قد كان بديار مصر في سالف العصر مراتب تدرجية بمعنى طوائف أهلية على درجات بعضها فوق بعض يسوغ لكل أحد أن يترقى فيها من مرتبة إلى أعلى منها أما بفضله أو بفضله الساطان عليه بذلك لأنها كانت خرقاً ملتزمة وقرقاً متحتمة بالمعنى المذكور آنفاً أي بمعنى أن كل فرقة كانت مغلقة الأبواب عن كل أحد من في سواها من الأرباب والأصحاب وأما كون الحرف والصنائع بديار مصر في تلك الأزمان كانت تتوارث من الآباء إلى الأبناء في أغلب الأحيان فلم يكن ذلك بوجه من الوجوه قاعدة جبرية ولا شريعة قهرية بحيث يصح للفتائلين بهذا القول أن يأخذوا القولهم هذا منه أدنى توجيه

مطلب — ذكر ما كان عليه منصب الملك بديار مصر في سالف العصر

قال المؤرخ المروى عنه ما علاه ما معناه قد كان ترتيب أمر الولاية المصرية من الحيثية السياسية في جميع مدة السلطنة الفرعونية المديدة وتلك الأعصار الزمنية العديدة على حال واحد لم يتحول وطريق ثابت لم يتبدل أعنى على صورة الحكومة الملوكية المطلقة بل ربما كان أطلق ما وجد من أنواع الدول الملوكية وأنفذ تصرفاً من سائر ما عهد في العالم بتمامه من أنواع الولايات السلطانية المحققة إذ لم يطرأ عليه أدنى تغيير ولا تبدل ولا اعتراء شائبة تحوّل لا يتداول الدول والعائلات الملوكية عليه ولا يتنازع الملوك المتنازعين فيه بوجه من الوجوه مطلقاً قال المؤرخ ديودور الصقلي في تاريخه ما نصه أن المصريين يحترمون ملوكهم ويعبدونهم كالآلهة ويرون أن ما تقلديه الملوك بالحكمة الإلهية من ولاية الأمر السلطانية والقدرة على نشر الأعمال الخيرية إنما هو من صفات الألوهية (انتهى كلامه) وهذه العبارة التي ذكرها

المؤرخ اليوناني المذکور موافقة بالكلية لما ينتج من الوقائع التاريخية بدليل النظر في العمارات
 الاثرية وذلك انه منذ اصبى أعصار العائلات الملوكية المصرية الاولى لم يزل يشاهد وجود
 هذه الحرمة اللانهائية المتوجهة من سائر افراد الرعية بالديار المصرية للمرتبة الملوكية الفرعونية
 البالغة لدرجة الربوبية والعبادة الحقيقية بحيث كان يتصور لهم ان فرعون هو الاله المحسوس
 لسائر الرعية ولم يكن الملوك المصريون متقلدين بمنصب السلطنة العليا مع رياسة الديانة القصوى
 فقط بل كانوا معدودين عند رعائهم المصريين في جملة آلهتهم الحقيقيين ومعبوداتهم الصمحين
 وكانت طائفة اسماء الديانة المصرية في مطلق التبعية للتقلد بمنصب الملكة الفرعونية
 يتصرف فيها كيف شاء بجميع أنواع التصرفات الملكية وكان من جملة الالقاب السلطانية التي
 تنضم بطريق الفريضة الضرورية لاسم كل فرعون من فراعتهم في سائر تلك الاحقاب الزمنية
 العنوان (ابن الاله الشمس) مع كونهم يتلقبون أيضا بلقب (الاله الكبير) و(الاله الرحيم)
 وكانوا يتجسمون ويتهدون في ذات معبود المصر بين الكبير المسمى باسم (هوروس) حيث كانوا في
 تلك الاعصار يرون كما هو نص ما وجد مكتوبا في بعض الآثار ان الملك بين الاحياء انما هو صورة
 معبودهم المسمى باسم (براهمة) يليها ألف معدودة وهو الشمس) وكان الملك متى صعد على كرسى
 الملكة كأنه انسلخ عن الصورة البشرية وتصور في أعين الرعية بالصورة الالهية وصار وهو
 في قيد الحياة الانسانية يتوجه اليه هيئة عبادة حقيقية
 ولا يخفى على كل ذي مفهومية ما كان يترتب من انتاثيرات الوهيمية في تلك العهود على مثل
 هذه المبالغة المجاوزة للحدود في المرتبة الفرعونية لتعظيم الصولة السلطانية وتجسيم الشوكة
 الملكية فكان المصريون بالنسبة لملوكهم اهلهم بمنزلة اعبيد المسترقين يجب عليهم بمقتضى ذات
 الاحكام الدينية ان يمثلوا قضية مسلمة لاوامرهم السلطانية ويتقادوا من غير نظر في الاسباب
 الموجبة لارادتهم العالية وكان أر باب أعلى المناصب العالية وأقوى أصحاب المراتب العمومية
 بالدولة الفرعونية يرون أنفسهم انما هم عبارة عن خدم للدائرة الشخصية الفرعونية وعبيد
 للذات العلية السلطانية ومن ثم يعلم ان المصريين في تلك الاحقاب الزمنية المصرية لداعي
 كونهم استطاعوا لمثل هذه الطريقة من الهيئة الاجتماعية وارتضوا باعدام صورة
 وجودهم الذاتية وازالة مرتبتهم النفسية بالكلية أعنى كونهم لم يأنفوا من اعتبار نفوسهم
 بمنزلة مجرد عمال لفاخر اسيادهم الفراعنة السالفين والاشغال متمسكة لاهواء هؤلاء
 السلاطين كانوا خالين بالكلية والجزئية عمالة تمام قوة الامم المتأخرين وقوام شرف الملل
 الاوروباويين المعاصرين وما كان قد أخذ يدب في طباع اليونانيين والرومانيين من الاحساس
 بما يقتضى ان يكون قائما بكل نفس بشرية من صفة الحرية الشخصية ومعرفة قيمتها الانسانية
 الخصوصية

مطلب — الكلام على شرائع المصريين وقوانين الفراغنة السالفين

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه ان القوانين المصرية القديمة هي من الشهرذ العظيمة في درجة كبرية معلومة بحيث يجب على كل مؤرخ الالتفات اليها فلا يسوغ لنا ان لا نتكلم عليها فنقول قال المؤرخ الشهير باسم الاسقف بوسوره الفرنسي ما نصه وقد كانت ديار مصر في سالف العصر منبع كل سياسة حميدة وأصل كل ضابطية سديدة (اه) وذلك ان ما نقل اليها عنهما من الاخبار في هذا المقام وان كان غير تام غير انه يسهل على كل من تأمل في كتب التواريخ المأثورة عن السلف ان يعرف ان شرائع المصريين كانت مبنية على احترام سائر الحركات العظيمة التي تحسبها الروح البشرية مع الوفاء بجميع الامور التي تمس اليها حاجة نظام الهيئة الاجتماعية الانسانية ولنذكر بعض أحكامهم هنا نقلا عن نص عبارة المؤرخ المشهور باسم ديودور الصقلي اد كان كلامه أتم ما قيل وأصدق ما ذكر في هذا القبيل حيث قال مامعناه كما سطر أدناه ان من جملة أحكام المصريين في الاعصار السالفة انهم كانوا يعاقبون على اليمين الكاذب بالقتل لداعي ان خيانة العهد جامعة لذنبتين هما اعظم الذنوب التي يتصور في العقل ارتكابها وهما الاساءة لدات الالهة المسميهم والاضرار بالناس المكذوب عليهم ومن أحكامهم ايضا ان من رأى في طريقه وجلا يصول عليه فقاتل أو صائل مطلقا ولم يغثه وهو يقدر على ذلك عوقب كذلك بالقتل فان لم يبق في الحقيقة من اغائته وجب عليه ان يسعى بالذنب عند الحاكم ويرفع أمره الى المحاكم وان لم يفعل ذلك كان جزاؤه الحد بالضرب بالقضيب الى عدد محدد ومع الحرمان من الطعام مدة ثلاثة أيام ومن اتهم أحدا بالباطل وثبت عليه ذلك كان جزاؤه عقاب المعتاب وكان من الواجب على كل مصري ان يسلم الى القاضي وثيقة مكتوبة تشتمل على بيان أسباب معاشه فان كان ما تقرر فيها كاذبا أو اتضح ان أسباب معاشه غير ما ذونة شرعا حكم عليه بالقتل وكل من تتل نفسا عمدا سواء كان المقتول حرا أو عبدا كان قصاصه القتل وذلك ان مضمع نظر الشارع هونية القاتل لاختلاف احوال المقتول وكان من أحكامهم مع مراعاة جانب الرقيق حسباذ كران العبد أمور بأن لا يتعرض أبدا لاساءة الحرب بوجه من الوجوه مطلقا هذا فيما يتعلق بالجنايات وأما فيما يتعلق بالاحكام المدنية بمعنى المعاملات الحاصلة بين الناس في الجمعية البشرية فقد وصل النيا ايضا من أحكامهم ما ليس أدنى مما ذكر أعلاه شهرة ولا أقل منه بالتنبية عليه جدارة فن ذلك ما يعزى الى فرعون بوخوريوس من تشريع عدة قوانين تتعلق بالمعاوضات التجارية منها ان جاحد الدين يصدق بيمينه سقطه عنه اذالم يكن عند المادعي سند يشهد له به ومنها انه في أى حساب كان لا يجوز ان يكون الربح المستحق زائدا عن رأس المال وان الدين يتعلق بمال المدين لا بنفسه لان الشارع نظر لكون ذات الشخص مملوكة للدولة بحيث يسوغ لها ان تطلبه لخدمتها في كل وقت شاءت اما في الحرب أو في السلم ومن ثم كان حبس النفس ممنوعا عندهم في أى حال كان

وقد ذكر المؤرخ هيرودوت الايكارناسى أيضا المصريين السالفين قانونا غريبا وحكما شرعيا عجيبا يعزى الى الملك أوزورتان الثالث وهو انه كان يباح لهم ان يقتضوا بالرهن على جثث آبائهم المصبرة وان يضع المقرض مع ذلك يده على قبر المقرض بحيث اذا لم يدفع اليه مديته كان له ان يمنع من الدفن عند موته في مقبرة عائلته وان يمنع من الدفن فيها أيضا كل من مات من ذريته مدة بقاء الدين في ذمته الى غير ذلك من الاحكام والقوانين التي تروى عن قدماء المصريين

مطلب — الكلام على ما كان يتخذها المصريون من الحرف والصنائع والفنون

قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه مامعناه ان ديلزم كتابة بجملة مجلدات للاحاطة بكل ما استفيد من آثار العمارات المصرية القديمة فيما يتعلق بأخلاقهم وعوائدهم الاهلية وكيفية معيشتهم المنزلية ولملخص ذلك ان قدماء المصريين كانوا اناسا فلاحين وأرباب صنائع وفنون ورجالا محاربين معا امام حيث الزراعة فان أرض وادى النيل الخصبة كان يزرعها أهلها الكثيرون ويقتفع بها سكانها العديدون في كل جيل وأمام حيث الصنائع والفنون فان أهل مصر وان كانوا لم يتيسر لهم في كل عصر ان يتحصلوا على الآلات الصناعية والدراليب الحقيقية المعينة على الأعمال البشرية وكان اصطناع أمتعة المعاش الضرورية والمواد التي تمس اليها الحاجات اليومية انما يحصل عندهم بواسطة طرق ساذجة بسيطة تشبه ما كانوا يستعملونه من الآلات والادوات الزراعية غير ان ما كانوا يتحلون به من أمتعة الترف والرفاهية قد كان لعمري أمرا ظريفا وصنعا لطيفا مع كونه أكثر كلفة ومصروفا ولقد كانت جميع هذه المواد الترفهية تصطنع بيد أرباب الصنائع والفنون الاهلية بالديار المصرية من أوائل الحقب الدهرية فان جميع الانتقانات (بمعنى مخازن التحف العتيقة والطرف القديمة) بالبلاد الأوروبية يوجد بها من الأدلة القطعية العديدة والبراهين القوية السديدة على اثبات هذه الحقيقة التاريخية المفيدة ما لا يمكن معه ترههم أدنى شك ولا شبهة في هذه القضية ولقد كان بديار مصر في ذلك العصر جم غفير وجمع كثير من العمال يعملون في صناعة نسج الاقشة الجيدة الغنية وآخرون يشتغلون بصناعة صبغها بالالوان المستحسنة البهية وكانت صناعة المعادن واتخاذ الاواني القيشانية (المعروفة بالصينية) وصناعة الزجاج وتحضير مواد الطلا واستعمال المصق بالمصطكى في عمل لصق النقوش الزواقية كل ذلك كان قد بلغ بشواطئ وادى النيل من ميادى ذلك الجبل الى أعلى درجة من التمام والتكامل وبالجملة والاختصار فقد كانت حواصل الصناعة المصرية تجلب في تلك الاعصار على البرور وعلى البحار الى أقصى الاقطار غير ان المصريين كانوا لا يعرفون في مدة تلك العهد استعمال المسكوكات وصناعة النقود بل كانوا يتعاملون في تلك الازمان بطريق المبادلة في الاعيان أو باستعمال المعادن لاهيئة النقدية بل على صورة القضبان أعنى بحسب مبلغ قيمتها بالاوزان

مطلب — ذكر طباع الامة المصرية في سالف الحقبه العصريه

قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه قد كانت طباع المصريين عنى وجه العموم سهله هينه واحلاقهم خزله لينه قال المؤرخ هيرودوت المكرالذ كر اعلاه في هذا المقام مامعناه لم يوجد في الامم اليونانيين من يوافق طباع المصريين من حيث خصلة احترام الشبان للشيوخ غير المقدونيين وذلك انهم كانوا اذا لاقى منهم الفتى شيخا غلى له الطريق وانحرف الى احد الاجناب واذا اقبل الشيخ على مجلس فيه شاب قام له الشاب وكانت تحية المصريين اذا تلاقوا بالافاظ بل بالانحناء الشديد والر كوع الا كيد اغايبه ان تباع انيد منهم الى العخذ (هـ)

مطلب — ذكر ما كان لامة المصرية من عوائد معيشتهم المنزلية وكيفية حياتهم في ديارهم الداخلية

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرالذ كر والبيان قال المؤرخ هيرودوت المذكور اعلاه في هذا المقام ابضا وتحقق جميع ما ابداه من الاخبار بدليل ما تضح من النظر فيما اثر عن سلف اهل مصر من العمارات والآثار ونص عبارته في هذا الشأن ايضا مامعناه ولم يكن في جملة الامم السالفين والملا الاقدمين بعد الليبيين اناس اتم صحة واكمل من حيث اعتدال المزاج نعمة ومنحة من المصريين وذلك انهم كانوا متيقنين من ان اصل منشأ جميع الامراض البشرية اغما هو من المواد الغذائية (هـ) وقد كانوا يتخذون خبزهم من صنف الخنطة ذات السنا بل الشعريه ويشربون في بعض الاقاليم من الديار المصرية نوع الشراب المعروف بالبوزة ويا كلون الاسماك النيشة من بعد تجفيفها بجمرة الشمس او تملحها بوضعها مدمه من الزمن في ماء او مائع آخر مع الملح وكانوا يتناولون ايضا من لحوم الطيور النيشة كالحم السماني والبط وغيره من صغار الطير مع العناية بتمايحها قبل اكلها وبالجملة فقد كان المصريون يتغذون من سائر انواع الحيوانات والطيور التي كانت توجد في بلادهم ويتعاطونها امامشوية او مسلوقة ما عدا النوع الطيور والاسماك التي كانت محترمة عندهم بحسب عفاؤدهم الدينية وعوائدهم التنسكية

وقال المؤرخ هيرودوت المحكي عنه اعلاه ايضا مامعناه «وقد كانت ملايسهم متخذة من غزل الكتان عبارة عن خرقه من القماش تدار حول الخصر كالازار ولها اهداب تسقط على الانفاذ ويتدثرون عليها بعباءة اودفئيه متخذة من قماش الصوف الابيض غير انهم كانوا يخلعونها اذا كانوا في معابدهم وهيا كلهم ولا يدفنون بها اذ كان ذلك ممنوعا عنهم بمقتضى احكامهم الدينية وقوانينهم التعبدية» (هـ)

مطلب — الكلام على ما كان يتخذة سدما المصريين من كيفية دفن الموتى في القبور وصناعة التصبير

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه مامعناه قد كانت العناية بشأن الجثة بعد الموت والحرص على وقايتها من سائر ما يمكن ان يعترها من اسباب الفساد من اهم الامور وذوات الببال عند اسلاف المصريين بتلك البلاد ومن ثم حدثت عندهم عوائد تصبير الموتى واتخاذ التواييد لدقنهم في القبور والنواويس المعبر عنه في اصطلاح ارباب النظر في المواد المصرية القديمة بلفظ الموميا واصل مبنى ذلك على ما كان من كوزاني اذهانهم من الافكار الدينية المتعلقة بما يعترى الروح البشرية من الاحوال الاخروية ولذلك كان يتراعى لهم لزوم جعل البدن بعد الموت في وقاية من الانهتك والفساد حتى تعود اليه الروح بالثاني في يوم النشرو المعاد فتجده حينئذ محفوظا على حالته الاولية وبقاها في صورته الاصلية ولهذا السبب نشأ عندهم ما نشأ من أنواع العنايةات الشديدة وأصناف الاحتراسات العديدة لحفظ جيف موتاهم وعثر لهم على ما لا يحصى كثرة ولا يستقصى حصر او عبرة مما يعرف باسم الموميا المصرية وهي عبارة عن جثث الاموات المصرية (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) وذلك مما قد امتلأت به الانتقحات اناثنا الاوروبية ولا زال يوجد منه العدد الكثير والقدر الغزير في كل ناحية من الديار المصرية القبلية والبحرية ومن أراد ان يطلع على كيفية التصبير فليقرأ ما أورده المؤرخ هيرودوت المذكور في تاريخه من الوصف العجيب والبيان الغريب لاعمال التصبير التي كان قدماء المصريين يعملونها على جثث موتاهم حيث كانت تختلف باختلاف مراتبهم في الجمعية البشرية من أمير وحقير وعلى حسب درجاتهم الدنيوية من غني وفقير

مطلب — الكلام على القلم المصري القديم المسمى بالهيوري جليفي

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه مامعناه كان اليونان يطلقون على كيفية الكتابة الاهلية المصرية اسم الهيوري جليفي وهي كلمة يونانية مركبة من كلمتين معناها في الاصل النقوش المقدسة بمعنى المطهرة أو المحترمة اي الدينية حيث كان قدماء اليونان يتوهون انها كلها مركبة من صور اشياء سادية وليس الحال كذلك كما استقف عليه بالتفصيل والبيان وهذا الاسم وان كان غير صحيح الوضع في الاصل غير انه سارت به الركان ولا زال يستعمل عند العلماء المتأخرين من الاوروباء وبن علي وجهه من الشهرة والاعلان بحيث لا يمكن الا ان استبداله باسم آخر اضبط منه ولم يحصل التفات مطلقا لامن اليونان ولا من الرومانين بوقت استيلائهم على بلاد المصريين لتعترف كيفية قراءة هذا القلم المصري القديم ولا اشتغل احد منهم بشيء مما يقتضى له من التعلم والتعليم حيث كانوا يتوهون انه سر مكنون وعمل مصون مع كون الالهة الى المصريين البلديين كانوا يراوا يستعملونه في سائر مدة ولايتهم عليهم واقامتهم فيما بين ظهرانهم وبقيت الكتابة الهيوري جليفيه المذكورة مدة اعصار عديدة واجيال عديدة محاطة بسجج مظلمة ومستورة بحجب كثيفة غير نافذة ولم ينقل عن سلف المؤرخين

المتمدين في مدارس الاوروبايين من اليونان والرومانيين شئ مطلقا يدل على انهم تعرضوا
 يساعدا على فهمها وكان قد حصل اليأس بالكلية من الوقوف على علمها حتى بزى الى حيز
 الوجود فتى فرانسواى ذوقريجة ناقية وفطنة صائبة فتوصل منذلا أكثر من خمسين سنة لأن
 كشف عنها القناع وتحصل على فتح ما كان عليه حصتها من شدة الامتناع وحقق بحجيب اجتهاده
 من طريق الاستنباط والقوة التفرسية اعظم استكشاف حصل في مدة القرن التاسع عشر هذا
 من الميلاد المسيحى فيما يتعلق باثر العلوم التاريخية الا وهو الشاب الذى اشتهر باسم يوحنا فرانسيس
 شامپوليون المولود بقرية فيجياك من اقليم اللوت (بيلاد فرانسى) فى الثالث والعشرين من
 شهر ديسمبر سنة ١٧٩٠ وتوفى بمدينة باريس فى رابع شهر مارس سنة ١٨٢٢ (ميلادية) وذلك
 انه توصل لأن وضع أصول قراءة الحروف الهيروغليفية على قواعد قوية وجاء بعده جم غفير
 وجهور كثير من العلماء الاوروبايين فاحتدوا ووجدوه واتفقوا وخطوه فى تلك الطريق التى
 افتتحها وكان من اشتهرهم واعظهم وأكبرهم وعلمهم من طائفة الفرانسيس كل من العالم الشهير
 باسم ابيرو والفاضل الكبير المشهور باسم دوروجيه وحضرة مارييت بك ومن طائفة الالمان المحقق
 ليسبيوس وجناب الموسيو بروكش وبيلاد انجلترا العالم الانجيزى المشهور باسم بيرش واجتهد
 كل منهم فى هذه المادة غاية الاجتهاد وانفذ فيم اوسع كل الامتناع حتى بلغ استكشاف الشاب
 شامپوليون هذا بواسطة بذل مجهودات هؤلاء العلماء الاعلام وما حصل منهم من المواظبة على
 الاشتغال بهذا المقام الى درجة الكمال والتمام واتسعت دائرة ثمره هذا الشأن فى سائر الاماكن
 والبلدان وصار لا يشك فيها أحد الآن ولقد أصبح فلم كتابة قدماء أهل مصر يترجم الى جميع
 اللغات الاجنبية فى هذا العصر بما يضاهاى من حيث الصحة والضبط ترجمة كتب الآداب
 الأثورية عن اسلاف ادياء اليونان والرومانيين المعتمدين فى مدارس الامم الاوروبايين
 المتأخرين وملل الافرنج المعاصرين قال العالم الفرانسواى المعروف باسم روبيوما ناصه «ولقد
 صار من المستحيل الآن ان يقول أحد بما كان يقال به منذ مده مديدة واعصار عديدة من
 الزمان بان الفلم الهيروجليفى هو من قبيل الادوار السريية المسكونة والاعزاز المصرية المصونة
 التى اختص بعرفتها الكهنة المصريون واحتكروا بواسطة الاختصاص بها جميع العلوم
 القديمة التى كان يعرفها هؤلاء التمس المتقدمون والقول الصحيح الذى يقتضى ان يعول عليه
 فى هذا المقام هو ان الفلم المصرى القديم انما هو امر عام كان يكتب به الخواص والعوام بدليل
 ان الكتابة الهيروغليفية تشاهد منقوشة فى كل مكان من الديار المصرية وغيرها سواء كان على
 العمارات العمومية كالهياكل والمعابد وما اشبهها وعلى الامتعة المستعملة فى مواد المعاش
 المنزلية وفى القمص التاريخية وفى ضمن المدايح الشعرية والنثرية المؤلفة لقصص تخليد ذكر
 بعض الملوك معدة لغاية النشر والاعلان وبقاء الذكرا الى آخر الخلف على عمر الزمان كما توجد

مسطورة في الاصول الاثرية المعدة لبيان اعلى العقائد الدينية المصرية ومن الخطأ البعيد جدا عن طريق الحق والوهم الخالي عن شائبة الصدق ايضا مذهب من يرى ان الكتابة الهيوريجليزية قد كانت كلها وعلى وجه العموم في تلك الاوقات عبارة عن مجرد رموز واشارات نعم لاشك في انه كان من جملتها بعض اشكال رمزية لكن ما قد كانت غالبها اسماء الانتهام وكثير منها هو اشكال تمثيلية او تصويرية بمعنى انها عبارة عن صورة ذات الشيء الذي يراد الدلالة عليه بالطريقة الخطية واكثر ما يوجد في جميع العبارات والنصوص الاصلية التي حصل العثور عليها مكتوبة بالفلم الهيوريجليفي المصري القديم اعنا هو انه كان صوتية اعنى دالة على صوت يدل على مقاطع لفظية او على حروف هجائية وهذه الحروف هي ايضا عبارة عن رسم صور بعض معاني يكون اسمها مبدوءا بذلك الحرف كما ان الاشكال المقطعية التي هي عبارة عما يعرف في اصطلاح اهل الادب من انواع الانغاز والاجاجي بالمعميات تدل ايضا على معنى يشار اليه بالمقطع اللفظي المرصوع له والطريقة التي توصل بها تعطين الشاب اللبيب والاديب الاريب المشهور باسم شامبو وايون المذكور اعلاه لاعادة ما كان قد اندثر من معرفة سائر مجموع طريقة الكتابة الهيوريجليزية واصول اللغة القبطية القديمة هو مضافا الى الحروف المكتوب بها بعض اسماء الاعلام الدالة على ذوات بعض الملوك حيث راها مسطورة مع ترجمتها باللغة اليونانية في بعض النسخ الاصلية المحررة باللغة القبطية القديمة (كلاثر المشهور بيارتر شيد) فاستدل بها اول اعنى تعرف اوائل قراءة بعض حروف الهجاء المصرية ثم استعان على معرفة سائرها بمعرفة اللغة القبطية الحادثة المتفرعة عن اللغة المصرية العتيقة وهي لغة قريبة منها لم تزل تستعمل في الادعية والصلوات الدينية لغاية عصرنا هذا عند طائفة الاقباط اي نصارى الديار المصرية (هـ)

مطلب الكلام على ديانة المصريين وعقائدهم سكان وادي النيل السابقين

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور اعلاه مامعناه تعجب المؤرخ هيرودوت اليوناني بوقت سياحته في الديار المصرية من شدة مبالغة سكان ديار مصر في الاعمال التبعيدية وكثرة تعاليمهم في التنسكات الدينية فقال ان المصريين هم ادين جميع سكان الارض اجعين واكثر عبادة لآلهتهم من سائر الملل والامم الاخرين وبيان ذلك ان كل شيء في ديار مصر بذلك العصر كان يظهر عليه طابع الدين وكانت جميع كتاباتهم ملوثة بالاشارات الدينية والرموز الى الخرافات الاصلية وكان استعمالها في اعداد المواد الدينية التي هي من هذا القبيل بكاد ان يكون من قبيل المستحيل وكانت علومهم وآدابهم عبارة عن فروع من العلوم الاصلية وصنائعهم وفنونهم ليس الغرض منها غير اشهار الاعمال التبعيدية واطهارها فآلهتهم او فراعنتهم البالغين عندهم مرتبة الالهية وقد كانت احكامهم الدينية واوامرهم التبعيدية كثيرة جدا لغاية انه كان من المستحيل لاحد من اهل الديار المصرية ان يتحمل حرقه لمعاشه او يسقطه حتى

لتحصيل مادة اقواته الضرورية وحاجاته الاصلية الاولية بدون ان يكون على الدوام والاستمرار مستحضراً في ذهنه وفهمه ومتصوراً في خزانة حافظته وعلمه جميع القواعد المقررة والاصول المحررة من لدن الطائفة القيسية وقد كان للمصريين بكل اقليم من الاقاليم المصرية طائفة آلهة واصنام مخصوصين ومحافل دينية واتواع حيوانات معبودة لهم بطريقة خصوصية

وقال المؤرخ المروى عنه اغلاه أيضاً ما معناه أن دين النصرانية لم يخش من ان يتكشف لجميع الناس من غير تستر ولا التباس ومع ما عليه عقائده من الدقة والتعمق بانغ لأن صار مقبولاً عند الكبار والصغار والعلماء والجهال لكونه هو الدين الحق الازلي المخاطب به جميع النوع البشري بخلاف سائر الاديان الباطلة التي كانت تتعلق بها الامم السالفة حيث كان كل ما احتوت عليه من الاسرار الدقيقة والافكار الفلسفية العالية الرقيقة بقي منحصر في دائرة المحراب ومحتكراً من وراء الحجاب في قبضة يد طائفة امناء الاديان المذكورة وجماعة من الخواص واصحاب الاسرار محصوره لتصدر فزع مرتبهم وجرم نفعهم وفي الحقيقة ونفس الامر قد كان يوجد بدار مصر في سالف العصر كما كان الحال كذلك في جميع الاقطار والبلدان المتدينين بعبادة الاوثان في تلك الازمان دينان متباينان احدهما دين طبقات العوام وهو عبارة عن مجموع شيع وتلفيق شنيع من الخش الاوهام واوحش ما يتعلق به الافهام والثاني يختص به المتوغلون في العلوم الدينية وهو يشتمل على بعض عقائد اعلى مرتبة واثرف منقبة يتكون منها نوع من علم الآلهيات الدقيقة (وضرب من المعارف التوحيدية المسمى عند اهل الاسلام بعلم الحقيقة) وهو دين الخواص حيث يتضمن في باطنه عقيدة وحسنة الله سبحانه وتعالى التي هي العقيدة العظيمة والفكرة النورانية الفخيمة وذلك ان المؤرخ هيرودوت اليوناني صرح لنا في الواقع بان المصريين بدنية طبيعية الصعيد كانوا يؤمنون بالآله واحد فريد لا أول له يعرف ولا ينبغي ان يكون له آخر عليه يوقف غير ان هذه العقيدة العالية الشأن اعنى معنى الوجدانية الآلهية السامية المذكان التي يقتضى ان يكون أصل مورد هالههم وحى سابق كانت قد اعترأها من أول الامر فيما بعد من سالف العصر الالتباس والاهام بمحائب الجهل والظلام ففسدت بتصورات قسهم وحهل العامة وبما ابدعوه في شأن الحقيقة الآلهية من عند انفسهم من التخيلات الخرافية واختلطت عندهم شيئاً فشيئاً حقيقة الذات العلية بظهور صفة القدرة الآلهية وتشخصت في اعينهم الصفات الآلهية الاصلية ونعوت الذات الاولية في صورة عدد كثير ومقدار غير محصور من ذوات ثانوية مساعدة للذات الآلهية الكبرى اعنى من آلهة اخرى كانوا يعتقدون انهم يقرنونهم (كما هو نص القرآن الشريف) الى الله زانق ووزعوه على مراتب تدريجية وزعموا انهم كاهن يساعدون على حسن نظام المخلوقات وحفظ سائر الموجودات ومن ثم نشأ عندهم تعدد الآلهة

الدرس التام ١٣٧ في التاريخ العام

المعبودين وكثرة الاوثان العديدين وآل هذا الامر على ما يظهر من حقيقة ما اتضح لنا ما كان لهم من الاشارات العجيبة والرموز الغريبة المتعلقة بمادة المعبودات لأن شمل جميع الكائنات من الكواكب والمعادن والنباتات وأنواع الحيوانات

مطلب — بيان ما كان يعبد في الديار المصرية من الآلهة الملية والادوثان الاصلية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه ولاسبيل لنا هنا الى استقصاء جميع الذوات المؤهلة التي كان يعتقد قدماء المصريين نصيها في درجة ثانية حول عرش الحضرة الآلهة العلية حيث بطول شرح ذلك ويضل السارى في بحر ظلمات تلك المسالك والآلهة الاصلية منها هي الآلهة الكبير المسمى باسم (آمون أو آمون را) وهو عبارة عن الشمس والآلهة المسمى باسم (اوزريس) والآلهة المسمى باسم (هوروس) وهذه الآلهة الملية قد كانت في الاصل صفات ونعوت للذات الوعبد والفرد القديم الازلي الواجب الوجود ثم آل امرها في اعتقادهم لأن نسب اليها صورة وجودية وهيئة ظاهرة خاصة بها وصارت يمكن تعددها الى ما لانهاية وجاءت أوهام العوام فلم تقصر في ذلك للغاية ومن تأمل في ماهية هذه الآلهة الاصلية والمعبودات الكبيرة الملية من قرب ظهر له انها ليست بمتباينة الحقيقة في الوجود الخارجى وانها عبارة عن شئ واحد في التصور الظاهري ويتضح له بالطريقة الجلية انها قد يلبس بعضها ببعض ولا يتأخران بسنتج من دقة النظر في حقيقة هذا الامر ان تلك الخرافات المصرية وسائر افراد المعبودات الملية في تلك الاعصار الفرعونية ترجع في الباطن الى عدديسير ومقدار محصور من الاصول الآلهية ثم تنوع افرادها الى ما لانهاية وتتوزع آحادها للغاية في صور الوجود الظاهريه

اما في دائرة الديانة العامية المرئية اعنى في الاحتمالات الخارجية التي كانوا يشهرونها في الهياكل التعبدية أمام أعين العوام فقد كانت تلك الآلهة مصورة باصنام مميزة الهيئة والقوام متباينة المرتبة والمقام وكانت العمامة ومن بها على هذا الوجه بخلاف طائفة القسس وكل من كانوا قد اطلعوه على اسرار الحقيقة الدينية فانهم كانوا يعرفون حقائق العقائد الاصلية ويقفون على دقائق الديانة الملية ومن ثم يعلم يقيان ان دين المصريين وان كان مبنا على الاصلى ومنشأه الاولى على الاعتراف الصريح بالوحدانية الآلهية قد كان يظهر لاعتس الناس في صورة تعدد الآلهة المعبودين وعبادة الاوثان العديدين الى ما لانهاية له ولا حصر ويتراءى لمن لم يتأمله بدقة النظر انه يشتمل على جملة معبودات عجيبة الهيئة والشكل غريبة الصورة والجل بل في الاكثر شيعة المنظر بشيعة المنحبر وهكذا كان يظهر لاعتس عوام الملة واسائر الجهلة والسفلة من الامة لا غير

مطلب — الكلام على ما كان قدماء المصريين يعبدونه من انواع الحيوانات المحترمة والدواب التي كانت عندهم معظمة

قال المؤرخ المحكى عنه اعلاه مامعناه وقد كان استعمال الاشارات والرموز من أصل طبيعة قريحة

الدرس التام ١٣٨ في التازيح العام

الامة المصرية واساس ديانتها الالهية وقد كانوا اسرفوا الاسراف الكلى فيما كانوا قد جبلوا عليه من هذا الميل الجبلى وتجاوزوا الحد في هذا الطبع الاصلى لغاية انهم صاروا من حيث صورة عبادتهم الملية الظاهرية وهيئة مناسكهم الالهية الخارجية الى افحش طرق الضلال وأوحش ما به وداليم بال وبال وذلك ان قسس دينة المصريين السالفين لقصد ان يتخذوا من الرموز والاشارات ما يلزم لاصور ذرات آلهتهم المنوعه من وشخصيص ما اوجبوه لهم من النعوت والصفات في صورة ذوات آخريين كانوا قد ينجروا لا يتخذوا كل شئ من الكائنات حتى استعملوا لهذا الغرض أنواع الحيوانات فاتخذوا الثور والبقرة والكلب والهرم والقرد والتمساح وفرس الماء والباز والطاير المسمى بالقلقي - حتى اتخذوا لذلك الجمال والخنفساء وغيرها من أنواع الدواب والهورم وجعلوا كل واحد من هذه الحيوانات رمزا وإشارة الى ذات مخصوصة كانوا يعتقدونها من الذوات المعبودات وكانوا يصورون كل آله معبود لهم بصورة ما جعلوه له علامة وامارة على سبيل الرمز والاشارة من أنواع هذه الحيوانات بل كانوا في اكثر الارقات يعبرون عن كل ذات آلهية معبودة لهم بصورة تلتفيق غريب وتوفيق عجيب خاص بالديار المصرية يركبونه من تمثال جسم انسان عليه صورة رأس ذلك الحيوان ومن ثم حدثت عندهم عبادة الحيوانات المحترمة وتأليه أنواع الدواب المعظمة التي كان اليونان والرومان يولونها لهابة تغربون ومنها يتعجبون وكان المصريون يعتمنون كل العناية ويحرصون اتم الحرص والرعاية على علف كل واحد من هذه الحيوانات المقدسة والدواب المكرمة على حسب ما تشتهي نفسه في داخل الهيكل المعبود ليعبد المعبود الذي اقتضت لادبته وجعلوا رمزا وإشارة اليه وبنى مات ذلك الحيوان صبروه ودفنوه في قبره في كل مكان كان يعلو ويحيطه لانسان وكانت كل مدينة أو اقليم من الاقاليم المصرية يحتمل في ربه اربابا من أنواع من هذه الحيوانات بدرجة خصوصية اذ لا ينبغي ان يتوهم انهم كانوا يعبون من النوع على وجه العموم بل كانوا يخصصون بالعبادة والتكريم بعض افراد محصورة من الحيوانات المذكورة وكان بعض افراد معينة منها يثق عليه من طرف الدرلة ويخدمه بعض اعيان من اكار ارباب الماصب والصولة فكانت الاطام مثلا اذا ماتت تنقل من بعد تصبيرها الى مدينة بوباستيس (تل بسطة) والبارات الى مدينة بوتو (اسنا والرماوة) والذائق الى مدينة هورم ربوليس (مدينة مصرية قديمة) وكانوا كذلك اذا خصوا بعض أنواع الحيوانات بالعبادة لا يعبونها في جميع الاقاليم فكانت فرس الماء مثلا معظمة في الاقاليم المسمى باسم بريس من ديار مصر القديمة وكان نوع التمساح ليس معبود الا باقليم طيبة الصعيد مع انه كان يصاد ويحارب باشد الطعان فيما عداه ذلك الاقاليم من كل مكان ومن ثم يعلم ان ديس الالهة المصرية في سالف الاحقاب الدهرية كان عبارة عن اختلاط غريب مجتم وتلفيق عجيب لا ينادي بهم من بعض عقائد عالية تخلفت عن وحى سابق كان قد تلاثى أمره

الدرس التام ١٣٩ في التاريخ العام

وبقي أثره مع بعض تصورات مبتدعة وتخييلات مخترعة أكثرها غير مستقيم وكلاه في درجة المبالغة والتفخيم فيما يتعلق بالماهية الآلهية واصل المباشرة الدنيوية يتخللها طريقة مكارم اخلاق مهذبة نقية مع صوة عبادة حقيرة دنيوية تصمم للذات أو مقام عابثة وتصورات فاسدة أهلية من آفحش ما يكون رازدلم تتعاقب بالظنون قال ابراهيم الصرائي المعروف باسم كليمان الاسكندراني مامعناه «المداد دخلت في كلاب من العباد المصرية في تلك الاعصار لافاك قسيس بهيمة الرقار وهو تلومد قتمجيديه في حق الذات العلية ورفع لك طرف الستارة ليريك الحضرة الآلهية ران في احراك من وراء الحجب اماهرة أو تمساح او شعبان أو غير ذلك من أنواع الحيوان المؤذي لنوع الانسان ولا ترى حينئذ غير بهيمة مفترسة تفرغ على يساط من حري الارجوان فهدها راهل أهمل مصر في ذلك العصر» (انتهى كلام المؤرخ الآنف الذكر)

مطاب — الكلام على أعظم عمارات أهل مصر في سالف الايام وهي الاحرام قال المؤرخ مراسيس لوفورمار اروز عنه «علاء مامعناه لم ينكر أحد ان أعظم العمارات المصرية من حيث الحجم واعرب الانبياء العرعونة من حيث الترخ في القدم هو احرام الجيزة وقد أسلمنا الكلام في غير هذا المسام على كثرة لم يبنائهم من العمال وغزارة ما اقتضى لانشائهم من الاعمال ومن لم يكن نظرها يتيسر لها يتصورها على وجه الضبط تقريرا اذا عرف ان أكبر هذه الاحرام وهو هرم الملك ايمويس او خيويسر (بالكاف او بالحاء المعجمة في اوله والباء الفارسية بعدد اثنين مهملة في آخره) هو بديان مخروطي عظيم وعمران هرمي جسيم مركب من اكثر من مائتي مدمال اوصاف من البناء بالا حجار النحت الكبيرة الحجم والكتل البليغة الجرم جدا وقد كان ارتفاعه في الاصل قبل ان يعتريه الفساد يبلغ ١٢٠ مترا اعني نحو مرتين يتدرار ارتفاعه الكيسة البرية المدهاق باسم (نوتردم) في كنيسة سيدتنا ابى مريم بمدينة باريس وان مساحته فاعدته تبلغ ٣٣ متر ولا وار نجومع انا حجار التي يتركب منها بناؤه يتكون منها مجسم يبلغ الفار هان المنظر يبلغ خمسة وعشرين مليون متر مكعبا بحيث يمكن ان يبنى منه جدار يبلغ من الارتفاع ١٢٠ متر على ارتفاع ستة امتار ولا جمل اعانة قاعة التابوت الملوكي على ما فودها من النقل العظيم دبر المهندس المعمارى المصرى القديم في اعلى عمارة هذا الهرم الجسيم عدة فراغات في ذات العمارة مدكورة جعلها عدة قيعان اخرى واطية صغيرة وفيها قاعة تابوت ثانية كانه على وجه الضبط تقريرا تحت القاعة الكبيرة غير انها ليست من اصل البناء الجبر بل هي في ذات صخر الجبل مفحورة ووضع هذه الممار الهائلة بالنسبة لوضع الشمس هو على طريقة مضبوطة كاملة بحيث ترى جهاتها الاربع مقابلة بغاية الضبط والدقة للجهات الاربع الاصلية

الدرس التام ١٤٠ في التاريخ العام

واما الهرمان الاخران فهما كذلك على هذا الوجه من الضبط موضوعان غيران بناء هما ليس فيه فراغ كبناء الهرم الاول وهما في ذات الصخر من الجبل مصطنعان والهرم الثاني هو دون الاول في الارتفاع لكونه من سوعا على مكان من الجبل هو اعلى من الثاني وبناء هذا الهرم الثاني هو كذلك دون بناء الهرم الاول من حيث كمال الصنعة والاتقان وكان القصد بانشائه ان يدفن فيه جثة الملك شفرين بما اختلفنا ذكره في غير هذا المكان ولم يبق من جميع الاهرام ما بقى عليه طبقة نظيفة بالجرجر لحدت من الخارج غير هذا الهرم الثاني لا غير

واما الهرم الثالث فلا يطلع من الارتفاع الى ثلث الهرم الاول غير انه اكثر منه نقشا وزواقا وقد عثر فيه من الخشب على تابوت الملك ميسيرينوس وهو الذي كان قد انشاه وشيد عمارته وبناءه والقاعة التي وجد فيها تابوته وجدت كلها مطبقة الجدران من الظاهر بالجرجر الصوان وحيث كان الجبل الذي يؤخذ منه نوع الجرجر الذي هو من هذا القبيل لا يوجد الا باعلى صعيد وادى النيل على القرب من جهة اسوان لزم انهم كانوا يجلبونه على السفن من ذلك المكان وقد كان على هذا الهرم في سالف الزمان كذلك طبقة من الظاهر بالجرجر الصوان المجلوب من جهة اسوان غير انه يظهر عليه انه اقرب عهدا من بناء ذات الهرم المذكور وانه اضيف اليه فيما بعد من انشاء الملكة نيتوكريس التي هي من ملوك العائلة السادسة كما هو فيما تقدم مسطور

مطلب - شرح القول على التمثال العظيم المعروف باسم ابي الهول

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه واما التمثال العظيم (المعروف على لسان العامة باسم ابي الهول) الذي يشاهد في اسفل الاهرام الكبيرة المذكورة وكأنه كان ذبلا وتتمه لهذه العمارات الشهيرة فهو في الاصل من انشاء الملك شفرين المذكور وان كان لم يتم سائر عمارته في مدة ولايته وقد رسم مساحته نحو ٩٠ قدما وطولا على نحو ٧٤ قدما ارتفاعا ومساحة رأسه من عند اسفل الذقن الى اعلى الجبهة ٢٦ قدما وهو منحوت في ذات صخر الجبل الذي هو قائم عليه ومنقسم الى ست مناطق افقية بقدر الطبقات الطبيعية الكائنة في ذلك الجبل الذي هو مصطنع فيه وقد اتخذ له فم في أحد الشقوق الفاصلة بين تلك الطبقات الجبلية وابلوا الهول العظيم هذا هو صورة معبود قدسنا المصريين المسمى باسم (هارماشو) وهو عبارة عن الشمس في وقت الغروب وقد كان من عثمائدهم الشينية انه بالاصالة اله الجناز وقيما بين مقدم يديه محراب صغير معد لعبادة الآله المذكور كان قد اعدا انشاءه بالثاني الملك طوطميس الثالث قال العالم السياح الفرنسي المشهور باسم امبير في كتاب رحلته مامعناه ان هذا التمثال العظيم مع ما وقع عليه من التشويه الجسم ليأحد يجامع قلب الناظر اليه ويؤثر عليه تأثير الامر العجيب وكان له عمري طيف خيال غريب ظهر ظهورا يد بالاعين الناظرين من أرواح الاقوام السالفين وكان ذلك الخيال المتصور من الجرجر ذرو روح يكاد يسمع ويبصر وكان اذنه الكبيرة

الدرس الثام ١٤١ في التاريخ العام

اتصفى لما يلقى اليها من اخبار الماضين وفي كيفية مواجهة نظره لبصر الناظر اليه دقة ظاهرة وحقيقة باهرة تسحر قلب كل من التي نظره عليه وانه ليشاهد لعمرى على وجه هذه الصورة الجيية التي نصفها صنم ونصفها جبل مهابة غريبة ونوع من البشاشة بل ربما كان يرى عليها أيضا نوع من اللطافة والهشاشة ، (٥١)

مطلب ذكر عوائد المصريين فيما يتعلق بدفن موتاهم وما كانوا يتخذونه لذلك من المغائر والقبور وما كانوا يعتنون به من كثرة الزواق والتصوير

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه قال ديودور الصقلي مانصه وقد كان المصريون يسمون مساكنهم في الحياة الدنيا بما معناه المجلأ أو المشوى أو المأوى لداعي انهم يأوون اليها مدة قصيرة من الزمن ويسمون قبورهم بالدور الايدية لداعي انها هي دار الخلود ولذلك كانوا لا يعتنون بزواق منازلهم الدنياوية بخلاف مقابرهم حيث كانوا يبذلون كل مجهودهم وميسرتهم في ان تكون في اعلى درجة من الابهة والفخار ولا يملون شيئا مما يبلغها الى ابعج الزينة وابهى الآثار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر المذكور والبيان اعلاه مامعناه وحيث كان لا يمكن لنا هنا ان نحصى عددا ما تبقى لاسلاف أهل مصر ولان نستقصى وصف كل ما اثر عنهم من اثار ذلك العصر من المغائر الكثيرة والمقابر الغير المحصورة التي توجد في كل محطة من طول شواطئ وادي النيل مشحونة بما لا يحصى من أنواع النقش والزينة الغزيرة التي اشهرها واعظمها واجدرها بالذكرواهاها المغائر الموجودة بضواحي مدينة منف أو منفيس (اعنى بجهة الجزيرة وصقاره) ومغائر ناحية بتي حسن بالاقليم الوسطى فلا اقل من ان تقف من جملة ذلك على القبور الملوكية الشهيرة الكائنة بجهة مدينة طيبة العظيمة حيث وقف عليهم او وصفها كل من ساحب ديار مصر في هذا العصر من اهل العلم والخبرة بالآثار القديمة وهذه القبور هي عبارة عن عمارات عظيمة وابنية جسيمة مشيدة في اسراب تحت الارض يهتزلها الناظر اليها طربا ويقضى منها عجبا كما يستغرب مما يوجد على القرب منها على وجه الارض من العمارات والآثار المجاورة لها قال العالم السباح الفرنسي المشهور باسم رويوفي كتاب رحلته مانصه ده واشهر هذه القبور واكبرها وأجدرها هو قبر الملك رمسيس الخامس وذلك انه يشتمل على عدة قيعان يوجد فيما بينها مجازات يسير فيها السائر في بطن الجبل حتى يصل الى قاعة التابوت الملوكي الكبرى وكلها يوجد عليها سلسلة طويلة من النقوش المنحوتة والزواقات الجميلة وهي صورة مناظر خرافية ومما تيل فلكية تصور فيها سير الشمس وكيفية الثواب والعقاب التي تلقاها الروح البشرية في دار الحياة الاخرية وعلى الخصوص قاعة التابوت الكبرى التي وصفها شامبوليون مع غاية التفصيل والتبيين في رسالته التي حررها من ديار مصر فيما يتعلق بالآثار المصرية القديمة حيث تكرر فيها تصوير كيفية سير الشمس وعلى جوانب

الدرس التام ١٤٢ في التاريخ العام

جدارتها ما لا يحصى من الكتابات بالقلم المصري القديم المعروف باسم الهيروغليفية وليست بجميع القبور الستة عشر الموجودة بالوادي المسمى باسم بيبان الملوك كلها تامة الزواق والرينة عنى سائر جهاتها مع معتابيل بعضها كان قد تم فيه هذا العمل وهو قبور الملوك الذين كانت اقامتهم على كرسي المملكة أطول وبعضها كان لم يتم فيه ذلك العمل وذلك انه كان من عوائدهم انه متى جلس الملك على كرسي السلطنة حصل الشرع عـ على الفور في اجراء العمل لانشاء القبر اللازم له ومتى توفي دفن فيه على الحمال الذي يكون عليه يرقه وفاته سواء كانت هذه العملية قد تمت أو نقصت على حسب اختلاف قدر مدة ولايته طال أو قصرت ومتى دفن في قبره الجسد أغلق بابه الى الابد ومن جملة أتم القبور الملوكية المذكورة وأعجبها وأعظماها: أغربها قبر الملك سيتوس الاول وقبر الملك رمسيس الثالث وذلك ان قبر الملك سيتوس الاول قد تصورت فيه أنواع الانسال البشرية على حسب ما كان يعرفها في ذلك عصر في سالف العصر وعلى قبر الملك رمسيس الثالث كما يوجد مثل ذلك على جميع قبور الاغصان الاولية صورة متميزة وأدوات تتعلق بكيفية المعاش الحصوصية مع حدودها لشرية للسنة لزراعية المصرية مصورة على ستة هيئات مختلفة للنيل وأرض مصر ممثلا كل منها في صورة ذات مصورة بالشئ المجعول لها عندهم من قبيل الرمز والاشارة وعلى سبيل العلامة والامارة وقد تصور في كل هيئة من الهيئات الست المذكورة صورة سائر الخواص الزراعية التي تختص بكل موسم من المواسم السنوية المصورة في تلك النقوش الصناعية وذلك ان من المعلوم كور مياه النيل هي التي يتحدد بها في الديار المصرية أوقات المواسم الزراعية (٥)

مطلب — ذكر ما كان لقدماء المصريين في سالف العصور من الهياكل والنقصور
 قال المؤرخ المكررا الذكرا علاه ما دعناه انديوقت غزوة عسكر الفرانسيس لديار مصر كانت فرقة العسكر الفرانسيس الكائنة تحت رياسة انتالذ المسمى باسم ديزيه قد أرسلت اتباعه مراد بل ومن دعاه من جماعة المالك الى أقصى جهة الصعيد ومع كون جماعة العساكر الفرانسوية المذكورة كانوا في احوال العدم ونفاذ الميرة وكادوا أن يهلكوا من شدة الحرارة فميجران بدت لا دينهم على سير غزلة طوالع اطلال طيبة نسرا من أول وهلة ما كان قد اعتراهم من المشقة والتعب وكل ما كان نداء صابهم من ألم الجوع والنصب مع قرب العدم ونهم وامتلائ قلوبهم حمية ومهاسا وصاروا جميعا يصدقون بكونهم استغرابا دفعة واحدة ويصبحون استجابا عن حركة متحدة وذلك ان مدينة طيبة هذه التي كانت في سالف الاعصار عند المصريين لا لهم المسمى باسم (أمون) هي المدينة المقدسة (بمعنى الحرم المأمون) هي وان كانت قد انكب عليها من نكبات الدهر وانصب اليها من صدمات كل عصر مصائب شديدة مدة عدة قرون من الزمن عديدة وانضم فيها العمل الخراب الحاصل عليها من تعاقب الاحقاب نوايب الفساد الحاصل في تلك الاعصار

الدرس الثامن ١٤٣ في التاريخ العام

من غارات الاقوام المتوحشين على قذذ البلاد فلم تزل تظهر لنظار الناظر البراني أعظم منظر واجم
 مخبر وتبدو لبصر المتفرج عايمها في أعجب مجموع من الابنية والعمارات التي باشرت بايد الصنائع
 والفنون على عر القرون مما يكاد أن يكون بمباشرة جميع العائلات الملوكية الكثيرة التي
 تملك على ديار مصر من عصر الملك أوزور تازان الاول الى عصر آخر ملوك دولة البطالسة الكبيرة
 الذي هو والد الملكة فليوبطرة الشهيرة ولو أردنا ان نستقصى على وجه شامل وصف ما بقى من
 من آثار عارات مدينة طيبة المدكرة للزم لنا وضع محاد كامل ولذلك اقتصرنا لقصدا يراد
 ما فيه الكفاية الامام بما كانت عليه هذه المدينة الشهيرة من بلاغة السعة والزينة الكثيرة
 على ان نقول ان مساحة سور اطلال الجهة المعروفة الآن بالكرنك من مكان هذه المدينة القديمة
 يبلغ ١١٠٩ أقدام بقطع النظر عن مكان صفوف التماثيل المعروفة باسم أبي الهول الكائنة
 امام البسات البراني وعن الهيكل الآخر الذي أنشأه الملك رمسيس الثاني على ذات سمت الهيكل
 الاول في اوراق حائطه الحاد بحيث يبلغ مجموع مساحة حاد الجميع لما يقرب من مبلغ ٢٠٠٠
 قدما تقريبا ويدخل في جملة العمارات المشمولة في دائرة المسافة الرحبية القاعة ذات
 الاعددة الجيبية التي هي من انشاء الملك سيبتوس الاول ولا تفي العبارة بوصفها على الوجه الاكل
 قال المؤرخ فرانسيس لونورمان وهذا نص عبارة العالم السباح الفرانساوي المسمى باسم أمبير
 في كتاب رحلته بديار مصر السالف الذكر والبيان حيث قال فيه ما نصه في هذا الشأن
 واذا أردت ان تتصور هذه القاعة الغربية فتخيل غايبة من الابراج وتصور امامك مائة وأربعين
 عمودا في مثل غناظ العمود الكبير المنصوب في الميدان المسمى باسم (لابلاس وندوم) بمدينة
 باريس يبلغ أكثرها ارتفاعا الى ٧٠ قدما (ونذلك هو مبلغ ارتفاع مسلتنا الفرانساوية هذه
 تقريبا) ومساحة فطرها هذه الاعددة القرعونية ١١ قدما وكلها مغمورة بانواع النقش
 البارظريف والكتابة بالقلم المصري القديم المعروف بالهيوريجيف ومحيط رؤس هذه
 الاعددة ٦٥ قدما ومجموع مساحة هذه القاعة الملوكية ٣١٠ أقدام طولها على اكثر من
 ١٥٠ قدما عرضا وكانت في الاصل كلها مسقوفة ولم يزل يشاهدها كوة من الكوات التي
 كانت متخذة في ادخال النور اليها (هـ) وقال العالم السباح الالماني المشهور باسم
 ليسبيوس في كتاب رحلته بديار مصر ما هو هنا ايضا جدير بالذكر ونص عبارته كما هو بعدمسطر
 وان مما لا يدخل في حيز الامكان أن يعبر الانسان بالقلم أو اللسان عما يجده في قلبه من التأثير
 الجيب والاندعاش الغريب اذا دخل أول مرة في هذه الغايبة من العمدان وخطر أول خطرة
 بين تلك الصفوف المتعددة من تماثيل الالهة المصرية العظيمة وصور الذوات الفرعونية
 القهيم التي هي مغمورة بها تارة عايمها كلها وطورا على جزء منها وعلى جميع جدرانها نقوش
 مغمورة مزوقة بانواع الصباغات الملونة بعضها بارز وبعضها مفرغ ولم يتم عملها الا في مدة عهد

الدرس التام ١٤٤ في التاريخ العام

خديفاه الملك سيتوس وعلى الخصوص في مدة ولاية ولده رمسيس (هـ)

وفيما بين عمارات الكرنك والجهة المسماة بالقصر بحيث تصل إحدى العمارتين بالأخرى سلسلة من العمدان والكبوش المصنعة من حجر الصوان موضوعة بغاية الضبط والاتقان على وجه من التدبير بحيث يتكوّن فيما بينها طرق وجسور وهي عبارة عن هياكل وقصور من انشاء الفراعنة المتعاقبين على مملكة مصر في عدة اجيال مضت على تعاقب الدهور وأقدمها عهدا وأهمها الهيكل الكبير الذي هو من انشاء الملك آمينوفيس الثالث وفي جهة الشمال منه مجاز من الاعددة يوصل الى هيكل آخر من بناء الملك رمسيس الثاني ومساحة مسطح مكانه ٢٥٠٠ متر وقد كان الملك المذكور شاد في مقدم الساحة الكائنة أمام هذا الهيكل مستنبتين عظيمتين احدهما نقلت الى بلاد الفرانسيس وهي الموجودة الآن بالميدان المسمى (باسم لابلان دولا كونكورد) أي ميدان الاتفاق بمدينة باريس

وبالجملة فان آثار مدينة طيبة الصعيدية هذه هي أعظم الاطلال وأجسام الآثار التي بقيت من عمارات الديار المصرية على مر الاعصار وقد كان يجب علينا أن نطيل الكلام عليها ولكن استصوبنا الإشارة اليها على وجه الاختصار ولا ينبغي أن يتوهم انه لا يوجد غيرها على شواطئ وادي النيل مما هو من هذا القبيل بل يوجد في عدة أماكن من الديار المصرية بجزيرة اسوان وامبووادفو واسناوارمنت وندره عدة هياكل قديمة ومعابد عتيقة عظيمة بعضها باق بتمامه على حاله الاصلية لغاية الآن وبعضها اعتراه الفساد بمرور الزمان غير ان أكثرها كان قد تجدد بناؤه في مدة دولة البطالسة الخالفين على الاسراب الذي كان قد حصل عليه انشاؤه في اعصار الفراعنة السالفين وقد استكشف المكرم مارييت بك ناظر أعمال البحث عن الآثار القديمة الفرعونية بالديار المصرية في المدينة المسماة باسم آبيدوس (المدفونة) بنواحي الصعيد هيكل كامل لم يلحقه اتلاف كانه بناء جديد من عهد الملك سيتوس الاول وهو أعظم وأجل ما يوجد بالديار المصرية من المعابد الفرعونية من حيث اتقان الصناعة الفنية ومساحة مسطح مكانه ٨٦ قدما طولاً

وأما مدينة مصر القديمة المسماة باسم منفيس أو منف (مائة رهينه) فلم يبق من عماراتها الجسمية شيء قائم على حاله الاصلية وهيئته الاولية والذي أمكن بقاؤه من آثارها انما هو مدفون تحت الارض وغاية ما تيسر اظهاره من هياكل هذه المدينة العظيمة هيكل واحد استكشفه المكرم مارييت بك المذكور آنفا وهو الهيكل المسمى باسم (لوسيرا) يوم أي معبد آله قدما المصريين المسمى باسم سيرايس) وقد عثر في داخل سورته على مدافن سلسلة جميع الاثوار التي كانوا يعبدونها ويسمون بها باسم (آيس) من عهد العائلة الملوكية المصرية التاسعة عشرة الى عهد ادخال الديار المصرية تحت ولاية السلطنة الرومانية وقبل أن ننهي الكلام على هذا الباب لا بأس لنا بأن ننبه

الدرس التام ١٤٥ في التاريخ العام

هنا بطريق الاختصار على ما يوجد من عديد العمارات والآثار الباقية من عهد الاغصان الفرعونية متسلسلة على شواطئ النيل ببلاد النوبة من عند شلال اسوان لغاية الشلال الثاني ببلاد السودان ولا سيما الهيكل العجيب الكائن هناك تحت الارض بالاحمية المسماة باسم **ابسنبول** (بكسر الهمزة في أوله) حيث يوجد كثير من النقوش التاريخية والتصاوير الدينية على جوانب جدرانه وعلى واجهة بابه الغريب المركب على اربعة اعمدة من الصور الهائلة (اعني من نوع الصور الجسمية المعروفة باسم ابى الهول) منحوتة في ذات الصخر من الجبل مصورا في هاديات فرعون رمسيس الثاني على هيئة الجالس مع كون ارتفاع كل صورة منها يبلغ نحو اوسنتين قدما (انتهى الى هنا معربا من مختصر تاريخ الامم المشرقيين والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان)

تتمة

تشتمل على بعض ايضاات جديدة وزيادات مفيدة فيما يتعلق بتاريخ مصر في سالف العصر

وذلك في عدة مسائل (معربة باختصار من التاريخ القديم الكبير للمؤرخ فرانسيس لونورمان الشهير)

المسألة الاولى

مطلب - بسط الكلام على اصل ما أخذ تاريخ المصريين القدام قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه في تاريخه القديم الكبير ما معناه طالما كان أهل العلم بالبلاد الاوروبية اذا ارادوا ان يكتبوا تاريخ الديار المصرية يضطرون للاقتصار على اعتماد ما كان قديما اليونان قد اودعوه في سالف الزمان بمصنفاتهم التاريخية من القصص والروايات الحكوية وذلك لانهم كانوا لم يطلعوا على ما بعدهم في سالف العهد على أسرار القلم المصري القديم ولا كان أحد التفت لما كان يقتضى له من التعلم والتعليم ولما كان ما اقتضاه سلف المؤرخين من الشهادات التاريخية فيما يتعلق بتاريخ الديار الفرعونية متناقضا كل التناقض بعضه لبعض كانوا يظنون لزوم ترجيح ما ابداه من المعلومات التاريخية كل من المؤرخ هرودوت الايكارناسى ودودور الصقلي واينارده على سائر ما عداه فهذا هو ما كان جاريا عليه العمل بين أهل العلم في سالف الزمان واما الآن فقد تغيرت احوال العلم في هذا الشأن بالكلية لداعي ما أترحه في هذا العصر من الاستكشاف الخلد للذكر العائم الفرانساوى النبيه والفاضل الاوروبى الوجيه حنا فرانسيس شامبوليون المذكور فيما

الدرس الثامن ١٤٦ في التاريخ العام

سلف اعلاه حيث تيسر لنا بما ابداه من الوقوف على حقيقة حروف الهجاء المصرية وتعريف اصول اللغة القبطية امكن قراءة ما يوجد مسطر اعلى الآثار الفرعونية من الاساطير المعروفة بالكتابة الهيروغليفية وقد كانت قراءتها معدودة عند اهل العلم والعرفان في جملة المسائل التي لا يمكن حلها الى آخر الزمان وها هو قد تيسر لنا الآن ان نأخذ تاريخ هذه الديار العتيقة عن ذات ما حرره اهلها بأنفسهم من الكتابات وسطروه بقلمهم القديم على ذات ورقهم البردي وما اثر عنهم من الآثار والعمارات ومن حين استولت يد التاريخ على تلك السندات الاصلية والتحريرات الرسمية بمعنى الدواية الدالة على حقيقة احوال شواطئ وادي النيل في سالف الجيل كادت ان تضحل بالكليمة اعتمادية هذين المؤرخين اليونانيين اللذين كان يعتمد عليهم مادون غيرهما في المدارس الاوربية وتلاشت تقريرا سندتهما في المواد التاريخية اما هيروودوت الايكارناسي فقد كان رجلا سيباح عجيب الضبط غريب التقييد والربط يقص ما شاهد به بعيني رأسه من الحوادث الواقعية بطريقة هي للقلوب ساحرة وفطنة نادرة اما فيما يتعلق بوصف اخلاق المصريين وعوائدهم فترى كتابه كثر انفيسا الى ما لا نهاية له حيث اودعه ما كان قد عاينه بنفسه فعبّر عنه باضبط معبرة وسطره باصح مسطرة وفي كل يوم تأتي العمارات المصرية القديمة بفوائد جديدة تؤكدها استفيد منه من الشهادات العديدة واما فيما يتعلق بذات الوقائع التاريخية فحيث كان لا يعرف لغة المصريين وكان لا يمكنه ان يأخذ الحوادث الحقيقية من منابعها الاصلية كان بالضرورة يعتمد على ما يروي له قسس الهياكل التي كان يزورها ويستند لما يحكيه له ارباب المجالس التي كان يتيسر له حضورها ولذلك لم يتيسر له كما اعترف بذلك بنفسه ان يحرر للديار المصرية مختصرا تاريخ تام ولا أن يأتي بزبدة خبر من متظم للدول الفرعونية على وجه عام بل كان كتابه كما هو نص عبارته عبارة عن مجموع نوادر تاريخية ومحاضر علمية تتعلق ببعض احوال الملوك المصرية فقط على ان تلك النوادر التاريخية لم تكن متوالية الترتيبات الزمنية ولا متوالية المواقيت الحقيقية ومن اطلع على كتابها تضح له بالطريقة الجلية ان هذا السباح اليوناني الكيس انما هو دبطون اوراقه بتقييمات كان قد أخذها بمدينة منفيس عن كان فيهما من طائفة القسوس وانه خلط خلط عشواء وخبط خبط عيياء في مادة المدد الزمنية ونسب بعض الوقائع لغير اعصارها الحقيقية وأما ديودور الصقلي فقد كان كذلك سندا قويا ومعتمدا مستقيما سويا فيما يتعلق بمادة الاخلاق والعوائد المصرية حيث كان بنفسه قد عاينها فعبّر عنها وبينها واما فيما يتعلق بالتاريخ الحقيقي فقد كان مجرد جامع لا قوال غيره روى في كتابه عدة روايات مختلطة وضمنه جملة حكايات مختبطة من العلم وبعض مواد ادره عن ايدشتي في نهاية من سوء الهضم وكتابه في الواقع ونفس الامر لا قيمة له مطلقا فيما يتعلق بتاريخ نراغنة مصر ولا يكاد يؤثر خدمته فيما يتعلق ببيان احوال ذلك العصر غير قد ريس برجدان من بعض نوادر تاريخية هي في الحقيقة من الاصل محض مصرية يوجد منها في كتاب هيروودوت السالف الذكر القدر الكبير

الدرس التام ١٤٧ في التاريخ العام

ولا يوجد في كتب علي الفراعنة المصريين السالفين من بقي له من بعد التمكن من قراءة حروف القلم المصري القديم المعروف باسم الهيوريجيايف المقام الشريف والقدر الثمين المنيف جدا غير مؤرخ واحد فقط وهو مانيتون القسيس المصري المعروف بل ام يزل في كل يوم تغلف قيمته وتعلو درجته كما حصلت مقابلته بما استفيد من السندات الاصلية والقيودات الالهية التي لم تزل تستكشف على العمارات المصرية وطالما كان اهل العلم يبحثون عنها وينازعون في صدقه وبينه كرونه وكانوا يرون ان ما ذكره في كتاب تاريخه من مرديد سلسله العائلات الملوكية المصرية وعديديوت الملك والدول الفرعونية انما هو من قبيل الخرافات لا من قبيل الحقائق التاريخية وأما الاثن فقد تحقق باقوى البرهان ان ما بقي لنا على عهد الدهر لغاية هذا العصر من كتاب هذا المؤرخ المصري العظيم هو اول ما اخذ بهد و افضل منبع يوجد لانشاء تاريخ ديار مصر القديم

وقصة مانيتون هذا هي انه كان رجلا قسيسا مصريةا وشيخا دينيا من أهل مدينة سبنييت اوسبنييتيس (وهي سمود) بالاقليم البحرية كان قد كتب تاريخ وطنه من عين معدته بامر الملك بطليموس فيلاداف بناء على ما كان محفوظا في الهيكل المصرية من السجلات الرسمية والدفاتر السلطانية والدينية ولكن انعدم تأليفه هذا النفيس ككثير من الكتب التي كان قد كتبها السلف ولم يصل اليها من غير بعض قطع بسيرة وعبارات متفرقة غير كبيرة مع جدول يشتمل على ذكر جميع الملوك المصريين والعراة المتقدمين كان القسيس مانيتون المذكور قد وضعه في ذيل كتابه المشهور فنقله عنه لنا من سعدنا في ضمن تأليفاته التاريخية بعض احبار عهدهم من النصارية وقد توزعت في الجدول المسطور جميع الملوك والسلاطين والفراعنة السالفين الذين تعاقبوا على ولاية الامر بديار مصر في سالف العصر لغاية عهد الاسكندر الاكبر الى عدة بيوت ملك اودول سلطانية جرت عادة المؤرخين بالتعبير عنها بالعائلات الملوكية أو الدول المصرية وقد نص القسيس مانيتون في أكثر هذه العائلات السلطانية على اسم كل ملك ومدة ولايته وسائر مدة اقامته ملوك عائلته على كرسى السلطنة الفرعونية واقتصر في قليل منها على ذكر بعض فوائد مختصرة و ايراد بعض اخبار مقتصرة تتعلق ببيان أصل بيت الملك وعدد من تقلد منه بقلادة الولاية المصرية مع رقم قدر المدة التي أقامت كل عائلة سلطانية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر المذكور والبيان ولا سبيل لنا هنا لان نورد هذا الجدول بتمامه وكاله حيث كان أكثر ما ورد به من أسماء الملوك والسلاطين قد اعتراه التغيير والتبديل وداخله الفساد والتحويل من يد النساخ اليونانيين لداعي جهلهم بلغة المصريين ولا يمكن لنا اصلاح ما اعتراه من الاختلال والمغايرة اللهم الا بدقة النظر فيما يستنبط من العمارات المصرية القديمة بطريق المباشرة ولا نكارا فيما لا بأس به ان نورد منه هنا الاقل من الفوائد الاصلية في ضمن هذا الجدول المختصر الذي هو بعد مسطر

الدرس الثامن ١٤٨ في التاريخ العام

جدول

يتضمن زبدة ماروي عن مانيتون المصري من قائمة العائلات الملوكية المصرية

تاريخ قم	مدة إقامة كل عائلة	اسماء حادثه	مناشأ وقاعدة كل عائلة	ترتيب العائلات بجوروف ايجد
٥٠٠٤	٢٥٢ سنة	خرابة المدفونه	تيفيس	١
٤٧٥١	٢٠٢	٠	٠	٢
٤٤٤٩	٢١٤	مائة رهينه	منف اومنفيس	٣
٤٢٣٥	٢٨٤	٠	٠	٤
٣٩٥١	٢٤٨	٠	٠	٥
٣٧٠٣	٢٠٣	جزيرة اسوان	ايليفتمين	٦
٣٥٠٠	٠٧٠	مائة رهينه	منف اومنفيس	٧
٣٥٠٠	١١٢	٠	٠	٨
٣٣٥٨	١٠٩	اهناس المدينة	هيراقليو بوليس	٩
٣٢٤٩	١٨٥	٠	٠	١٠
٣٠٦٤	٢١٣	مدينة آبو	طيبة	١١
٢٨٥١	٤٥٣	٠	٠	١٢
٢٢٩٨	١٨٤	سخا	اكسوييس	١٣
٢٢١٤	٥١١	سان	الملوك الرعاة	١٤
١٧٠٣	٢٤١	٠	٠	١٥
١٤٦٢	١٧٤	مدينة آبو	طيبة	١٦
١٢٨٨	١٧٨	٠	٠	١٧
١١١٠	١٣٠	سان	تانيس	١٨
٠٩٨٠	١٧٠	تل بسطه	بوياسيديس	١٩
٠٨١٠	٠٨٩	سان	تانيس	٢٠
٠٧٢١	٠٠٦	صالحجر	سييس	٢١
٠٧١٥	٠٥٠	٠	دولة الحبشة	٢٢
٠٦٦٥	١٣٨	صالحجر	سييس	٢٣
٠٥٢٧	١٢١	٠	دولة الفرس	٢٤
٠٤٠٦	٠٠٧	صالحجر	سييس	٢٥
٠٣٩٩	٠٢١	اشعرون الرومان	منديس	٢٦
٠٣٧٨	٠٣٨	سمنود	سيانديتوس	٢٧
٠٣٤٠	٠٠٨	٠	دولة الفرس	٢٨

الدرس التام ١٤٩ في التاريخ العام

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير المنقول عنه أعلاه ما معناه هذا حاصل جمع ما نصر عليه المؤرخ المصري في قائمة ما لو ك وطنه من الأرقام والمخلص ما سطره فيهما من المدد والاحكام وكل من اطلع عليه فلا بد وان يتعجب ولا يسهه الا ان يستغرب من جسامه مدة الزمن الناتجة من حاصل جمع مدد اقامة العائلات الملوكية المصرية على كرسى السلطنة الفرعونية وذلك انه بمقابلة مبلغ حاصل هذا الجمع المسطر أعلاه مع مبلغ عمر الدنيا حسبما أوضحنا تحقيقه فيما أسلفناه يرى ان ما ذكره في قائمته قسيس سبنييت يوصلنا الى أقصى الأزمان التي هي عند سائر الأمم الاقدمين معدودة من الاعصار الخرافية وهي عند المصريين معدودة من الأزمان التاريخية الحقيقية ولما تحيرت افهام بعض العلماء المتأخرين في توجيه هذه المشكلة العلمية مع كونهم لم يسعهم ان يتشككوا فيما يقتضى ان يكون عند المؤرخ ما ينتون المصري من الصدق والاعتمادية اضطرروا في توجيه ذلك بالقول بأن ديار مصر في عدة عهود ومن تاريخها في سالف العصر قد كانت منقسمة الى عدة دول متفرقة وجملة تلك ممتزقة وان ما ينتون المصري انما ذكر منهم عدة عائلات ملوكية على وجه كونها متعاقبة مع انها كانت متعاصرة وذهب آخرون منهم العالم الفرنسي المسمى باسم بوسان الى خلاف هذا المذهب السالف البيان فقالوا بل لا عماد ذكره ما ينتون من ان حادثه تأسيس الدولة الملوكية بالديار المصرية قد كانت في سنة ٥٠٠٤ قبل تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام حسبما سطر أعلاه انه يقتضى أن تكون الحادثة المذكورة قد حصلت فقط في سنة ٣٦٢٣ ق م (قلت وهذا قريب مما ذكرناه في ضمن الباب الاول وأوضحناه)

قال المؤرخ مارييت بك المذكور فيما أسلفناه ما ملخص معناه فان قيل يا ليت شعري ما صدق القواين المذكورين ويا هل ترى ما أصح المذهبين المسطورين قلنا انه كلما تدقق النظر في هذه المشكلة التاريخية تحقق انه لا زال يصعب حل هذه المعضلة العلمية وان أعظم الموانع للوقوف على حقيقة ترتيب الأزمان في تاريخ الديار المصرية هو ان ذات المصريين لم يكن لهم تاريخ زمني منتظم ولا توقيت تاريخي مستقيم بل كانوا يجهلون توقيت الحوادث التاريخية بحادثة ثابتة متحدة ولغاية الآن لم يتيسر لاحد ان يثبت انهم كانوا يؤرخون حوادثهم الوقتية بشئ آخر غير سنوات ولا ية ملكهم المتولى عليهم وقد كانت تلك السنوات ليس لها مبدأ ثابت اذ كانوا تارة يعدونها من ابتداء السنة التي مات فيها الملك السلف وتارة يحسبونها من أول اليوم الذي عمل فيه الاحتفال لتقليد الملك الخلف فلو بلغت ما بلغت درجة الضبط والتدقيق في الحساب الجاري لعدة تلك السنين بمعرفة أهل العلم والتحقيق من المتأخرين فلا بد لهم من الوقوع في الغلط اذا أرادوا الحصول على تعيين

الدرس الثامن ١٥٠ في التاريخ العام

أوقات معينة وتواريخ ثابتة للحوادث المصرية إذ كان ذلك معدوما عند ذات المصريين ومع ذلك فالذي يقتضيه الوجه في هذه المشكلة العلمية هو أن يقال إن الديار المصرية قد كان فيها من غير شك ولا منازعة عدّة دول أو عائلات ملوكية متعاصرة غير أن المؤرخ مانيون المصري لا بدوانه في عمل التنقيح الذي أجراه في تحرير تاريخ وطنه كان قد صرف النظر منها عما كان يظهر له أنه الدولة الباقية ولم يدرج في جدول غير ما كان يظهر له أنه هو الدولة الشرعية والعائلة الملوكية الحقيقية واللائزم أن يكون عدد العائلات الملوكية المصرية بالغاية الستمين للاحدى والثلاثين كما جرت عليه بناء على ما ذكره مانيون المذكور عادة المؤرخين

ولم يتيسر لاحد من العلماء الذين تكلموا باختصار الأرقام المسطورة في جدول مانيون المذكور أعلاه أن يأتي بيرهان مطلقا من العمارات المصرية القديمة على ما ادعاه من أن دولتين ذكرتا في جدول المؤرخ المصري على انهما متعاقبتان قد كانتا متعاصرتين بخلاف أرباب المذهب الثاني القائلين بأن جميع بيوت الملك الذين عددهم في جدول القسيس السبتي كانوا قد جلسوا على كرسي المملكة الفرعونية بعضهم إثر بعض فان ما التقطه كثير من العلماء بأحوال المصريين واستنبطه جمهور كثير من العلماء المتأخرين من الأدلة المأخوذة من الآثار المصرية القديمة شاهد على ما ذهبوا اليه ومعصدة لما عولوا عليه هو قدر كثير وعدد كبير جدا (اه ماريت بك)

وفي الحقيقة ونفس الامر لا يوجد في جملة الامم المتقدمين في سالف العصر أمة يتيسر تحرير تاريخها على سندات هي في الحقيقة أصلية ومعقدات أهلية أي مأخوذة عن ذات أربابها الأصليين وأصحابها الأهليين أكثر من ديار مصر حيث يوجد عمارات مصرية عديدة وآثار فرعونية مفيدة لا فقط في الديار المصرية بل في بلاد النوبة والسودان لغاية الديار الشامية فضلا عن القدر الكثير الذي حصل عليه لغاية الآن العثور من الامتعة المنزلية العتيقة التي لم تزل تلتقط منذ خمسين سنة من تلك العمارات المصرية والآثار الكفرية حتى اتلات منها جميع الانتقنات الموجودة في جميع المدن الكبيرة والقواعد الشهيرة من جميع بلاد الدنيا ولا سيما الانتقنات اليدوية الكائنة على شاطئ النيل الايمن ببولاق مصر القاهرة حيث صارت الآن في جملة تلك الانتقنات مما يعتد على الدرجات لداعي ما شخنها به بلدية الفاضل ماريت بك من نتائج جميل التحريات وجميل التفحصات ثم ان الآثار التاريخية المصرية على ضربين أحدها ما يتعلق منها بعموم تاريخ ديار مصر والناساني ما يتعلق بخصوص تاريخ عائلة ملوكية معينة بحيث يدل اما على أصل وجودها أو على تحقيق مدة كينوتها الزمنية من سالف العصر

ولنتكلم هنا أولاً بوجه الاختصار على الآثار الاصلية التي تدل على بعض فوائد غومية فيما يتعلق بجموع التواريخ المصرية القديمة فنقول

الأول قرطاس من الورق البردى يوجد محفوظاً بأثنية خانة مدينة توران (ببلاد ايطالية) وكان قد باعه البرهانفصل عموم دولة فرانسة بمصر المدعو باسم (درويتي) ولو كان هذا القرطاس باقياً على حاله تماماً لكان أنفاس أثرى يوجد له العلم الآثار القديمة المصرية وذلك انه يشتمل على قائمة أسماء جميع الذوات المعترين بوجه كونهم حكام وادي مصر في سالف العصر سواء كان ذلك في الأزمان الخرافية أو التاريخية الحقيقية من منذ أقصى الأعصار الاولية لغاية مدة لا يمكن لنا الوقوف عليها لداعي ان ذيل القرطاس المذكور مفقود وهو محرر في عهد الملك رمسيس الثاني (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) اعني في أحد أبعج الأعصار وأبهي مدد الابهة والفقار من تاريخ الديار المصرية فهو متصف بجميع الشروط اللازمة لكونه يعد من جملة السندات الرسمية والمعتمدات الدولية وفيه لعلم التاريخ اعانة قوية وفائدة كبيرة حيث ترى فيسه في اثر كل اسم من اسماء الملوك المكتوبة عليه رقم مددة ولايته وبعده كل عائلة من العائلات الملوكية مجموع السنوات التي اقامتها على ولاية مصالح الديار المصرية غير انه من سوء النخت وعدم السعد لم يوجد هذا الكثر من العلم الذي لا يقوم الا قطعاً متفرقة واجزاء متمزقة تبلغ ١٦٤ قطعةاً كثرها لم يمكن تعقبه ولم ينيسر توفيقه وترتيبه

الثاني آثار اخر تقيس وجددهم بكل الكرنك ونقل الى الاثنية خانة الساطانية الكاثبة بمدينة باريس وهو عبارة عن قاعة صغيرة وجددهم وراعى جوانب جدرانها تماثيل الملك طوطميس الثالث (من العائلة النامنة عشرة) على هيئة المتنسك امام صور واحد وستين ملكاً من اسلافه ولذلك سميت قاعة الاسلاف غير ان الملوك المندرجين في هذا الاثر العظيم ليسوا مرتبين على وجه متسلسل منتظم ولا نوال مستقيم بل جماعة منخبين من خيار اجداده السالفين اختارهم الملك طوطميس الثالث المذكور اقصد ان يتعبد لهم ويتجددهم ويتنسك امامهم ويعبددهم ومن اطلع على تماثيل هؤلاء الملوك المصريين والفراعنة السالفين ظهر له من اول وهلة انهم انما هم نخبة غير متعاقبة من دفاتر ملوك مصر الاولين ونقابة غير مرتبة من سجلات الفراعنة الشهيرين حيث ترى المصور الذي صورهم وادرجهم في هذا الاثر وحرهم لاسباب لم تقف عليها قد انتخب بعض ملوك مخصوصين فتارة يجمع بين ملوك عائلة ملوكية ويأتى بجميهم وتارة يترك اجيالاً من الدهر مستطيلة ولا يأتى بملوكهم وما ينبغى عليه التنبية هو ان المصور الذي نيط انظره زواق قاعة الاسلاف المذكورة بتلك الآثار المأثورة انما توجه نظره في تصويره للحصول على هذا الغرض الى مجرد التزييق والزينة فقط فلم يحرض على ترتيب من أتى به فيها من الملوك على حسب ترتيب ازمانهم بالضبط والدته وما يؤسف عليه أيضاً

الدرس التام ٢٠٢ في التاريخ العام

في هذا الاثر الوجيه هو ان بعض تماثيل الملوك المصورة فيه قد اعتراه التشويه فلم يوجد فيه اسم اثني عشر ملكا وبذلك فقد منسه ما كان يقتضى ان يكون له من درجة الاهمية من حيث الفوائد التاريخية ومع ذلك فقد استفيد منه اكثر من سائر ما عداه من قوائم اسماء الملوك ضبط اسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة المصرية

الثالث الاثر المعروف باسم جدول آييدوس المستخرج من اطلال المدينة الشهيرة المسماة بهذا الاسم وهو المحفوظ الآن بالانتيقخانة الانجليزية الكائنة بمدينة لوندريه وهو عبارة عن تصوير هيئة تعبدية وحالة تعبدية من كبة من تماثيل عدة ملوك منتخبين وبجملته فراغنة غير متبين لبواعث هي لنا غير معلومة وأسباب غير مفهومة نظير ما سبق ذكره فيما تصور بقاعة الاسلاف السابقة المذكور غير ان الملك المتنسك امام اسلافه في هذه الهيئة التعبدية هو الملك رمسيس الثاني المذكور آنفا وقد كانت في الاصل اسماء الملوك المصورين فيها خمسين ثم افغى بعضها فلم يبق غير ثلاثين من التماثيل المذكورة بعضها تام التصوير وبعضها مشوه الصورة وقد كان جدول الملوك الذي عثر عليه باثنا مدينة آييدوس بهذه المثابة يكاد ان يكون خاليا عن القيمة التاريخية بالكليته حتى ظفر منه ما ربيت بك من عهد قريب في هيكل آخر من المدينة المذكورة بنسخة أخرى هي اتم واكمل واعم واشمل لاكثر الصور والاسماء المفقودة من الاولى مؤرخة من عهد الملك سيبتوس الاول الذي هو والدرمسيس الثاني وسلفه على كرسي الملكة المصرية وقد استفيد من جدول آييدوس هذا الجديد بيان اسماء ملوك العائلات الملوكية المصرية الست الاولى على وجه من الضبط والكمال يكاد يضاهاى تقريباً ما ذكر من ذلك بجدول المؤرخ مانيتون السالف الذكر وبذلك تحققت ما ذكره في هذا الخصوص مؤرخ مصر اتم التحقيق وتطبق عليه كل التطبيق

الرابع الاثر المعروف باسم اثر سقارة الذي عثر عليه ايضا ما ربيت بك وهو المحفوظ الآن بالانتيقخانة الخديوية الكائنة ببولاق مصر القاهرة المنغرية وبه تأكد ايضا ما وجد بجدول ملوك آييدوس فيما يتعلق باسماء ملوك العائلات الملوكية المصرية السابقة العهود وليس مصدر تحرير جدول سقارة هذا كغيره من الآثار السالفة الذكر عن ملك من ملوك ذلك العصر بل وجد في داخل قبر رجل قسيس كان موجودا في عصر الملك رمسيس الثاني يقال له (تونارى) من احاد اهل مصر وقد كان من عقائد المصريين في سالف الدهر ان من الفضائل التي تختص بها في الدار الآخرة روح الرجل الصالح اى الذى استحق بصالح اعماله في الدار الدنيوية التمتع بالحياة الابدية ان يقبل في ضمن مجاس الملوك المتوفين فلذلك ترى في الاثر المذكور القسيس تونارى هذا مصورا على هيئة الداخل في الحضرة العلية المركبة من تماثيل ثمانية وخمسين ملكا لا شك في انهم كانوا مدينة من نفيس بحسن

الذكر

الذَكَر هم الملوك الاكثر اعتبارا والفراغة الذين كانوا عندهم بالعدل والتقوى هم
 الاكثر اشتهارا وانتخابهم أشبه نبي بما جرى في انتخاب الملوك المصورين بجدول آيدوس مع
 بعض فرق مفيد يقتضى التنبيه عليه وهو ان بعض الملوك المصورين موجود في احد الجدولين
 المذكورين مع انه في الجدول الآخر مفقود وان ملكين لاشك عند أهل التاريخ في
 انهما كانا متعاصرين تجد احدهما واردا في جدول سقارة والثاني في جدول آيدوس ولذلك
 لم تنفق كلمة المؤرخين بوجه الاطلاق على من يقتضى أن يكون هو الملك الحقيقي والسلطان
 الشرعى من الملوك المتنازعين في عهد العائلة الملوكية التاسعة عشرة المصرية لكون قائمة
 بيان اسمائهم الموجودة في تلك الآثار الكفرية كانت تختلف باختلاف المدن وعلى
 حسب الاماكن التي كانت تعترف لهم بالولاية الشرعية أو لا تعترف من سائر نواحي الوطن
 هذا ما يتعلق بالآثار العمومية وأما الآثار الخصوصية اعني التي تختص بتاريخ عائلة ملوكية
 أو مدة ولاية سلطانية بالخصوص فهي كثيرة جدا فلا يتيسر لنا هنا ان نصفها اولان نحصيلها
 هذا بل اقتصرنا على ان اشرنا اليها في سياق كتابنا هذا في كل موضع لم فيه الاستدلال بها
 وهي كذلك على ضربين احدهما كتابات هلى قرطاسات من الورق البردى وذلك
 عبارة عن قصائد شعرية تتعلق باشهار بعض وقائع حربية لبعض الملوك المقدمين
 والفراغة السالفين ومؤلفات أدبية أو مراسلات كتابية أو دفاتر ومجلات حسابية
 تتضمن حساب بعض الدواوين العمومية والمصالح الميرية والثاني الكتابات المسطورة
 على العمارات الاثرية وهذه أيضا على ضربين اصلين احدهما ما تسطر على
 الآثار العمومية والثاني ما يوجد على العمارات الاحادية الخصوصية والآثار الشخصية
 فاما ما تسطر على الآثار العمومية اعني الكتابات الرسمية المحفورة على اعمدة متفرقة أو على
 جدران الهيكل والمعابد المتنوعة حيث توجد عليها مجموع من نقوشات كبيرة بارزة
 ملونة بأنواع الصباغات الكثيرة فهي تشتمل خصوصا على اقتصاص بعض الحوادث الكبيرة
 والغزوات الشهيرة التي وقعت لبعض الفراغة المصريين والملوك السالفين ومن قصص
 هذه الوقائع العسكرية ما هو مطول جدا كأنه قصائد شعرية يروى فيه حكاية سفر أو عدة
 اسفار من تلك الوقائع الحربية مع توضيح ادق احوالها الواقعية بغاية التفصيل والبيان
 وذلك بقلم من التأليف والتبيان هو أشبه بأسلوب التأليف التوراتية وأما ما يوجد على
 العمارات الاحادية الخصوصية والآثار الشخصية فهو يشتمل على بيان احوال معيشتهم
 الداخلية واشغال كينوتهم الاهلية وهيئة جمعيتهم البشرية المصرية يعرفنا كيفية
 ترتيباتهم الباطنية وحقيقة تأسيساتهم المدنية ويوقفنا خصوصا على اقوى الاساسات
 القوية وانفس الاصول النفيسة السوية التي تمكن ان ينهني عليها مادة ترتيب ازمانهم

التاريخية اذ كثير اما عثر على شواهد قبور من مقابرهم وآثار مكتوبة من ما اثرهم
تحتها مسطرا عليها تاريخ اليوم والشهر والسنة التي توفي فيها صاحب الاثر فلان من
مدة ولاية فلان سلطان ذلك الزمان وانه عاش مدة كذا وكذا عاما وشهر او يوما هكذا من
قبيل هذا التفصيل والبيان

المسألة الثامنة

مطلب - ذكر بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة غير الفراعنة المذكورين
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه القديم المطول المذكور ما يخصه بعدمسطور قد
ذكرنا فيما تقدم ان اول من اسس الحكومة الملوكية بالديار المصرية كان اصل مولده بمدينة
ثينيس وهي المسماة في اللغة المصرية القديمة باسم تيني (بامالة التاء اثنا عشرة الفوقية على ياء اثنا
عشرية يليه انون موحدة فوقية بعدها ياء اثنا عشرية تحتية) وهي التي سميت فيما بعد باسم آبيدوس
بالاقليم الوسطى قال المؤرخ هيرودوت اليوناني ما نصه : وقد كان المدعو باسم مينيس هو اول
ملك قبض زمام الامر ببلاد مصر وكان حسماروا الفسوس هو الذي بنى مدينة مصر المسماة باسم
منف او منفيس وقد كان النيل لغاية عهد الملك المذكور مجرى في سفح الجبال الرملية التي
هي من جهة الصحارى الليبية ولما اعتنى هذا الملك بسد مجرى النهر من الجهة الجنوبية وانشأ
هناك جسرا على نحو مائة شوط (والشوط عبارة عن مقياس قدره ٨٩ مترا) فوق مدينة منفيس
جف مجرى النهر القديم وحدث له مجرى آخر جديد في خليج مصطنع فيما بين الجبلين ليتوسط
مجرى النهر فيما بين جانبيين متساويين واختلط تلك المدينة في عين الموضع الذي انخرق فيه
مجرى النهر حيث صار ارضا جافة بوقاية ذلك الجسر وشيد في المدينة المذكورة ايضا هيكل
كبيرا ومعبد اخر عظيم لاله المسمى عند اليونان باسم بركان وعند المصريين باسم افقا (اه)
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان قلنا وقد اتفقت كلمة جميع المؤرخين السلف المعتمد
عليهم في المدارس الاوروبية وسائر المؤلفين الذين تكلموا على تاريخ الديار المصرية على ان
الملك مينيس هذا هو اول مؤسس للحكومة الملوكية بالديار المصرية واكد شهادتهم بذلك
ما ثبت على الآثار المصرية القديمة والعمارات الفرعونية العتيقة من ذكره دائما على انه هو
اول مؤسس لدولة الفراعنة بمصر في سالف العصر ولا زال يوجد لغاية الآن الجسر الذي كان
قد انشأه هذا الملك في سالف الزمان وهو المعروف في عصرنا هذا باسم جسر قشيشة في الاقليم
الوسطانية وعليه عمدة توزيع مياه الري وقد تكون من خلفاء الملك مينيس مؤسس مدينة
منفيس المذكور الذين جاؤا من بعده على الاثر ملوك العائلة الملوكية الاولى ونص ما يتنون
المصري على انها اقامت على كرسي ملك الفراعنة بدار مصر مدة ٢٥٣ سنة من الدهر
ولم يصل اليها اثر مطلقا ولا عمارة هي لعهد هؤلاء الملوك معاصرة غير ان منهم الملك المسمى

الدرس الثامن ١٥٥ في التاريخ العام

باسم تيدتا (بتأين مثنائين فوقيتين عمالة اولاهما على ياء مثناة تحتية بينهما بعدها ألف مقصورة) وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم آطوطيس أو أتوتيس (بالطاء المهملة أو بالتاء المثناة الفوقية) وهو الذي خلف الملك مينيس بطريق المباشرة وما يذكر عنه انه بنى قصر في مدينة منفيس وألف بعض كتب في علم الجراحة وخاض ملك العائلة الملوكية الاولى هذه يدعى باسم هيزي يتي وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم اوزا فيدوس وقد ذكر في عدة مواضع من صورة دعاء الجنائز المأثور عن سالف المصريين على انه مؤلف بعض كتب دينية وذكر فيما بقي من اجزاء تاريخ مانيتون المصري المذكور انه جد ولاية سابع ملوك هذه العائلة الملوكية المصرية المسمى باسم سيها ميدسينس وقع بديار مصر طاعون شديد وموتان عديد والذي يؤخذ من مقابلة جدول الملوك المأثور عن القسيس مانيتون المصري المذكور مع ما حصل عليه العثور في الآثار المصرية القديمة من جدول آيدوس وجدول سقارة ان وحدانية الحكومة المصرية لم تستقر من أول وهلة بدون منازعة ولا هي مهيمنة بل حصل مدة حقبة طويلة من أول عصر ولاية العائلة الملوكية الاولى عدة منازعات بين جملة ملوك متخاصمين كان مستقر دولة بعضهم من غير شك ولا تلبس مدينة منفيس وبعضهم مدينة آيدوس

ومن ملوك العائلة الثانية الملك كيكيو (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم كيكيس وبسبب الظن القوي يكون هذا الملك هو الذي انشأ هرم سقارة ليأخذ قبره وبناء على هذا القول يكون هذا الهرم هو أقدم العمارات المصرية بل أقدم عمارة في الدنيا بتمامها بعد آثار بروج بابل ويقال ان هذا الملك هو أول من احدث عبادة الحيوانات بديار مصر في سالف العصر ولا سيما عبادة الجمل المسمى آيدس الذي كان يعبد على انه مجسم الاله المسمى باسم افتا في مدينة منفيس وثالث ملوك العائلة المذكورة أيضا الملك المسمى باسم بانيتير (وهو المدعو في جدول مانيتون المصري باسم بينوتريس) وما يعزى اليه انه شرع قانونا يجوز للنساء ان يتكرن على كرسي ملكة مصر وفي الحقيقة قدعه عدة مرات في سياق تاريخ الديار المصرية هذا الامر ويحكى عن سابع ملوك هذه العائلة المسمى باسم نيفير كير (وهو المدعو في جدول مانيتون باسم نيفير كيريس) حكايات عامية عجيبية واحاديث وهيمية غريبة وما يقال أيضا ان فرعون سينزوخريس ثامن ملوك هذه العائلة الثانية قد كان عونا حقيقيا بمعنى طويل القامة جدا

ولقد تيسر الحصول على بعض آثار نقشية يصح التجارى على القول بأنهما من أعمال او اخر ملوك هذه العائلة الملوكية الثانية منها قبر رجل من ذوى المناصب العلية والمراتب السنية

الدرس التام ١٥٦ في التاريخ العام

يسمى باسم **توتنوتيب** استكشفه بعناية الحفر الجارية بعناية الحفرة الخديوية بهذه الحقبة العصرية حضرة مارييت بك ناظر الانتبة تخانة المصرية في مقابر سقارة التي كان يدفن فيها موتى مدينة منفيس العظيمة في تلك الاحقاب القديمة ومنها ثلاثه تماثيل قائمة من نوع الاحجار الجيرية تصور فيها رجل آخز من ارباب الوظائف بذلك العصر يدعى باسم سيده مع اثنين من ابناؤه وتلك التماثيل الثلاثة محفوظة بآنتبة تخانة قصر لورده (بمدينة باريس) تفخر بها هذه الخزانة على ما سواها غاية الفخر

ومن ملوك العائلة الملوكية الثالثة وهو **ثانيهم الملك المسمى باسم تزي سبهورتزه** (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم **توزور تروس**) ومما يذكر عنه انه كان له اشتغال بالخصوص بعلم الطب وفتح الاحجار والكتابة عليها ومن هذه العائلة الملوكية كان قد خرج من الديار الفرعونية أول الملوك الفاتحين للملك البرانية قال المؤرخ مانيتون المصري ان أول ملوك هذه العائلة الملوكية المدعو باسم **سيكبر ني فيركه** (وفي جدول المؤرخ المذكور باسم **نخور و فيس**) كان قد ادخل تحت طاعة الدولة المصرية جزءا من بلاد الصحارى الليبية (بلاد برقة) حيث غزاهم فظفر بهم واتصر عليهم لداعي قزع شديد من كسوف الشمس كان قد حصل لهم وقد عثر ايضا على مخور جبل الطور ببعض نقوش بارزة وجدت فيها صورة الملك **استيفرو** (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم **سيفوريس**) سلف آخر ملوك هذه العائلة الملوكية المصرية على هيئة النظار بالقبائل العربية الرحالة النزالة المدعوين بالآنيين بجهة بلاد العرب الجنوبية (كما سلفنا ذكره آنفا)

ومما يو جد في الانتبة تخانة السلطانية بمدينة باريس نسخة كتاب باليد على قرطاس من ورق البردي مؤرخة من مدة ولاية الملك **آسات تكيرا** (المسمى في جدول مانيتون المصري باسم **نخبريس**) وهو سلف آخر ملوك العائلة الملوكية الخامسة من تأليف شيخ من اهل بيت الملك يقال له **افتا هوتيب** يشتمل على حكم ومواعظ للارشاد الى حسن السلوك في الدنيا نظير كتب قونفسوس ببلاد الصين وأصل مبنى مكارم الاخلاق المقررة في هذا الكتاب على طاعة الوالدين مع تعميم مدلول هذا اللفظ لما يشمل طاعة ولى الامر الحاكم حيث كان المصريون يعتقدونه مقدا بولاية ابوية حقيقية ومما ذكر في الكتاب المذكور من ان الولد الذي يصغى لقول أبيه يطول عمره لهذا السبب وطاعة الولد لوالده هي اللذة حيث يحبه ابوه ويثنى عليه كل حي يدب على الارض والخارج على ولى الامر معتبرى العلم في الجهل ويرى الفضائل في الرذائل ويتجارى في كل يوم على ارتكاب كل نوع من الغش وبذلك يعيش عيش الاموات وما يرى الحكيم انه الموت هو بالنسبة اليه بالحياة فانه

انما يسير في طريقه مغموراً في كثير من اللعنات وثواب من يعمل بهذه القواعد في دار الدنيا هو طول الحياة والقبول عند الملك والولد البار والديه سعيداً بطاعته حيث يفعم العمر الطويل ويبلغ القبول (اه) ثم ذكر مؤلف هذا الكتاب نفسه على سبيل التمثيل فقال ووبذلك صرت ائماناً طول اهل الارض عمراً وعمرت من السنوات مائة وعشراً وانا في القبول عند السلطان والرضى عني من مشايخ الزمان لداعي اني أدبت ما يجب على الملك في موضع قبوله اه
ويوجد في الانتيقخانه المد كورة أيضاً نسخة كتاب آحر باليد من هذا القبيل لم يبق منها من الصحائف غير شيء قليل تشمل على ما هو أشبه شيء بأمثال سليمان بن داود عليه السلام منها قوله ومع السعد كل مكان طيب والذنب الصغير يحقر الرجل الكبير والقول العايب أضوا من الرض الذي تلتقطه يد الرقيق من بين الحصى والعالم شبه ان بما يعلم مكان قلبه طيب وشفاهه مقبولة الى غير ذلك من الحكم والامثال

وأول ملوك العائلة السادسة يقال له آتى (وفي جدول مانيتون المصري آتويس) قال المؤرخ المذكور ان هذا الملك بعد ان أقام على كرسى المملكة ثلاثين سنة قتله جماعة من عسكر حرسه والذي يظهر من طريق النظر في الآثار المصرية القديمة هو ان مدة من ولايته كانت قد استغرقت بالفتن اذ كان قد قام عليه خصمان يمكن ان يكونا من ابناء ملوك العائلة الملوكية السالفة يقال لاحدهما تيتا وللثاني اوزور كيرة ولكن جاء من بعده ولده المسمى باسم يديبي ميريره (وفي جدول مانيتون المصري باسم فيوس) خلفه على كرسى المملكة الفرعونية وكان من أقوى ملوك مصر شوكة وأعظمهم فخاراً ووضوفاً جمع تحت طاعته جميع القطر اذ وجد له آثار عمارات في سائر نواحي مصر من عند اسوان لغاية مدينة تانيس وكان يبي الاؤل هذا كالمملك خوفو وملك كاجريا وفرعوناجهاديا حارب قبيلة تسمى باسم الواوة من القبائل السودانية وحى الثغور المصرية من الجهة الجنوبية عن قبيلة أخرى بدوية مجهولة الحال من قبائل ذلك الزمان قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ولعلها ما تعرف الآن باسم العرب البشارية وقع كذلك من الجهة الشمالية صولة قبيلة عربية كانت قد صالت على العمال المصريين المشتغلين باستخراج معادن النحاس بناحية جبل الطور وكان للملك المذكور أيضاً اشتغال بنافع الاعمال اذ يظهر من دليل النظر في بعض آثار عماراته انه هو الذي فتح الدرب الذي تسافر فيه القوافل في الصحارى الكائنة من عند قنا بجهة الصعيد الى ميناء القصير على البحر الاحمر ورتب فيه المنازل وحفر فيه الابار لتشرب منها القوافل وهو غير ملك آخر يدعى ايضاً باسم يديبي نيفير كيره اديبي الثاني (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم فيوبس بيا فارسية قبل السين المهملة في آخره) وهذا هو الذي أقام على سرير المملكة الفرعونية مدة حقبة من الزمن قرنية ولا يكاد يعرف شيئاً

من اخباره ولم تنف على كثير من آثاره غير ان مدة ولايته هذه الطويلة كان قد ظهر فيها فتزاهلية واختلالات داخلية مهولة لم يعهد لها نظير بعد في الديار المصرية وجاء بعده خالفه المدعو باسم **منتاساف** (وفي جدول مايتدون المصري باسم منتوسوفيس) فلم يقيم على كرسي المملكة العرعوزية غير سنة واحدة ثم قتل وخلفته اخته المسماة باسم زيننا كبره وعند اليونان باسم نيموكر يس وهي التي اجرت عمارة الترميم في ثالث اهرام الجيزة لتتخذ قبرا لها على ما يقال بدون ان تستولى على قاعة تممة برة فرعون من كبره ومن اخبار المملكة المذكورة أيضا انها كما يحكى عنها كانت قد اسرت في نفسها الانثة ام اقبل اخيها ولم تزل مصرة على الاخذ بشاره من قاتليه حتى جمعتهم لولاية ذات يوم في سرداب تحت الارض ثم اسالت عليهم في السراء النيل فأتوا كلهم غرقا بكيدتها ولم تتأخر ان قتلت نفسها ايدها لتخلص من تباعة اولياتهم وقد كانت آخر ملوك عائلتها

المسألة الثالثة

مطاب ذكر بعض توضيحات تتعلق بملوك الهيكسوس أى ملوك القوم البغاة المعروفين في تاريخ الديار المصرية بدولة العمالة أو الملوك الرعاة مسألة تاريخية ماذا كان الملوك الرعاة المذكورون في تاريخ الديار المصرية - يوجد لهؤلاء القوم بعض ذكر في كتب التواريخ الاسلامية بعنوان دولة العمالة أو العماليق في جملة من ملك ديار مصر في سالف العصر وذكر لهم فيها عدة ملوك خمسة أو اربعة باسماء اعلام يظهر على اكثرها انها عربية لاسماء اعجماء وبعضها انها بما ذكر في كتب التواريخ الاور وبية يظهر ان ما كان قد تحصل عليه مؤرخو الاسلام في هذا المقام وفي سائر ما يتعلق باخبار دول الفراعنة السالفين وجميع الامم المتقدمين انما هو شئ واهو شئ واه جدا خال عن الضبط والتحقيق وانه لا يمكن بين القولين في الاكثر جمع ولا توفيق فمن ذلك ما ذكر في تاريخ ابى العدا مثلا في المقام المذكور مع كونه هو الحق المشهور ونص عبارته

واما الفراعنة فهم ملوك القبط بالديار المصرية قال أبو سعيد المغربي ونقله من كتاب صاعد في طبقات الامم ان اهل مصر كانوا اخلاط من الامم ما بين قبطي ويوناني وعلبيق الا ان جهورتهم قبط قال واكثر ما تملك مصر الغرباء قال وكانوا صابثة يعبدون الاصنام وصار في مصر بعد الطوفان علماء بضروب من العلوم خاصة بالظلمات والنسب والنجاة والكيمياء وكانت مدينة منف هي كرسي المملكة وهي على اثني عشر ميلا من الفسطاط قال ابن سعد واسنده الى الشريف الادريسي ان اول من ملك مصر بعد الطوفان **بيصر** بن حام بن نوح ونزل مدينة منف هو وثلاثون من ولده وأهل له ثم ملكها بعده ابنه **مصر** بن بيصر وسميت الإسلاوية لا مقاداد عمره وطول مسدة ملكه ثم ملك بعده ابنه **قفط** بن مصر ثم ملك بعده

أخوه **اتريب** بن مهنر واتريب المذكور هو الذي بنى مدينة عين شمس وبها الآثار العظيمة إلى الآن ثم ملك بعده أخوه **صا** وبه سميت مدينة صا وهي مدينة خراب على النيل من أسفل ثم ملك بعده **نذراس** ثم ملك بعده **ماليق** بن نذراس ثم ملك بعده ابنه **حرايا** بن ماليق ثم ملك بعده **كلكي** بن حرايا وكان ذا حكمة وهو أول من جد الزئبق وسبك الزجاج ثم ملك بعده **حربيا** بن ماليق وكان شديد الكفر ثم ملك بعده **طوليس** وهو فرعون ابراهيم عليه السلام وهو الذي وهب سارة هاجر وكان مسكن طوليس بالفرما ثم ملك بعده اخته **جودياق** ثم ملك بعدها **زلفا** بنت مامون وكانت عاجزة عن ضبط الملك وسمعت عمالقه الشام بضعفها فغزبها وملاكوها مصر وصارت الدولة للعمالقة وكان الذي أخذ الملك منها **الوليد** بن دوماغ العملاقي وكان يعبد البقر فقتله اسد في بعض متصيداته وقيل هو أول من تسمى بفرعون وصار ذلك لقب الكل من ملك مصر بعده ثم ملك بعده ابنه **الريان** بن الوليد وهو فرعون يوسف ونزل مدينة عين قمس ثم ملك بعده ابنه **دارم** ابن الريان وفي زمانه توفي يوسف الصديق عليه السلام وتجب دارم المذكور واشتد كفره وركب في النيل فبعث الله تعالى عليه ريحا عاصفة اغرقته بالقرب من حلوان ثم ملك بعده **كاسم** أو **كاشم** (بالسين المهملة أو بالشين المعجمة) ابن معدان العمليقي أيضا وقصد ان يهدم الهرمين فقال له حكماؤ مصر ان خراج مصر لا يفي بهمدهما أو أيضا فانهم ما قبران لنبيين عظيمين وهما **شيمث** بن آدم و **هرمس** فامسك عن هدمهما ثم ملك بعده **الوليد** بن مصعب وهو فرعون موسى عليه السلام وقد اختلف فيه فقيل انه من العمالقة وهو الاظهر وقيل أنه هو فرعون يوسف واطال الله تعالى عمره إلى أيام موسى عليه السلام قال ابن سعيد وذاكر القرطبي في تاريخ مصر ان الوليد المذكور كان من القبط وكان في أول أمره صاحب شرطة لكاسم العملاقي وكانت الاقباط قد كثرت فلما كوا الوليد المذكور بعد كاسم وانقرضت من حينئذ دولة العمالقة من مصر قال والوليد المذكور هو الذي ادعى الربوبية قال وصنف الناس في سيرته وخلدوا ذكرها وكانت أرض مصر على أيامه في نهاية من العمارة فعممت دولته وكثرت عساكره وفي مناجاة موسى عليه السلام يارب لم اطلت عمر عدوك فرعون يعني الوليد المذكور مع ادعائه ما تفردت به من الربوبية ووجه دعوتك فقال الله تعالى امهاتة لان فيه خصلتين من خلال الايمان الجود والحيا وكان هاما من وزير فرعون المذكور وهو الذي حفر فرعون خراج السردوسى ولما اخذ هاما من في حفره سأله أهل كل قرية ان يجريه اليهم ويعطوه على ذلك فلما فسكان يأتي به إلى القرية نحو المشرق ثم يرد به إلى القرية من نحو المغرب وكذلك في الجنوب والشمال واجتمع لها من ذلك نحو مائة ألف دينار فأتى بها إلى فرعون واخبره بالقضية فقال فرعون ويحك أنه ينبغي للسيد ان يعطف على عبده ولا يطمع فيما بأيديهم وردد على كل قرية

الدرس التام ١٦٠ في التاريخ العام

ما أخذ منهم وأخبر فرعون المذكور المنجمون بظهور موسى عليه السلام وزوال ملكه على يده
 فأخذ في قتل الأطفال حتى قتل تسعين ألف الف طفل وسلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام
 منه بان التقطته زوج فرعون أسية وجمته منه وترجم اليهودان التي التقطت موسى هي
 بنت فرعون والاصح انها زوجته حسب ما نطق به القران العظيم ولما كان منه ومن موسى
 ما تقدم ذكره من اظهار الآيات لفرعون وهي العصا ودم البياض والجراد والقمل والضفادع
 وصيرورة الماء دما وغير ذلك سلم فرعون بنى اسرائيل الى موسى عليه السلام فلما أخذهم
 موسى وسار بهم ندم فرعون على ذلك وركب بعساكرة وتبعهم فلهتهم عند بحر القلزم
 واوحى الله تعالى الى موسى فضرب البحر بعصاه فصار فيه اثنا عشر طر يقال لكل سبط طريق
 فتنبعه فرعون فغرق هو ورجنوده وكان هلاك فرعون المذكور باضي ثمانين سنة من ٤٠٠
 موسى عليه السلام وكان هو وقد ملك من قبل ولادة موسى ولذلك أمر بقتل الأطفال في أيام
 ولادة موسى عليه السلام فدم ملك فرعون المذكور يزيد على ثمانين سنة قطعها ولما هلك
 فرعون المذكور ملكت القبط بعده **دلوكة** المشهورة بالعجوز وهي من بنات ملوك
 القبط وكان السحر قد انتهى اليها واطال عمرها حتى عرفت بالعجوز وصنعت على ارض مصر
 من اول ارضها في حداسوان الى آخرها سور امتص لاقال ابو الفدا والى هنا انتهى كلام ابن
 سعيد المغربي ولم يذكر من تولى بعد دلوكة ثم اني وجدت في اوراق قد نقلت من تاريخ ابن
 حنون الطبري وهو تاريخ ذكرفيه تاريخ ملوك مصر في قديم الزمان قال فيه ثم ملك مصر
 بعد دلوكة صبي من ابناء اكابر القبط كان يقال له (دركون) بن بكتوس ثم ملك بعده (توذس) ثم
 ملك بعده اخوه (لقاش) ثم ملك بعده اخوه (مزيننا) ثم ملك بعده (استماذس) ثم ملك بعده
 (بلطوس) بن ميكاكيل ثم ملك بعده (مالوس) ثم ملك بعده (مناكيل) ثم ملك بعده (بوله) وهو
 الذي غزار حبعم بن سليمان بن داود عليهم السلام وقد كتب في كتب اليهودان الذي غزابني
 اسرائيل على ايام رحبعم كان اسمه (شيساق) وهو الاصح ثم لم يشتهر بعد شيساق المذكور غير
 فرعون الاعرج وهو الذي غزاه بختنصر بصلبه وكان بين رحبعم بن سليمان عليه السلام وبين
 بختنصر فوق اربعمائة سنة وكان شيساق على ايام رحبعم فشيساق قبل فرعون الاعرج باكثر
 من اربعمائة سنة قال ابو الفدا ولم يقع لي اسماء الفراعنة الذين كانوا في هذه المدة اعني فيما بين
 شيساق وفرعون الاعرج ولما قتل بختنصر فرعون المذكور وغزا مصر وابداهلها بقيت مصر
 اربعمائة سنة خرابا ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال وصارت مصر والشام من حين غزاهما بختنصر
 تجت ولايته حتى مات بختنصر وتوالت الولاة من جهة بني بختنصر على مصر والشام حتى
 انقرضت دولة بني بختنصر فتوالت ولاية الفرس على مصر فكان منهم (كشروس) الفارسي باني
 قهر الشنع ثم تولى بعده (طخارست) الطويل قال وفي أيامه كان بقرط الحكيم وتوالت بعده

الدرس التام ١٦١ في التاريخ العام

نواب الفرس الى ظهور الاسكندر وغلبته على الفرس» (انتمت عبارة ابي الفدا) وانما سطرناها هنا بتمامها مع ما سبق نقله عن المؤرخ فرانسيس لونورمان لاقصد تعليم تاريخ مصر في سالف الزمان على مقتضاها بل على سبيل النموذج والمثال لغاية ما تحصل عليه اشهر مؤرخي الاسلام رحمهم الله تعالى وحرروه من التساريخ القديم بناء على ما علم لهم على وجه عام ائامن الكتب المقدسة او نقلها عن مؤرخي الرومانيين واليونان في سالف الايام وليظهر ما في ذلك من القصور بالنسبة لما هو من المحققين من العلماء الاوروپاويين المتأخرين مسطور

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه في تاريخه الكبير ما معناه ان تاريخ القوم البغاة المعروفين في تاريخ مصر القديم بالملوك الرعاة وان كان قد مكث مدة قديمة غامض الحال غير مستند لسندات اصلية من عصر هؤلاء الملوك هاهو الآن قد أخذ في الايضاح والبيان بما استكشفه بلدينا ماريت بك من الاستكشافات الجديدة فتحقق كما ذكرناه آتقائهم كانوا اخلاطاً من قبائل رحالة نزلة من اهل بلاد العرب والشام وان جهرتهم كما نص عليه المؤرخ مانيتون المصري فيما بقي لنا من بقايا تاريخه ايضا كانوا من الكنعانيين وان القبيلة الرئيسة التي كانت تقود حركة الجميع وتديرها هي السمماة في اساطير العمارات الفرعونية القديمة باسم الخيماسيين وفي التوراة باسم الهيتيين الذين وجدهم ابراهيم عليه السلام بارض كنعان متوطنين وذكر المؤرخ مانيتون المذكور في تاريخه المسطور ايضا ان هؤلاء الجموع من الاقوام الشتي كان يطلق عليهم اسم الهيكسوس بمعنى الملوك الرعاة تخقير الهم وهي كلمة مركبة من جزئين احدهما اللفظ (هيك) ومعناه باللسان المصري المقدس القديم الملك والثاني (سوس) ومعناه باللسان المصري العاصي الراعي وقد وجد كل من اللفظين المذكورين مثبتاً على حدته في الكتابات الهيروغليفية اولهما على صورة (هالك) للدلالة على رؤساء القبائل السامية والثاني على صورة (ساسو) معبراً به عن القبائل البدوية من العرب ولكن لم يعثر في جميع الآثار المصرية المعروفة لغاية الآن التعبير عن القوم البغاة المسعين في تاريخ مانيتون المصري باسم اليكسوس الالكلمة (ميننا) ومعناها ايضا الرعاة

وقد دلت جميع الآثار المصرية القديمة على صدق ما ذكرتمم لديار مصر من التحريب الشنيع في اول الامر قال المؤرخ مانيتون المذكور وقد كان اول من قلده بالملك منهم على مصر يسمى باسم سيدتوس وفي رواية أخرى باسم (سلايس) وكان مقر دولته بمدينة منف أو منفيس وكان قد ضرب الجزية على الاقاليم القبلية والبحرية من الديار المصرية ووضع من عساكره حرساً في ألبق الاماكن للحراسة على البلاد وتخصن خصوصاً من جهة الشرق خوفاً من الميريانيين حيث كانوا أقوى شوكة منه (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان

وفي الواقع ونفس الامر قد كان هـ ذال العصر كما سنذكره بعد وهو الذي كانت قد استفتحنا فيه الدولة الاولى ببلاد كادة أو العراق) ثم نراهى الى فرعون سـ سـ لا تيس المذكور باقليم تانيس مدينة اليق منها بتخصـ ميل اغراضه يقال لها أوار بس فانتقل اليها وكاذ كرفى رواية قديمة عن القسس المصرين كان قد اعد عمارتها واحاطها بالكثير من القلاع والحصون ووضع فيها عسكر ايباغ مائتين وأربعين الف رجل كلهم شاكى السلاح لاجل تمام المحافظة على الديار المصرية من تلك الجهة الشرقية وكان مصيفه في تلك المدينة يوزع على عساكره القمح والجاكى ويعتنى بتـ تدريهم على استعمال الاسلحة الحربية خوفا من الاعداء الاجنبية (انتهت عبارة المؤرخ مانيتون المصرى) ثم ذكر بعض تفاصيل تتعلق بـ تملك مصر بعد فرعون سـ لا تيس المذكور من الملوك الرعاة وقد بقي ذكر اسمائهم محفوظا على وجه اضبط منه فيما نقله عنه المؤرخ اليونانى المعروف باسم يولوس الاقرىقانى حيث ذكر ان مدة ولايتهم على مملكة مصر قد كانت ٢٨١ سنة وقال ان الذى خلف فرعون سـ لا تيس المذكور هو المسمى باسم **آنون** وفي رواية أخرى **بانون** ثم ملك بعده **باخنان** وفي رواية أخرى **أباخناس** ثم استعان ثم **ارخيليس** ثم **ابوقيس** وذكر المؤرخ اليونانى المذكور فيما نقله عن المؤرخ مانيتون المصرى ايضا أنه كان يوجد في مدة عهد الملوك الرعاة المذكورين عائلة ملوك بلدين كانوا لهم بنواحي الصعيد معاصرين وهى العائلة السابعة عشرة وقد وجد لأول ملوكهم وهو المدعو فى جدول ملوك مصر المنقول عن المؤرخ مانيتون باسم **سبييتوس** ذكر باسم **سيتايتى نوبتى** وذلك فى عهد أثرى مأثور عن فرعون رمسيس الثانى (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) وجد مدينة تانيس التى هى عين مدينة أواريس مذكورا بدأه كان قد اعد عمارة المدينة المذكورة واشاد فيها معبد اللصم المسمى باسم **سيتاوس** **سوتيج** الذى هو معبود قبيلة الخيتاس وذلك قبل ولاية الملك رمسيس الثانى المذكور عمدة ٤٠٠ سنة وكذلك اسم الملك المدعو فى جدول مانيتون باسم **آنون** وجد مذكورا فى قطعة من ورق البردى المحفوظ فى انيقه خانه مدينة تورين (ببلاد ايطالية) باسم **انوب** (بالباء الموحدة التحتية بدل النون الفوقية) يليه اسم ملك آخر على صورة **اب** يقتضى أن يكون بتمامه **اياخناس** ووجد ايضا اخر ملوكهم مذكورا على عدة عمارات مصرية قديمة باسم **آبيي** وهو المحرف فى اللغة اليونانية باسم **ابويس** قال المؤرخ **قرانسيس** لوتورمان وفرعون **آبيي** هذا هو الذى حكم ديار مصر مدة احدى وستين سنة من

الدهر وفي مدة عهده كان قد حضر الى مصر يوسف بن يعقوب ونقل له بوظيفة أول وزير وقد فهم من اقتصاص هذه الحادثة في سفر الخليفة من التوراة ان دولة فرعون هذا كانت كلها مصرية (انتهى ملخص ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بتحقيق هذا الشأن بالدليل والبرهان) فانظره مع ما اسلفناه في عبارة أبي الفداء المنقولة اعلاه حيث سرد عدة أسماء على أنها أسماء من ملك مصر واحد بعد واحد في سالف الزمان حتى انتهى الى ذكر العمالة وهم المذكورون هنا بعنوان الملوك الرعاة فذكرهم باسم الوليد بن دؤمغ ثم الريان بن الوليد ثم دارم بن الريان ثم كاسم بن معدان ثم الوليد بن مصعب الى آخر ما ذكر في سالفه الى كل اسم من التوضيح والبيان نقل عن ابن سعيد المغربي والقرطبي وغيرهما من كتب في هذا المقام من مؤرخي الاسلام الناقلين هم أيضا كما يظهر عن مؤرخي اليونان والروم في سالف الايام قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أيضا في تاريخه القديم الكبير وأما ملوك مصر الباديون الذين كانوا بنواحي الصعيد لدولة الملوك الرعاة معاصرين فلانعرف منهم غير اسم الملكين الاخيرين وهما الملك المدعو باسم تيمانخان والملك المدعو باسم كاميس وهو أبو الملك المدعو باسم اهميس وفي جدول ما يتنون المصري باسم آموزيس الذي تمت له الغلبة على الملوك الرعاة فقمع شوكتهم وازال دولتهم واخرجهم من الديار المصرية واعاد الى مدينة منف درجتها الفخرية واشاد فيها الهياكل والمعابد الاهلية كما دلت على ذلك كله العمارات الاثرية المصرية وهو ابن الملكة اسماء ياسم آهو تيب زوجة فرعون كاميس السالف الذكر التي عنزلها ما ريت بك على طاقم المصانغ العجيبة المحفوظة بالانتيمخانة المصرية (انتهى ملخص ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان الكبير)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في الباب الثاني من الفوائد والافكار
افكاراً تقديمية وفوائد عمومية

١ كيف جرت عادة المؤرخين الاورويانيين في ترتيب التاريخ القديم وما هي الطريقة التي
يقتضي لئلا نغشى عليهم معاشر المصريين في التعليم

مقدمة

٢ ما المراد بما يعبر عنه بلفظ مصر في كل عصر وما اسماءؤها وحوادثها جسيما ورد لها

في عبارات المؤرخين الاورويانيين من الذكر

٣ ما النيل وما صفة هذا الوادي الجميل

٤ ما احوال نهر النيل من الزيادة الدورية وما اسبابها الحقيقية

٥ ما مصاب النيل القديمة الاصلية

٦ ما مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول السنوية

تقديمية

٧ ما منظر الديار المصرية الآن حسبما استجد فيها بهذا العصر من التمدن وال عمران

٨ ما مذاق قيل في التواريخ القديمة بشأن دولة ميرويه وهل اصل منشأ عمارة الديار المصرية
من الجهة الجنوبية أو الشمالية

٩ كيف يتقسم تاريخ ديار مصر القديم حسبما ذكره المؤرخون الاورويانيون من التقسيم

الفصل الاول

١٠ ما اصل الامة المصرية وما منشأ عمارة ديار مصر في سالف المدة العصرية

١١ كيف كانت هيئة ولاية ديار مصر في سالف العصر

١٢ من كان اول من احدث الولاية الملوكية بالديار المصرية في سالف الحقبة العصرية
وما منشأ العائلة الملوكية الاولى

١٣ ما منشأ العائلة الملوكية الثانية وما حاله ديار مصر العمارة في تلك الحقبة العصرية
حسبما يظهر من العمارات الاثرية

١٤ ما منشأ العائلة الملوكية الثالثة ومن كان اول ملوك مصر الفاتحين للبلاد الاجنبية
وما دلائل هذه الحادثة التاريخية وكيف كانت حالة مصر التمدنية في تلك الحقبة الزمنية

الدرس التام ١٦٥ في التاريخ العام

- ١٥ ما منشا العائلة الرابعة ومن الذي انشا الهرام الجيزة وماذا كان القصد بانشاها وماذا قيل في مدة وكيفية بنائها وما درجة العظمة والثروة الداخلية التي كانت قد بلغتها دولة ملوك مصر في ذلك العصر
- ١٦ كيف كانت هيئة الجمعية البشرية المصرية في تلك الحقبة العصرية وما دليل تلك الفوائد التاريخية
- ١٧ كيف كانت حالة الديار المصرية في اواخر عهد الدولة القديمة الملوكية وما قصة الفتن الاهلية والمحن الداخلية التي اعترت ديار مصر في ذلك العصر
- ١٨ ما بيان انحطاط درجة التمدن المصري في ذلك العهد العصري
- ### الفصل الثاني
- ١٩ ما قصة بقعة تمدن الديار المصرية بظهور ملوك الدولة المتوسطة وما مدة تأسيس مدينة طيبة الصعيد في تلك الاعصار القديمة وماذا كان قد آل اليه حال تمدن مصر في ذلك العصر
- ٢٠ ما منشا العائلة الثانية عشرة الملوكية وماذا كانت اسماء ملوكها وما مدة اقامتهم على كرسى السلطنة المصرية وما حالة تمدن ديار مصر في ذلك العصر
- ٢١ ما بركة موريس وماذا كان الباعث على انشاء هذا الاثر النفيس
- ٢٢ ما حالة العمارات الاثرية التي عثر عليها هذه الحقبة العصرية
- ٢٣ ما قصة الفتن الداخلية التي اعترت حالة نظام الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية وما اسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة الملوكية بالطريقة العمومية وما دليل تلك الدعوى التاريخية
- ٢٤ ما كيفية غارة الملوك الرعاة وما تاريخها من المدة الميلادية القبلية وماذا كان مقر ملكتهم من الديار المصرية وما اسم فرعون يوسف الصديق وما مما ثبت عند المؤرخين الاوروباء وبين من البحث والتحقيق
- ٢٥ ما كيفية انقاذ الديار المصرية من يدهؤلاء الملوك الاغراب وعلى يد من كان انقاذها من ملوك الدولة القبطية الاصلية
- ### الفصل الثالث
- ٢٦ ما تاريخ العائلة الثامنة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما اسماء ملوكها على وجه العموم وما حالة عظمة دولة الفراعنة في تلك الحقبة العصرية
- ٢٧ ما هي الحوادث التاريخية الخصوصية التي تتعلق بمدة ولاية فرعون طوطميس الثالث وخلفائه على الديار المصرية

أندرس التام ٤٦٦ في التازيح العام

- ٢٨ ماقصة مااعتري الديار المصرية من الفتن الدينية والمحن الاهلية في تلك الحقبة
العصرية
- ٢٩ هل كان للامة العبرانية بعض مدخلية في حادثة تلك الفتن الدينية وما دليل هذا
الدعوى التاريخية
- ٣٠ ماتاريخ العائلة التاسعة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما اظهر
ملوكهم وما حدود السلطنة المصرية وما حقيقة شهرة فرعون شيزوستريس
في تلك الحقبة العصرية وما دليل تلك الدعوى التاريخية
- ٣١ ماقصة ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثاني ملك مصر
- ٣٢ ما حاله الديار المصرية بمدة ولاية فرعون ميرانفته وماذا كان السبب في تلك الحالة
الاختلاليه
- ٣٣ ماتاريخ مدة رمسيس الثالث ملك مصر ومااعتري الديار المصرية من الانحطاط في
ذلك العصر
- ٣٤ ما بدأ ضبط الكرونولوجية المصرية وما اصل ماخذ هذه الحقيقة التاريخية
- ٣٥ ماتاريخ انحطاط الملكة المصرية
- ٣٦ ماتاريخ العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقليم البحريه خصم الدولة
القيسية الصعيديه
- ٣٧ ماقصة منازعة الملوك الايتيويين والاسوريين على بلاد المصريين
- ٣٨ ماقصة الدولة المصرية الاثني عشرية والعائلة الملوكية الصالحية
- ٣٩ ماقصة ولاية الملك اسماتي كوس على جميع الديار المصرية
- ٤٠ ماقصة حروب الدولة المصرية التي حصلت ببلاد سورية في تلك الحقبة العصرية
- ٤١ ما كيفية توسيع دائرة التجارة بمصر في ذلك العصر
- ٤٢ ماتاريخ فرعون ابريس
- ٤٣ ماتاريخ فرعون اماريس
- ٤٤ كيف كان زوال الدولة الفرعونية وسقوط استقلال الديار المصرية
- الفصل الرابع
- ٤٥ كيف كان تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية البشرية في سالف
الحقبة العصرية بالديار المصرية
- ٤٦ كيف كان منصب الملك بديار مصر في سالف العصر

- ٤٧ كيف كانت حالة الصنایع والفنون التي كان يتخذها المصريون السالفون
- ٤٩ كيف كانت طباع الامة المصرية في سالف الحقبة العصرية
- ٥٠ ما عوائد الامة المصرية في معيشتهم المنزلية وكيفية حياتهم الداخليه
- ٥١ ما كيفية دفن موتاهم في القبور وما اسباب صناعة التصبير
- ٥٢ ما حقيقة القلم المصري القديم وما معنى لفظ الهيور بجلبف وما قصة ما حصل على قرآته من الوقوف والتعريف
- ٥٣ كيف كانت ديانة المصريين وعقائد سكان وادي النيل السالفين
- ٥٤ ما الآلهة الملية والاوثان الاهلية الاصلية التي كانت تعبد في سالف الاعصار بالديار المصرية
- ٥٥ ما اسباب عبادة الحيوانات المحترمة والذباب التي كانت عند اسلاف أهل مصر معظمة
- ٥٦ ما صفة الالهram وماذا تحقق بشأنها من صحيح الكلام
- ٥٧ ما شرح القول على ما يعرف عند العامة بأبي الهول
- ٥٨ ما عوائد المصريين في سالف العصور فيما يتعلق بدفن موتاهم من المغائر والقبور وكثرة الزواق والنصوير
- ٥٩ ما تاريخ ما كان لقدماء المصريين في سالف العصور من الهياكل والقصور

تتمة

المسألة الاولى

- ٦٠ ما توضيح الكلام على اصل ما أخذ تاريخ المصريين وما هي الآثار الاصلية التي انبنى عليها تاريخهم عند المؤرخين العصريين

المسألة الثانية

- ٦١ ماذا كره عن بعض ملوك آخريين من ملوك الدولة القديمة غير القراعنة المذكورين

المسألة الثالثة

- ٦٢ ما توضيح الكلام على ما يعرف عند اهل التاريخ بالملوك الرعاة الذين ملكوا مصر في سالف الايام وما نودح غاية ما ذكر في ضمن التواريخ القديمة بشأن فراعنة مصر عند مؤرخي الاسلام وما حقيقة ذلك بالنسبة لما تحقق من تاريخ القراعنة في هذه الايام

الباب الثالث

في تاريخ اليهود والعبرانيين وذ كراشام وأرض كنعان وفلسطين

أعني تاريخ بني إسرائيل وبيان كيفية تكوّنهم وذ كراولياتهم - وأنبياءهم - موقدماتهم - وحكامهم ومملوكهم ودولتهم في سالف الأيام من عهد بعثة إبراهيم عليه السلام غاية سلطنة دولة الفرس على ملكتهم
واصل ما أخذ هذا الباب الاصلية

اولا من أسفار التوراة الاول المسمى مجموعها باسم البنتا كوك
ثانيا من تاريخ القانديوسف اويوسفسوس مؤرخ اليهود المسمى بالآثار اليهودية القديمة
ثالثا من مؤلفات المؤرخين الاورباو بين المتأخرين وسياحات علماء الافرنج المعاصرين

افكار تقديميه وفوائد عموميه

قال المؤرخ الفرنساوي المدعو باسم جيلمان في كتابه المسمى باسم تاريخ المشرق القديم السالف له كروالبيان فيما سلفناه في ضمن مقدمتنا اعلاه ما تعريبه ادناه
اعلم انه كان يوجد في سالف الاعصار امة صغيرة اذا نظرنا لجرد ما حصل منها من الحوادث السياسية يظهر لنا نظري في تاريخها انها كانت دون من جاورها من الامم بمسافة كبيرة غير انها قد كان لها على أحوال النوع البشري تأثير شديد وهي امة اليهود وذلك ان لها الافتخار بكونها قد كانت هي مستودع اقدم الآثار الماثورة في العالم من قديم الاعصار وانها الحارسة لا قدم المواعيد التي وعد بها الله سبحانه وتعالى لنوع الانسان في سالف الزمان ولقد حفظتها وثبتت عليها في جميع الاطوار سواء كان في ابعج اعصارها وفي اصعب صروف الدهر التي مرت عليها من أخبارها (انتهى معربا من كتاب تاريخ المشرق القديم للمؤرخ جيلمان)

وتاريخ اليهود هو المسمى في اصطلاح اهل التاريخ الاورباو بين بالتاريخ المقدس ويعبر عنه في اصطلاح المؤرخين المسلمين بالتاريخ الاثري نسبة الى الاثر بمعنى المأثور عن الكتب المنزلة في مقابلة التاريخ البشري بمعنى المأخوذ عن اهل التاريخ من البشر وتاريخ اليهود عبارة عن اخبار اولياء المتقدمين وقصص الانبياء السالفين من الامة العبرانية وذ كرا

الدرس التام ١٧٠ في التاريخ العام

ما عتراها من التقلبات الزمنية . من عهد الخليقة الانسانية الى عهد ظهور المسيح عليه السلام وينقسم عند الامم النصرانيين الى قبة من عظيمين احدهما العهد القديم وهو عبارة عن التوراة والثاني العهد الجديد وهو عبارة عن نسخ الاناجيل والرسائل التي كتبها الحواريون اى تلاميذ عيسى عليه السلام

وحيث اسلفنا الكلام في الباب الاول على تاريخ الاعصار الاولى من عهد خلائفة الانسان الى ما بعد الطوفان وابتدأنا في الباب الثاني من تواريخ الامم الاقدمين بتاريخ المصريين لغاية زوال دولة الفراعنة باستيلاء دولة الفرس عليهم في سالف الازمنة وبسطنا القول في ذلك بقدر الامكان على الوجه الاتم لكونه هو التاريخ الاهم بالنسبة الينا معاشر القوم البلديين ساغ لنا الان بحسب الترتيب الطبيعي ان نتقبل من تاريخ وادي النيل الكريم الى تاريخ بعض اهل الجيرة من الامم الشهيرين في الرمن القديم وهم العبرانيون لكونهم كانوا هم اقرب الامم المجاورين الينا وكرمهم علينا ولاهية معرفة تاريخهم بالنسبة لسائر الامم المتوغلين في القدم لذا عي انهم كانوا هم اهل الشرائع الدينية واصل سائر الفنون والحرف والصنائع التمدنية وعلمهم نزلت الكتب القدسية والرسالات الالهية ومنهم كان الاولياء الكرام السالفون والانبياء العظام المتقدمون ولدا عي ارتباط تاريخهم بتاريخ الفراعنة في سالف الازمنة فلذلك لزمنا ان نقدم بعد تاريخ المصريين تاريخ القوم العبرانيين على سائر الامم الاقدمين ونصعد بالثاني في ميدان الازمان السالفة من بعد الطوفان لنتتبع احوال القوم اليهود وكيفية تكون ملتهم ودولتهم وما استولوا عليه في اقطار الدنيا القديمة من الاوطان في سالف الايام من عهد بعثة ابراهيم عليه السلام لغاية عهد تطرق الفساد اليهم وسلطنة دولة الفرس عايهم أعنى من بعد الطوفان لغاية سنة ٥٠٠ و كسور من الاعوام قبل المسيح عليه السلام

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر اعلاه ما معناه وقد افرد غيرنا تاريخ العبرانيين بالتأليف واطال فيه من البيان والتعريف واتي فيه بسائر التفصيلات حسب ما ورد في التوراة غير اننا نحن حيث كان الغرض لنا هنا انما هو التاريخ العام اعنى الكلام على مجموع الحوادث الكبيرة والاحوال الشهيرة التي حصلت من سائر الامم الكبار في سائر الاعصار بسائر الاقطار على وجه عام وهو القصد الذي يجب علينا فيه الانحصار لزماننا هنا الاقتصار على أن نورد بغاية الايجاز والاخصار زبدة ما ورد من القصص والاخبار فيما يتعلق بتاريخ القوم العبرانيين قبل أن يصيروا لهيئة أمة مستقلة ويتكئون في صورة ملة ولا نتعرض من تواريخهم الالهية وقصصهم الملية الا ليراد مختصروا جيز جدا من تواريخهم السياسية يعني احوالهم الدنيوية وكيفية سيرهم من حيث سياسة الامم والدول لالقصصهم

الدينية واخبارهم النبوية اللهم الاممست اليه الحاجة من ذلك وكان له اشد الارتباط بتلك المسالك وقوله غير نابشيره الى ما نشره المؤرخ ويكتور دوروي في ضمن جملة كتب التواريخ التي ألفها هو واصحابه في هذا العصر الحاضر من كتابه المسمى باسم التاريخ المقدس حتما ورد في التوراة واجود الكتب المؤلفة في هذا الموضوع عند الاور وباوين المتأخرين واهل التاريخ المعاصر بن هو ما كتبه المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان غير مبررة في كتابنا هذا وهو الجزء المختصر من تاريخه القديم الكبير المسمى باسم تاريخ القوم اليهود غير ان هذا المختصر وان كان يقتضى أن يكون لنا عليه المعول هو كتاب كذلك مطول بالنسبة لما يلزم لنا هنا من الاختصار والانحصر في دائرة التاريخ العام بسائر الاعصار ولذلك استصوبنا أن نأتى لكم هنا أيها الاخوان في هذا الباب الثالث من تاريخ العبرانيين بتعريب ما كتبه في ضمن كتابه المسمى بتاريخ المشرق القديم المؤرخ جيلمان بدلا عما التزمنا في الباب السالف من النقل عن المؤرخ فرانسيس لونورمان وقبل الشروع في ذلك التزمنا أن نقدم لكم بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بقسم آسية على العموم وبلاد آسية الغربية بالخصوص مع بعض كلام على ما كان يدعى في سالف الزمان بأرض كنعان وفلسطين والشام وبيان ما المراد بهذه الالفاظ الآن وفي سالف الزمان لقصد تعريف المسكان قبل السكان وذلك في مقدمة وعدة فصول وهكذا نصنع في اقتصاص تاريخ العبرانيين كما صنعنا في تاريخ المصريين فنقول

مقدمة

في بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بآسية العمومية وبلاد آسية الغربية

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ آسية وبيان اقسامها الاصلية

اعلموا أيها الاخوان ان لفظ آسية أو آسية هكذا (بمذاهمة في أوله وبالالف المقصورة أو بالهاء في آخره) هي لفظة اعجمية وافقت في صورة ما اذا كان آخرها منتهيا بالهاء صيغة اسم الفاعل المؤنث في اللغة العربية ومعناها كما انها علم يطلق في جملة مدلولاتها اللغوية في كتب العرب المتقدمين على آسية بنت مزاحم التي هي كما يقال عند علماء المسلمين زوجة فرعون كما في القاموس هي ايضا في اصطلاح الجغرافيين الاور وباوين اسم لاحد اقسام الدنيا الخمس الكبيرة وهي أعظمها واقدمها عندنا وعمرانا واجسمها اذ كانت آسية بهذا المعنى الاخير كما اسلفنا ذكره هي أول مهد للنوع البشري وأول مهبط للوحى

الالهى وأول ميدان للتاريخ المقدس أو الأثرى وموقعها على شرقى فسمى أوروبا وأفريقية
ولذلك يعبر عنها ببلاد الشرق أو بلاد الشرقية وهذا القسم ينقسم بحسب أوضاعه
الطبيعية الى تسعة أقطار أصلية وهى ما يأتى بيانه بعد بطريقة أجمالية

ففى جهة الشمال منه روسية آسيا أو بلاد سيبيريا
وفى غربيه تركيا آسيا أو بلاد الدولة العثمانية بأسيمة وهى بلاد الشام والعراق
والموصل وما والاها من بلاد الأرمين والروم المملوكية كدولة بنى عثمان فى هذا الزمان
ثم بلاد العرب وبلاد تركيا آسيا المذكورة مع بلاد العرب اعنى الحجاز واليمن وحضرموت
وباقى الجزيرة العربية هو ما يعبر عنه ببلاد آسيا الغربية
وفى جهة الجنوب منه بلاد فارس المعبر عنها عند العرب ببلاد العجم (وهى ايران وقابل وهره
وبلوچستان) ثم بلاد الهند فيما وراء نهر الكنج وماماه
وفى جهة الشرق منه السلطنة الصينية وبلاد يابونية

وفى وسطه بلاد تركستان وترستان وقد يعبر عنها ببلاد اسيمة الوسطى أو الوسطانية
فهذه هى اقسام بلاد اسيمة العمومية ولاياتها الاصلية حسبما ذكره علماء الجغرافية
ثم ان المراد من لفظه اسيمة عند الاطلاق هو جميع هذه البلاد فى مقابلة بلاد أوروبا وأفريقية
وهى ما يعبر عنه بالقارة القديمة فى مقابلة قسم امريقة وهى القارة الجديدة وخامس الاقسام
هو بلاد الاوقيانوسية اى جزائر البحر المحيط الاعظم وهذه هى جملة الاقسام الخمس الاصلية
التي اليها جميع بلاد العالم انقسم كما هو فى موضعه من كتب العلماء الجغرافيين المتأخرين
يفهم ويعلم فان تقيدت اسيمة بالصغرى كان المراد منها هو البحر والجزيرة الكائنة فى اقصى
جهة الغرب من قارة اسيمة المذكورة فيما بين ارمينية والشام من جهة الشرق والبحر الاسود
من جهة الشمال وبحر جزائر الروم المسمى ببحر الارخبيل من جهة الغرب والبحر المتوسط
الابيض من جهة الجنوب وهى البلاد المعبر عنها الآن بايالة الاناضول وما جاورها من بلاد
الترك العثمانية ببلاد اسيمة الغربية تميزها عن باقى الارض القارة المذكورة حيث
يعبر عنها بأسيمة الكبرى وحينئذ فلفظ اسيمة الصغرى هو عبارة عن مجموع ما يعرف
الآن فى لسان دولة بنى عثمان بايالة الاناضول وسيوة أو الروم وترابزان وبلاد القرم
وسفلحة وادنة ومرعش وهى ست باشويات كما هو فى موضعه معلوم
وبلاد اسيمة الغربية هى اقرب بلاد قسم اسيمة الى الديار المصرية وهى مصابقة لها
اعنى متصلة بديار مصر من جهة الشرق الحد فى الحد بواسطة برزخ السويس الذى
حصل فيه فى هذا العصر عملية الحفر للتخليص المالح بقصد التوصيل بين البحرين اعنى بحر الروم
أو بحر سفيد أو البحر المتوسط الابيض وبحر القلزم أو البحر الاحمر وأخر تخوم الديار المصرية

من تلك الجهة الشرقية هو قلعة العريش ويليها من بلاد الشام بلاد القدس و فلسطين
المسماة في سالف الزمان بأرض كنعان وأولها غزة وعسقلان إلى آخر ما سنوضحه في المطلب
الآتى بعد من التفصيل والبيان

مطلب — الكلام على جغرافية الشام وأرض كنعان و فلسطين وتعريف ما المراد
بهذه الألفاظ عند الأمم المتقدمين والمتأخرين

أما لفظة الشام (بالهمز أو بالتخفيف) فهي كلمة حصل في أصل اشتقاقها وسبب التسمية
بها اختلاف كثير قال في القاموس مانصه والشام بلاد عن مشاة القبلة وسميت لذلك
أولان قوما من بني كنعان تشاءوا إليها أي تياسروا أو سمى بسام بن نوح فإنه بالشين بالسريانية
أولان أرضها شامات بيض وجر و سود وعلى هذا لا تمز وقد تذكره إلى آخر ما ذكر فيه
وتسطر وقوله سمى بسام بن نوح عليه السلام قد انكر ذلك كثير من محققى أئمة أهل
التاريخ من علماء الإسلام كما في تاج العروس شرح القاموس وبناء عليه فلفظة شام
(بالشين المعجمة) هي عين سام (بالمهملة) ونص عبارة أبى الفدا في هذا المقام حيث
توضح عبارة القاموس المنقولة لأهلها و انما سمى شام لان قوما من بني كنعان تشاءوا إليه
أي تياسروا لان عن يسار الكعبة وقيل سمى شام بسام بن نوح واسمه بالسريانية والعبرانية
شام وقيل سمى شام لبقع فيه بيض وجر و سود تشبها لها بالشامات وهي تجمع ايضا على شام
كما تجمع الهامة على هام (انتهى)

وهي كل حال فان الشام ويسمى ايضا باسم سورية أو سورستان هو اسم عام يطلق عند
المتأخرين على ما يعبر بلاد الشام القديمة الاصلية المسماة أيضا في التوراة ببلاد حث
أو بلاد آرام وهي البلاد الكائنة فيما بين نهر الفرات من جهة الشرق والبحر المتوسط
الايض من جهة الغرب وبلاد آسية الصغرى من جهة الشمال وبلاد العرب من جهة
الجنوب بما فيها بلاد يهودا و فلسطين وبلاد الفينيقية أو بلاد الصوريين وقد يعبر عن هذين
القطرين الأخيرين بسواحل الشام ومنظر هذه البلاد على وجه عام كما هو تعريب عبارة
المعلم فورتنبير الجغرافى الفرنساوى في كتاب جغرافيته الكبرى يشتمل على مناظر متباينة
تباينها ظاهر حيث ترى في جهة الشرق منه سهولا جديدة ووادى ليست بخصبة وفي جهة الغرب
سلسلة الجبال المبهجة المعروفة بجبال لبنان وسلسلة الجبال الموازية لها المسماة باسم
(انتيليبان) بمعنى التي هي امام جبال لبنان وتعرف بالجبال الشرقية في مقابلة جبال
لبنان الغربية الاصلية وكاتاهما متقطعة بأودية جميلة وفي وسط تلك البلاد إلى جهة
الجنوب منها ترى اراضى خصبة كأرض دمشق و حوران و فلسطين بجوار اراضى اخرى
من أجذب ما يكون وفي جهة الجنوب من بلاد الشام توجد أرض يهودا و فلسطين وفي جهة

الغرب منها بلاد في تقيية أو بلاد الصور بين قال المعلم قور تنبير الجغرافي المنقول عنه أعلاه
 مامعناه وعلى سواحل الشام يرى المتوجه من الشمال إلى الجنوب مدينة اسكندرون على
 البوغاز المسمى باسمها أقربها من المكنات ترى كان فيه المدينة القديمة تسمى باسم ايسوس
 ثم اللاذقية وهي مدينة لا وورسية القديمة ثم طرابلس وهي مدينة ظريفة وحاضرة لطيفة
 يقال لها طرابلس الشام أو طرابلس الشرق تميزها عن طرابلس الغرب الكائنة بقسم
 افرريقية ثم بيروت وقد كانت تسمى في سالف الزمان باسم بيت وهي من لغور بلاد الشام
 الاكثر تردد للاوروبين عليها ثم صيدا وهي صيدون القديمة وقد كانت من أجمع
 مدن بلاد الفتيقيين في سالف الزمان ثم صور وهي الآن مدينة صغيرة وان كانت في
 الاعصار القديمة مدينة شهيرة ثم عكا المسماة قديما باسم البطليوسية وفيها قلعة شهيرة
 بما حصل عليها على عدة مرار من شديد الحصار ثم يافا (وهي المسماة عند السلف باسم
 يوبه) ثم غزة المسماة ايضا باسم ررة (بالراء المذيلة بدل الغين المعجمة)
 وفي داخل بلاد الشام مدينة حاب وقد كانت أعظم مدن الممالك العثمانية بأسية ثم صغرت
 بكثرة ما عتراه من الرالزل الارضية ودينه تبيين أو نزيب التي انتصرت فيها الجيوش
 المصرية تحت قيادة المرحوم ابراهيم باشا على العساكر السلطانية في سنة ١٨٢٩
 الميلادية في جملة وفائع حرب الشام العصرية
 وعلى طول نهر الاورونظ المعروف بنهر العاصي اربع مدن وهي انطاكية وقد كانت في
 الاعصار السالفة من أعظم حواضر بلاد آسية ثم انامية ثم حازا المسماة قديما باسم حث ثم حص
 وفي وسط بلاد الشام نجد مدينة دمشق المعتبرة كرسى ولاية سورية وهي مدينة كبيرة
 اهلها ارباب صنائع وحرف كثيرة كائنة في وادنزبه يقال له غوطة دمشق أو روضة دمشق
 الشام ويعده المشارقة من الجنان الارضية ببلاد آسية يسبقه نهر بردى قال في القاموس
 «ويردى بكهزى نهر دمشق الاعظم» (اه) رضبده (بثلاث فحات على الباء الموحدة والراء
 والذال المهملتين) وهو يتوزع إلى جملة خلجان عديدة ثم ينصب في بحيرة عتيبة المعروفة
 بحيرة المريج وعلى الجانب الشرقي من سلسلة جبال لبنان مدينة زحلة وقد كانت مدينة عظيمة
 ثم اخرجها الدروز في سنة ١٨٦٠ الميلادية وعلى الجانب الغربي من تلك الجبال ايضا
 مدينة دير القمر التي قتل الدروز سكانها من النصاري في السنة المذكورة ثم مدينة قنوبين
 وهي مقر اسقف الطائفة المارونية وعلى القرب منها توجد غابة من نوع الشجر
 المعروف بارز لبنان وفيها عدة ابحار من عهد سليمان عليه السلام
 وعلى الجنوب الغربي من دمشق الشام آثار مدينة جيراش المسماة عند الامم المتقدمين
 باسم جبرازة وفي جهة الشمال آثار مدينة بعليك المسماة في سالف الزمان باسم هليوبوليس

الدرس التام ١٧٥ في التاريخ العام

أو بعل هامون وهي في الوادي الجميل الكائن بين سلسلتى جبال لبنان المسمى باسم البقاع وفي الشمال الشرقي آثار مدينة تدمر المسماة قديماً باسم بليز وفي الجنوب الشرقي بلاد حوران وأكثر أهلها من الدرور وفيه أثار عمارات قديمة كثيرة

وأعظم المدن الكائنة في جنوب بلاد الشام مدينة أورشليم أوبيت المقدس المسماة عند المشركين بالقدس الشريف أو مدينة سليمان وصحري من قبتها مسيل صغير يقال له قدرون ينصب على الشرق منها يسير في البحيرة الميعة أو المدة (أي بحيرة لوط) وهي مدينة غير جميلة المنظر محاطة من جميع جهاتها بجبال كثيرة الصخر عارية عن الشجر لكن أشهر مدينة في الدنيا بنامها من حيث المخبر وسياحة عاقبها من سالف الدكر والآخر يحج إليها كثير من الأمم النصرانية ليزروا فيها كنيسة أقبر المقدس (أي قبر المسيح عليه السلام) المعروفة بالقمامة الكائنة على جبل الصليب في المكان الذي يقال إن عيسى صلب عليه ودفن في مغارة فيه وللمسلمين هذه المدينة أيضاً تباردة من أعظم العمارات المحترمة عندهم وهي مسجد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث أسسه على المكان الذي كان فيه محراب سليمان عليه السلام في سالف الأزمان وعلى جنوب أورشليم قرية بيت لحم حيث ولد يسوع المسيح وأسست على مكان ولادته سنت هيلينية قام قيصر قسطنطين كنيسة عظيمة ثم مدينة الخليل وهي المسماة في سالف القرون باسم حبرون وعلى الشمال منها مدينة نابلس المسماة قديماً باسم سيزام ثم سميت بعد ذلك باسم نيبوايس ثم تعربت باسم نابلس وقرية الناصرة المسماة قديماً باسم نازاريت المشهور بكنية المسيح وأم فيها وبها سميت النصارى (انتهت عبارة قورتغير باختصار)

وقد فهم منها أن لهذا الشام عبارة عن جميع هذه البلاد المسرودة أعلاه وقد يعبر عن مجموع ذلك ببلاد الشام وحدوده هي كما أسلفناه وقد كان بر الشام عند الأمم المتقدمين ينقسم إلى قسمين سورية وفلسطين ثم أطلق اسم سورية على اثنتين معاً منذ اصطفاها إلى سلطنة القيصرية الرومانية قبل التاريخ المسيحي ببعض سنين واطلق عاينها اسم الشام منذ افتتاحها بالعرب المسلمين في أثناء سنة ٦٣٢ من تاريخ المسيح عليه السلام ومن ثم يفهم أن أرض كنعان أو بلاد الكنعانيين هي ما يسمى الآن ببلاد القدس الشريف وهو أقرب الأقسام لبر مصر من بلاد الشام وقد سميت على تعاقب الأيام بالأرض المقدسة أو الأرض الموعودة أي الموعود بأعطائها من الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل ليتموطنوا فيها ثم بأرض يهودا أو فلسطين وحدودها من جهة الشمال بلاد الشام بالمعنى الأخص ومن جهة الشرق والجنوب بلاد العرب والجزء المجاور لها من بلاد العرب هو ما يعرف بتيه بني إسرائيل (من تاه بمعنى ضل في الأرض) يعني بالجبال التي أقاموا فيها بعد خروجهم

من ديار مصر كما سيأتي لذلك بعد اتم ذكر ومن جهة الغرب ببحر سفيد او بحر الروم وفي الجزء الشمالي منها جبال لبنان المذكورة في شعر احمد بن الحسين المتنبى بقوله
وجبال لبنان وكيف يقطعها * وهي الشتاء وصيفهن شتاء

وهي عبارة عن سلسلتين عظيمتين احدهما جبال ابينان الاصلية والثانية الجبال الموازية لها وهي المسماة عند الافرنج باسم انطيليبان بمعنى التي امام جبال لبنان وتعرف بالشرقية وأعلى رؤسها يعرف على لسان اهل البلاد بجبل الشيخ ومن جبال لبنان المذكورة تتفرع الى جهة الشرق جبال هرمون وجلعاد والى جهة الغرب جبل جلبوة وجبل غرزيم المشهور في تاريخ العبرانيين ببناء هيكل للسامريين في مقابلة هيكل اورشليم وهو جبل نابلس وفي الوادي المتكون من الجبال المذكورة يوجد كل من بحيرة طبرية أو فلسطين التي يخترقها من الشمال الى الجنوب نهر الاردن (بتشديد النون في آخره) ثم بحيرة لوط أو البحيرة الميتة أو المنتنة المشهورة بقصة قوم لوط وينصب فيها من جهة الغرب مسيل قدرون السالف الذكر ومن جهة الشمال نهر الاردن ولا يوجد في بلاد فلسطين من الانهار غير نهر الاردن المذكور وهو الذي يقال له ايضا نهر السريعة ومنبعه من جبل الشيخ السالف الذكر - بما هو مشهور

وقد كانت ارض فلسطين في ايام يوشع عليه السلام تنقسم الى اثني عشر قسما من الاقسام يعرف كل قسم منها باسم واحد من ذرية يعقوب أو اسرائيل ويعبر عنه بالسبط بمعنى القبيلة أو القبيل منها على الشاطئ الايمن من الاردن سبط أشار وبنيتالى وزابولون ومدن الاصلية بيتاليه وايزاشار ثم نصف سبط منشة الغربي وسبط افرايم ومدينته الاصلية سيشام وسبط دان وشمعون ويهوذا أو يهوذا (بالدال المهملة أو بالذال المعجمة في آخره) ومدينتها الاصلية يتييم وسبط بنيامين ومدنه الاصلية اورشليم وياربكو وعلى الشاطئ الايسر نصف سبط منشة الشرقي وسبط كازاو كاد (بالدال المهملة أو بالذال المعجمة كذلك) وسبط روبان أو روبيل

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ العبرانيين واليهود أو بني اسرائيل أو الانسراييليين — أما اسرائيل فهو في الاصل اسم يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكان لاسرائيل المذكور اثنا عشر ابنا وهم روبان اوروبيل ثم شعون ثم لاواى ثم يهوذا ثم يساخر ثم زابولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالى ثم كاز ثم اشار واما منشة (بالشين المعجمة أو بالسين المهملة) وافرايم فهما ابنا يوسف عليه السلام وهؤلاء الاثنا عشر ابنا الذين هم ابناء يعقوب منهم كانت اسباط بني اسرائيل بمعنى قبائلهم وجميع بني اسرائيل هم اولادهم وذريتهم وهذا هو السبب في تسميتهم ببني اسرائيل أو الانسراييليين ويعبر

عنهم ايضا بالعبرائيين (نسبة الى عابر بن شالح بن قينان بن ارغشذين سام بن نوح عليه السلام) واما تسميتهم باليهود فقد قال أبو الفدا (في الفصل الخامس في ذكر الامم من تاريخه) عند الكلام على أمة اليهود مانصه : وامة اليهود اعم من بني اسرائيل لان كثير من اجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا ولم يكونوا من بني اسرائيل وانما بنوا اسرائيل هم الاصل في هذه الملة وغيرهم دخيل فيها فلذلك يقال لكل اسرائيلي يهودي ولا يقال لكل يهودي اسرائيلي (هـ) ثم قال بعد ذلك مانصه : واما اسم اليهود فقد قال الشهرستاني في الملل والنحل هاد الرجل أي يرجع وتاب وانما لهم هذا القول لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أي رحعنا وتضرعنا قال البيروني في الآثار الباقية ايس ذلك بشيء وانما سمي هؤلاء باليهود نسبة الى يهوذا أحد الاسباط فان الملك استقر في ذريته وابدلت الدال المعجمة دال المهملة كما يوجد مثل ذلك في كلام العرب وكتابهم التوراة الى آخر ما ذكر (اه) ما اردنا نقله هنا من تاريخ أبي الفدا ومنه يعلم السبب الصحيح في تسميتهم باليهود بناء على هذا القول الاخير وهو القول المعتمد الرجح واذا كان قد تقرر ما توضح اعلاه من هذه الفوائد التعريفية والمعلومات الجغرافية في أذهانكم أيها الاخوان ساغ لنا الآن ان نشرع في المقصود اعني نتتبع تاريخ العبرانيين أو اليهود فتقول على الوجه الذي اسلفناه

الفصل الاول

في اصل أوية الامة العبرانية وكيفية تكون الملة اليهودية والاسرائيلية

مطلب — ذكر أصل منشأ الاسرائيليين وقصص بعض اوليائهم وأنبيائهم السالفين — قال المؤرخ جيلمان المذكور اعلاه في هذا المقام ما تعريبه ادناه قال الاسقف بوسوه في تاريخه العام ما معناه وكان الناس في الاغصار الخالية والازمان الماضية بتعاقب الدهور والتباعد عن أصل الامور قد فسدت اخلاقهم واختلت افكارهم فأنحرفوا عن الطريق المستقيم الذي كان قد أسسته لهم اسلافهم من الزمن القديم وغلب على الافهام البشرية حجاب الطبيعة البهيمية فلم تدر على الترقى لادراك الامور العقلية واجمع الناس في سائر الاقطار بتلك الاحقاب الزمنية على ان لا يعبدوا غير الاشياء التي هي لهم مرئية وانتشرت عبادة الاصنام والوثان في جميع اقطار الارض المعهورة بذلك الزمان فاراد الله العظيم سبحانه وتعالى ان يمنع هذا الضرر الجسيم ويقطع مادة هذا الحال السقيم ولذلك اصطفى عبده ابراهيم عليه الصلاة والسلام واعده لان يكون اصل عائلة كريمة تبقى فيها عبادته الصحيحة الاصلية وجعله منشأ ذرية صالحة مستقيمة تحفظ بها عقيدته الاولية سواء كان ذلك فيما يتعلق بتاريخ اولية الخليفة الدنيوية او فيما

يتعلق بالحكمة الالهية التي تعلق ارادته الازلية بأن يدبر بها سائر الاشياء البشرية «
(هـ)

مطلب — ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهم السلام وما جرى على ايديهم — مامن
الحوادث التاريخية في سالف الايام — قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه
وقد كان ابراهيم الذي هو صفة المولى الاعلى جل جلاله هو ابراهيم بن تارح (وهو المدعو أيضا
باسم آزر) وكان أصل مولده وموطنه وأول منشاءه ومسكنه بمدينة أور (بضم الهمزة في اوله
يليه ساو او فراءه) مملكة في آخره قال المعلم بوليت القرانساوى في كتابه المشهور بماعناه
معجم البلدان ومشاهير ابناء الزمان هي مولد ابراهيم وأبيه تارح ولعلها المعروفة باسم اورفة
الآن (هـ) وهي بلاد كادة (او العراق) وكان ابراهيم من بني سام بن نوح عليه السلام
اعنى من تلك الذرية الصالحة الكريمة والعائلة البشرية العظيمة التي كان هذا الاب الثاني
لنوع الانساق قد دعا لها بالبركة من المولى الازلى الواحدانى وكان الله سبحانه وتعالى
قد أوحى اليه بقوله له «قم يا ابراهيم واخرج من بلدك واحجر اقا ربك ودار والدك واذهب
الى البلد الذى ادلك عليه واتوجه بك اليه وانى لمخرج منك أمة كبيرة وجاعل لاسمك
ذكرى شهيرة وسابعث واحدا من بنيك درجة لجميع العالمين وبركة على سائر الامم الآتية
قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه فقام ابراهيم مسترشدا بقوة عقيدته
في الله ومصداقاً لما أمره به مولاة وهجر الارض التي ولد عليها وتوجه الى البلد التي هداها الله
سبحانه وتعالى اليها انى قال عقب ذلك المؤرخ المذكور ما هو بعد مسطور وبعد ان ساح
ابراهيم زمنا طويلا في البوادي والقفار يقود ما كان له من الخدم ورعاة المواشى العديدة
وكانت اعظم اموال الاولياء السالفين في تلك الاعصار دخل بارشاد الله سبحانه ارض كنعان
وكان معه لوط ابن اخيه وكان من أمره وما جرى له من حوادث دهره انه اضطر لحادثه
فحطت في تلك البلاد لان سافر مرة الى وادى مصر الخصب اقصد أن يجلب منه قعما
لاهله وذويه وسافر مرة أخرى الى بلاد الميزوبوتاميه (بلاد الجزيرة والموصل) فدفع بخدمة
صولة جنود ملك تلك البلاد عن لوط ابن اخيه وكانوا قد امروه وكان ابراهيم عليه السلام
قد شهد واقعة تخرب قرية قوم لوط وهي سدوم وعمرة وصبغة وادما وصبويم وبالعين
المهملة) عقابا لهم على ما كانوا اقدارتهم كبره من الذنوب والآثام وسدوم وقراها الخمس
المذكورة هي التي يرى في مكانها الآن بحر لوط أو البحيرة الميتة أو المنتنة قال المؤرخ المذكور
اعلاه مامعناه وبعد ان عمر ابراهيم عراطو يلاقضاه في تثبيت قومه وبنيه وعاش
عيا جيلاً أفناه في تكبير جميع اهله وذويه على الاعتقاد في الله الواحد الاحد توفاه
مولاة فترك ميراثه لاسحاق احد ولديه اللذين كان قد توفي عنهما فاقضى اسحاق اثر ابيه

في كل ما كان يتخذونه وبأتية من النعيش بصناعة رعاية المواشى والتنقل والارتحال بها الى حيث تجدمرعاها مع المواظبة على هداية الناس للايمان بالله الخالق بلبيع الاكون مطلب — ذكر يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبني اسرائيل بمصر في سالف العصر — قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه — وجاء من بعد اسحاق يعقوب وهو المدعو أيضا باسرائيل (ومعناه بالسر يانية مقاتل الله سبحانه وتعالى لقيه به ملك نزل عليه في صورة بشر فقاتله الى الفجر كما في التوراة) وكان من أمره انه اقتدى بأبيه ورجده وكان له اثنا عشر ابنا من ولده صاروا اصول القبائل الاثنتي عشرة المعبر عنهم بالاسباط التي بقي بنو اسرائيل اليها منقسمين بدون اختلاط من بعده وكان يوسف من اصغر بنيه ففسده اخوته وحقدوا عليه حيث لحقتهم الغيرة منه لاداعي كون أبيه كان يؤثره عليهم بالمحبة الابوية فاخذوه وباعوه على انه رقيق لتجار كانوا مسافرين الى الديار المصرية ولكن كانت عناية المولى جل جلاله قد لحقته فاحاطت به السعادة في سائر احواله فالتحق بخدمة أحد كبار ارباب الدولة الفرعونية بتلك الاعصار (وهو المدعو باسم بوتيفار) فظهر في جميع افعاله حكمة عجيبة وفضيلة غريبة جذبت اليه التفات فرعون مصر في ذلك العصر حتى رقاها الى مرتبة اول وزير له واثمنه على خزائنه وانفق انه قد اعترى اخوته ببلاد الشام سنة قحط جفاوا الى مصر ليشتروا لهم قحافا فكشف حاله عليهم بعد عدة اختبارات القاها اليهم واحضر اياه عنده بديار مصر وكان ابوه لم يرزل يبكيه حيث كان يظن انهم قد قتلوه فبات منذ حين من الدهر ثم احضر جميع عائلته من ارض كنعان بالديار الشامية واقطعهم وادي غسان (وهو المعروف الآن بالوادي وهو الكائن على حدود مديرية الشرقية) قال مؤلف الاصل اعني في تلك القطعة التي كانت مدينة تانيس (وهي المعروفة الآن بسمنة أو سان) هي قصبته وبندر ولايتها من الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية فتوطنوا بها واقاموا فيها قال مؤلف الاصل المنقول عنه اعلاه بعد ذلك مامعناه وقد مكث العبرانيون وبنو اسرائيل في ذلك الوادي الخصيب من وادي النيل مدة ٤٣٠ سنة من الدهر يعيشون بصنعة القوم الاغراب بين اظهراهل مصر القبطيين محافظين على بساطة اخلاقهم وعوائلهم وملازمين انقاوة دياتهم وعقائدهم وفي أسرع مدة من الزمن ازداد عددهم واشتد عضدهم ومددهم الى درجة بليغة جدا حتى صاروا أمة ذات عصبية كبيرة وملة قوية كثيرة يبلغ عدد الرجال الذين يمكنهم حمل السلاح والقتال منهم الى ستمائة الف رجل (٦٠٠٠٠) ولذلك خشيت من صواتهم الفراغنة على دواتهم على انهم كانوا في سائر مدة اقامتهم بين اظهراهم لم يرالوا يحقدون عليهم وينفرون منهم ويفضرون لهم العداوة والبغضاء لداي شدة تباين ما بين اخلاق القومين وعوائلهم وتباين ديانا الطرفين وعقائدهم حيث كان المصريون قوما حضريين

يعبدون أو ثمانا عديدين والاسرائيليون اناسا بدويين ورعاة مواش رحالين نزالين وهم لاله واحد يعبدون فلم يلبث ان داخل قلوب المصريين للقوم الاسرائيليين أقصى العداوة والشقاق واسروا لهم اقصى الغيرة والنفاق لداعي ما توضح من اختلاف العقائد والاخلاق

مطلب — ذكر موسى وهارون وما جرى على ايديهما من خروج بني اسرائيل من ديار مصر في سالف العصر — قال المؤرخ السالف الذكر وقد كان صعبا على كرسى بمنكة ديار مصر في ذلك العصر كما هو عين نص التوراة «ملك لم يكن يعرف يوسف» عليه السلام قال بعض العلماء الاعلام في تفسير هذه العبارة وليس قولهم هذا بفياء على غير اساس ان هذا الملك قد كان أحدم ملك المصريين والمراعاة الاصليين الذين انقذوا ديار مصر من ايدي القوم البغاة المعروفين بالملوك الرعاة أو الهينكوسيين وذلك ان هؤلاء الملوك البلديين بعد ان اخرجوا هؤلاء القوم الطغاة من ديارهم كان كل مطمح انظارهم وجل مطمع افكارهم متوجها للضرورة إعادة ما كان لديار مصر في سالف العصر من اتحاد مادة السياسة والدين في جميع دولتهم فلم يمكنهم الا ان ينظروا بعين العداوة والبغضاء للاسرائيليين وازدادوا شوكتهم حيث كانوا داعي كيفية معيشتهم الخلوية ووحدة اديانهم الدينية بعزل عن سائر المصريين وعلى كل حال هؤلاء العلماء وغيرهم من اختلاف المذاهب والاقوال في هذا المجال فن الحوادث التاريخية المحققة والوقائع الزمنية المصدقة ان الفراعنة المصريين حملوا القوم العبرانيين بديار مصر في ذلك العصر مالا يطاق من الظلم والجور والاصر واستخدموهم في بناء مدينتي رمسيس وبيتون واقامة سائر هذه العمارات الكثيرة والاعمال الكبيرة التي كانت ديار مصر قد امتلأت بها في عهدهؤلاء الملوك البلديين كما سبق لذلك في مواضعه من هذا الكتاب أوضح الذكر ولم يكن فرعون مصر الحاكم في ذلك العصر بان يحمل القوم العبرانيين جميع هذه الاثقال القاسية والاشغال الشاقة القاصية حتى كان من بغيه وطفغيانه ان أمر بقتل كل من ولد ابني اسرائيل من الاطفال الذكر فاخذت امرأة من سبط ليوى ولدا مائة ثلاثة شهور ثم القته راقدا في مهدا فخذته من أعواد شجر الحنا او الخيزران فوق المكان الذي كانت بنت فرعون قد جرت عادتها أن تتردد عليه للاستحمام فيه من نهر النيل وجاءت بنت فرعون الى ذلك المكان حسب عادتها للغسل فسمعت صوت الطفل فرأفته به وحنث اليه والنقطة من البحر وسمته باسم موسى ومعناه المنجى من الماء سمي بهذا الاسم لهذا الداعي ثم تبنته وأخذته الى قصر أبيها فربى في قصر الفراعنة وتعلم جميع العلوم التي كان يعرفها فسس المصريين في تلك الازمنة ومع ذلك فلم ينس أصله ولم يزل يذكر محمده وفصله فاتفق له ذات يوم ان رأى قبطيا يضرب اسراييليا فوكر القبطي فقتله واضطر لان فر من ديار مصر لداعي قتله خوفا من دولة فرعون على نفسه

والاقتصاص منه بنظير فعله وسافر الى أرض مدين ببلاد العرب فكث أربعين سنة عند شيخ من كبار أهل البلاد المذكورة يدعى باسم يثروا وحترو (بالياء المثناة التحتية أو بالجيم الفارسية في أوله بليها تاء مثناة فوقية فراء مهملة فواو في آخره و يعرف في كتب المسلمين باسم شعيب عليه السلام) واقام برعى مواشيه حيث انكحه إحدى بناتيه المسماة باسم صفوره وفي تلك البلاد قد كان ظهر له ذات يوم على البعد في الصحراء شعلة نار من شجر العوسج وهو ضرب من الشوك ينبت بالبادية كما في كتب اللغة العربية فذهب اليها فسمع من قبل الله آياته صوتا يتضمن الامر له بالعودة الى ديار مصر لينقذ قومه مما هم فيه بتلك البلاد من الاسر قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه والاسقف بوسوه وهو أفصح ترجمان للكتاب المقدس يعني التوراة وهو هناك أيضا كان الله سبحانه وتعالى قد أطلع هذا الرجل العظيم من معرفة ذاته الكريم على ما لم يكن قد أطلع عليه احدا حيا من البشر في ذلك العصر فقام موسى واخوه هارون وعاد الى ديار مصر ودعا فرعون ذلك العصر أن يترك سبيل بني اسرائيل ليقر بواقر بانهم في الصحراء فامتنع فرعون من ذلك الامر ولم يأذن لهم الامن بعد ان رأى قومه المصر بين قدا بتلاهم المرلى سبحانه وتعالى بالجوائح والجوائح السبع قال أبو الفدا (وهي القمل والضفادع وصيرورة الماء دما الى آخر ما ذكر) وقرع في آخر الحال خصوصا لما شاهد من موتان الاطفال المولودين جديدا القومه المصريين فاذن للعبرانيين بالسفر ثم ندم على تخلفهم من ربة دولته وخرجهم عن طاعته فاقتفى اثرهم وتبعهم وهو يقود جيوشا عديدة من جنوده حتى وصل الى بحر القلزم وهو البحر الاسود فرأى مياهه قد افرقت وارضه قد جفت ونشفت تحت اقدام الاسرائيليين فورا عليها من الفرقا ناجين ولما توسط فرعون وجنوده البحر كانت قد عادت المياه لبحرها المعتاد وانطبقت عليهم أمواجه فاغرقتهم أجمعين وخرج موسى وقومه سالمين فذهب بهم وهو يدبر سيرهم ويدبر امرهم في صحارى بلاد العرب الى حيث يتبع اعددهم عن فساد مدن ديار مصر يسهل عليهم أن يعودوا الى عبادة آباؤهم السالفين ومكتوامة أربعين سنة في تلك الصحارى يتيهون ويدافعون صولة قبائل العرب الذين كانوا لهم مجاورين ويتبعون مع ذلك في بعض الاحيان فيما كان متحركا بديار مصر من عتيق الاوهام الدينية والعبادة الوثنية غير انهم كانوا يزلوا المخاطنين بالعبادة الالهية

مطلب — الكلام على شريعة موسى عليه السلام — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه — وعلى هذا الوجه كان بنو اسرائيل قد اتفقوا من ظلم الفراعنة المصريين ونجوا من القوم الظالمين ولما كان من اللزوم أيضا ان يبق ملة الله سبحانه وتعالى عن سائر الملل بالكلية وتوثيق ربطهم بعقائد أسلافهم الاصلية بطريقة قطعية كان كما هو نص عبارة الاسقف بوسوه السالف الذكر والبيان هو قد أن اوان يكون العبادة الحقيقية

انتي كانت قد انجحت من مذكرة الناس في تلك الحقبة العصرية بالكلية لا يمكن حفظها وبقاؤها الا بواسطة تقييدها بالكتابة (هـ) ولذلك حين وصل موسى ببني اسرائيل الى جبل الطور بلغ قومه سر بعته والاوامر الالهية العشرة التي نزلت عليه وهي عبارة عن عشرة خطابات أو مواد أصلية تشتمل على الارقان الاساسية التي تبنى عليها اصول الدين ومكارم الاخلاق واساس الجمعية البشرية في الامة العبرية وهي هذه

أولا - اني انا الله ربكم فلا تتخذوا لكم الهة اخرى ولا تصنعوا لكم تماثيل مفصلة ولا صورة مطلقا لتعبدوها واتخذوها من دوني

ثانيا - لاتخافوا باسم الله ربكم باطلا

ثالثا - تعملون مدسة ستة أيام وتستريحون في السابع

رابعا - اكرموا والديكم يظل عمركم

خامسا - لاتقتلوا أحدا

سادسا - لاتزنوا أبدا

سابعا - لاتسرقوا

ثامنا - لاتشهدوا بالباطل على جاركم

تاسعا - لاتشتموا امرأة جاركم

عاشرا - ولاتشتموا اذنيه وخادمه أو خادمته ولا ثوره وحماره ولا شيا مملوكا له مطلقا

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه ولاجل طبع معنى التوحيد الالهى على الوجه الاقوى في العقول والافهام اكثر موسى عليه السلام من الاوامر والنواهي والحدود والاحكام وعاقب كل من خالفها بغاية التشديد والاحكام ووضع لبني اسرائيل قوانين الجمعية المدنية بمعنى شروط الهيئة الاجتماعية البشرية اى المعاملات الدنيوية في حالة اجتماع الامة بعضهم مع بعض على اساسات قوية هي اعلى من قوانين سائر الامم الاخرين وحيث كان هذا الرجل العظيم قد اهتدى هكذا للحقيقة فيما يتعلق بالاخلاق والاديان وقام لها بالاعلان مع غاية الوضوح والبيان لزمان يكون اقرب من غيره للحقيقة الحقيقية ايضا فيما يتعلق باركان عقد الشركة الانسانية والجمعية البشرية وفي الواقع ونفس الامر قد كانت جميع الترتيبات المدنية التي وضعها للامة العبرانية مبنية على اصول من العدل والانصاف والرافة بالناس مع الاحسان اليهم والتصدق عليهم لاتوجد في شرائع غيرهم من الامم السالفين من هذا القبيل ان بني اسرائيل بدلا عما كان متحكما عندها كثر الامم السابقين من قانون تمييز الطبقات الالهية والمراتب البشرية كانوا كلهم متساوين على وجه الاطلاق عند الله وامام الشريعة اليهودية وكان موبى عليه السلام قد اوثق عروة هذه المساواة الانسانية

في الاحوال الشخصية والاموال الكسبية بما وضعه من قانون السنة السبعية والمدة
 الخمسينية أما الاولى فهي عبارة عن مدة كل سبع سنوات اذا اقامها العبد في خدمة مولاه هلق
 عليه وأما الثانية فهي عبارة عن مدة كل خمسين سنة يرجع فيها الملك المنصرف فيه المال كله
 الاصلى ويرد اليه وقد نتج عن هذين القانونين بعد ما كانا جارين ان اليهود لم يحدث فيهم أبدا
 هذه الطبقة السيادية المتردية برداء الكبر والفساد في سائر البلادين العباد ولاتلك الطبقة
 السفلية التي كان يحملها الفقر والجوع على ايقاع الفتن الشديدة والمحن العنيدة في نظام
 الجمعيات الجمهورية القديمة وكانت رؤسائهم وملوكهم يخرجون من أبناء امتهم وينتخبون
 من عين ملتهم وكانت قسوسهم او كهنتهم المعبر عنه بالليويين (نسبة الى ليوى احد الاسباط)
 متوزعين في جميع الامة الاسرائيلية لا يملكون شيا من الاملاك الارضية غير ثمان
 واربعين قرية ليسكنوها فلم يكونوا متهمين في هيئة طائفة قسيسية ولا كانوا متهمين بكيفية
 خرفة دينية نعم كانت هذه الوظيفة فيما بينهم وراثية غير انه قد كان الولد لا يرث عن ابيه فيها
 بيقين غير الفقرو بذل النفس في خدمة الدين ومع كون الرق قد كان اساس كل جمعية
 بشرية عند سالف الامم قد كان لليهود اقل عبيد من الخدم وقد كانت قوانين سائر
 الامم لاتنظر للفقير والمعدم وتحترقوا وتفرض الغريب بخلاف شرع اليهود حيث كان يجنب
 للفقير والمسكين و يصلح حال البعيد والقريب وينع الربا ويأمر بالصدقة ويفرض
 الاحسان و يأذن بالدخول في المحراب وحضور الضحايا والقرايين حتى للاغراب
 وبالجملة والتفصيل فقد كانت شريعة بنى اسرائيل ترفع شأن كل ما كانت شرائع سائر
 الامم السالفين في ذلك الجبل قد خذلتها واسفلتها واحتقرته ووضعته فكان القريب
 بين اظهريهم لا يعتبر عدوا كما كان الحال كذلك عند غيرهم وكان العبد لديهم لم يرزل ينظر
 الانسان اليه ينظر وتجلس المرأة مجلس الشرف في كل محضر يجوار رئيس العائلة على وجه
 بحيث تكرم كرامه وتحترم كعين احترامه الى غير ذلك من الاحكام الجليلة والشرائع
 الجميلة

ثم ان موسى عليه السلام مكث مدة الاربعين سنة التي اقامها بالصحراء وهو يجاهد في اكثر
 الاحيان ما كان يحصل من الثوران والعصيان عليه من العبرانيين حيث كانوا الميرالوا
 بأسفون على ما كانوا يجدونه بديار مصر من النعم الكثيرة والخصوبة الغزيرة ولكنه كان
 يعون الله الواحد القهار يمنع كل مانع ويدفع كل دافع ويغلب كل خصم حتى وصل بالقوم
 الى تخوم الارض الموعودة وأراد أن يقدم عليها فلحقته الوفاة فبات الى رحمة الله وهو ينظر
 اليها على الجبل المسمى في سالف الزمان باسم نيبو (بامالة النون الموحدة في اوله على ياء مثناة
 تحتية يليها باء موحدة فواد في آخره) وهو المعروف الآن في تلك الاقطار من جبال فلسطين

بجبل العطار) وقد حفظ عنه في التوراة صورة القصيدة العالی الذي انشاء حين حضرته الوفاة
 لقد تمجيد المولى الاعلى جل جلاله وتعالى اسماءه وفعاله وترجمته هكذا بالعربية
 يا سماء اسمي ويا ارض عي فاني اريد ان امجد الياس هو (وهو اسم الله سبحانه وتعالى
 بالعبانية) ان افعال الله كاملة ونعمه شاملة ولكن الناس قد كفروا به
 فاخذ يعقوب من نصيبه وكما يأخذ النسر افراخه تحت جناحيه ويعلمها كيف تنض
 قد أخذكم المولى سبحانه وتعالى ايها القوم الخائفون تحت أجنحته ومد عليكم ظلال
 عنايته وهذاكم والآن حين غمركم باحساناته وشملكم بهباته فهو لاء القوم
 عنه غافلون ومنه يتباعدون ليعبدوا الهة لم يكن آباؤهم يعرفونها وانهم ليسوا بمؤمنين
 ولكن الله يرأف بعباده اذ ارأى ان ابطالهم قد هلكوا في جهاده ويقول
 حينئذ اين آلهتكم واين امانتكم افهتم الان انه لا اله غيري وانني انا الذي اُميت واحيى
 وامرض واشفي واني انا الحي الابدی » (٥١)

وكانت وفاة موسى عليه السلام (في سنة ١٥٨٥ ق م) وقبل وفاته كان وهو بالصحراء
 بعد قد نصب أخاه هارون بوظيفة الكاهن الاكبر والخبير الاعظم ولفظ الكاهن بالعربية
 هو تعزيب الكوهن بالعبانية أي رئيس خدمة الدين ووضع الاوامر العشرة التي انزلت
 عليه بجبل الطور في تابوت أو صندوق يعرف بصندوق الشهادة واغلاقه عليهم او كتب اسفار
 التوراة الخمسة الاولى المسماة باسم البنتا كوك السالف الذكر وهي سفر الخليفة وسفر
 خروج بنى اسرائيل من مصر وسفر الليويين وسفر العدد وسفر تجديد العهد (انتهى
 معربا من تاريخ المشرق القديم للأورخ جيلمان السالف الذكر والبيسان) قال المعلم بوليبيت
 صاحب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان المروى عنه انفا ما معناه ولفظ البنتا كوك
 هذا عبارة عن الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم (يعني التوراة) وهي تشمل على
 التاريخ المقدس أو الاثرى من مبدأ خلقية الدنيا لغاية دخول بنى اسرائيل في الارض
 الموعودة وعلى قانون من الشرائع والاحكام الموسوية ومجموع اوامرونها هي دينية (٥١)

الفصل الثاني

في تاريخ بنى اسرائيل بارض كنعان وكيفية تكون دولتهم بتلك البلدان (من سنة ١٥٨٥
 الى سنة ١٠٩٦ ق م)

مطلب — ذكر يوشع عليه السلام وافتتاحه لارض كنعان او فلسطين من بر الشام
 (رجع للفصل من تاريخ المشرق القديم للأورخ جيلمان)

قال المؤرخ المذکور ان كوراهلاه مامعناه ولما اغار بنو اسرائيل على ارض كنعان في ذلك الزمان كان به اعدة قبائل من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام تحت طاعة عدة رئيس اطلق عليهم في التوراة لقب الملوك وكانوا على حال فظيع من الفسق وفساد الاخلاق وملوكهم في نهاية من العداوة والشقاق (منهم الهيثيون واليبسيون) وهم اهل مدينة ييس التي بنيت في مكانها اورشليم وكانت تدعى قبل ذلك بمدينة سالم وهي مدينة القدس الشريف (والعموريون والجرجيسيون والهيريون والفيريون والكعانيون الاصليون) فلما دنا منهم الخطر انعموا بغارة هؤلاء الاقوام اجتمع بعضهم ابعض وتعصب اقواهم شوكة على دفع صائلتهم ومنع غائلتهم وكان موسى عليه السلام قبل وفاته قد استخلف يوشع من بعده فقام بتدبير بني اسرائيل احسن قيام ورفاه عهده ولم يفرغ يوشع من عصبية هؤلاء الملوك بل استمر على ما قصده موسى من فتح بلاد الشام وسلك في قيادة بني اسرائيل احسن سلوك وعبر بهم نهر الاردن واستولى بطريق العنوة والقهر على مدينة ياريكو (اورشحا) وقتل ساثر اهلها ثم انتقل الى غيرها من مدن ذلك القطر ومن قاتله منهم فعل به كما فعل بهما اعدا مدينة (جيبون) حيث كانت قد دخلت تحت طاعته وسما ت ندسها اليه وتعاهدت معه فاجتمع عليهم جماعة من الملوك المذكورين وحاصروها عقابا لها وجاء يوشع فحماها منهم (وقد ذكر بالكتب المقدسة انه في حصار المدينة المذكورة كانت حادثة توقيف الشمس يوشع عليه السلام حتى تم له انصر عليهم كما ذكر في هذه القصة المشهورة وهي المشار اليها بالتام في قول ابى تمام) شعر

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوان الله ما درى ااحلام تاثم * المت بنا أم كان في الركب يوشع

ثم انعقدت عليه عصبية اخرى من ملوك جهتي الشمال والغرب كان رأس عصبتهم وشيخ زدار يدوتهم الملك المدعو باسم (بايين) ملك المدينة المسماة باسم (حزور) من تلك البلدان ولكن يوشع عليه السلام كان قد ظفر بهم وشتت جمعهم وغلب جميع الملوك الذين كانوا يقسمون بلاد الكنعانيين وكانوا خمسة وثلاثين ولم يبق منهم بحالة الاستئلال غير بعض قبائل قلائل تحصنوا في الجبال وعلى سواحل البحر وكثروا يوشعون بني اسرائيل وهم لهم بشجاعتهم يجاهدون وعلى مقاومتهم يتجادون في تلك العهود لغاية عهد داود من ذلك العصر ولما تمكن بنو اسرائيل من الارض الموعودة اقتسموها بين الاسباط وانتخبوا من كل سبط اوقبيس ثلاثة رجال لقسمتها فوراها واطلعوا عليها وقاسوها ورزقوها اعياهم فتوطن منهم سبطان ونصف سبط فيما وراء نهر الاردن وبقى ساثرهم على الجانب الاخر ما عدا سبط ايوى حيث لم يقسم له حصة من الاملاك الارضية بل ترتب له شتر ثمر الارض كما هو متخذ

لهم ثمان وأربعون قرية متفرقة فيما بين اراضي سائر القبائل ليأخذوها ما ساء لهم وينبؤوها ثم التفت يوشع لترتيب أمر الدولة الاهلية وحسن ادارة الامور الداخلية فانشأ المحاكم ونصب القضاة والحكام وأوضح لكل قاض منهم ما يختص بوظيفته من الخطط والاحكام ثم مات رحمه الله وله من العمر مائة وعشرون عاماً

مطلب — الكلام على حقيقة حكومة العبرانيين ببلاد الشام وبيان ما المراد من قدمائهم ومشايخهم وولاية أمورهم المعبر عنهم بالقضاة أو الحكام — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاء مامعناه وبقيت قبائل بني اسرائيل في ذلك الزمان متفرقين على سائر ارض كنعان لارابطة لهم عامة ولا جامعة لهم تامة غير جامعة الدين ولم يكن لدوائهم الجديدة ببلاد الشام اساس هي مبنية عليه غير عبادة اليها هو وشريعة موسى عليه السلام وكان الخبر الاعظم في بني اسرائيل هو عبارة عن خليفة المولى الجليل وهو الرئيس الحقيقي للامة العبرانية وولي الامر الاصلى للامة الاسرائيلية وكان لقدمائهم أو مشايخهم مجالس يعقدونها ومحاضرات يحضرونها في كل سبط لقصد النظر والتشاور في مصالح كل قبيلة ولم يكن لهم عليها ولاية سياسية وكانت ولاية مشايخ بني اسرائيل في ذلك الزمان عبارة عن ولاية عرفية تركب من كل من صحب موسى بن عمران (بمنزلة أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام) ولم يكن لبني اسرائيل ولاية أمر عمومية تجمعهم ولا رياسة عالية تدبرهم ولذلك لم يتيسر لهم تمام افتتاح تلك البلاد بل صاروا من الضعف وعدم الاستعداد لداعي تفرق كلمتهم وعدم اتحاد عصبيتهم الى عدم المقدرة والاستعداد لدفع غارات الاعداء المجارين لهم ومن ثم حصل لهم ما يذكر في توارخهم على عدة دفعات من حوادث الاسترقاق والاستعباد الذي كان ينقذهم منه رجال أولو شجاعة وابطال ذوو قوة منهم كانوا يقودونهم للقتال وبعد تمام الظفر بالاعداء يطلقون عليهم لقب القضاة أو الحكام وهم عبارة عن ولاية أمورهم يدبرونهم وحكامهم ينونهم ويأمرونهم من غير أن يكون لهم لقب الملوك غير انه لم يكن لهم قوة نفوذ معينة ولا ولاية أمر مستمرة بينة قال القائد يوسف مؤرخ اليهود في تاريخه ما نصه «ووقد كان بنو اسرائيل يطلقون لفظ القاضي أو الحاكم من القوم العبرانيين على أشهر رجل تميز بالشجاعة وأكبر بطل اشتمر بفضيلة الجهاد والمنعة ثم متى انقضى الخطر والحرب وعادت لما كانت عليه السلم رجوع القاضي لحالة الآحاد الاهليين وربما بقي على وظيفة القاضي بلى القضاء والحكم بين الاسرائيليين» (هـ)

مطلب — ذكر قضاة بني اسرائيل وحكامهم — وكيفية تدبيرهم في تلك المدة وأدارة احكامهم — وقد كان عددهم ولاه القضاة أو الحكام الذين اتقوا الاسرائيليين في اكثر الاحيان من يدهم ولاه القوم الظالمين أربعة عشر نفرًا كان أشهرهم وأبعدهم صيتا

وأكبرهم هو واحد هم المسمى باسم (عثنيايل) (بفتح العين المهملة وسكون التاء المثلثة) ثم (اهوذ) (بفتح الهمزة في أوله وذال مججمة في آخره) ثم المرأة المشهورة باسم (ديبوره) (بامالة الدال المهملة على ياء مثناة تحتية في أوله) ثم (كذعون) (بفتح الكاف يليها ذال مججمة ساكنة فعين مهملة فواو فنون موحدة) ثم (يقتح) (وضبطه بضم الياء المثناة من تحتها في أوله وفاء موحدة ساكنة مع ضم التاء المثناة من فوقها يليها حاء مهملة في آخره) ثم (شمشون) (بالشين المججمة في أوله ووسطه) ثم (عالي) (المشهور بالكاهن) ثم (شمويل) (بفتح الشين المججمة في أوله)

ويبان ذلك ان بنى اسرائيل بعد وفاة يوشع عليه السلام كان قد أغار عليهم وظفر بهم في بلاد الشام كوشان ملك الجزيرة (وهى بلاد الموصل) واستعبدهم مدة ثمانية أعوام فخاء عثنيايل وانقذهم من هذا الرق وقام بتدبيرهم مدة أربعين سنة (من سنة ١٥٥٠ الى سنة ١٥١٠ ق م) ثم ضيق عليهم واستعبدهم عفلون (بفتح العين المهملة وسكون الغين المججمة وضم اللام يليها واو فنون موحدة في آخره) ملك المايين (من ولد لوط عليه السلام) فبعثوا اليه بالجزية اهوذ وكان رجلا شجاعا وبطلا جرى القلب دفاعا فبعده ان سلم مامعه من المال لخزينة الملك عاد اليه وحده وضمه الى جانب ققتله وانقذ بنى اسرائيل من يده وبعد ذلك يقابل غلب الفلسطينيين على كل من سبط دان ويهوذا وشمعون من أسباط بنى اسرائيل واستعبدوهم ايضا مدة من الزمان حتى قام فيهم رجل اسمه (شمكار) (بفتح الشين المججمة) فقتل ستمائة نفس ينصل محرثه منهم ودفنهم عنهم وحيث كان بنو اسرائيل قد مكنوا متفرقي الكلمة من غير رئيس عام يقبض بزمام امورهم وينهض بتدبيرهم كان يسهل على الاقوام المجاورين لهم الغلبة عليهم والظفر بهم فاستعبدهم مرة أخرى الملك (يايين) ملك (حازور) من بلاد الشام وكان قد قام فيهم في الحقبة المذكورة امرأة تسمى باسم (ديبوره) كانت تقضى بينهم تحت ظل نخله فوق جبل افرائيم فتهدت مع القائد (باراق) احد فصاة بنى اسرائيل وسارت على رأس جيش عظيم منهم لقتال القائد المسمى باسم (سيساره) الذى هو رئيس جنود يايين المذكور فحذل القائد سيساره وغلب وفر امام جيش العبرانيين وهرب وقتلته امرأة أخرى منهم يقال لها (ياهيل) في اثناء الفرار واشهرت ديبوره المذكورة تلك التصرة الشهيرة بقصيدة شعر لها من احسن الاشعار واحيى الافكار حركتها في بنى اسرائيل راكدا للفريرة الالهية وهيجت منهم راقدا السريرة المالية فغير ان تلك الهمة البطلية لم تستمر بل كانت كسحاب صيف مر وجاء أهل مدين فاستعبدوهم واذاقوهم أشد الضنك والاسر مدة سبع سنين اخر حتى قام فيهم رجل منهم يسمى باسم (جذعون) وجمع منهم جيشا يبلغ ٣٦٠٠٠ مقاتل واستعد لان يدفعهم فأتته صولتهم

ويقاتلهم قال في التوراة ولكن الله سبحانه وتعالى لم يرد ان قومه ينسبون خلاصهم في هذه المرة الى محض حولهم وقوتهم فنقص عدد الجند حتى صار الى ثلاثمائة رجل فقط وقام فيهم جذعون هذافوزع عليهم طبولاً وقدوراً من فخار فيها قناديل موقدة وتحال بهم معسكر الاعداء من اهل مدين وهم يصيحون من نزع الشعار في الحرب بقولهم «سيف الله جذعون» ففزع المدينيون اضرب الطبول ونورا القناديل وذبح بعضهم بعضاً وفر سائرهم هاريين ثم توفي جذعون المذكور بعد ان اقام أربعين سنة وهو درع بني اسرائيل قائم لهم باحسن التدبير وكان يسرع له ان ينال بالملك واكتفى بلقب القاضي لا غير وترك من صلبه من عدة نساء له واحداً وسبعين من الابناء المذكور ثم قام فيهم من بعده احدهم المدعو باسم (ابيمالخ) (بهمزة في اوله وياء وحده من تحتها ثم ياء مثناة من تحتها ايضا ومعهم والف وحاء موحدة في آخره) فجعل نفسه ملك سيشام (وهي نابلس) وذبح جميع أخوته الا واحداً منهم فقام عليه بنو اسرائيل لاداعي ظلمه وقتلوه وانتهر العمونيون (وهم قوم من بني لوط عليه السلام) الفرصة من الشقاق الحاصل بين الاسرائيليين فاغاروا عليهم واستعبدوهم مرة أخرى حتى قام فيهم رجل يقال له (يفتاح) من بلاد جلعاد فاجلاهم عنهم وخلصهم منهم واخرب عشرين مدينة مرمدائتهم وكان من أمر هذا الرجل البطل انه نزل الله سبحانه وتعالى ان عاد من جهادة ظافر ان يقرب له اول من يلاقية حياً بعد اياه من سفره واتفق له ان كانت ابنته من صلبه هي اؤن من لافي نظره فذبحها وفاء به هده وام تثلت تلك الفتاة لفساداً قد شياً بها وعمرها طاعة لامر

ومع ذلك فكان البرانيون قد وقعوا ايضا في جبال اسر الفلسطينيين مرة ثانية وكان الخاص لهم في هذه المرة هو سمشون وكان رجلاً ذا قوة عجيبة وجرأة غريبة ظهر عليه منها الاثر من الصغر حين قبض وهو ابن ثمانى عشر على أسد حديث السن فزقه قطعاً وذكر عنه في التوراة حديث طويل فيما يتعلق بما حصل منه مع الفلسطينيين من الوقايع والغزوات وانهم لم يقدروا على القبض عليه الا بحيلة عملتها عليه امرأته منهم يقال لها دليله ولما استولوا عليه أخذوه معهم الى كنيسته لهم يعبدون فيها الصنامهم فعرضوه لسخرية الناس به في يوم عيداهم يشهرون فيه معبودهم فقام سمشون حرك مناه ودين كانا يسكنها سقطت الكنيسته عليه فمات هو وثلاثة آلاف رجل منهم ولم يزل امر بني اسرائيل في اختلال واستمر حالهم أسوأ طال وانتشرت فيهم عبادة الاوثان بدلا عن عبادة الله الواحد الديان قال في التوراة وصار كل واحد من بني اسرائيل يعمل بهواه وكان قد قام فيهم عالي الكاهن وقبض على زمام الولاية المدنية والدينية معا فلم يحصل من ذلك فائدة ولا عاد عليهم عائدة وكان لهذا الخبر الاعظم ولدان كان عميل ميلا مفرط اليهما ويتغافل عن

قبائحهما فازدادت بهما المصائب الوطنية واشتدت منهن نواب الملة العبرانية حيث دنسا المكان المقدس وصرقوا مال الصدقات الخيرية المبذولة للخدمة الالهية في غير مصارفها الشرعية ولذلك تكلمت فيهما العامة ولغطت في حقهما جميع الامة وكانت امرأة من بني اسرائيل من أهل المدينة المسماة باسم (رماته) في ذلك الاوان (قال صاحب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان السالف الذكر والبيان) «هي وطن النبي شعوبيل ولعلها المعروفة بالرملة الآن» قدم مكثت مدة طويلة وهي عاقرة فنزلت ولدها وهو شعوبيل المذكور لخدمة الكاهن الاكبر في المحراب وكان هذا الطفل على الدوام والاستمرار لا يفتر عن الانذار اليه بانه سينكب ويقتل ولديه لقباحة سلوكهما وتعميضة عليهما فلم ينفذ انداره ومع ذلك فلم يتأخر أن تحقق بالغيب اخباره حيث اغار الفلسطينيون على بني اسرائيل اغارة جسيمة وظفروا بهم وغلبوهم في واقعة حربية عظيمة على الهرب من المدينة التي كانت تسمى باسم (شيلوح) (بالشين المعجمة في أوله يليها ياء مثناة تحتية فلام فواو خفاء مهملة في آخره) (قال صاحب معجم البلدان السالف الذكر والبيان اعلاه ما مناه) «وهي أوله مدينة كانت قاعدة لمملكة بني اسرائيل بارض فلسطين بعد حضورهم من ديار مصر ودخولهم بالارض الموعودة أي أرض الكنعانيين في ذلك العصر» وقتلوا منهم ثلاثه آلاف رجل كان ابنا عالي الكاهن من جملتهم واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد وصدقوا صندوق الشهادة السالف الذكر ولما بلغ عالي الكاهن ذلك الخبر سقط على ظهره فانكسرت رأسه ومات كما ذكر بالتوراة

وبعد ذلك بزمن قليل تقلد شعوبيل بوظيفة قاضي بني اسرائيل فكان أول ما تشبث به همته وتعلقت به عنايته هو إعادة الديانة الالهية الى تمام حاله نفاقتها الاصلية في سائر البلدان وانتقل الى مدن بني اسرائيل من مكان الى مكان وصار يعظهم ويوقظهم ويخطبهم وينذرهم بان يهربوا من بينهم كل اله غير الله فصالح حال الامة وانزاحت عنها تلك الغمة وعادت لما كان فيها من حب الوطن والشجاعة الملية واغاروا على الفلسطينيين فخاربوهم وقهرروهم وظفروا بهم وغلبوهم واجبروهم على أن يرتدوا صندوق الشهادة اليهم وكان وجوده عندهم سببا للمصائب كثيرة حلت بهم وانتشر شعوبيل الفرصة من عود السلم فيما بينهم فأتم اصلاح حال الدين وتوثيق بني اسرائيل من توحيد الله سبحانه وتعالى على قدم اليقين واحداث في كثير من مدائنهم مدارس نبوية ومجالس وعظمية لقصد تذكير العقائد الدينية وتحسين الاخلاق والعوائد الوطنية بواسطة اغاني كانوا ينشدونها وكتب كانوا يكتبونها قال الاستغف بوسوه في تاريخه ما نصه «وقد كان الله سبحانه وتعالى ينزل على انبياء بني اسرائيل رسالاته ويوحى اليهم مواصلاته على وجه مخصوص ويظهر لآعين

الامة صدق وحيه اليهم بجيب معجزاته ويثبت قول انبيائه بغريب آياته ولم يكن كان
أكثر بعثه للرسول والانبياء خصوصاً في ذلك العصر الذي كان قد كثر فيه الفساد وكاد أن
تغلب فيه عبادة الاوثان على شريعة الله سبحانه وتعالى فكانت الاثدياء في ذلك العصر
تكثر في كل مكان من الزجر والتخويف من هيبه المولى جل جلاله وما كانوا قد عرفوه وشهدوا
به من الحقيقة الدينية سواء كان ذلك بطريق الكتابة او الخطاب وبقيت كتبهم التي كانوا قد
كتبوها بين ايدي سائر الناس محفوظه بنهاية العناية تشهد لهم شهادة مؤبده عند أهل
الاعصر الآتية (٥٥)

وكان شمويل قد أراد أن يحدث حادثه كبيرة في ترتيب دولة بني اسرائيل لقصد زيادة تثبيت
دولتهم وتوثيق عروة جماعتهم فشرع في جعل امامهم العظمى وولاية أمرهم العليا
ورأية في عائلته وباقية مستمرة في ذريته. لكن فيه لم يتيسر فيهم من حب العدل والانصاف
ما كان قد توفرق فيه فلما تقلدوا بالامر في ذلك العصر اغتروا من زهرة الدنيا بالخطام
وصاروا يأخذون الرشاعلى الاحكام فقامت عليهم الامة العبرانية وحصلت فتنة داخلية
وكان قد انضم لذلك أيضاً التمديد من طرف الاعداء الاجنبية فلحق جميع الناس من ذلك
القلق وأراد بنو اسرائيل أن يقيموا عليهم ملكاً ينظر في أمورهم ويقوم بتدبيرهم فقالوا لشمويل
اعطنا ملكاً يقضى بيننا ويدبر لنا كما سائر الامم امرنا فامتنع من ذلك أو لامستندبالاصل
القديم المقتضى ان بنى اسرائيل لملك لهم غير الله سبحانه وتعالى ثم لما أبوا الاجابة دعائهم
والحوافى رجائهم اضطر لاجابتهم وتوجه نظره الى شاب جميل الصورة ذى قوة متين من
سبط بنيامين وهو (شاول) (بالشين المجهمة في أوله يليها الف فواو مضمومة فلام في آخره
وهو المعروف أيضاً باسم طالوت) (كما في تاريخ ابي الفدا) فجاء به و قدسه ملكاه عليهم بان
افرغ على جبهته زجاجة من الزيت وجمع الامة العبرانية بمدينة (مصفاط) وتلا عليهم خطبة
لامهم فيها على ما ارتبكيوه من المعاصي والكفر بالله سبحانه وتعالى حيث عدلوا هن
اتخاذهم ولي أمر لهم دون غيره ثم قال لهم دونكم ملككم فانتخبوا شاول وأطالوت المذكور
وأقاموه ملكاً عليهم وهو أول من تلقب بالملك منهم في (سنة ١٠٩٢ ق م)

الفصل الثالث

في تاريخ مملكة بنى اسرائيل الاولى لغاية تفرق دولتهم الى دولتين متعاصرتين وملكيتين متميزتين

مطلب - ذكر ملك شاول وأطالوت (من سنة ١٠٩٢ الى سنة ٩٥٢)
قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر واليبسان أعلاه مانعريه أدناه ولم يكن ملك شاول

على الامة العبرانية وولايته على الامة الاسرائيلية غير ولاية جهادية وملكه عسكريه لا غير حيث بقي رئيس هذه المملكه الجديده مدة مديدة تحت طاعة صاحب الولاية الدينية وهو شمويل واستمر شمويل على التصرف في ولاية امر بني اسرائيل السياسية وكتب شمويل بنفسه صورة ترتيب اسامى للملكه جديد وشروط سير للدولة سياسى جديد ووضع في الهيكل بضمون انه طبقا لمفهوم قانون بني اسرائيل القديم لا يقتضى لهم الجهاد الا في سبيل الله سبحانه وتعالى وان يوضع صندوق شهادتهم في وسط معسكرهم بحيث ينظرونه ليقان لواذونه وأن لا يكون ملكهم الا عبارة عن قائد عسكري يحمل السلاح اينذ عن الامة ويحمى حتى الامة وأن لا يكون له ارباب دولة ولا مقر ملكه ثابت كساير الملوك بل ينقل من مكان الى مكان في اسباط بني اسرائيل حيث يأمره الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه شمويل عليه السلام الى آخر ما ذكره من الشروط والاجكام فقام شاول وأوطالوت المذكور في قيادة بني اسرائيل الى القتال باحسن تدبير وحقق آمال الامة فيه وصدق اعتمادهم عليه بما فاز به من عدة نصرات على أعدائهم وذلك ان ملك العمونيين المسمى باسم (نابال) كان قد غزاهم ووضع الحصار على مدينة (بيس) بجبال جلعاد فجمع شاول من بني اسرائيل ثلاثة آلاف رجل وسار امامهم للجهاد فقاتل العمونيين وظفر بهم واتهم عليهم نصرا تاما وغلبهم فاجتمعت الامة العبرانية مرة ثانية بمدينة (جلمة) وسلموا عليه بملك بني اسرائيل من جديد وهناك بهذا النصر السديد لكنهم لم يستمر على الامتثال لاوامر النبي شمويل وأراد ان يخرج عن ولايته فقلد نفسه بالولاية الدينية مع المرتبة الموكية وتصدى لما لا يعنيه مما يختص بوظائف الطائفة القسيسية وكان الفلستينيون قد عادوا بجنود عديدة للغارة على أرض بني اسرائيل بالثاني فتولى شاول موكب تقرب القربان لله في الهيكل وكان من حق النبي شمويل أن يلمه فانذره بان ملكه سيرزول جزاء له على تعديه وان الله سبحانه وتعالى سيعطيه الى رجل آخر صطفاه لذلك وارتضاء وكان ولد شاول المدعو باسم (يوناناس) قد اشتمر بالشجاعة والاقدام وقرر اعلوية القوم الاسرائيليين على ساير الامم الاخصام في واقعة جديدة وقعت لهم مع أعدائهم الفلستينيين حيث تعجسوا على ان اقتحم وسط معسكرهم مع سائس ركابه وحده ففرق شملهم ومزق جمعهم وجاء أبوه فقتبهم ليتم الظفر بهم والغلبة عليهم وحكم بالاعنة على كل من تناول طعاما قبل ان تتم هزيمتهم وكان يوناناس لم يبلغه هذا الخبر فأكل ما تيسر من العسل البرى وياغ أباه ذلك فحكم عليه بالقتل فعارض في هذا الحكم بنو اسرائيل وصاروا قاتلين ده ان من خلص اليوم بني اسرائيل من القوم لا يفتنى أن يقتل وان الله العظيم أن لا تسقط شعرة من رأسه حيث جاهد في سبيل الله الكريم وكان جميع هذا النصر والظفر باعداء بني اسرائيل قد اوجب لشاول كثيرا من الضر وحسن

الذكر وبقى عليهم الانتقام من العمالقة حيث كانوا قد عطلوا في سالف الامر سير العبرانيين عند حضورهم من مصر للتوطن بارض كنعان فتوجه شاول اليهم وشن الغارة عليهم بجيوش عظيمة من الاسرائيليين وهزمهم شمرهزيمة واسر ملكهم المسمى باسم (اجاج) (بفتح الهمزة في اوله) وقتل العمالقة عن آخرهم غير انه خالف امر النبي سمويل اذا كان قد امره باستئصالهم وقطع دابرهم فغضب عن الملك اجاج المذكور ومن ثم تمت المقاطعة بين شاول وسمويل وتحكمت العداوة والبغضاء بين الرئيسين المذكورين فانذره النبي سمويل بانه حيث رفض امر الله فقد رفضه الله وغضب عليه واراد الملك من يده وهجره سمويل وذهب الى قرية بيت لحم وقدس داود له كما على بنى اسرائيل وكان داردا المذكور عن قبل قد اظهر برهان شجاعته واشهر عنوان جراته بالذب عن مواشيه من السباع والنور حيث كان راعيا يرعى غنم ابيه ولذلك كان قد اصاب شاول داء ما يخوليا شديد كان اذا افاق منه عربدو كان لا يسكن الا اذا جاء داود فضر به على عوده المشهور حتى احبه الملك وحناء عليه ويقن من ضرورته تياجه اليه فغمره بكثير من العمور ورتا دارتية سائس ركابه وهو لا يدري ان قد تتوج في السر بالملك بل اعنه لم يثبت امر شجاعة داود كل الثبوت الابعاد ثم صرح احد ابطال الفلسطينيين المشهور باسم (جالوت) وقد كان هذا البطل لا يخماسر رجل على منازلته اريقة بطل على الدنومنه فضلا عن مقاتلته فجاء داود ونازله وواقفه في حومة الميدان وقاتله وايس معه سلاح غير مقلاعه فقطذ دايه بحجر فسقط ماتى على الارض فبادر اليه ويرك عليه فقطع راسه ولما شاهد الفالستينيون صرع اشهر فرسانهم وابطالهم واكبر فتيانهم ورجالهم لم يستقر لهم قرار وبادروا بالفرار وتبعهم بنو اسرائيل الى حدمدينة (اكرون) (بفتح الهمزة والكاف في اوله يليه ساء مهمله معنومة فواو فنون موحدة في آخره) من بلاد الفلسطينيين وغنموا من مواشيتهم ودوابهم شيئا كثيرا ولما باع شاول هذا الخبز شرف داود بمصاهرتة وزوجه بابنته واحبه وولده يوناتاس محبة شديدة وصادقة مصادقة كيدة ووتة ردالم ينقض بعد لشدة شجاعته ثم داخل قلب شاول الحسد لداود مذ سمع بنى اسرائيل يشهرون فضله وما حصل على يده من النصر ويقولون اذا كان شاول قد قتل من الفالستينيين الف الف قتيل داود منهم عشرة آلاف ومن ذلك الوقت كان الملك قد اسر له أشد البغض والمقت بل هم بأن يطعنه برمحده وهو في مجلسه يضرب له بعوده ولم ينبج داود من كيدته الا بالفرار وتكرار منه هذا الفعل عدة مرار ولم يزل داود مع فلانك يستعطفه ويتصبر على جفاهو يعمل لذلك من اتمه وصدق والتكرم كل جهده حتى نأى شاول عن قتله ولم يتأخر الفالستينيون ان عادوا بالكررة على الاسرائيليين وقد كان شاول كما هو نص التوراة «لم يزل متلبسا بالشر» فأنى امرأة كانت تخبر بالمغيبات بالمكن

المسمى في تلك العصور باسم (مندور) وأمرها أن تزيه خيال النبي شوبل وكان قد توفي منذ عامين فظهر له في المنام شوبل عليه السلام وزجره على معاصيه وأنذره بأندهو وبنيه يصيرون في غد إلى القبر في أواقع ونفس الأمر انتفى أن اندهسطينيين كانوا قد شنوا انارة على بني اسرائيل من فوق جبل جابوة من الفجر فقتل برناتاس وجرح شاول وطعن نفسه بسيفه خشية أن يقتل بيد أعدائه فمات وبكده داود اشد البكا ورثاه بأجل الرثا وعبر في قصيد عال له عما اراه من شهة انفس لولة وناتاس (في سنة ١٠٥٦ ق م)

طلب - الكلام على ملك داود عليه السلام (من سنة ١٠٥٦ الى سنة ١٠١٦ ق م) قال المؤرخ المنقول عنه انه مات في ماعريه أدناه ولما مات شاول وولده برناتاس قام رجال سبط يهودا وداود ما كانوا يصيب سائر اسباط بني اسرائيل الا يشبهت بن شاول (وضبطه بأف مكو ورة في أوله يلهم اياه ثمانية عشر شهيرة معجزة ما كنهه فباءه واحدة فواو فوشين معجزة اخرى ساكنة بعد هاتاه من انفرية في آرد) فقامت بينه وبين داود حرب استمرت سبع سنين حتى اتمت بقتل ايشيريش المذكور (في سنة ١٠٤٩ ق م) وبعد ذلك بستة شهور حضر مشايخ بني اسرائيل عند داود في بيت حبرون وأطاعوه وأقروه ملكا على سائر اسباط بني اسرائيل وكان له حينئذ من العمر سبع وثلاثون سنة من الدهر

وقد كانت أيام ملك داود عليه السلام هي في تاريخ اليهود انحر الايام اذ كانت مملكة بني اسرائيل في مدة عهدهم قد انتظمت في أمرها الداخلية وكانت اعلم بة بسط يهودا قد تقررت على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت بجاهة دولة اليهود في تلك الاوقات قد امتدت على سائر الامم المجاورين لها في الجهات الخارجية من شواطئ البحر الابيض المتوسط الى حد نهر الفرات ولم يبق عليهم ان تكون هيئة الامة الاسرائيلية وترتيب وحدة الملة العبرانية الالهية بالطريقة القطعية الآن بقطع وادابر بقايا الامم الكنعانية الذين كانوا لم يزالوا يوجدون في أرض فلسطين ويستأصلوهم عن آخرهم بالكلية والجزئية وبذلك كان قد اتمت مدة حكمه داود عليه السلام فمات القوم المسمى باسم (البيسين) وهم اشجع الامة الكنعانية الموجودين بتلك البلاد وقاتلهم وأخذ منهم قلعهم المسمى باسم (بيس) او (سام) وهي التي نشأت في مكاهام مدينة او رشليم او بيت المقدس فيما بعد وجعلها مقر مملكته وقاعدة دولته من ذلك العهد

وكان الاقوام المعروفة في تلك الايام بالفاستيفيين مجتمعين على سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) متحالفين بعضهم مع بعض ومتميزين في صورة حكومة جمهورية ذات شوكة قوية يصلون على ممر الاوقات واللحظات على القوم اليهودي يأخذون منهم الجزية في

بلك اليهود فلم يسع داود أن يستطيع لهذا العار وأراد أن يعتق قومه وابناء وطنه من هذا الاسر والصغار فقاتل هؤلاء الاقوام الشداد وجاهدهم اشد الجهاد واخذ منهم سائر البلاد المسماة في ذلك الوقت باسم (جيت) من تلك البلاد وقتل كذلك المايين عن آخرهم واتم قطع دابرهم ومن نجا من الموت منهم وضع عليه الجزية وكان من جملة هؤلاء الاقوام قومان متوطنان في جهة الجنوب من بلاد الشام فيما بين الارض المسكونة بالفلسطينيين والمايين وهما القوم المعروفون بالعمالقة والايديوميون فقاتلهم داود وغلبهم وانتصر عليهم وقهرهم وكذلك فعل بالقوم المعروفين بالعمريين المتوطنين في جهة الشرق ببلاد عمان ولداعى جميع هذا النصر المتواتر وحصول هذا النجاح المتكاثر كانت قد انعقدت عليه عصبية كبيرة دخل فيها جميع الامم الذين كانوا متوطنين بتلك الاوقات فيما بين نهري الاردن والفرات فلم يفرع داود من عصبية منهم ولم يجزع من كثرة جماعتهم بل سار بنفسه اليهم وأقدم بقدر جيوشه عليهم وناجزهم بالقتال وبارزهم بالقتال فغلب جميع أعدائه واستولى على ما كان يوجد لهم في ذلك العصر من الممالك الصغيرة بدمشق وسورية وحسن من بلاد الشام واستولى على القوم الايديوميين حيث قتل بهم فأتلف حالهم وشنت عليهم بوادي الملح وبواسطة ما حصل له من جميع هذا النصر والنجاح كان ملك داود عليه السلام قد امتد في ذلك العصر الى شواطئ نهر الفرات وكان قد أخذ من فرع الهوم الايديوميين الثاني فرضتي آسييون جابر وايلة الكائنتين من بلاد العرب على نهاية بوناز ايلام وأحدث طرق تواصلات تجارية فيما بين ممالكة و بجزر القلزم أو البحر الاحمر وأقصى بلاد آسية وافر بقيه ثم قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما للحص معناه ان داود عليه السلام لداعى ما كان قد وقع منه في اثناء هذه الاعمال الجميلة والفتوحات الجميلة من قصة احد قواد عساكره المسمى باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بيتسبا) المشهورة جسما هي في الكتب المقدسة مذكورة وان كان من ذلك قد تاب وحسن منه المآب كان قد ابتلاه الله في آخر عمره بفتن أهلية وجازاه في دنياه ببعض ائمن منزلية تكفير تلك الخطية وذلك أنه قد كان فجع بأول ولده رزق له من زوجته المذكورة اذ كان قد مات ولم يتمتع له بحياة وبعد ان ولد له منها ولد آخر وهو سليمان عليه السلام كانت جميع عائلته قد دخلها الفتن والفساد بارتكاب بعض بنيه للذنوب والاثام فتعدى ابنه البكري المدعو باسم (امنون) على أخته المسماة باسم (تمار) فقتله أخوه الآخر المدعو باسم (ابشالم) وخرج ابشالم عن طاعة أبيه ودخل تحت لواء عصيانه عشرة من اسباط بني اسرائيل حتى اضطر داود عليه الصلاة والسلام لان يخرج راجلا من مدينة أو رشليم وخرج عليه أجد أقارب شاول

المسمى باسم (سيمي) وضبطه (بسين) مهمة ممالة على ياه منناة تحتية يليها ميم في ايام منناة تحتية بعدها ياء كذلك اخرى في آخره) وأساءه هذا الرجل في أثناء هذه الهجرة المستعجلة وقذفه بالاحجار وأوسقه بالشتم واللعن والشنار ثم لحق داود من بقي على طاعته واجتة عواغيه فعاد على رأس جيش يبلغ عشرين الف مقاتل منهم وبارز عسكر الخوارج بوادي افرائيم فغابهم وقتل ابشالوم بن داود بيد (بواب) فائده عسكر ابيه وفي آخر سنة من ملكه خرج عليه أيضا ولده المسمى باسم (عادونياش) وكان داود عليه السلام قد عهد بالملك لسليمان ولده وقدسه بيده وأقره ملكا باعتراف الامة له وتخلي عن عادونياش اصحابه المتعصبون له قد دخل تحت طاعة ابيه وعفاه عنه ولم يعمر داود النبي الملك عليه السلام بعد هذه المصائب المهولة مدة طويلة بل أدركته الوفاة فمات عليه الصلاة والسلام بعد ان أوصى ابنه سليمان بوصايا من احكم الكلام وسلم يديه صورة معبد عهد بينائه اليه وأمره بانشاء هيكل مشيد لعبادة الاله الحقيقي بأن يعبد وكانت وفاته في (سنة ١٠١٦ ق م) ولم يكن داود عليه السلام قد وضع اساس الصولة السياسية لدولة اليهود فقط بل كان قد اوثق عروة ترتيب مملكتهم واحكم قواعد دولتهم قال المؤرخ المدعو باسم (هيران) مانصه ولم يكن شاول الاعبارة عن قائد عسكري نفذ أوامر الياهو والصادرة اليه بواسطة النبي شمويل وليس له ارباب دولة معينة ولا دار ملكة ثابتة ولم يكن بنو اسرائيل في عهده الا قوما فلاحين وانا ساعلى زراعة الارض ورعاية المواشي منهم كمين لا ثروة لهم ولا مال ولا رفاهية عندهم ولا حسن حال ثم صاروا شيافشيا قوما اهل حرب وجهاد حتى جاء عهد داود عليه السلام فأصلح حال الملة بالكلية وغير هيئة ولاية الامم العمومية وجعل مدينة اورشليم دار مملكتهم وقاعدة دياتهم وأجرى احكام عبادة الياهو بعناية الدقة والتشديد وجعله هودين الملة الاسرائيلية ومذهب الامة العبرانية دون غيره من الاديان ونزهه عن شوائب عبادة الاصنام والوثان وأوسع دائرة المملكة اليهودية سعة كبيرة بما اجراه الله على يده من الفتوحات الكثيرة غير انه في اثناء مدته كان قد دب بالتدريج في تركيب اعضاء دولته ديبب صورة الحكومة المطلقة التصرف ونوع ما يعبر عنه في العرف بحكومة أهل القصر التي ظهرت نتائجها السياسية بما حصل في اواخر ايام داود عليه السلام من الفتن الاهلية والحروب الداخلية الناشئة عن خروج اولاده عن طاعته السلطانية (اه) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه ما معناه وفي الحقيقة ونفس الامر قد كانت النتائج الاصلية الناشئة عن مدة ملك داود والشهير بالذكر هي ان مدينة اورشليم صارت قاعدة المملكة السياسية ومركز الولاية الدينية ودار اقامة ملك بني اسرائيل وذلك ان داود كان قد شيد له قصرا فيها ووضع تابوت العهد على الجبل المسمى في ذلك العصر بجبل (موريا) منها وكان لقابته ذلك

الوقت بوضع في وسط معسكر بني اسرائيل متى أقاموا واورحلوا وينتقل معهم حيث انتقلوا وكان ولده سليمان عاياه السلام هو الذي توفى للبناء على ما قد كان اسمه والده من الاعمال الفخام وشيد لاله بني اسرائيل معبد ايليق يستحقه من اعلى المقام ولم يكن داود عليه السلام يعتقد في عداد الرجال العظام الذين نظمو الاحوال الامم السياسية بأقن النظام والابطال الكرام الذين فازوا من فتوح الممالك بالسعد وبلوغ المرام بل كان كذلك نبيا مملكا حيث كان قد نظر في المستقبل واخبر انبأ بالمغيبات واشهر في ضمن تأليفه بقلم عال ثم يفيدس له مثال ما ستصير اليه فيما بعد من العظمة والجلال مدينة القدس الجديدة التي ستشيد بعد على مكان مدينة اورشليم هذه التي كان هو قد بنىها وكان اول من اختطها وانشاها

مطلب - ذكر ملك سليمان عاياه السلام (من سنة ١٠١٦ الى سنة ٩٧٦ ق م) قال المؤرخ جيلان المنقول عنه اعلاه ماتعريه ادناه ولما توفي داود عليه السلام لم يجلس سليمان بالسهولة على سرير المملكة الاسرائيلية بل كان قد قام عاياه بالثاني اخوه عادونياش فقتله سليمان ليصفوا سرير الملك من الشوائب التكريرية ثم التفت لتثبيت اقدامه عاياه به وقد محالفات ومعاهدات في الجهات الخارجية مع ملوك الممالك الاجنبية فتم اهدم فرعون مصر وملك بازده وورالانين كانوا وحودين في ذلك العصر و اراد أن يبدأ مدة حكمه بما آثر دينية لاحرية فرحل الى مدينة جبورون وذبج فيها الف ذابحة قربانا لله سبحانه وتعالى من اجود النقرابين وكان ساياه ان احكم المملك وافخر السلاطين استولى بطريق السلم على جميع البلاد التي كان ابره قد اذنت تحتها وكانت طاعته تمتد في ذلك العصر من عتدهم انقرات انماية وراجل بحر سميد تخدم وادي مصر وكان ملكا قايلا للجهاد فكان مسالمات الامم الذين كانوا لم يكتفوا بدينهم وقد عبرت انورا عما كان حاصل في عهد ما بني اسرائيل من الراحة التامة والذعة العامة بهذا التعبير الجليل

قائله ان كل احد من عند دان لغزية برسبا (يعني من شمال المملكة الى جنوبها) كان يعيش تحت ظل كرمه وتنته في الرخاء بالسرور « (هـ) وانتم سليمان الفرصة من حالة هذه السلم و زرع على أن ينهدما كان قد اوصاه ابو به من الغرض المهم وهو انشاء هيكل فخيم لعماد الله الواحد الاحد بمدينة اورشليم وكانت مخالطاته مع ملكة الفنيقيين او الصوريين اي بلوك صور من بلاد الشام بتلك الايام قد يسرت له وسائل هذا العمل العظيم وكان (حرام) (بكم الحاء المهملة في اوله) لك صور يبعث له من بلاده بالعمال والاشباب اللازمة لبناء المعبد المذكور واقام سليمان سبع سنين ونصف سنة يبني في هذا الهيكل المشهور حتى اتى فيه بسائر انواع الرفاهية والفخر التي كانت تميز بلاد المشرق في ذلك العصر وفي السنة الثامنة كان قد اتمه واكمل عمارته وختمه وعقد موكبها حافلا وموسعا

شاملا حضره جم غفير وقوم كثير من بني اسرائيل لقصد ايقافه على عبادة المولى الجليل ووضعت تابوت العهد اوصندوق الشهادة منه في المكان الاقدس وهو مكان لا يصل اليه احد اشارة الى استعمال الاحاطة بجلال الله سبحانه وتعالى وأول لهذا الموسم في ذلك اليوم الى الامة بتمامها باثني وعشرين ألف ثور من البقر ومائة وعشرين ألف من الغنم قال المؤرخ يوسوف ورحم سليمان التضحية لله سبحانه وتعالى في غير الهيكل المقدس اشارة الى اظهار وحدانيته بدليل وجدة معبده (هـ).

ثم قال المؤرخ جيلمان المذكور ما هو بعد مسطور وبعد ان شيد سليمان لله معبدا واعيد لتوحيد معبده مسجدا جدد لنفسه قصرا وانشأ حول مدينة اورشليم سورا ووسع عدته مدائن قديمة واختط مدائن اخرى جديدة عظيمة منها مدينة اشار ومجدلة وتدمر الشهيرة وقد كانت مجمع القوافل التجارية التي كانت في تلك الايام تتردد بين بابل انعراق ودمشق الشام وكان سليمان عليه السلام قد بلغ من الشوكة الى أكثر مما بلغه أبوه فبمجرد ذكر اسمه وثهرته وسيرجانه وهيبته كان قد ادخل تحت طاعته من كان قد بقي على بعض استقلال من الاقوام الكنعانيين كالهيوين والهيثيين والعموريين وهم الذين كانوا يستعملهم في بناء العمارات الكثيرة التي كان قد انشأها في سائر بلاد مملكته بخلاف رعاياه العبرانيين حيث كان قد اختصهم بالجهاد والاستعمال على ولاية البلاد وكان قد رتب المملكه في أيامه ترتيبا جديدا ونظمها تنظيما سديدا فقسمها الى اثني عشرة عمالة جعل على كل عمالة منها عاملا من طرفه يحمي له خراجها قال في التوراة ما نصه وكان قد لزمهم بيعت كل ما يلزم لسفرتهم وسائر اهل داره وحاطيته من روائب المائنة كل عام منهم شهر من السنة (هـ) وكان قد انظم الجنود ظاهرا جديدا وبلغت طئفة العساكر الخيالة في أيامه وحدها الى أكثر من ستين الفا وكانت هذه الدرجة من القوة العسكرية تورث باضرورة في قلوب الامم المجاورين المهابة والاحترام وتحدث عندهم الخوف والاعظام ولذلك كانت تفد عليه الملوك من سائر الاقطار ليلقوا اليه مقابلا بالطاعة والصغار وسعت له من اقصى بلاد العرب (بليقيس) ملكة سامع جم غفير من قومه ابا حنقال كبير لانتظره هذا الملك الشهير في جميع بلاد المشرق بالحكمة والنسب وكان التجار في تلك الايام قد بلغوا الى مقدار جسيم بحيث تزداد بها ثروة الامة على الدوام وكانت اساطيل سليمان عليه السلام تنضم الى اساطيل الملك حرام ملك بلاد صور وتساقر الى فرضتي ادفير وطرسيه من سواحل بلاد العرب المجاورة لخليج فارس والى سواحل بلاد اسبانية والاندلس فتأني بالذهب والفضة وس الفيل وغير ذلك مما هو من هذا القبيل وبالجملة والتفصيل فان هذا الملك الكبير كما هو بنص عبارة التوراة مذكوره كانت الفضة في زمانه بمدينة اورشليم من

حيث كثرة الوجود كالأحجار وكان نوع الشجر المغر وفالآن (بار زلبنان) كالجيز الذي ينبت في الفلوات ، (هـ) ثم قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما لمخصه ادناه ولكن سايمان عليه السلام كان في وسط هذه السعادة الباهرة والسلطنة الزاهرة قد علق عدة نساء اجنبيات من الاقوام الكنعانيين من ماب وعمون وايدومة وصيدا وبلاد الهيثيين وتزوج جملة لتزوجات وتسرى بعدة جواري وسريات من غير قومه العبرانيين وأباح في ملكه عبادة الاصنام على خلاف نص التوراة وشريعة موسى عليه السلام اذ قيل فيها خطابا لبني اسرائيل في حق جميع هؤلاء الامم المذكورين « لا تنكحوا نساء هذه البلاد ولا تتخذوا البيئاتكم أز واجامن رجالهم حيث يفسدون قلوبكم فتعبدوا الهتهم » (هـ) فغضب لذلك بعض بني اسرائيل أشد الغضب وأوجب ذلك ابغار صدورهم عليه فتمسحوه وخوفوه فلم يصنع لنصيحتهم ولم يكثرثا خافتهم حتى رأى سوء عاقبة هذا الامر قبل أن ينزل القبر حيث ذهب الرجل المسمى باسم عازر من القوم الايدوميين وآثار فرعون مصر على الاسرائيليين وخرج عن الطاعة آخر يدعى باسم (رصين) واستبد بالامر في دمشق الشام وقوم عليه الاسباط (بريم) بن نوبات من سبط أفرائيم فجهز بذلك تفر يق بني اسرائيل الى فرقتين وتقسيم مملكتهم الى مملكتين وأذن لها بالخراب وذات البين وقد كان ير بم هذا رجلا نبيا وانساها حذفا وجيها فانجذب اليه نظر سليمان، والتفت اليه بعنايته حتى أناط اليه منصبه في جملة أهل دولته ثم انبأه النبي عبد ياس من أنبياء بني اسرائيل بان هذا الرجل سيتولى ملك عشرة أسباط من مملكته فارادسليمان أن يقتله فهرب الى ديار مصر وأقام بها الى أن توفي سليمان بعد ذلك بتليل (في سنة ٩٧٦ ق م) وكان قد تملك مدة أربعين سنة على بني اسرائيل

قال بعض أهل التواريخ « وكانت حكمة سليمان عليه السلام قد فاقت حكمة جميع المشركين وسائر المصريين وكان أعقل جميع العالمين قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في هذا المكان من مختصر تاريخ القوم اليهود السالف الذكر والبيان (أى قبل ان يقع منه ما وقع من الخطا كالاينخفي) وكانت شهرته قد انتشرت عند سائر الامم المجاورين وكان قد صنف ثلاثة آلاف مثل أو حكمة وأنشأ خمسة آلاف قصيدة لتعجيد الله سبحانه وتعالى وتكلم في علم التواريخ الطبيعية على سائر الاشجار من ارز زلبان لغاية النيات المعروفة في لغة العرب باسم الزوفا او الشمسية الذي ينبت بجوار الحيطان وتكلم على سائر أنواع الحيوان التي توجد على ظهر الارض وسائر الطيور والهوام والاسماك التي تعيش في البحر » (انتهى كلام بعض المؤرخين) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه ما معناه وقد ضاعت كتبه هذه كلها ولم يبق منها غير التأليف المعروف بعنوان أمثال سليمان وهو عبارة عن مجموع حكمه ومواعظ والتصنيف المعروف باسم (الاكيز ياست) أو كتاب حكمة سليمان وهو كتاب

نظريه بهين الحقيقة الى جميع الاحوال الدنيوية واللذات البشرية وقدرها بقدر قيمتها
 الاصلية واستتج فيه من ذلك هذه النتيجة الجلية وهي ان كل شيء باطل وكل
 نعم زائل واليه ينسب أيضا ما يعرف في التوراة بمعامناه نشيد النشيد أو قصيد القصيد
 وهو عبارة عن تسبيح وتمجيد وثناء على الله جل جلاله بما هو وأهله من الشكر والحمد
 مطلب — ذكر اعتزال الاسباط العشرة عن سائر ملأ اليهود وخروجهم عن دولة آل داود
 قال المؤرخ المذكور ما تعريبه بعد بمسطور وقد كانت مدة ملك داود وسليمان هي أعلى
 درجة بلغت الامة العبرانية من الفخار والشوكة السياسية غير ان ذات تلك السعادة العلمية
 وما كان هذان الماكان قد أحدثاه في أحوال اهل دولتهما من العوائد السلطانية والطنطنة
 الملكية وسعة المخالطات التجارية مع الدول الاجنبية والممالك الخارجية المجاورة لهما
 لزم بالضرورة أن يرتد بأسواء المضرة على أحوال المملكة الداخلية وبعود بالفسدة على
 الاخلاق والعوائد الاعلية والمقائد المالية ولذلك كانت قد ضعفت مادة الدين التي هي
 الجامعة الوحيدة والرابطة القريفة بين الاسرائيليين بما داخل عقائدهم في عهد سليمان
 من عبادة الاوثان وكانت مملكتهم ولو بلغت ما بلغت من الشوكة الدولية والهيبة السياسية
 في عهد هذين الملكين الاخيرين قد عجزت عن تأسيس وحدة الامة العبرانية وضعفت
 عن تقرير اعلوية سبط يهودا على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت قد ظهرت علامات
 العن الاهلية وبدأت اشارات الحن الداخلية في أواخر ملك سليمان بذلك الزمان وكان قد
 قام فيهم النبي عمدياس فأندرس سليمان مع غاية التوضيح والبيان بتفرق مملكته واخبره مع نهاية
 التبريح والتبيان بتمزق مملكته وكان ماجرا اليه الحال من صرف المصاريف الجسيمة
 في العمارات العظيمة والاعمال الفخيمة بمدة هذا العهد الاخير قد تم تجهيز بني اسرائيل
 لتفرق أهل الشمال عن أهل الجنوب منهم وأوجب بالفعل تفرق جماعتهم الى جماعتين وتمزق
 شمل دولتهم الى دولتين وهذا هو ما يعرف المؤرخين باعتزال الاسباط العشرة
 المعبر عنهم بمملكة بني اسرائيل في مقابلة مملكة يهودا وبنيامين (قال أبو الفدا في هذا الموضوع
 من تاريخه) واقترفت حينئذ مملكة بني اسرائيل واستقر لولد داود الملك على السبطين فقط
 اعنى سبطي يهودا وبنيامين وصار للاسباط العشرة مملوك تعرف بمملوك الاسباط واستمر
 الحال على ذلك نحو ٢٦١ سنة وكانت ولد سليمان في بني اسرائيل بمنزلة الخلفاء الا سلام
 لانهم أهل الولاية (بمعنى الحقيقة) وكانت مملوك الاسباط مثل مملوك الاطراف والخوارج
 وارتملت الاسباط الى جهات فلسطين وغيرها بالشام واستقر ولد داود بيت المقدس (هـ)
 (رجع لانقل من التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان)

قال المؤرخ جيلمان المذكور أعلاه ما معناه وتفصيل ذلك انه بمجرد ان توفي سليمان عليه السلام

كان قد قام بعده على الفور ابنه (رحيم) وذهب الى مدينة سيشام أو ناباس اذ كان قد اجتمع
 فيم سائر بني اسرائيل ليقلدوه ملكا عليهم وكان رئيسهم يرعاه المذكور آفة اقدابوا منه ان يحط
 عنهم بعض ما كان ابره سليمان قد كلفهم به من كثرة الضرائب عليهم فامتنع من ذلك واغلق
 لهم ابواب فقال بنو اسرائيل بعضهم لبعض كما هو نص التوراة وهو مالنا ولا لداود يا بني
 اسرائيل قوه والى خيامكم وتداركوا انتم يا بني داود الا ان نفقة بينكم به وقام جميع بني
 اسرائيل ودوا لخواصه وهم ارباب رحيمين سليمان فزرير المدعو باسم (عادورام) لما هذا
 القيام فوجه بالاجار حتى مات وقهر عكس اسراجام ونشئ الملك على نفسه منهم فارد بالى
 اورشليم وخرج عن طاعته عشرة اسباط من الاسرايليين وهم ما عدا سبطى يهوذا وبنيامين
 حيث بقياعلى طاعته وتركب منهم ما وجدته اتوام ملكته وبابيع الاسباط العشرة
 المذكورون بالملك عايمير بعلم الآف الذكر وهكذا انقسمت مملكة اليهوذا بالشام الى
 مملكتين وتفرقت دولتهم الى دولتين ونشئ الامر (وصار المراد بالتعبير بلفظ ملكة بنى
 اسرائيل هو فقط جماعة هؤلاء القبائل العشر) وقد كانت اوسع ارضا ومكانا وأكثر عمراننا
 وسكانا من مملكة يهوذا وان كانت هذه المملكة الاخرى أكثر منها اثر وديارا واكثر
 حرمة واعتبارا لدائى انه بقى فيها الاستيلاء على تابوت العهد اوصندوق الشهادة ووضع
 يدها على البيت المقدس وكان جميع العبرانيين يحجون اليه فى كل عام ويتمسكون ويحبل
 اعتقاد حرمة يشبثون ويتمسكون ويقربون قرايينهم فى معبد الياهو الاقدس فنشئ
 يرعهم ملك بنى اسرائيل أن يرغب الحاج من رعيته فى المقام بمملكة يهوذا لباعث الدين ولذلك
 احدث حرمة آخرى بمدينة تى بيتيل ودان من بلاد العبرانيين فى ذلك الزمان ووضع لهم فيما
 الاوثان ورتب لهما كهنة مخصوصين واحبارا قسيسين من غير الليويين وأمر رعاياه
 أن يحجوا اليهما ويقربوا قرايينهم فيما خلافا لشرعية موسى عليه السلام فساعد ذلك الخلاف
 على احداث عبادة الاصنام فى بنى اسرائيل وتفرقت فيهم عداومة المخالطات بين ملوكهم ومملكة
 السوريين (أى أهل الشام) وأمام مملكة يهوذا فمملكة كانت أصح تنسكا وأكثر اعتقادا تمسكا
 بشرعية موسى عليه السلام ومع ذلك فكانت قد داخلتهم أيضا شائبة عبادة الاصنام واحتاج
 المال غير مرة لقصد تزييرهم عنها وابعادهم منها لان بعث فيهم رسل فى ذلك العصر يخوفون
 الرعايا والملوك سوء عاقبة هذا السلوك ويعدونهم فى الدار الآخرة اذا أطاعوا الامر أحسن
 حال فى الاستقبال وانه سيبعث فيهم مسيح يهدى العالم بتمامه الى الدين الصحيح الذى جاءت
 به شرعية موسى عليه السلام

الدرس الثامن ٢٠١ في التاريخ العام

داود تمتد لغاية الفرات ثم انحصرت منذ تنزق جماعتهم في مجرد بلاد فلسطين وصاروا بالاعداء الاجانب من كل جانب محاطين والتفتوا الى محاربة بعضهم بعضا وحصل فيما بينهم حروب داخلية شديدة زادت ضعف قوتهم وقامت فيهم فتز اهلوية عنيدة اذهبت بقية شوكتهم وجهزتهم لاستيلاء البابليين عليهم واسترقاقهم لهم وهو المعبر عنه بالاسر الاكبر عندهم وكذلك اضعفت يدهم الطولى وزالت دولتهم الاولى غير أن هذا الزوال كان بطيئا حيث مكثت مملكة بني اسرائيل مدة ٢٥٥ سنة فقط وهي بحالة الاختلال الوييل وسقطت مملكة يهودا بعد مدة ٣٨٩ سنة وهي كذلك على اسوار حال من هذا القبيل

الفصل الرابع

في تاريخ دولة العبرانيين بعد تفرقها الى دولتين وذكر ملوكهم بعد انقسامها الى مملكتين مقيزتين

مطلب — ذكر ملوك مملكة بني اسرائيل ويهودا من بعد تفرقهما وبيان أحوالهما بعد تفرقهما (من سنة ٩٧٦ الى سنة ٧٢١ ق م)

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان أعلاه ما معناه وقد قام ير بعزم على مملكة بني اسرائيل عشرين سنة لا تغرله ولا حسن ذكر غير انه قد كان أول من ادخل فيهم وبال مثال تدخل الاغراب في منازلهم الاهلية واول داع للملوك الاجانب لفصد توسطهم في أمورهم الداخلية حيث دعا فرعون مصر المشهور باسم (شيشاق) في ذلك العصر لامداده على ملك يهودا ثم ملك عليهم من بعده ولده المدعو باسم (نوذب) بالذال المجمة في وسطه) (في سنة ٩٥٥ ق م)

ولم يكن رجبهم بن سليمان في مملكة يهودا بالنسبة لدين آبائه باحسن من ير بعزم سلوكا حيث اقام كذلك الاصنام للعبادة ببلاده فوق سائر الجبال المرتفعة وتحت جميع الادواح بمعنى الاشجار الملتفة وفي السنة الخامسة من ملكه كان قد حضر فرعون مصر السالف الذكر الى البيت المقدس واستولى عليه واخر به وانتهب كل ما يوجد في خزائنه من المتاع الانفس واغتصب خزائن الملك وأخذ الدروع التي كان سليمان عليه السلام قد اصطنعها من الذهب وعاد الى بلاده بالشان بغنائم كثيرة جدا

وتلك على مملكة السبطير بعد رجبهم بن سليمان (في سنة ٩٥٩ ق م) ابنه المسمى باسم (افيا) (بفتح الهجزة وكسر الفاء الموحدة وتشديد الياء المثناة من تحتها يليه الف في آخره) فسار كسيرة ابيه في مملكته ومشى على قاعدته وحارب ير بعزم ملك باقى الاسباط فوزه ثم تولى بعده ابنه المدعو باسم (آما) (من سنة ٩٥٦ الى سنة ٨٩٥ ق م) فنظف

الدرس التام ٢٠٢ في التاريخ العام

بيت المقدس مما كان آباؤه قد وضعوه فيه من الاصنام وحارب الملك المسمى باسم (زارة) ملك الحبشة أو الايتيوية فانتصر عليه وغلبه ثم تعاهد مع الملك (ريناداد) ملك سورية على الملك (يعشو) ملك الاسباط فاغار ريناداد المذكور على ملكة بني اسرائيل ولم يتعد على ملكة يهودا وتوفي آسا بعد ان حكم ملكة يهودا مدة احدى وأربعين سنة

وكان قد تولى ملكة الاسباط في مدة هؤلاء الملوك الثلاثة ستة ملوك كلهم اشتهروا بالكفر وفتح السلوك منهم (نوذب) المذكور آنفا وهو ابن يربعم فاقام في المنعكة الاسرائيلية أكثر من سنتين (اعنى من سنة ٩٥٥ الى سنة ٩٥٣ ق م) ثم قتله (يعشو) وجلس على تخت الملك بدلا عنه (من سنة ٩٥٣ الى سنة ٩٣١ ق م) وكان الملك يعشو هذا اجل تثببت اقدامه في الحكم قد قتل جميع ذرية يربعم فجاء أحد قواد عسكره الحية التي تسمى باسم (زمرى) (بفتح الزاى المعجمة يليها ميم فراء مهمله فياء مثناة تحتية سا كنة في آخره) وقام على ولده الذي تقلد بالملك من بعده المدعو باسم (ايلا) فقتله هو وسائر ذريته واستولى على كرسى ملكته ولم يتمتع هذا الملك أيضا الا أياما قلائل بثرة عظيم جحخته حيث قامت الجنود فولت على الملكة بدلا عنه أحد قوادهم المدعو باسم (عمرى) (بفتح العين المهمله يليها ميم فراء مهمله فياء مثناة تحتية سا كنة في آخره) وجاء عمرى فحصر زمرى في مدينة (طرشة) التي كانت قاعدة ملكة بني اسرائيل في عهد ذلك الجليل ولما رأى زمرى انه لا يكيد أعدائه بالضرورة اشعل النار في قصره فحرق نفسه وسائر اهل داره وهكذا صار عمرى ملك بني اسرائيل في مكان زمرى فاقام على كرسى المملكة المذكورة احدى عشرة سنة (من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩١٩ ق م) منها ست سنوات بمدينة طرشة المذكورة ثم اشترى جبل سمريه بمبلغ مائة تالان (وهو مقدار وزن معين من الذهب أو الفضة يختلف بحسب اختلاف البلدان في سالف الزمان) وحدث فيه المدينة المشهورة باسم (سمرية) وخلفه فيها ابنه المسمى باسم (احؤب) (بتسويل الواو أو بالهمز عليها في وسطه) (من سنة ٩١٩ الى سنة ٨٩٦ ق م) فكان شرا من أبيه واقبح من سائر سالفه حيث تزوج بابنة الملك المسمى باسم (ايتبعل) ملك صور المسماة باسم (هازابيل) وحدث في قاعدة ملكته هذه عبادة صنم الصور بين المدعو باسم (بعل) وبني له فيها

معبد المناظرة بيت المقدس الذي هو معبد الله عز وجل

وكان في اثناء تلك المدة قد تولى ملكة يهودا (يهوشافاط) بن آسا (وضبطه بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة بعدها الف ثم فاء فالف أخرى بعدها

طاء مهمله في آخره) فاقام عايرها (من سنة ٩١٥ الى سنة ٨٩١ ق م)

وكان يهوشافاط من أدين ملوك العبرانيين واحسن ولادة أمور الاسرائيليين ابتدى مدة ولايته باصلاح امر الدين في سائر اهل مملكته وفي أيامه كان اللبويون أى احبار اليهود من بنى ليوى بن يعقوب عليه السلام يسافرون من مدينة الى اخرى ويعظون الناس لقصد أن يعيدوا فيهم م العقيدة الدينية الاولى وانتصر يهوشافاط على العموريين والماليين ومنع مملكته من صائلة العرب والفلسطينيين وأعاد مملكة يهودا ما كانت قد فقدته من البهجة القديمة والصولة العظيمة وعقد محالفة أكيدة ومحببة شديدة مع احثوب بن عمري ملك بنى اسرائيل حيث زوج ابنة الملك المذكور المسماة باسم (عثلياهو) المرروقة له من (هازابيل) بنت ملك الصوريين بولده المدعو باسم (يهورام) واجتمع مع ملك بنى اسرائيل على تجهيز اسطول عظيم في فرضة آسيون جابر على بحر القلزم لقصد الاتفاع كالفنيقيين بالتجارة على البحر الاحمر وسواحل غرب افر يقية غير ان هذا المشروع لم ينجح ولعل الفنيقيين هم الذين عطلوه وابطلوه فلم ينجح خشية مزاحمتهم على مواد تجارتهم وفي أيامه كان قد وقع في مملكة بنى اسرائيل حادثة قحط شديدة أفنت كثير من الامة العبرانية مدة ثلاث سنوات متوالية ورأى الملك احثوب ان السبب في وقوع هذه الداهية انما هو النبي ايليا فابعده الى الصحراء طرده فعاد اليه مرة أولى لابطال حجة قسس الصنم المسمى باسم (بعل) السالف الذكر وثانية لانذار هذا الملك وزوجته المذكورة اعلاه بما سيوقعه الله سبحانه وتعالى بهما من العقاب في نظير قتلهما الرجل فقير اسمه (نابوت) واستيلائهما على بستان كرم كان له وفي الواقع ونفس الامر لم يتأخرا حثوب السالف الذكر ان أصيب بسهم توجه اليه بالصدقة فقتله في حرب قامت بينه وبين ملك سورية وقام بمملكة بنى اسرائيل من بعده ولده المدعو باسم (احزيو) (بالف مفتوحة في اوله يليها طاء هـ - حلة سا كنة فزاي مججمة مكسورة فياء مثناة تحتية فواو سا كنة في آخره) (في سنة ٨٩٢ ق م) فلم يمكث على سرير المملكة غير نحو سنتين وكان شر من أبيه وامه المذكورين حيث عبد الصنم المدعو باسم (بعل) المذكور واعتراه مرض فبعث يستشير الصنم المسمى باسم (بلزبوت) المعبود بمدينة (اكرون) قال في التوراة ما نصه « وكانند لم يكن اله ابني اسرائيل شمات وخلفه على مملكة بنى اسرائيل اخوه المسمى باسم (يهورام) (بفتح الياء المثناة التحتية في اوله) (في سنة ٨٩٥ ق م) وكان قد تولى مملكة يهودا الملك المسمى ايضا باسم (يهورام) بن يهوشافاط (في سنة ٨٩١ ق م) وضبطه بفتح الياء المثناة التحتية وضم الهاء وسكون الواو يليها راء هـ - حلة فالف فيم في آخره) فقتل سائر اخوته واصدقاء أبيه وأهل دولته وفسدت اخلاقه بدسية زوجته (عثلياهو) المذكورة أعلاه فاقتدى بملوك دولة بنى اسرائيل في عبادة الاصنام وهزم القوم الايدوميين وكانوا قد خرجوا عليه مملكة لم يمكنه ان يدخلهم فمحت طاعته بالثمان وهزمه الفلسطينيون

والعرب واخذوا من يده مدينة اورشليم واتهبوها وهتكوا حرمتها واستلبوها ثم مات بعد ان اقام على سرير المملكة سبع سنوات (في سنة ٨٨٤) وخلفه عليها ابنه المسمى باسم (اخزياهو) (وضبطه بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الراء الموحدة ثم ياء مثناة من تحتها يليها الف فهاء فواو في آخره) فلم يمكث غير سنة واحدة وقتل في ضمن مقتلة بني احوب حسب ما سيأتي ذكره بعد

وتقلد بمملكة بني اسرائيل من بعده اخوه يهورام بن احوب فقام عليه وخرج عن طاعته كان يدفع له الجزية من ملوك الامم المجاورين بمملكته ويتحاده مع يهوذا وملك يهوذا واعانة ملك ايدو تمت له الغلبة على ملك المابين واسمه (ميسا) ورجع يدفع له الجزية بالثاني وفي ايامه كانت حادثة القحط الذي اكلت فيه امرأة ولدها رجاء خزيبيل ملك سوريته فحصره في مدينة سمريه التي هي قاعدة مملكته ثم حصل لجنوده فزع فتركوا الحصار واتخذ يهورام المذكور مع اخزياهو ملك يهوذا على حصار مدينة راموت جلاء لاستردادها من يده ملك الشام فاصاب يهورام جراح في اثناء هذا الحصار فعاد الى بلاده ليعالج جراحه وفي اثناء ذلك كان قد قام رجل اسمه (ياهو) ونقدس ملكا على بني اسرائيل في وسط المعسكر واقرب سائر العسكر وخرج ياهو على يهورام فقتله بسهم اصابه في قهاه وهو مدبر (في سنة ٨٨٣ ق م) وكذلك قتل اخزياهو ملك يهوذا وذهب الى قصر الملكة هازاييل بمدينة اسرائيل فرأى امرأته متبرجة وهي باجل الزينة متبرجة تنظر من شباك فضر بها بسهم اصاب مقتله اذ قتلها واسقطها من شباك القصر وامر بها فانداسمت تحت سنابك الخيل واذا هي هازاييل حماة يهورام السالفة الذكر ولما اراد وادفنها لم يجدوا من جثتها غير بقية رجل يهاويديها مع ججمتها واكلت سائرها الكلاب وبذلك تحقق نبي الانبي ايليا واستقصى بالقتل سائر اولاد احوب وجميع اصحابه واهل دولته مع قسس الصنم المعروف باسم (بعل) وكل من بقى من ذريته وهدم هيكل الصنم المذكور ومع ذلك فلم يمتد (ياهو) المذكور الى سبيل المولى جل جلاله بل استمر على عبادة الجول المتخذة من الذهب التي كانت بمدينة بيتيل ودان وكان غير مهاب عند الملوك الاغراب اذ كان قد حارب به زيبيل ملك الشام فهزموه وهزق جيوشه واخر ب سائر بلاد جلاء وازان من بلاده ثم مات وخلفه على سرير مملكة بني اسرائيل ولده المدعو باسم (يهو ياهاز) في (سنة ٨٥٥ ق م)

وفي تلك المدة كانت مملكة يهوذا قد استغرقت في سفك الدماء بطغيان المرأة المشهورة باسم (عئليا هو) التي هي ارملة الملك يهورام السالفة الذكر وذلك انه برفاة ولدها المدعو باسم (اخزياهو) المذكور انفا كانت هذه المرأة الطاغية والمملكة الباغية قد تتبععت جميع بني داود فاقتتهم ولم يسل منهم غير طفل واحد يدعى باسم (يواش) بن اخزياهو (وضبطه بضم الياء المثناة

الدرس التام ٢٠٥ في التاريخ العام

التحتية يليها واو عليها همزة مفتوحة فالف فشن مجمة في آخره) وكانت قد اخفته عنها
 مرضعته وهي عمته المسماة باسم (يوشابيت) زوجة الخبر الاعظم المسمى باسم (جويده)
 (بتشديد الياء المثناة التحتية في وسطه) وخبأته في داخل هيكل بيت المقدس مدة ست سنوات
 وكانت عثليا هو المذكورة قد استوت على مملكة يهودا تلك المدة واقامت في مدينة اورشليم
 عبادة الاصنام بدلا عن عبادة الله الحقيقي بالعبادة والتعظيم وفي السنة السابعة جمع
 الخبر الاعظم في داخل الهيكل المعظم طائفة الليوين وقواد الجنود العبرانيين
 واخبرهم بانه قد بقي طفل صغير من ولد داود الذين هم اهل الولاية الحقيقية وهو يواش بن
 اخيزو واخذ عليهم العهد بمبايعته والذب عنه ولما بلغ عثليا هو هذا الخبر اسرعت بالتوجه
 اليه لتقتله وتبذني عليه فارسل الخبر الاعظم من بادر بقتلها فماتت ولم تباع أملها
 وانداست جثتها تحت سنابك الخيل كما وقع اها زائيل التي هي أمها وهرعت الامه الاسرائيلية
 الى داخل معبد الصنم المدعو باسم (بعزل) فهدموا محرابه وعجلوا بانلاف قتله وصورته
 وقتلوا كاهنه المسمى باسم (ماتان) في ذات المحراب المعدل لعبادته (في سنة ٨٧٧ ق م)
 وحكم يواش مملكة يهودا من غير منازع ولا منغص بارشاد الخبر الاعظم المذكور آنفا
 مادام بقيد الحياة فلما طوته الوفاة طغى يواش وبني وتجاوز الحد في الغدر حتى قتل ولد الخبر
 الاعظم المسمى باسم ركر يافي ذات دهليز الهيكل المحرم فصاح المقتول وهو موجود بنفسه قائلا
 ما معناه «ان الله ينظر الى» وسيمتقم لي» قال المؤرخ المررى عنه أعلاه وفي الواقع
 ونفس الامر كان خزييل ملك سورية قد اعار على بيت المقدس واستولى عليه وسلك كثيرا
 من الدماء فيه و بعد ذلك بقليل صار يواش محتقرا في عين ساثر بنى اسرائيل فقتله اثنان
 من ارباب دولته (في سنة ٧٣٧ ق م) وكان قد اقام على سرير المملكة الاسرائيلية
 مدة أربعين سنة وملك بعده ابنه المدعو باسم (امصيا هو) (بفتح الهجزة والميم وسكون
 الصاد المهملة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فواو في آخره) وانتصر نصره عظيمة على القوم
 الايدوميين بوادي الملح ثم حارب به صاحب مملكة بني اسرائيل المدعو كذلك باسم يواش فهزمه
 وازاله عن ملكه وعزله واستولى على مدينة بيت المقدس وضمها الى مملكته ثم استرد امصيا هو
 سرير ملكه اليه بالثاني لكنه لم يلبث فيه الا قليلا حيث قامت عليه فتنة الجأته للهروب
 الى المدينة المسماة باسم (لاكي) وبها قتل (في سنة ٨٠٨ ق م)

وتقلد مملكة يهودا ونده المسمى باسم (عزياهو) (بضم العين المهملة وتشديد الزاي
 المججمة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فواو في آخره) فاسترد قلعة المذوا حاطها باحكام
 التحصين وهزم العمونيين والفلسطينيين ومن ثم داخله الكبر فتعدى على ما هو من حق
 صاحب الرياسة الدينية وأراد أن يباشر بنفسه ايقاد الطيب على محراب العطر في القدس

الشر يفر، فلحقه البرص وضعف أمره في آخر عمره وحبس عن سائر الناس على فخامة قدره بمقتضى شريعة موسى عليه السلام في مكان منعزل عن سائر الأنام قضى فيه باقى حياته وهو فى أنكد عيش من الأيام وفى عصره كان النبي اشعيا وكان أكثر تبشيريه بقرب ميلاد المسيح عليه السلام وتغلب عليه ولده المدعو باسم (يوشم) بياع مثناة من تحتها مضمومة وواو ساكنة وثاء مثلثة مفتوحة بإيهام في آخره) وتقلد بمملكة يهودا من بعده (فى سنة ٧٥٦ ق م) فكانت أيامه ببعض مكان من السعد ثم اعترى مادة السلم الاختلال فى آخر عهده بغارات الملك راصين ملك دمشق الشام وازداد على بلاد يهودا منه أشد الأوهال بعدة خلفه المدعو باسم (آحاز) (بهمزة مدودة فحاء مهيالة فالق فزاي معجمة فى آخره) (من سنة ٧٤١ الى سنة ٧٢٦ ق م) وكان آحاز هذا قد انعمك على جميع أنواع الأوهام التى توجد عند الأمم الاجانب فيما يتعلق بعبادة الأصنام حتى صار يذبح لها القرابين البشرية ويوقدها أنواع العقاقير العظمية فى الأماكن العلية وينذر ابنه لخدمتها بأمراره فى وسط النار وترتب على اهمال دين الملة الاسرائيلية أشد المصائب حيث انضم راصين ملك دمشق المذكور أعلاه الى ملك بنى اسرائيل المسمى (فابع) واجتمع على حصار القدس حتى اضطر آحاز على ان طلب الامداد من ملك العراق المسمى باسم (تجلات فلصر) فلم يتأخر ان قام بجيشه وحضر الى دمشق واستولى عليها وقتل راصين وبذلك نجا آحاز ملك يهودا من هذه الداهية غير انه وقع فى أدهى منها حيث لم يمكنه أن يصرف غائلة حليفه هذا عن بلاد الايبى نذل نفائس أموال الحرم المقدس اليه وجعل نفسه تابعه ووعولته عليه امكن خلفه ولده المسمى باسم (حزقيا) وكان رجلا صالحا وبطلا مظفرا ناجحا فاعاد الى مملكة يهودا بجنتها القديمة مدة من الزمن غير عظيمة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٦٩٧ ق م)

وفى مدة تعاقب الملوك المذكورين على سرير المملكة بمدينة القدس كانت مملكة بنى اسرائيل بمدينة سمريه قد سقطت فى حالة تمام الانحطاط والنحس فكان (يهو يا حاز) قد خلف عليها أباه (ياهو) ومكث على سرير الملك مدة سبع عشرة سنة فيها (من سنة ٨٥٥ الى سنة ٨٣٧ ق م) وفى جميع تلك المدة كانت مملكة بنى اسرائيل مستغرقة فى بحر التخريب والفساد بغارة (حزيبيل) ملك الشام وابنه (بيناداد) ثم جاء بعد (يهو يا حاز) ابنه (يؤاش) (من سنة ٨٣٩ الى سنة ٨٢٣ ق م) فكان أسعد من أبيه حيث حارب (بيناداد) ملك الشام المذكور وظفر به ثلاث مرات واسترد ما كان قد اغتصبه على أبيه من البلاد والجهات وحارب كذلك (امصياهو) ملك يهودا فظفر به وانتصر عليه وحصره بمدينة القدس ودخلها من خرق اخترقه فى سورها واستولى على سائر الذهب والفضة وأواني

الحرم المقدس واخذها معه الى سمرية ثم توفي وترك كرسى مملكة بني اسرائيل الى ولده المدعو باسم (يربعم) الثاني (من سنة ٨٢٣ الى سنة ٧٧١ ق م) فاعاد الى المملكة المذكورة حدودها التي كانت لها في سالف الزمان من عند مدينة حص وسفح جبال لبنان الى بحرا الصحراء وهو بحيرة لوط عليه السلام واسترد مدينة حص ودمشق الى حوزة يده بالثاني غير ان هذه الفتوحات البهية كانت آخر نجاح تحصل عليه ملوك سمرية فان من خلف يربعم الثاني هذا من ملوك بني اسرائيل كانوا قدا ووقوعوا مملكتهم في أشد الوال والعذاب و جهزوا ذولتهم للوقوع في أجدال الدمار والخراب قال في التوراة ما ملخصه وقد كان رجال مملكة بني اسرائيل من مدة مديدة وأيام عديدة قد وقوعوا في بحر ظلمات انتهاك حرمت الله الذي أنقذهم من ديار مصر وصاروا يتخذون عبادة الاصنام التي كانت مملكة عند الامم الاجانب في ذلك العصر ويعملون بعوائد الامم المجرمين والاقوام الجبارين الذين أخذهم الله سبحانه وتعالى بذنوبهم وزرعوا الاشجار الحبيثة على جميع الاراضي المرتفعة ووضعوا الاوثان على سائر الاشجار ذات الاغصان وصاروا يوقدون انواع الطيب على محاريبها ويعبدون كواكب السماء ويعبدون الصنم المدعو باسم (بعل) ويهذفون أبناءهم وبناتهم في النيران ويعتقدون اخبار السحرة والكهان وانهم كانوا بالجملة والتفصيل على جميع انواع القبائح التي توجب غضب المولى جل جلاله وكان سائر الامم الجاهلية منهمكين عليها في ذلك العصر من هذا القبيل ولم ينفع فيهم ارسال الرسل المبعوثين اليهم حيث لم يصغ لتصحيحهم أحد من بني اسرائيل وظهرت علامات انحطاط دولتهم خصوصا من بعده وفاة (يربعم) الثاني حيث تقلد بولايته من بعده ولده المدعو باسم (زكريا) فلم يمكث على سريره مملكتهم غير ستة شهور (في سنة ٧٧١ ق م) ثم قتله المدعو باسم (شالوم) وأقام على سريره ملكهم في مكانه مدة شهر واحد ثم اتاه من مدينة طرشة الى سمرية الرجل المدعو باسم (مناعم) فاغار عليه وقتله وصعد على سرير الملك بدله (في سنة ٧٧٠ ق م) وكان ملك العراق المدعو باسم (فول) قد جاءهم وبغارتهم عليهم فجأهم فلم يتخلص مناعم المذكور مما كاد أن يصيبه من الخراب التام الا بان بذل له مبلغ ألف تالان (من انواع السكة التي كانوا يتعاملون بها في ذلك الزمان) وجاء من بعده ولده المدعو باسم (بقيو) وضبطه بقاءه موحدة في أوله ففأف مئنة فحاء مهملة فياء مئنة من قحتها واولا عليها هزة في آخره) فلم يمكث على سريره مملكة بني اسرائيل غير زمن قليل نحو سنتين ثم خرج عليه أحد قوادعسكره المدعو باسم (فائع) (بفاء موحدة في أوله بليها ألف ففأف مئنة فحاء مهملة في آخره) واستولى عليه في سمرية فقتله وتغلب على سريره الملك بدلا عنه (في سنة ٧٥٢ ق م) وفي أيامه كان قد عاد الى بلاد الاسرائيليين تجلات فلصر ملك الاسوريين وتغلب على بلاد جلعاد وجميلة وجميع الجهات المملوكة لسبط نفتالي

من تلك البلاد ، وخر بها ونقل سكانها من العبرانيين إلى بلاد العراق فتم بذلك سقوط فاقع من أعلى ممر برملكة وصال عليه المدعو باسم (هوشاع) وكان من أنبياء بني اسرائيل وهو آخر ملوك سمرية فقطعه وأقام على سرير الملك في سمنير وهو يدفع الجزية إلى سلطنة مصر ملك العراق وأراد أن يخرج عن هذا العار فاستعان بفرعون مصر المتولى في ذلك العصر على تلك الديار ولما بلغ سلطنة هذا الخبير عاد إلى بلاد بني اسرائيل بالعكر فوضع هوشاع في سلاسل من الحديد وأخذ بحالة الاسر واستولى على سمرية ونقل سكانها إلى بلاد العراق بمدينة هالة والخابور من بلاد الميدين الكائنة على القرب من النهر المسمى في ذلك الزمان باسم (خوران) (في سنة ٧٢١ ق م)

وهاجر أناس من اهل بابل و غوطة واواه وحص وسيفارواثيم وتوطنوا بمدينة سمرية بعد خلوها من العبرانيين وطلوا به كذلك قبل من سلطنة ان يبعث اليهم حبراً من أحبار اليهود المأسورين ليعلمهم أو يردن هذه البلاد ثم تعالبت على عقولهم أوهاهم الاصلية ورواياتهم المليئة فلم يتمسكوا بصافي دين اليهودية بل خالطوا ديانتهم بعض عقائد اجنبية من أديان الصابئين وكان ذلك هو أصل منشأ طائفة المعتزلة لدين المرسوبين المعروفين بالسامرة أو السامريين وهم نسل هؤلاء الاقوام النازلين ببلاد اسرائيليين باختلاطهم مع من بقي في تلك البلاد من القوم اليهود الاصيلين

الفصل الخامس

في تاريخ ملكة يهودا من بعد انقراض ملكة اسرائيلين اغاية خراب بيت المقدس على يد مجتصر ملك السورين

مطلب — ذكر ملك دولة يهودا بعد انفرادهم بالملك (أعني في المدة من سنة ٧٢١ اغاية سنة ٥٨٢ ق م)

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه ما ملخص معناه وفي مدة انحطاط دولة بني اسرائيل وانقراضها بالكلية في مدينة سمرية كانت دولة يهودا بالقدس قد علا أمرها وارتفع قدرها بمدة تلك (حزقيا) عليها (من سنة ٧٢٦ إلى سنة ٦٩٧ ق م) وضبطه بكسر الحاء المهملة وسكون الراء المجهمة يليها قف مئنة فياء مئنة تحتية بعدها الف في آخره) وكان من الاتقياء البكار والاولياء الهظام فلذلك ابتدئ مدة حكمه بجهاد الاوثان فكسر الاصنام وقطع الاشجار الخبيثة وضرق الثعبان المتخذ من الخناس الذي كان يعبدونه بنو اسرائيل

اسرائيل في تلك الاعصار وفي ايامه عادك الامة الاسرائيلية الى قوتها الاصلية بواسطة عودها الى عقائدها الالهية وتمسكها بديانتهم الملية ومن ثم نجح حزقيا في جميع مشروعاته وظفر باعدائه من الاقوام الصغيرين الذين كانوا مملكتهم مجاورين في سائر غزواته فهزم الفلسطينيين واخر بجمعهم بلادهم الى حد غزة وكان مع ذلك يدفع الجزية الى ملك الاسوريين مثل ابيه فلما امتنع من ادائها اليه في السنة الرابعة عشرة من مدة حكمه اغار عليه الملك المسمى باسم (سنحاريب) ملك العراق واستولى على حصون مملكة يهودا واضطر حزقيا للتخلص منه بان يذله بجميع اموال الحرم المقدس ثم اراد ان يستعين بفرعون مصر عليه فعاد ملك العراق المذكور بالحرب اليه وكان النبي اشعيا قد انبأ بان بنى اسرائيل يكفون شر سنحاريب من غير قتال ولا تخريب فصدق الله جل جلاله قول نبيه وارسل جبريل على جيش الاسوريين وكانوا للقدس محاصرين وذلك ان سنحاريب بعد ان غزاد يار مصر فلم ينجح في غزوته كان قد وجه سائر قوته لمحاربة العبرانيين وحصرهم في بيت المقدس وضيق عليهم غاية التضييق فارسل الله سبحانه وتعالى على جنوده رسوله قاهلك منهم ١٨٥٠٠٠ رجل وفرع سنحاريب من هذا الامر الهائل وجرع من ذلك الهول الهائل فرجع عنهم الحصار وبادر الى بلاده بالفرار (في سنة ٧١٣ ق م) وتولى بعد حزقيا اولده المسمى باسم (منشا) (بفتح الميم والنون الموحدة وتشديد الشين المعجمة بعدها الف في آخره) فاقام على سرير مملكة يهودا مدة مديدة وسنوات عديدة اعنى نحسا وخمسين سنة (من سنة ٦٩٧ الى سنة ٦٤٢ ق م) وكان من افسق ملوك اليهود ولم يقتد بسيرة ابيه ولم يهتم بطريق التوحيد بل اظهر غاية الكفر والعصيان واشتهر بالفسق والطغيان واعاد بدعة الاماكن المرتفعة واقام المحاربين للصلح المعروف باسم (بعيل) وغرس الغابات العظيمة من الاشجار الذميمة وعبد كواكب السماء وكان ابوه قد احترم الانبياء فانتهك هو حرمتهم ومثل بهم وسفك دماهم وقتلهم واسال اموالهم من الدم في بيت المقدس المعظم ولذلك كان قد جاءه ملك العراق المدعو باسم (اسارادون) فحسم مادة طغيانه وقطع شدة كفره وعصيانه واغار على مملكته واخذها اسير الى مقر دولته ثم عفا عنه واعادته الى كرسى ولايته حتى تقلد مملكة بلاد الاسوريين ملك آخر فارادان يقطع دابر صورة الاستبداد الظاهرية التي كانت قد آلت اليها مملكة يهودا في تلك الحقبة العصرية ويزيلها بالكلية فارسل صهره المدعو باسم (هولوغيرت) قائدا لجنود كثيرة ووضع الحصار على مدينة (بتوليا) من بلاد العبرانيين وكانت قد كادت هذه المدينة ان تسلم مقابل يدها اليه واذا بامرأة ارملية تدعى باسم (نوديت) تزينت باجمل الزينة وخرجت عليه واجتمعت به في خيمته وكان قد اتخذ واية عظيمة وشر بالجر حتى سكر في ليلته وغلبه النعاس فنام نوما ثقيلا فقطعت

رأسه وجاءت به الى المدينة ليلاً قتيلاً وأصبح جندا لاعداء فلم يجدوا قائدهم وفقدوا رئيسهم فتفرق شملهم وتمزق جمعهم كلهم وفروا هاربين وبواسطة مكيدة هذه المرأة الشهيرة نجت المدينة المذكورة وبقيت ملكة يهودا بحالة السلم لغاية مدة انتهاء ملك منشا حتى خلفه ابنه المدعو باسم (أمون) (بمذاهمزة في أوله) من سنة ٦٤٢ الى سنة ٦٤٠ (ق م) فلم يتبع أباه الا في فسقه وعدم تقواه وقتل في السنة الثانية من مدة حكمه وخلفه ابنه المدعو باسم (يوشيا) (بضم الياء المنناة من تحتها يلبها واوسا كنة ثم شين مججمة مكسورة فياها منناة تحتية مشددة بعدها ألف في آخره) من سنة ٦٤٠ الى سنة ٦٠٩ (ق م) وكان يوشيا هذا من المهتمدين لطريق المولى جل جلاله وذلك ان الخبر الاعظم كان في ايامه قد عثر في بعض اماكن الحرم على الواح شريعة موسى فأطلعها عليها فخرق ثيابه جزاً وقطعها قطعاً اسفاً وقزاً اكون الامة كانت في ذلك العصر لم تعمل بشئ مطلقاً من احكامها وهن على الحرم الشريف معجوباً بجميع اخبار اليهود واوليائهم وسائر آحاد الملة الاسرائيلية بكرهم وصغارهم ورجالهم ونسائهم وعقد منهم محفلاً كاملاً وموكباً شاملاً وقرأ عليهم كتاب الشريعة الموسوية لتصداع اذانهم بالعمل باصول الديانة الاصلية وجدد عهد بني اسرائيل القديم مع المولى الكريم وحلف واستخلف سائر بني اسرائيل على ان لا يجيدوا عن هذا الطريق المستقيم ثم حرق الاصنام وقتل العيافين عن آخرهم واستأصلهم عن دابرهم واتتهك الاساكن العلية ونظف دين الاسرائيليين من جميع الناسات التي كانت قد خالطته من اديان الامم الاجنبيين قال في التوراة وذلك وعلى وجه بحيث لم يلب بني اسرائيل من قبله ملك توجه كمثلهم بجماع قلبه وروحه وسائر قوته في طريق المولى الجليل (اه)

ومع ذلك كله فقد كان حال دولة بني اسرائيل الصغيرة بين كل من الدولتين الكبيرتين (وهما دولة مصر ودولة العراق الشهيرتين) ذوات الفتوحات الكثيرة قد آل لان صار في كل يوم يزداد ضيقاً ولذلك تحالف يوشيا هذا مع الملك نبحادرس فرعون مصر وتوجه كل منهما بجنوده لقتال ملك العراق فوقع بين ملك يهودا وبينه بمدينة مجدله (في سنة ٦٠٩ ق م) تلاقاً انهمز فيه يوشيا وقتل ورجع خدمه بجثته الى مدينة اورشليم وتقلد بالملك من بعده بدلا عنه ولده المسمى باسم (يهو يا حاز) فجاء نبحا ووس السالف الذكر واخذها اسير الى مصر فكث بها حتى مات وكان ملك العراق قد اقام في مكانه على سرير ملكة يهودا (يهو ياقيم) (بفتح الياء المنناة تحتية في اوله وضم الهاء بعدها واوسا كنة متبوعة بقاف منناة يلبها ياء منناة تحتية فيم في آخره) وفي ايامه كان النبي ارميا (بفتح الهمزة في اوله بعدها راء مهملة فيم فياها منناة تحتية قالف في آخره) قد نشر من ثيابه المشهورة للقدس الشريف حيث اخبر فيم ابقلم تأليف عال منيف بما سبب

بيت المقدس في المستقبل من المصائب الشديدة والنواب العديدة وبكى تلك المصائب
 بغاية التأسف والتأفيف فلم يقابل يهوياقيم هذه الاخبار النبوية والانداز الا كهية الابان
 اجرى على النبي المذكور العذاب الاليم ومع ذلك فقد تحقق نبأؤه وتصدق خبره فكان
 فرعون مصر نيجاووس قد استولى على جميع البلاد الكائنة على غربي الفرات ووصل الى
 مدينة قرقيشة وهي مدينة من بلاد الجزيرة كانت موضوعة على شاطئ الفرات ولها تحكم
 على العبور عليه وهي مدخل بلاد الجزيرة المذكورة (وتسمى الان باسم قير بيزيا) وكان
 بختنصر قد اشركه ابوه معه في سرير مملكة بابل وعهد اليه بالملك من بعده فسار يقود جنوده
 عليه وحاربه وغلبه وبقيت مملكة يهود الا تجمد من يدفع عنها فسلمت امرها اليه ودخلت تحت
 طاعته وجاء بختنصر الى القدس واستولى عليه واستلب سائر خزائن دار الملك وجميع الاواني
 المقدسة التي كانت بداخل الهيكل واخذ معه الى بابل ذات يهوياقيم اسيرامع عشرة الاف رجل
 اسرى من بني اسرائيل وكان ذلك هو اول الاستعباد الكبير ومبدأ الرق الشهير الذي مكث
 فيه بنو اسرائيل سبعين سنة وكان بختنصر قد اطلقه من الاسر فعاد الى بلاده بالناني واراد ان
 يستعين بالمصريين على البابليين فعاد الاسوريون الى مملكة يهودا بالثاني وحاربوه فقتلوه واتصب
 على سرير الملك بدلا عنه ولده المسمى باسم (بختنيو) (ببناه مئثناه تحتية مفتوحة وخاه مجمة مفتوحة
 ايضا ليهانون موحدة ساكنة ثم يات مئثناه تحتية مضمومة بعدها واو في آخره) فلم يقم غير ثلاثة
 شهور وخلفه عمه المسمى باسم (صدقيا) واستعان ايضا بفرعون مصر فخرج عن طاعة بختنصر
 فغضب بختنصر بنفسه اليه واستولى على القدس بالعنوة والقهر واستلبه واحرقه واخر به وهذه
 هي الغزوة الثالثة للاسوريين ببلاد فلسطين في (سنة ٥٨٧ ق م) وفر صدقيا هاربا الى البادية
 فلحقته فرقة من جنود البابليين وقبضوا عليه في سهول نابلس واحضروه لبختنصر فامر بذيبح
 ابنائه وسمل عينيه واخذه اسيرامقيدا في سلاسل من الحديد الى بابل العراق وهو آخر ملوك
 مملكة بني اسرائيل الاولى بالاتفاق وساق اليها قائد عسكري اعراقيين المدعو باسم (نبوزراذون)
 سائر الالهالي العبرانيين ولم يبق ببلاد بني اسرائيل غير نفر قليل من فقراء الفلاحين لقصد
 زراعة الاراضي فقط فولى عليهم بختنصر من طرفه عاملا يسمى باسم (جوذولياس) من
 اعيان بني اسرائيل فلم يمكث في دست ولايته غير سبعة شهور وثار عليه رجل يدعى باسم
 اسماعيل من نسل ملوك مملكة يهودا فقتله وابطل عمله ومن خاف جبر بختنصر عن اليهود
 فرهاروا الى ديار مصر فسار بختنصر ايضا الى تلك الديار ووقع بها الخراب والدمار وشمل جبره
 من كان فيها من اليهود فاخذهم اسرى الى بلاده وبذلك زالت ايضا مملكة يهودا واندرجت
 في خبر كان بعد ان مكثت مدة ٣٨٩ سنة عن الزمان من عهد تملك رحيعم من سليمان

الفصل السادس

في تاريخ ارض فلسطين من بعد تخريب بيت المقدس على يد بختنصر وهي مدة الاسر الاكبر

مطلب — ذكر النبي دانيال وما كان عليه بنو اسرائيل بمدة الاسر الاكبر من الاحوال (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٣٦ ق م) قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيانات اعلاه ما تعريبه ادناه ولما تغلب على بلاد فلسطين بختنصر (وذلك التغلب هو المعبر عنه في كتب اليهود بالاسر الاكبر) تشتت الملة اليهودية في سائر الاقاليم التابعة لسلطنة الاسورية في العراقية وصارت لا وطن لها ولا هيكل ولا معبد لها ولا محراب حيث آل بيت المقدس يجبر بختنصر الى غاية الخراب ومع ذلك فلم تزل تلك الامة المأسورة لها في الدنيا صورة وجود مذكورة وذلك ان بختنصر كان قد عاملها باصول المروءة الانسانية فتركها تعمل بعوائدها الالهية ورخص للعبانيين ان يشتروا املاك ارضية وان يكون لهم منهم قضاة خصوصية بل ترفى جماعة من اليهود في دولته الى بعض المناصب العلية منهم النبي دانيال وهو من نسل داود عليه السلام وكان قد فاق في العلوم والحكمة على سائر احرار الجوس والكهنة الموجودين في المملكة حتى صار عند ملك بابل في اعلى منزلة التكريم والاحترام واعتمد عليه الاعمال التام وكان من دلائل حكمته العجيبة ومجزاته الغريبة وهو حديث السن قصة براءة امرأة من بني اسرائيل تسمى باسم (سوسان) وهي امرأة يهوياقيم وكانت قد صحبت زوجها في الاسر بمدينة بابل فنجأها رجلان عبرانيان وهي في الحمام واراد ان يفعلوا بها الفاحشة فابت ذلك فاتهم ماها بالزنا فظهر الله برآتهم على يد النبي دانيال عليه السلام وبعد ذلك بقليل كان بختنصر قد رأى في المنام رؤيا مفرعة وهي كأن صفار أسه من ذهب وصدره وذراعا من فضة وبطنه وفخذه من نحاس وساقيه من حديد وقدماه من طفل وقد طرته حجر فاتفصل من الجبل فالقاه الى الارض وطلب بختنصر من يأول له هذه الرؤيا المزعجة من كهنة مملكته فلم يجد من يفسر هاله غير النبي دانيال فاحضره عنده فاولها له وقال ان ذلك اغما هو مثال سرعة زوال الدول العظيمة القائمة ببلاد آسية اذ هي وان كانت بهيجة الرأس لكنها واهية الاساس فاجب الملك هذا التأمويل وغمر بالانعام نبي بني اسرائيل وجعله فوق جميع ارباب المناصب العلية من اهل دولته في سائر مملكته

ثم شرع النبي دانيال بعد ذلك في ان يأتي من الاخبار بالغيب بانحس الانذار في ذلك ما ذكر في توارخ اليهود من ان ملك بابل المسمى باسم (بلتازار) من بني بختنصر كان ذات يوم على حسب عادته قد عكف على تعاطي جميع انواع الفواحش وجلس يشرب الخمر في الاواني المدمسة التي كان قد انتمها جده بختنصر من هيكل بيت المقدس واذا بيد من نار سطرت

على الحائظ حروف اغريقية وكلمات مجهولة المعنى عجيبة فزع لها الملك وجرع فنذكر النبي دانيال واحضره وطلب منه ان يعرفه معنى هذه الكلمات الثلاث وهي (ماني تيسيل فارس) فقال له ان معناها الحكم بزوال الدولة الكلدانية البابلية وفي الواقع ونفس الامر كان في ذات تلك الليلة قد حضر ملك فارس المشهور باسم (كبيرش او قيروس) ودخل مدينة بابل من مجرى نهر الفرات واستولى عليها ومن ذلك الوقت صارت ملكة العراق اودولة الاسوريين ومن جملتها بلاد فلسطين التي هي بلاد العبرانيين تحت يد دولة القوم الفارسيين (في سنة ٥٣٦ ق م) انتهى الى هنا معر بامع بعض تصرف واختصار من كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان واكثر ضبط الاسماء الاعلام من تاريخ ابي الفدا عليه بحائب الرحمة والرضوان

تتمة

تتضمن بعض ايضاحات مفيدة وزيادات سديدة فيما يتعلق بتاريخ العبرانيين (معرفة من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ فرنسيس لونورمان) وهي تشمل على أربع مسائل

المسألة الاولى

مطلب — ذكر الطريق التي سلكها موسى عند خروجه بين اسرائيل من مصر الى بلاد الشام وما قيل في مقدار عددهم وذكر المن والسرى للذين أنزلهما الله عليهم وغير ذلك من الفوائد المتعلقة بتاريخهم — قال المؤرخ فرنسيس لونورمان في مختصر تاريخ القوم اليهود السالف الذكر والبيان وانما عدل موسى عليه السلام في سفر خروجه بين اسرائيل من ديار مصر الى الشام بانسير نحو بجزر القلزم ورأس جبل الطور لغرض صحيح تام كان قد تفكره وتدبير سديد كان من قبل قد دبره والافقد كان اقصر طريق واقربه للسفر من ديار مصر الى أرض كنعان ان يتوجه بهم الى جهة الشمال ويسير معهم على سواحل البحر الابيض المتوسط ويبلغ بهم الى غزة مارا بالقلعة المسماة في ذلك العصر من ديار مصر باسم (دينوكور وره) (وهي قلعة العريش) والباعث له على عدوله عن هذه الطريق الاخيرة هو انها كانت على سائر خط مرورها وجميع محطات عبورها محصنة بقلاع مشيدة وحصون هائلة سديدة من اعمال الفراعنة السالفين وفيها باطات مستعدة عديدة من الجنود المصريين قد كانت لربما تعطل سير العبرانيين وكانت جنود فرعون الذين كانوا لهم متبوعين يسهل عليهم ان يلحقوهم في هذه الطريق حيث كان المصريون متعودين على السير فيها في غزواتهم لبلاد آسية الغربية ولوسلك بنو اسرائيل هذه الطريق لكانوا من غير شك ملقوهم ومزقوا شملهم ومحقوهم على انه فضلا عن ذلك قد كان من اعظم سوء التدبير ان

يستجمل موسى بتعريض قومه من بعد خروجهم من ديار مصر على الفور لباشرة الحرب بهم مع
 الاقوام الحربيين من الكنعانيين والحال ان القوم العبرانيين كانوا قد انحطت همهم
 وضعفت عزائمهم لطول مكثهم في ربة الاسر بديار مصر ولم يكن لهم عادة باستعمال
 الاسلحة ولا بالاجابة للنهوض بما فيه المصلحة ولو كان قد التحم معهم القتال لكان ما أسرع
 ما يهرع لاعانة الاقوام الكنعانيين جنود فرعون المصريين اذ كان الاقوام الكنعانيون
 تحت طاعته وكانوا داخلين في ذلك العصر بدائرة سلطنته وفضلا عن ذلك أيضا كان القوم
 العبرانيون قبل ان يتملكوا الارض الموعودة ويتكاثروا في صورة أمة مستقلة وهيئة ملة
 ياصروا ولا يتها مستبدة محتاجين حاجة مطلقة لان يروا بنوع تجربة لقصد امتحانهم ويعبروا
 بجزية لاصلاح شانهم ويكثروا مادة في الحجر آجاله الاعتزال عن الاقوام الجاهلية والامم
 عبدة الاصنام الذين طالما مكثوا بين اظهريهم فلزم ابعادهم خصوصا عن فساد المدن مدة من
 الزمن حتى يستعدوا للمأعدتهم الله من الكرامة وعلو الشان ولم يكن ثم سبيل آخر لاصلاح
 حالهم وانجاح استقبالهم وارجاعهم للتمسك بعقيدة آباؤهم اذ كان قد اعترها الفساد
 بطول المكث في الاستبعاد ولقد كان هذا المشروع في الجملة عظيم الموانع جسم القواطع
 فلم يكن ثم وسيلة للحصول عليه غير العناية الاطوية المستمرة فلذلك كان الله سبحانه وتعالى
 هو المعين لهم بذاته والمتولى لامرهم بقوته وقد كان عددهم حسبما ذكر في التوراة ستمائة
 الف من الرجال غير النساء والاطفال فساروا تحت قيادة موسى عليه السلام وكان سيرهم
 بالضرورة سيرا بطيئا فلم يصلوا الى سواحل البحر الا بعد ثلاثة ايام في طريق يصعب الآن
 تعيينها وتعيين المنازل التي نزلوا عليها منها على وجه الضبط والاحكام ولم تكن قافلهم مركبة
 من مجرد العبرانيين دون غيرهم بل ذكر في التوراة انه كان قد صحبهم جموع كثيرة من
 الاقوام الاهليين الاصليين ومقادير كبيرة من المواشي والانعام وعلى هذه الهيئة الاجتماعية
 ساروا في صحراء لا يكاد يجتذبهم انجوع العرب ماء ولا مراعى من الارض الا شيئا قليلا قد يوجد
 على مسافات متباعدة بمضتها عن بعض ولذلك كان الله سبحانه وتعالى من اول ايام سفرهم
 قد احلى لهم معجزة لموسى عليه السلام المياه المرة ثم لما وصلوا الى كورة رافيديم المجاورة لجبل
 حريب كان الله قد ارسل لهم مقادير كثيرة من السلوى وهو الطير المعروف بالسماى فاكوا منه
 حتى شبعوا وضرب موسى بعصاه الصخر بالوادى المعروف الآن بوادى المقطب فاتفجر ماء شربوا
 منه حتى ارتووا واجرى الله على يد نبيه موسى ايضا هذه المعجزة ثانيا مرة لانقاذ قومه من موت
 كاد يلحقهم وهلاك كاد يحققهم وفي هذه المرة ايضا كان قد اخذ في انزل عليهم المن الذى مكثوا
 يتقوتون منه مدة الاربعين سنة التى اقاموها في البادية جزاء لهم على كفرهم قال في التوراة
 وقد وكان المن ينزل عليهم في كل صباح في معسكرهم فيلتنقط منه كل واحد منهم على وجه السرعة

ما يلزم له في يومه حسب اذا كان متى حيت عليه اشعة الشمس اذ ابته واذا بقي الى غمد
فسد الا في صبيحة امس يوم السبت حيث كانوا يلقطون منه قوت يومين بدون ان يعثره الفساد
حتى يتيسر لهم العمل بالراحة المعدة فيه لعبادة المولى جل جلاله (هـ)

ولما وصل بنو اسرائيل الى وادي رافيديم اغار عليهم العمالقه وهم قوم من اقدم قبائل العرب
الجاهليين ومن اقواهم شوكة فنصرهم الله عليهم حيث زحفوا عليهم وقتلواهم والتقوا
معهم ونازلوهم تحت قيادة يوشع عليه السلام الذي سيفتح بهم الارض الموعودة لهم
وهي بلاد الشام ومكث بنو اسرائيل في البيداء ثلاثة شهور منذ خروجه من ديار مصر حتى
وصلوا الى سفح جبل سيناء اوجبل الطور وهناك انزل الله على موسى شريعته وارسل اليه
رسالته واخبره بذلك بواسطة صوت الرعد وضوء البرق وماخيم من السحب والدخان على
الجبل المذكور فاعلن اول الامة العبرانية بما يجب على المكلف من الواجبات الاصلية
عنه سبحانه وتعالى وما يجب عليه لجاره وانفسه وذلك هو ما يعرف عند اليهود بالاوامر العشرة
السالفة الذكر وضم لذلك احكاما اخرى تفصيلية تكونت من مجموعها الشريعة الموسوية
ووعد بنو اسرائيل بالعمل بهذه الشريعة الالهية ثم عاد موسى عليه السلام الى جبل الطور
واختفى عن الابصار حيث احاط به السحاب وبقي فيها اربعين يوما بلياليها يتلقى الوحي لبيان
ما يفرض اجراه من كيفية العبادة الظاهرية وامتحن الامة العبرانية بهذه المحنة الاولية
وكان بنو اسرائيل لم يرالوا بعد اقاما جل افامتوحشين واناسا جفاة متلونين فلم يصبروا على
هذه المحنة السهلة اعنى الايمان بالاوامر الالهية العلية التي سيكون عليها مدار كينونتهم
الملية واسباس ترتيباتهم الدولية وما كان منهم الا انهم بددة غياب موسى عليه السلام عنهم
في هذه المدة القصيرة افتتنوا فتنة كبيرة ونسوا عظمة الله سبحانه وتعالى الذي انقذهم من
ربكة الاسر بديار مصر وخابوا ما عاهدوا الله عليه من العمل بشريعته وتمام الانقياد اليه
وقالوا لهارون اتخذنا آلهة تسبقنا الى حيث نذهب فعمل لهم عجلا من ذهب على مثال العجل
المدعو باسم (ايبس) المعبود في ديانة المصريين ولما شاهدوا العبرانيون صاحبوا قائلين
ديابني اسرائيل هذه آلهتكم التي اخرجتكم من مصر ورفع هارون لهذا الصنم الحقير محررا يا
وقرب له القرايين وعاد موسى اليهم فغضب عليهم ثم اتهم الى الله سبحانه وتعالى ان يغفر
لهم ويتوب عليهم وغلب عليه الغضب فضرب الارض بالواح الاحجار التي كتب الله فيها
بيده شريعته فانكسرت والقي الصنم في النار وبعث بنى ليوى في بنى اسرائيل لجز من بقي على
الاصرار على الكفر من هؤلاء القوم الكفار ثم نحت احجارا اخرى وكتب فيها الاوامر العشرة
بامر الله الواحد القهار (هـ)

المسألة الثانية

مطلب — شرح قبة العهد والمظلة وأول تأسيس هيكل أو معبد الله تعالى في بني إسرائيل على هيئة منتقلة (معربا كذلك من مختصر تاريخ القوم اليهودي للثورخ فرانسيس لوفورمان السالف الذكر والبيان) قال المؤرخ المذكور وبعدها أعلن موسى عليه السلام لبني إسرائيل بشريعته في جبل الطور شرع في أن يضع لهم كيفية عبادة الله سبحانه الظاهرية وأصول مناسكهم المرئية إذ كان من الزم التزوم المبادرة بهذا الأمر المهم لأجل تثبيتهم على عقيدة التوحيد حيث كانوا وما يجربون الاحتمالات الظاهرية ويميلون أشد الميل لداعي تعلقهم بالمواكب المراتية للرجوع إلى الوقوع في عبادة الاصنام فأخبر أولا أخاه هارون ومشايخ قبائل بني إسرائيل بما أوحاه الله إليهم من هذا القمبل ثم تشره في سائر الأمة واطلعهم على صورة هيكل منتقل يجب اتخاذه من الآن فصاعدا لشمارة عبادة الله في جميع الملة ونصب هارون وبنيه الأربعة بوظيفة خدمة لهذه العبادة المرتفعة وخص جميع بني إبيوى بإعانتهم على أداء مقتضى وظيفتهم مكافأة لهم على ما حصل منهم من بذل الجهود في توثيق ما يجب لله سبحانه من حق التوحيد وطلب موسى عليه السلام من مكارم بني إسرائيل أن يبذلوا من أموالهم ما يلزم لعمل ماجرت العادة عندهم بأن يعبر عنه بما معناه قبة العهد والمظلة وهي عبارة عن خيمة اتخذوها هيكلًا منتقلا إلى حيث انتقلوا ومعبدًا أمرتجلا معهم إلى أين ارتحلوا ليعبدوا فيه المولى جل وعلا فيبادروا بإحضار مقدار كثير من المواد والمعادن النفيسة والجواهر الثمينة وأقاموه وزخرفوه بهما ورفعوا فيه المحاريب وجعلوا فيه الأواني المقدسة واشتغل بالعمل فيه عمال كثيرون تحت إدارة رجلين من أرباب الفن والانقان منهم يدعى أحدهما باسم (بيساليل) من سبط يهودا والثاني (أويالياب) من سبط دان وأمر عوا في إنشائه حتى تم عمل بنائه وأمكن تركيبه وإيقافه لله سبحانه في السنة الثانية من عهد خروجهم من ديار مصر وكانت تلك الخيمة شبيهة بالخيام ذات الرونق والرفاهية التي كان يتخذها ليمتاز بها مشايخ عرب البادية في ذلك العصر غير أنها كانت من داخلها مطبقة بخشبية من كبة من الواح من الخشب مكسوة بطنافس ملونة تزداد بها متانة وهي على شكل مربع مستطيل أطول أضلاعه متجه من المشرق إلى المغرب يشتمل في باطنه على المكان المقدس أي بيت الله الأصلي وهو المبرع عنه بالمحراب الحقيقي يحيط به من جميع جهاته ساحة متسعة غير مسقوفة يوجد على جانب منها ما يعرف بماعناه (محراب الاضاحي أو القرابين) متخذا من الخشب المطبق بصفائح من نحاس كانوا يذبحون عليه الذبائح فسر بان الله سبحانه وتعالى وحوض متسع متخذ من المعدن المذكور كان احبار اليهود يغسلون أيديهم وأرجلهم فيه قبل

قبل ان يقرنوا من محراب الاضاحى او القرايين وقبل ان يدخلوا المحراب الاصلى والمحراب
 الاصلى المذكور منقسم من داخله الى مكانين منفردين بسبب ترمس القماش المخيش الفاخر
 احدهما (البيت المقدس) والثانى (البيت الاقدس) اما الاول فلم يكن فيه من قبيل الامتعة
 المقدسية غير ثلاثة اشياء وهى اولاً ما يدعى عندهم بمامعناه (لوحة فطيرة العرض) وهى من
 خشب مكسو بالذهب كان يوضع عليها فى كل يوم سبت اثنتا عشرة فطيرة من غير خميرة
 يقدمها الاثنا عشر سبطاً من بنى اسرائيل لله سبحانه وتعالى على سبيل التقرب والتجليل
 ثانياً (شعبدان الذهب ذو السبعة افروع) الشهير ثالثاً (المحراب المنقل الصغير) وهو
 مصطنع من خشب مكسو بصفايح من ذهب كانوا يوقدون فيه انواع الطيب وقد بقيت صورة
 كل من المحراب الصغير والشعبدان المذكور منقوشة فى جبهة النقوش البارزة المصورة على
 باب النصر المعروف فى مدينة رومية الكبرى بباب نصر القيصر طيبة وس اشارة الى أن هذين
 المتاعين كان القيصر المذكور قد أخذهما فى جملته الاسلاب التى كان قد استلبها من مدينة
 القدس بعد استيلاء الرومانيين عليها ووجد أيضاً على بعض عمارات مصرية من اعمال الفراعنة
 السالفين صورة لوحة قربان من الخبز لاهتهم المعبودين والظاهر ان لوحة فطير الاسرائيليين
 كانت قد علمت على مثالها وصنعت على منوالها واما البيت الاقدس فلم يكن مشتقاً على
 شئ غير ما يسمى بمامعناه السفينة المقدسة او تابوت العهد او صندوق الشهادة وهو الموضوع
 فيه صحف التوراة المكتوب فيها الاوامر العشرة المنزلة على موسى عليه السلام وذلك اشارة
 الى ما انعقد من العهد بين الله سبحانه وتعالى وقومه (يهنى بنى اسرائيل) وهو عبارة عن
 صندوق متخذ من خشب لا يعتبره الفسادمكسو او صفايح من الذهب وقد ورد له ذكر فى
 التوراة بوصف غير تام ولا متضح والظاهر ان بنى اسرائيل كانوا قد اتخذوا تابوت عهدهم هذا
 على مثال ما حصل عليه العثور فى الهيكل المصرية القديمة ودلت عليه نقوشهم البارزة
 الفخيمة مما أطلق عليه لفظ النواويس (جمع ناوروس) وهو عبارة عن مصلى صغير منقل
 ومعبد مختصر من تحمل متخذ من خشب يشتمل على بيت الصنم يوجد فى كل هيكل من هياكلهم
 العظيمة وكانت نواويس المصريين هدهد مغلقة الابواب على الدوام والاستمرار وفيها صورة
 الصنم الذى اعد لعبادته الهيكل بحيث لا يراه أحد من البشر وكأنه كان فى اعترافهم محل سكنه
 وموضع وطنه واما البيت الاقدس من تابوت عهد العبرانيين المذكور هنا فقد كان كذلك
 ليس لأحد من بنى اسرائيل أن يدخله غير موسى عليه السلام والخير الاعظم (المعبر عنه عند
 اليهود بالخطام) ولا يباح لهم الدخول فيه الا فى بعض ايام معينة من السنة ولم يكن فى داخله
 صورة ولا تمثال من هذا القبيل مطلقاً لكون شريعة موسى كانت تحرم تصوير الله سبحانه
 وتعالى باى صورة محسوسة ولا هيئة مادية ايا كنت اجتمنا بالخطر الوقوع فى عبادة الاصنام
 وغاية ما هنا ان موسى عليه السلام كان قد وضع فيه صحف الاوامر العشرة التى كان قد

انزلها الله عليه على سبيل كونه اهل الالهة المرئية والعلامة الحسية للعهد الذي انقضى
بنى اسرائيل والحضرة الالهية العلية (هـ)

المسئلة الثالثة

مطلب — الكلام على الجرائح أو الجوائح العشر أو الآيات العشر التي ذكر في تاريخ
بنى اسرائيل ان الله سبحانه وتعالى اصاب بها فرعون وقومه من اهل مصر معجزة لموسى
عليه السلام (معر بأيضاً من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان
قال المؤرخ المذكور وأعله في هذا المقام ما تعرب به أدناه ومع ان موسى وهارون انما
خلبا من فرعون مصر ان يرسل معهما بنى اسرائيل الى البلاد ليقربوا الى الله سبحانه وتعالى
القرايين في الصحراء فقط كان فرعون المذكور قد امتنع من اجابتهما مع الاحتقار لهما
وبدلاً عن أن يسمح بادنى حرية لبنى اسرائيل كان قد زادهم من الاعمال الشاقة التحميل باثقل
حمل ثقيل ولذلك كان الله سبحانه وتعالى قد اصاب تلك البلاد على يد موسى عليه السلام بعدة
جوائح أو مصائب الهية اشتهرت بما معناها جرائح مصر العشر أو الآيات العشر وورد لها في
التوراد على هذا الترتيب المسطر بعد اوضح الذكر وهي

(الاول) ان ماء النيل قد تغير وتلون بلون الدم الاحمر وصار كره الرائحة حتى صار باسحة

يضن واضطر اهل مصر لان حفروا آباراً ليأخذوا منها الماء للشرب

(الثاني) ان الضفدع قد كثرت نواحي مصر حتى ترتب على كثرة لاهاليها ما لا يطاق من الضر

(الثالث) ان الناموس قد كثرت حتى عم بالعذاب الناس والدواب

(الرابع) انه انتشر في جميع الديار والغيطان أنواع هوام أخرى من هابنات وردان المعروفة

بالصرصر غير ما ذكر فالتفت المزارع واضرت بمحصولات الفنون والصناعات

(الخامس) انه حصل موتان نفق بها كثر المواشى والحيوان بتلك البلدان

(السادس) انه كان يعلو ابدان الناس والدواب بثور ودما مل شديدة الالتهاب

(السابع) انه قد تواتر على الارياض نزول برد كثيف مصحوب بالبرق والرعد

(الثامن) انه قد انتشر بجميع نواحي مصر جراد كثير اناف جميع المزارع التي كانت قد

سلمت من البرد

(التاسع) انه قد كان خيم على سائر جهات الجوبديار مصر ظلام كثيف نشأ كما يظهر

عن رياح عاصفة حملت معها غباراً من الرمل

(العاشر) انه قد حصل على حين فجأة من اهل مصر و باء قتل سائر الاطفال المولودين جديداً

في ذلك العصر

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان ما معناها وهذه الجوائح المذكورة

اعلاه هي التي قد تعثرى اقليم وادى مصر في كل مدقة من الدهر وهي معهودة لهم من سالف العصر وحينئذ فعدها من الآيات الالهية والمجزات النبوية انما هو من حيث كثافتها الخارقة للعادة المعهودة واجتماعها في مسافة من الزمن غير مدبدة ولما رأى ذلك فرعون مصر ندب على ما فعل واشتد به الخوف فالتمس من موسى وهارون ان يطلبه من الله توقيف تلك المصائب ففعلوا وأجاب الله دعوتهم وما ازال الخطر عاد الى ما كان عليه من القساوة والشرحتى هلك سائر الاطفال في جميع نواحي ملكته ولحق الموت ذات ولده فانحلت عرى عزيمته واخلى سبيل بني اسرائيل (٥)

المسئلة الرابعة

مطلب — ذكر نبذة مختصرة فيما يتعلق بحالة بني اسرائيل العلمية وما اثر عنهم من العلوم العقلية والنقلية — من العلوم ان هذه الامة قد كانت هي بيت النبوة ومعدن الرسالة من عهد آدم وجمهور الانبياء والرسل منهم — ولذلك لم يشتهروا الا بالعناية بالعلوم الشرعية وسير الانبياء فكان أحبارهم اعلم الناس باخبار الانبياء وعندهم أخذ ذلك علماء الصحابة من المسلمين كعبد الله بن عباس وكعب الاحبار وعبد الله بن منبه ولم يشتهر علماء اليهود بالعلوم العقلية ولكن ربما كان في أيام دولتهم من عنى ببعض علوم فلسفية وقليل ما هم ومع ذلك فقد علم ان لهم حسابا دقيقة في تاريخ شربهم ومعاملاتهم لكن لم يعلم هل كان ذلك من نتائج عقول علمائهم أو كان قدر تبه لهم بعض العلماء من الامم الاجانب ثم لما تفرقوا في البلاد بعد ذهاب دولتهم وتفرق جماعتهم وداخلوا الامم الاغراب تحركت هم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب الفضائل العقلية فقال بعض افراد منهم بعض شئ من فنون الحكمة والفوا في العلوم التاريخية منهم يوسف او يوسيفوس مؤرخ اليهود وهو المنقول عنه غير مرة فيما اسفلنا هاهو عنه في التاريخ ما ثور قال المعلم بوليت الفرنساوى صاحب كتاب معجم البلدان ومشاهير ابناه الزمان ما ملخصه ادناه وهو رجل من قواد عساكر اليهود ولود في سنة ٢٧ ميلاد المسيح عليه السلام بمدينة اورشليم من فرقة اليهود المعروفة باسم الفاريزيين كان قد اشتهر خصوصا بما كتبه من تواريخ قومه الاسرائيليين وذلك انه كان قد تقلد من لدن قومه العبرانيين بولاية اقليم جليلية من بلاد فلسطين حين قاموا على الرومانيين (في سنة ٦٧ م) ويعسدان تجلد للعصار في مدينة (يوطابات) مدة مديدة كان قد اذعن للرومانيين بالطاعة فأخذوا القيصر طيطوس الى مدينة رومية الكبرى وهناك اشتغل بتأليف كتاب تاريخه المشهور باسم الآثار اليهودية وقد كان كتبه أولا باللغة السورية ثم باليونانية وهو عبارة عن تاريخ اليهود لغاية استيلاء الرومانيين على القدس وله مؤلفات أخرى في فن التاريخ نقلت كلها الى اللغة اللاطينية ثم الى الفرنسية وتوجد متداولة في ايدي الناس بالبلاد الافرنجية (انتهى باختصار)

يشتمل على جدول زمني يتضمن مقابلة ملوك كل من مملكة بني إسرائيل المتعاصرين
وبيان تاريخ مبدأ ملك كل منهم لزيادة الايضاح والتعيين (معربا كذلك من مختصر
تاريخ القوم اليهود للثورخ فرانسيس لونورمان)

مملكة بني اسرائيل

مملكة يهوذا

اسماء الملوك تاريخ مبدأ ملكهم ق م

اسماء الملوك تاريخ مبدأ ملكهم ق م

٩٧٨	يربعم بن نوبات	٩٧٨	رحبعم بن سليمان
٩٥٧	نوذب بن يربعم	٩٦١	اقنا بن رحبعم
٩٥٥	يعشو بن اخيا	٩٥٨	اسابن افيا
٩٣٢	ايلابن يعشو		
٩٣٠	زمرى		
٩٣٠	عمرى		
٩١٩	احوب بن عمرى		
٨٩٩	احز يو بن احوب	٧١٦	يهوشافاط بن آسا
٨٩٨	يهورام بن احوب		
٨٨٦	ياهو بن عشي	٨٩١	يهورام بن يهوشافاط
٨٥٨	يهو يا حاز بن ياهو	٨٨٧	احزيا هو بن يهورام
٨٤٢	يواش بن يهو يا حاز	٨٨٩	عثلياهو بنت احوب
		٨٨٩	يواش بن احزيا هو
		٨٣٩	اماصياهو - بن يواش
		٨١٠	عز ياهو بن اماصيا
٨٢٧	يربعم الثاني بن يواش		
٧٧٣	فترة بدون ملك من ٧٧٦ الى		
٧٧٣	ذكر يابن يربعم الثاني		
٧٧٢	شالوم بن يابس		
٧٧٢	مناعم الاول ابن جادى		
٧٦١	بقيشو بن مناعم	٧٥٨	يوثم بن عز ياهو
٧٥٩	باقح بن ريماليا	٧٤٢	احز بن يوثم
٧٤٢	مناعم الثاني بن بقيشو	٧٢٧	حزقيا بن احز
٧٣٣	باقح مرة ثانية	٦٨٥	منشا بن حزقيا
٧٣٠	هوشاع بن ايلاب	٦٤٢	آمون ابن منشا
		٦٤٠	يوشابن آمون
٧٢١	زوال مملكة بني اسرائيل	٦١٠	يهو يا حاز بن يوشيا
		٦١٠	يهو ياقيم بن يوشيا
		٥٥٥	منعم الثاني

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الثالث من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عمومية

- ١ - ما مرتبة الامة اليهودية بالنسبة لمن جاورها من الامم السالفين من حيث الحوادث السياسية وما مرتبتها من حيث الدين
- ٢ - ما الفرق بين التاريخ الاثرى والبشرى وما معنى كل منهما وما المراد بتاريخ العبرانيين وكيف ينقسم وما العهد القديم وما العهد الجديد
- ٣ - ما الذى يقتضيه الترتيب الطبى من تعقيب تاريخ وادى النيل بتاريخ العبرانيين وما الهية معرفة تاريخهم بالنسبة الينامعاشر المصريين
- ٤ - ما الذى يقتضى ذكره من الكلام على تواريخ العبرانيين من حيث التاريخ العام

مقدمه

- ٥ - ما المراد من لفظ آسية وما اقسامها الاصلية وما المراد بآسية الصغرى والكبرى وآسية الغربية
- ٦ - ما المراد بالشام وارض كنعان وفلسطين عند الامم المتقدمين والمتأخرين وما منظرها وما فيها من الجمال والانهار والبحيرات والمانن الكبار
- ٧ - ما المراد بالعبرانيين واليهود وبنى اسرائيل والاسرائيليين وما النسبة بين هذه الالفاظ وما أصل اسم اليهود

الفصل الاول

- ٨ - ما اصل منشأ الامة العبرانية في الزمن القديم وما قصة ابينا ابراهيم ولوط عليه الصلاة والتسليم
- ٩ - ما قصة يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبنى اسرائيل بمصر في سالف العصر
- ١٠ - ما قصة موسى وهارون وما جرى على ايديهم من خروج بنى اسرائيل من مصر في ذلك العصر
- ١١ - ما حقيقة شريعة موسى بالنسبة لشرائع الامم المتقدمين في ذلك العصر وما هي الاوامر العشر
- ١٢ - ما المراد من قانون السنة السبعية والمدة الخمسينية وماذا ترتب على اجراء هذين القانونين من تحسين احوال الامة العبرانية وماذا كانت حالة اللبوين بين اظهرو

- ١٣ - كيف كانت حالة موسى مع بني اسرائيل في وادي التيه واين مات وماذا اثر عنه في التوراة من القصيد الذي انشاه حين حضرته الوفاة
- ١٤ - ماهي الترتيبات التي وضعها موسى عليه السلام لبني اسرائيل قبل الوفاة

الفصل الثاني

- ١٥ - بماذا يزكرو شع عليه السلام وكيف فتح بيني اسرائيل الشام وكيف اقتسموها بعد ان توطنوها
- ١٦ - كيف كانت حقيقة حكومة العبرانيين بالشام في أول أمرهم وما المراد بقدماء بني اسرائيل أو مشايخهم وقضاةهم أو حكامهم
- ١٧ - كم كان عدد قضاة بني اسرائيل ومن كان اشهرهم وابعدهم صيتاوا اكبرهم
- ١٨ - بماذا اشتهر عثنيال واهوذ والمرأة المشهورة باسم ديبوره وجدعون وابيماخ وبنحاش وشمشون الجبار وعالي الكاهن وشمويل وما أصل تملك شاول او طالوت على بني اسرائيل

الفصل الثالث

- ١٩ - ما كيفية تملك شاول او طالوت على بني اسرائيل وكيف كان سلوكه من جيل ورجل
- ٢٠ - كيف كان منشأ داود وما قصته مع شاول او طالوت ومع جالوت
- ٢١ - كيف تملك داود على بني اسرائيل من بعد وفاة شاول او طالوت وكيف كانت مدة ملكه عليهم وكيفية سلوكه فيهم
- ٢٢ - ما كيفية حكمة القوم المعروفين بالفلسطينيين واين كانت منازلهم من ارض فلسطين وماذا فعل داود بهم وبغيرهم من اعداء بني اسرائيل الذين كانوا لهم مجاوزين
- ٢٣ - كيف كانت حدود ملك داود عليه السلام وماذا احدث للمادة تجارة بني اسرائيل من المساعدة والتسميل
- ٢٤ - ماذا ترتب على قصة داود مع احد قوادعسكر المدعو باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بتسبا) المشهورة من الحوادث التي هي في التواريخ منذ كوره
- ٢٥ - ما قصة خروج اشلوم بن سليمان على ابيه وما قصة خروجه وولده الآخر المدعو باسم عادونياش ايضا عليه
- ٢٦ - ما تاريخ وفاة داود عليه السلام وماذا انشأ عن ملكه في احوال بني اسرائيل من النتائج والترتيبات بعد ان مات
- ٢٧ - هل كان داود ملكا فقط كما قديقال أم كيف كان الحال

- ٢٨ - كيف كان تملك سليمان على بني اسرائيل من بعد ابيه داود وكيف كان حاله مع الملوك المجاورين له وبماذا ابتدى مدة حكمه وما حد وملكته وكيف كانت حالة بني اسرائيل في ايام دولته
- ٢٩ - من الذي انشأ بيت المقدس وعلى أي رسم كان انشاؤه وبأي وسيلة وكيف كان تشييده وبنائه
- ٣٠ - ماهي المباني والعمارات التي بناها سليمان عليه السلام غير بيت المقدس السالف عليه الكلام
- ٣١ - كيف كانت درجة ملك سليمان عليه السلام من الهيبة والاعظام وماذا ترتب على امتداد صيته وهيبته من دخول الممالك المجاورة له تحت طاعته
- ٣٢ - ما قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام
- ٣٣ - كيف كانت حالة المعاملات التجارية بين بني اسرائيل والممالك الاجنبية في عهد سليمان عليه السلام
- ٣٤ - ماذا قيل في حق سليمان مما يخالف شريعة موسى عليه السلام كما هو في التوراة من ذنوبه وماذا ترتب على ذلك في بني اسرائيل من الفتن وايفار الصدور
- ٣٥ - ماذا كان يربعم بن نوبات وما قصته مع سليمان عليه السلام
- ٣٦ - ماذا قيل بشأن حكمة سليمان في سالف الاوقات وماذا يؤثر عنه من الكتب والمؤلفات
- ٣٧ - ما قصة اعتزال الاسباط العشرة عن سائر اليهود وكيف كان خروجهم عن دولة آل داود
- ٣٨ - ما تفصيل قصة تفرق دولة بني اسرائيل الى دولتين وتفرق مملكتهم الى مملكتين
- ٣٩ - ما المراد بقول المؤرخين من هنا فنار المملكتين في مقابلة مملكة يهوذا وبنيامين
- ٤٠ - ماذا ترتب على تفرق مملكة العبرانيين بالشام من المصائب والالام

الفصل الرابع

- ٤١ - من الذي تولى مملكة بني اسرائيل ويهودا بعد تفرقها - ما امر الملوك وماذا كانت حالة كل واحد منهم من طريقة السلوك - يربعم بن نوبات - رجبعم بن سليمان آفيا - اسا - نوب - يعشو - زمري - عموي
- ٤٢ - ما اصل مدينة سمريه في سالف الجبل وجعلها قاعدة مملكة بني اسرائيل
- ٤٣ - ماذا قيل في حق اخو ملك بني اسرائيل من الذكر الرذيل
- ٤٤ - ماذا قيل في حق يهوذا وملك يهوذا من الذكر الجميل
- ٤٥ - بماذا يذكر اخوت ملك بني اسرائيل من الذكر الويليل

- ٤٦ - بماذا يدكر يهورام بن يهوشافاط وكيف كان تأثير زوجته عثليا هو عليه
 ٤٧ - بماذا ذكر اخزيا وملك يهودا وهورام ملك بني اسرائيل وماذا فعل ياهو وبما
 ذات كرا المرأة الطاغية المسماة باسم عثليا هو
 ٤٨ - كيف تقلد ملكة يهودا يواش وكيف نجح من مقتلة بني داود وعاش وكيف كان
 سلوكه الى ان مات
 ٤٩ - كيف كان سلوك امصيا هو بن يواش - وعزيا هو - ويوشم - وآحاز - وخرقيا
 ٥٠ - كيف كان حال ملكة بني اسرائيل في مدة ملكة يهودا المذكورين اعلاه
 يهوياحاز - يواش بن يهوياحاز - بر بعم الثاني - ذكر يابن بر بعم الثاني - شالوم
 مناعم - يتحيو - قاقح - هوشاع
 ٥١ - ما اصل منشأ الفرقة المعتزلة من اليهود المسماة بالسامرة والسامريين

الفصل الخامس

- ٥٢ - ماذا كانت حالة ملكة يهودا من العظمة وعلو الشأن اذ كانت ملكة بني اسرائيل
 قد اخذت في الانحطاط والهوان
 ٥٣ - بماذا يدكر خرقيا ملك يهودا من الذكرا الجميل وماذا يدكر في ايامه من حادثه
 مجزة النبي اشعيا من انبياء بني اسرائيل
 ٥٤ - بماذا اشتهر منشأ الكفر والعصيان وعبادة الاوثان ومن الذي حسم
 مادة الاستقلال الظاهرية التي كانت قد آلت اليها طالة الدولة العبرانية في تلك
 الحقبة الزمنية وما قصة المرأة المشهور باسم (توديت) الاسرائيلية
 ٥٥ - بماذا يدكر امون ويوشيا والى مآلت حال ملكة بني اسرائيل في عهد هذا الملك
 الاخير من الضيق والتأخير يهوياحاز - يهوياقيم - والنبي ارميا
 ٥٦ - ماذا فعل بختة مصر بالقدس - يخنبو - صدقيا - جودلياس - اسماعيل

الفصل السادس

- ٥٧ - ما قصة النبي دانيال وماذا كان عليه بنو اسرائيل بعد الاسر الاكبر من الاحوال

تمة

المسألة الاولى

- ٥٨ - ما الطريق التي سلكها موسى ببني اسرائيل في سفره من مصر الى الشام وماذا
 قيل في عددهم وما المن والسلوى اللذين اترهما الله عليهم وغير ذلك مما يتعلق بهم

المسألة الثانية

٥٩ - ما المراد بقبة العهد والمظلة وما أول هيكل تأسس في بني اسرائيل على هيئة منتقلة
وما صفة ذلك الهيكل حسب ما جرى عليه من عهد موسى العمل

المسألة الثالثة

٦٠ - ماهي الجرائم او الآيات السبع التي ابتلى الله بها ديار مصر في سالف الايام
وما حثيثة كونها معجزة لموسى عليه السلام

المسألة الرابعة

٦١ - كيف كانت حالة بني اسرائيل العقلية وماذا أثر عنهم من العلوم العقلية
والنقلية

تذييل

٦٢ - جدول تعاصر ملوك مملكتي يهودا و بني اسرائيل من القوم العبرانيين وبيان
تاريخ جلوس كل واحد منهم على سرير الملك ببلاد فلسطين



الباب الرابع

في تاريخ الاسوريين والبابليين واهل بلاد العراق وكرديستان السالفين

اعنى تاريخ دولة النماردة ببلاد العراق وهى بلاد كادة ونيوى والسريانيين وهم النبط او النبطيون وبلاد الجزيرة المسماة عند اليونان فى سالف الرمان باسم الميزوبوتامية اى بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) وهى احد العراقين (العربى والعجمى) من تلك الجهات واصل مأخذ هذا الباب من عدة موارد

(اولا) من كتب التواريخ القديمة المدرسية اى التى كان جاريا عليها التعليم بالمدارس الاوروبية وهى القطع الباقية من تاريخ المؤرخ الكلدانى اليونانى المشهور باسم (بيرون) فى ضمن الجزء الثالث من مجموع القطع التاريخية اليونانية المطبوعة بمعرفة الطابع الفرنساوى الشهير باسم (ديدو) وتاريخ المؤرخ هيردوت اليونانى وديودور الصقلى وغيرهما (ثانيا) من تحقيقات علماء الافرنج المتأخرين والسياحين الاوروبين والعصرين فيما يتعلق بالبحث عن الاثار السريانية القديمة وكيفية قراءة القلم السريانى المسمى ايضا بالخط السنانى اى الذى هو على شكل سنان الرمح او المسامير وهم ارجال المشاهير باسم (نوته) و(دوسولسى) و(اوبير) و(مينوت) من الفرانسييس و(اسيار) و(راولنسون) و(نوريس) من الانجليز وغيرهم

افكار تقديمه وقوائده عمومه

قد ذكرنا فى ضمن المسألة السابعة من تمة الباب الاول المتعلق بتاريخ الاعصار الاولية والازمان الاصلية نقلا عن مختصر التاريخ القديم للوزير الفرنساوى المعروف باسم ويكتور دوروى الشهير ما يفيد ان اقدم الدول التى تأسست بعد الصوفان فى سالف الارمان قد كان بوادى النيل ووادى دجلة والفرات اعنى دولة الفراعنة بالديار المصرية ودولة النماردة ببلاد العراق وبابل وبلاد الاسورية وحيث اسلفنا الكلام فى الباب الثانى والثالث على تاريخ قدماء المصريين والعبرانيين الذين كانوا لهم من الامم المجاورين من اوائل امرهم بعد الطوفان فنازلنا لغاية استيلاء دولة الفرس عليهم فى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد لزمنا ان نضع دهره تامة فى ميدان تلك الازمان لنتتبع كذلك تاريخ البابليين والاسوريين المعبر عنهم فى كتب المؤرخين المسلمين بالسريانيين او دولة النماردة ببلاد العراق

والجزيرة والكلدانيين ومن انحاز اليهم في تلك الاقطار من اوائل تلك الاعصار فنازلا لغاية تغلب دولة الفرس عليهم (في سنة ٥٣٣ ق م)

وقبل الشروع في تاريخ البابليين والاسوريين يلزمنا حسبما جرت به عادة المؤرخين كما فعلنا فيما يتعلق بوصف وادى النيل وما يليه من بلاد الشام وفلسطين ان نذكر بعض معلومات جغرافية وفوائد تعريفية فيما يتعلق بما يعبر عنه في اصطلاح العلماء الجغرافيين بحوض دجلة والفرات او بلاد ما بين النهرين وذلك كما اسلفناه في الابواب السابقة لتتصد تعريف المكان قبل السكان راجعين بالنقل في هذا الباب عن مختصر تاريخ البلاد الشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد رتبناه ايضا على مقدمة وعدة فصول فتقول

مقدمة

في بعض معلومات جغرافية وفوائد تعريفية تتعلق بالاقطار الفراتية

مطلب - وصف حوض دجلة والفرات وما اشتمل عليه من الممالك والولايات قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخ البلاد الشرقية والهند ما يعرب به بعد ان سلسلة الصحارى العظيمة الخارقة من المغرب الى المشرق للنصف الشرقي من الكرة الارضية تمتد من عند البحر المحيط الغربى المسمى بالاقويانوس الاطلنطيق لغاية الجزء المعروف باسم (هوانجهاى) او البحر الاصفر الذى هو جزء من البحر الصينى وتنقطع اول مرة عند الحدود الفاصلة بين افريقية وآسية بوادى النيل ثم تستمر الى جهة الشرق حتى تنقطع مرة ثانية عند مركز اتساعها عرضا بواحة ثانية هي اوسع من الواحة النيلية اى الديار المصرية غرب انهابها يست باقل منها من حيث الخصوبة الارضية وذلك المكان هو فى الحقيقة حيث تتبدل طبيعة ارض الصحارى وتتحول من هيئة سهل منخفض الى صورة هضبة مستوية مرتفعة جدا ونهر ارجل و الفرات هما اللذان تتكون منهما تلك الواحة حيث كانا بما هما حولها محيطان وهذه الواحة الكبيرة هي التي كانت تسمى عند بنى سام السالفين باسم النهرين وعند اليونان باسم (الميزوبوتامية) ومعناه ايضا ما بين النهرين بمعنى الجزيرة ويطلق عليها عند العرب اسم الجزيرة على وجه الاطلاق وهي خلاف جزيرة العرب كما هو معلوم عند أهل اللغة والادب وهي التي تسمى ايضا في تديم الآثار الواردة فى التوراة باسم بلاد (سنعار اوشنغار) (بالسين والعين المهملتين او بالشين والغين المعجمتين) ومتبوع كل من هذين النهرين فى مكانين متفاربيين احدهما من الاخر يجانبي الجبال المسماة فى سالف الزمان باسم

جبال (نيفاتيس) ونسبى الآن باسم جبال (كاشين) ببلادارمنية وهم الولايجريان في اتجاهين هما بالكلية متخالفان ثم شيئاً فشيئاً يتقاربان حتى يصير امتوازيين وبعد ذلك في مجرى واحد مجتمعان ومن ذلك المكان يسمى مجموعهما باسم (شط العرب) الآن وهما في الخليج الفارسي معا يصبان

وتنقسم الجزيرة الفراتية المذكورة لداعى اختلاف تركيب طبيعة طبقتها الارضية العلوية واختلاف منظر رساقيةها الزراعية ودرجة خصوبتها التى هى كخصوبة ارض مصر مشهورة الى قسمين متباينين (احدهما) الجزيرة الشمالية وكانت تشمل اولا على الولاية المعروفة عند السلف ببلاد (اونروينة) وهى البلاد التى كانت قاعدتها المدينة المشهورة باسم (ايديس وانطاكية) المسماة باسم (اورفة) الآن (وثانيا) على الولاية التى كانت تسمى في سالف الاحقاب العصرية ببلاد الاسورية (نسبة الى آسور بن سام بن نوح عليه السلام وقد يعرب بلفظ سريان وتنسب اليه اللغة السريانية) وفى مكانها ما يدعى الآن ببلاد كردستان وقد كانت قاعدة تلك البلاد الاصلية مدينة (نينوى) (وهى مدينة قوم النبي يوتس عليه السلام) ومن عدائنها الكبيرة واما كنها الشهيرة اربل ولاريس وارتميت وغيرها ومجموع بلاد اسروينة والاسورية كما عباره عن سهل كبير تتركب ارضه من مادة جيرية لا تصلح للزراعة الا فى الاماكن التى يوجد فيها منابع مائية او مجرى ماء غزير وباقي ارضه المتسعة هى من قبيل الصحارى الاصلية لم تزل من سالف الاعصار غير متزرعة بخلاف القسم الثمانى وهو الجزيرة الجنوبية التى هى عبارة عما يشتمل على بلاد بابل او بلاد البابية الاصلية وهى البلاد المنحصرة فيما بين دجلة والفرات من عند جنوب بلاد الميزوبوتامية او الجزيرة الحقيقية الى حد ملتقى النهرين المذكورين وعلى ما يدعى ببلاد كادة وهى البلاد التى نلى ما تبقى النهرين الى حد الخليج الفارسي وقد يعبر ببلاد البابية عن سائر بلاد الجزيرة الجنوبية اعنى عن بلاد بابل وكادة معا وهما المعتبر عنهما ايضا الآن ببلاد العراق العزبي في مقابلة العراق العجمي او الفارسي الذى هو من ضمن بلاد فارس المسماة الآن ببلاد ايران ومجموع بلاد بابل وكادة المذكورين هو ايضا عبارة عن سهل كبير غير أنه اسفل من السهل الاول يسير وتتركب ارضه من الطينة الحادة المجلوبة من الجهات العلوية مع مياه النهرين المذكورين حيث كان من عند ابتداء هذا القسم الثانى متقاربين ليس بينهما من البعد غير مسافة من حلة واحدة وبظهور اعين الرأى منظر تلك البلدان من ذلك المكان فى هيئة مرج متسع عظيم لا يحتاج لغبر الرى حتى ينزرع وياتى من المحصول بمقدار جسيم وتبلغ الحرارة فى فصل الصيف الى درجة شديدة جدا حتى على ذات المشاركة بذلك الاقليم واما الشتاء فهو فيه معتدل الهواء فى غاية اللذة والهناء ويقبض ماء دجلة والفرات فى اوقات دورية من السنة فيروى الاراضى

المتخفضة غير انه لايجلب اليها طيننا يسب عليها كالنيل ومع ذلك فلوتدبرت طريقة الرى الطبيعية هذه بطريقة هندسية صناعية كما كان ذلك حاصل في سالف الحقب العصرية لصارت بلاد كلدان الى الآن هي البستان الجميل في سائر الاقطار الآسيوية فقد كان الارز والشعير في سالف الازمان يأتيان من المحصول الواحد بالمائتين واما الآن فلداعى اهمال اعمال الترع والجسور لا يأتي المحصول الا بنحو العشر من محصول سالف الاعصار وليس في تلك البلاد اشجار غير الخيزل وقدير يكون منها غابات عظيمة قد تكون متسعة مسعة جسيمة جدا (انتهى معربا من مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند للثورخ فرانسيس لونورمان)

مطلب - تعريف الماراد من بلاد الآسورية في سالف الحقب العصرية قد فهم مما توضح اعلاه ان ما يعبر عنه ببلاد الآسورية في سالف الحقب العصرية هو البلاد المحدودة من جهة الشمال ببلاد ارمنية ومن جهة الشرق ببلاد فارس وبلاد المبدية ومن جهة الجنوب بالخليج الفارسي ومن جهة الغرب ببلاد الشام وجزيرة العرب وان تلك البلدان يخترقها طول نهران عظيمان وهما (أولا) الفرات وقد كان موضوعا على هذا النهر في سالف الازمان من مشاهير المدن والبلدان كل من مدينة (يتسالك) (وهي المعروفة الآن بالدير) وقريه (كونا كسه) ومدينة بابل الشهيرة في تلك الازمان (ونانيا) نهر الدجلة وقد كان عليه مدينة نينوى وكانت أيضا من أشهر البلدان في سالف الازمان ومصب النهرين واحد كما سلف بذلك التوضيح والبيان وقد كانت تنقسم بلاد الآسورية هذه الى ثلاثة اقسام اصلية (احدها) بلاد الآسورية الحقيقية ويقال لها بلاد نينوى او البلاد النينوية ومدنه الاصلية نينوى واربل (الثاني) بلاد الميزو بوتامية بمعنى الجزيرة او شام ما بين النهرين ومدنه الاصلية مدينة (ايديس) وهي انطاكية المسماه الآن اورفة وهي المسماه أيضا بالرها ومدينة (ناز) وهي المشهورة في النوراة لداعى اقامة ايراهيم عليه السلام فيها باسم (هاران) ولم نزل نعرف بهذا الاسم لغاية الآن (الثالث) بلاد بابل او البلاد البابلية ومدنه الاصلية بابل وكونا كسه وقد يطلق على مجموع هذين القسمين الاخيرين اسم بلاد كلدان او الكلدانيين هـ. ذاما كان يفهم من اطلاق لفظ بلاد الآسورية واقسامها الاصلية عند الامم المتقدمين

مطلب - ذكر الولايات المشمولة في حوض دجلة والفرات ووصف تلك البلدان على حسب ما هي عليه الآن (معربا من جغرافية المعلم قورتنبير الكبرى الساعة المذكور والبيان - اعلوا ايها الاخوان ان البلدان والاقطار التي كان يعبر عنها باسم الجزيرة والآسورية والبابلية وكدان في سالف الاعصار هي عبارة الآن عن سائر الولايات او الايالات بمعنى الاعمال (جمع على معنى ولاية) أي البلاد المنصوب عليها

الدرس الثام ٢٣١ في التارخ العام

عامل اووال من طرف دولة كبرى وهى دولة بنى عثمان الآن بالنسبة لجميع تلك البلدان التى هى من جملة بلاد آسية الغربية المعدودة من جملة ما يعبر عنه فى هذا الزمان باسم تركية آسية او الولايات العثمانية ببلاد آسية الغربية كما سبق لذلك فى مقدمة الباب الثالث من بعض توضيح و بيان وذلك عبارة عن بلاد ارمنية العثمانية (فى مقابلة ارمنية الروسية اى البلاد الكائنة تحت سلطنة قيصر الروسية من ارمنستان) مع بلاد الاكراد و كردستان ثم بلاد الجزيرة و بلاد العراق العربى المعبر عنه ايضا ببلاد السواد من تلك البلدان و صفة تمامها فيها من مشاهير المدن و البلدان على حسب ما هى عليه الآن كما وصفها العالم الجغرافى الفرنساوى المشهور باسم تورنبيير فى كتاب جغرافيته الكبرى هو كما يأتى بعد بالتفصيل و البيان

ان ارمنستان العثمانية و كردستان فهما على شرقى بلاد آسية الصغرى يمتدان و كلاهما متكون من اراض مرتفعة جدا هنى اكثر من سائر الممالك العثمانية ببلاد آسية الغربية ردا فى جهة الجنوب منها اعنى فى البلاد التى تعرف فى سالف الاحقاب العصرية باسم بلاد الاسورية قد يوجد سهول حارة و اراض مستوية مخصصة لسارة و يوجد بارمنستان الآن من مشاهير المدن و البلدان المدينة المعروفة على لسان الاتراك بمدينة (ارظروم) (محرقة عن أرض الروم بقاب الضاد ظاه) وهى حاضرة كبيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠٠٠٠ نفس و يصطنع بها اجود الاسلحة التركية البيضاء و مدينة (كارس) وهى قلعة حصينة معروفة بمقاومة عملية حصار شهيرة حصلت عليها من الجنود الروسية فى سنة ١٨٥٥ الميلادية و مدينة (وان) الكائنة على الشاطئ الشرقى من بحيرة وان وهى موضوعة على القرب من مكان المدينة التى كانت تسمى باسم (سيمارا و سرتيه) فى سالف الزمان ثم مدينة (ديار بكير) المسماة ايضا باسم (آمد) وهى مدينة كائنة على نهر الدجلة يبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نفس و بها معامل شهيرة باتقان صناعة

اقشة الحرير و جلود السحتيان

و من مدن بلاد الاكراد و كردستان الشهيرة المدينة المعروفة بالوصول وهى مدينة كبيرة موضوعة ايضا على نهر الدجلة قرب يمان المسكان الذى كانت فيه مدينة نينوى فى قديم الزمان و اول من استكشف اثار هذه المدينة العتيقة بالقرية المعروفة هناك باسم قورازاباد فى سنة ١٨٤٣ من الميلاد رجـل فرنساوى يسمى باسم (بوتيه) كان منصوبا بوظيفة قنصل دولة فرانسة بملك البلاد ثم استكشف جماعة آخرون سائر اطلال هذه المدينة الشهيرة على عدة اما كن كثيرة خصوصا بالقرية المعروفة باسم (كيونحك) وعلى الجنوب الشرقى من المدينة المذكورة توجد مدينة ار بل وهى من سالف الازمان بهذا الاسم مشهورة ولا سيما بما وقع فيها فى قديم الاعمار للاسكندر على دارا من الظفر و الانتصار

واما بلاد الجزيرة وتسمى (ايضا باسم الميز وبه تسمية بمعنى ما بين النهرين) لكونها مخصصة في الواقع ونفس الامر فيما بين دجلة والفرات فليست عبارة عن سائر البلاد التي تتكون منها الجزيرة الكائنة بين النهرين المذكورين ولا تمتد الى حد ملتقاهما بل يطلق لفظ العراق العربي على الجزء الاسفل من تلك البلاد المتحصرة بينهما ثم تمتد بعد ملتقاهما على طول مجموعهما المسمى باسم شط العرب لغاية الخليج الفارسي ومجموع هذين القطرين (اعني الجزيرة والعراق العربي) متكون على وجه العموم من اراض خصبة للغاية العليا وانما يوجد فيها بنواحي الفرات بعض سهول جدبة معرضة لدرجة من الحرارة شديدة للغاية القصوى

ومن مشاهير المدن الموجودة ببلاد الجزيرة الآن المدينة المسماة بالرها او اورفه وهي التي كانت تعرف باسم (ايديس) في سالف الزمان ويقال ان الذي اختطها هو الثرودومدينة (هاران) المذكورة في التوراة بهذا الاسم على انها كانت محل اقامة ابراهيم عليه السلام ولم تزل تدعى بهذا الاسم لغاية الآن ومدينة نه يميز المسماة (نيزيبيس) في قديم الزمان

واما بلاد العراق العربي المسماة أيضا بالسواد فاشهر مدنها بغداد الكائنة على نهر الدجلة وقد كانت في الاعصار الوسطى هي اجمع قاعدة لدولة الخلفاء العباسيين ثم انحطت مرتبتها العظيمة وزالت بهجتها القديمة ومع ذلك فلم ينزل بها لغاية الآن نحو مائة الف نفس من السكان وبها اسواق جميلة المنظر جميلة الشأن وعلى القرب منها اثار مدينة (سيلوقية واقطر يقون) الشهيرتين في سالف الزمان وعلى جنوبي بغداد المذكورة مدينة الحلة الكائنة على شاطئ الفرات وهي على القرب من اطلال مدينة بابل المشهورة وعلى البعد منها بقليل الى جهة الشمال الغربي على شاطئ النهر المذكور مدينة (اناه) وهي موضوعة في واحة جميلة كانها بستان من انعم الجنان وفي الجنوب الشرقي منها على مجموع النهرين المسمى بشط العرب مدينة البصرة المشهورة وهي حاضرة كبيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ تعداد اهاليها نحو ستين الف نفس من السكان (انتمى مع رباهن جغرافية قورتنبير الكبرى)

مطلب — تحقيق ما ورد في كتب المؤرخين من ذكر النبط او النبطيين — ذكر المعلم يواييت صاحب كتاب معجم مشاهير البلدان وانباء ابناء الزمان ما معناه في هذا الشأن ان النبط او النبطيين (بفتح النون والياء الموحدين يليهما طاء مهملة في آخره) هم اقوام من العرب الرحال انزالين كانوا تاراه يقيمون بالشمال الغربي من جزيرة العرب

وتارة ينتهبون القوافل السيامية في البوادي والصحراوات الكائنة فيما بين بلاد الشام ونهر الفرات الى ان رماذ كرعهم وقال الجوهري في الصحاح والغيروز بادئ في القاموس وعبارتهما متقاربة مانصه والنمط والنبيط قوم يتزلون بالبطائح بين العراقيين والجمع انباط (كاقباط) يقال رجل نبطي ونباطي ونباط مثل عني ويمان ويمان وحكي يعقوب نباطي أيضا بضم النون وقد استنبط الرجل وفي كلام ايوب بن الفريفة اهل عمان عرب استنبطوا واهل البحر ينبط استعربوا (اه من الصحاح) وزاد في عبارة القاموس قوله ونباطي منلثة الى ان قال وتنبط تشبه بهم او تنسب اليهم (اه) والذي يفهم من كلام المسعودي في مروج الذهب ان النبط والنبيط او النبطيين ليسوا من العرب بل هم من الاسوريين او السريانيين يعني من ذراري قدماء اهل نينوى وبابل وسكان بلاد العراق السالفين الذين نحن بصدر تاريخهم في هذا الباب على خلاق في ذلك وغاية ما يظهر من سائر ما هنالك هو ان لفظ الانباط في كلام العرب عبارة عن بعض سكان بلاد العراق السالفين كما ان لفظ الاقباط عبارة عن قدماء اهل مصر في سائر العصور وقد كانوا مثلهم انا سا اهل زراعة متقنة على اصول محكمة مستحسنة فان من الحقائق المشتهرة والمعلومات المقررة

ما انتشر من قديم الازمنة من قولهم الفلاحة النبطية في مقابلة الفلاحة القبطية

مطب — ذكر بعض ملحوظات تتعلق بالمقابلة بين وادي النيل ووادي دجلة والفرات في كل جيل (معربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروالبيان) قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير ما تعريه بعدمسطور وقد فهم مما سلفناه في هذه المقدمة من الفوائد الجغرافية المسطرة اعلاه ما يوجد من وجوه المشابهة في الاصول الطبيعية لحوض دجلة والفرات مع الديار المصرية ولا سيما بينه وبين القسم المسمى منه باسم كلدة وهي الجهة الجنوبية وبيان ذلك ان كلاهما ارض متكونة من المواد المجلوبة مع مياه النهر من الاماكن المرتفعة الى الاماكن المنخفضة وان كلا من الحوضين المذكورين ذو خصوبة لانظيرها في اقطار الدنيا بتمامها الى درجة بحيث يخرج منه من غير مشقة ولا عمل تقريبا جميع الحواصل اللازمة للاقوات فيما بين البوادي والصحراوات وكل من القطرين مستعد بطبيعته لان يكون مكانا للثأا وائل الجمعيات البشرية وميدان لمبدء الطرق المدنية ولذلك كانت السهول المروية بالنهرين العظيمين الموجودين ببلاد آسية الغربية هي الامكنة التي تداوتها سائر الامم المتقدمة اقواما بعداخرين وتزاحمت على ملكة بلاد آسية جميع الملل من عهد النمرود في سالف العهود لغاية الخلفاء المسلمين وكانت الديار المصرية والجزيرة الفراتية هما سبقا قطرين

في هذه الدار الدنيوية حلت بهما العمارة البشرية واعتق مكانين من اقطار الكرة الارضية نزلت فيهما الجمعية الانسانية وهما في درجة الاقدمية تقر يبا على السوية وان كان لبابل على منف مزيد الاولية فقد كان كل من هاتين المدينتين من سالف الاعصار الغابرة ضربتين متنازعتين وكانت دولتاها خصمين متراجحين تغلب احدهما على الاخرى وتتغلب على سلطنة بلاد آسية الغربية طوراً وطوراً ومن المعلوم ان كلا من نهري النيل والفرات متواصلان بطرق سهلة المرور ودروب غير وعرة العبور يسهل فيها سفر القوافل السيارة الكثيرة ويتيسر بهاسير الجيوش الحرارة الكبيرة ولذلك كان في كل عصر من الاعصار متى تولى دولة مصر رجل ذو شهامة او ملك ذو عزم وصرامة تعلقت همته بالاستحواز على بلاد الجزيرة كأن هنالك قانوناً لا بد منه وناموساً لا يحيد عنه يقضى بعدم امكان وجود هاتين الدولتين المتخاصمتين والمملكتين المتشابهتين في الاصول الطبيعية والموارد المالية اللهم الا في يد واحدة وتحت سلطنة متحدة ومن ثم نرى ان فرعوني مصر طوطميس الثالث وسيتوس الاول بمدينة طيبة الصعيد ويوسف صلاح الدين بالقاهرة ومحمد علي بالاسكندرية لم يكن لهم اشتغال بال على الدوام والاستمرار في سائر الاعصار الا بتوجيه جيوشهم نحو الفرات والاجتهاد في فتوح تلك الاقطار وكذلك الحال في تلك البلاد متى تمكنت دولة ذات قوة وصوله على شواطئ هذا النهر الاخير ببعداد كما كان الحال كذلك ببابل ونيوى في سالف الدهور توجهت اطماعها للتملك على ديار مصر وادخالها في حوزتها برقة الاسر وليس تاريخ بلاد آسية في سالف الايام كما كان كذلك بعدة الاسلام الاعبارة عما يكاد ان يكون مجرد حركة تداول العداوة والشحناء السياسية المستمرة فيما بين دولتي مصر والجزيرة الفراتية متقطعة تلك الحركة فقط في بعض الاحيان بما كان يطرأ عليها في بعض الازمان من الحوادث الوقتية بتداخل بعض الدول الجهادية من الممالك الغربية الاوروبية في حومة ميدان تلك الوقايع الدهرية كما في عصر فتوح الاسكندر الاكبر وعصر الحروب الصليبية (انتهى من كتاب تاريخ بلاد الشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان) وما قيل ايضاً في المقابلة بين الفرات والنيل من الشعر الجميل والقول المنسجم الجزيل قول بعض المصريين واهل الادب المتأخرين وكان قد ابتلى بهجر الاوطان واقام ببلاد العراق مدة من الزمان فقال وتلطف في المقال

بالله قل للتيل عنى انى * لم اشف من ماء الفرات غليلا

وسل العواد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا

ياقلب كم خلفت ثم يمينه * واطن صبرك ان يكون جيلا

وحيث فرغنا مما اردنا ايراده هنا في هذا المقدمة من الفوائد الجغرافية المتقدمة فيما يتعلق

بتعريف حوض دجلة والفرات ساغ لنا ان نشرح في ايراد ما تحقق عند علماء الا فرنج المتأخرين من اخبار تلك الاقطار في قديم الاعصار وذلك في عدة فصول فنقول

الفصل الاول

في تاريخ الجزيرة الفراتية في اعصار الاولوية

مطلب — ذكر اول سكان بلاد كلدانية من الامم الاقدمين في سالف الازمان بعد الطوفان — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخ بلاد المشرق القديم السالف الذكر والبيان اعلاه ما تعريبيه ادناه ذكر بنص التوراة ان اول مكان حصل فيه اجتماع الجمعيات البشرية في سالف الاحقاب البهرية بعد الطوفان هو حوض دجلة والفرات ونص عبارة سفر الخليفة من الكتاب المقدس المذكور هو كذا معربا كما هو بعد مسطور « ولما جاء الامم من جهة المشرق وجدوا لهم رستاقا يبلد شنعار فسكنوه وتوطنوه » (اه) وصرحت التوراة ايضا بانهم في تلك البقعة قد كانوا اختطوا اول مدينة كبيرة حصل انشاؤها على الكرة الارضية في سالف الزمان بعد الطوفان وفي الاقطار المذكورة قد كان وقوع حادثة تبلبل الالسن واللغات وتفرق الامم الى سائر الاماكن والجهات من الارض المعمورة وقد اسلفنا ذكر هذه القصة فيما تقدم من هذا الكتاب وذكرونا انها توجد في الروايات المتواترة ببلاد البابلية كما توجد في التواريخ العيرانية وبعد تفرق الامم المتكونة من نسل نوح عليه السلام في سالف الاقطار كانوا قد اجتمعوا اولاً في السهول المتسعة المسماة في تلك الاعصار باسم شنعار وكان قديمي منهم في تلك السهول شردمة كبيرة متكونة من امم شتى واقوام متنوعة النسب والاصول — هذا ما يظهر من حكاية التوراة كما يشهد به ايضا ما التقطه بغاية العناية ورواه عن اهل البلاد البابلية في ايام الدولة السيلوقية وحكاها في تاريخه من الروايات المتواترة المؤرخ خبير وز وهو حبر كلداني كان قد ترجم تواريخ بلاده من اللسان السرياني الى اليوناني ونص عبارته هكذا « وقد كان اولاً ببلدة بابل او بابيلون جماعة عديدة من الناس يدتسبون الى امم شتى كانوا هم الذين نزلوا ببلاد كلدانية وعمرها واقاموا بها وتوطنوها (اه) الى هنا معربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان (رجع للنقل من مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند للمؤرخ الآف الذكر والبيان)

وبقدر ما تبسر لنا الصعود في غابر الاعصار بدليل ما يمكن لنا العثور عليه من العمارات والآثار نجد ان اسلاف سكان تلك الاقطار كانوا متفرقين الى فرقتين اصليتين وامتين

الدرس الثامن ٢٣٦ في التاريخ العام

مستقلتين تدعى أحدهما باسم (السومير) وكانت متوطنة منها بالنواحي الجنوبية والثانية باسم (الآكاد) وكانت ساكنة بالنواحي الشمالية أما الآكاد فقد كانوا من ولد كوش بن حام ابن نوح عليه السلام وأما السومير فقد كانوا من فرع النسل الانساني المعبر عنه في اصطلاح الاوروبايين بالتوراني الذي هو اصل التتار والفلنديين والترک ومن هذا الفرع أيضا قدماء سكان بلاد السوسية (وهي بلاد ايران المعروفة الآن باسم خوزستان) وكذلك اسلاف بلاد الميديّة (من تلك البلدان) (وهي المعروفة الآن باسم العراق العجمي واذر بيجان) وقد وقع هذا اللفظ الاخير فيما تقدم بالمقدمة من تعداد الابواب السالفة تفسيرا للفظ الاسورية من قبيل السهو وسبق القلم والصواب هناك لفظ كردستان بدلا عن اذر بيجان ولذلك يهنا عليه هنا من قبيل تدارك الغلط والنسيان حسب الامكان) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند اسالف الذكر والبيان وقد كان المركز الاصلی الذي انتشرت منه جمیع الامم التورانية الى سائر اقطار الكرة الارضية في سالف الاحقاب العصرية هو شرقي بحيرة آرال (وهي بحيرة خوارزم) وقد كان لهؤلاء الامم في الاعصار المتوغلّة في القدم نوع من التمدن والتقدم خاص بهم يتميز عما كانوا عليه من العبادة الغليظة للاكواب السماوية والميل الشديد جدل لتعلق بالامور المادية وعدم الترقية العقلية بالكلية مع بعض تقدمات عظيمة في بعض أمور المعاش المادية حين كان غيرهم من الامم في حالة من التمدن غشيمة وقد كان لدرجة تمدنهم الغربية وحالة تقدمهم المناقصة هذ درجة فوقان عظيمة جدا على قطعة جسيمة من بلاد آسييا في تلك الحقبة الزمنية القديمة ومع كون القوم الآكاديين والسوميريين المذكورين كانوا اكثر الاقوام عددا واكبرهم قوة ومددا ببلاد كلدة والبابلية وكان منهم في تلك البلاد اساس الطوائف الاهلية الاصلية فلم يكونوا اهلها وحدهم بل كان يختلط بهم في كل مكان من مساكنهم اخلاط من امم آخريين بدون ان يكون لهم قطر معين مختص بهم فكان يساكنهم في تلك الهلاد اقوام كثيرون من ابناء سام ابن نوح عليه السلام بعضهم اقوام رحالون وقبائل بدويون وبعضهم اناس حضريون بالمدن متوطنون ومن الامم المذكورين كان الاقوام المعروفون بالاسوريين او بالسر يانيين وهم ولد اسورا واشور (بالسين المهملة او بالشين المعجمة) وهو ابن سام وكان قد خرج معظمهم من بلاد شنعار وتوطنوا بتلك الاقطار في عهد قريب بعد ذلك من تلك الاعصار ومنهم أيضا بنو عابر وتارح ابوابراهيم عليه السلام وهم العبرانيون وقد كانوا متوطنين فيما حوالى مدينة (اور) باسفل حوض الفرات ولم ينتقلوا من تلك الجهات الى بلاد (هاران) التي قد كان فيها اول بعثة ابراهيم الابوقت ميلاد هذا النبي العظيم

مطلب — ذكر اول من انشأ التمدن والعمارات على شواطئ نهري دجلة والفرات لاشك في ان اول من انشأ هذه العمارة الكبيرة والحضارة الشهيرة التي كانت ببلاد بابل وكلاهما هو مجموع قرآنهم هو لاء الامم الشتي المذكورين وان صل تكون التمدن والعمارات التي تحصلت بشواطئ دجلة والفرات وصار لها فيما بعد على تمدن سائر بلاد آسية الداخلية اعظم التأثيرات انما هو نتيجة امتزاج التأسيسات الحاصلة من كل واحدة من جميع هؤلاء الملل المختلفين حين اجتمعوا على ارض متحدة ولاشك في ان كلام ولدكوش وتوران المذكورين قد كان لهما في ذلك الزمان اعظم حظ في ذلك التمدن وال عمران غير انه يصعب علينا ان نعرف اي الحزبين من الآكاديين والسومريين المذكورين كان هو الاسبق في هذا الميدان وياهل ترى من كان منهما هو الاقدم في طريق هذا الحادث المشترك الاعظم حيث اننا انما نسير لنا ان نراه وهو بحالة الكمال على الوجه الاتم وغاية ما يمكن ان يقال في حل هذا المشكل هو ان لنا من المقتضيات ما يجعل على القول بان ما حدث على شواطئ دجلة والفرات في سالف تلك الاوقات من مذهب الدين والتقدم في علم الفلك والنجوم والممارسة في الصنائع والفنون انما كان اصل مورده من الاقوام الكوشيين ودليل ذلك ما يذكر في الروايات المتواترة بين البابليين من انهم يقولون ان اول مهدها ثداهم الدينية قد كان على ساحل الخليج الفارسي ويعتقدون ان معبودهم المسمى باسم (اونيس) (بضم الهـ مزة في اوله مع امالة النون الموحدة على ياء مشناة تحتمية سا كنة يلبس اسين مهملة في آخره) هو سمك كان قد خرج من البحر ليعلم الناس قوانين الخدمة الدينية

قال المؤرخ المذكور اعلاه ما تعريه اذناه واما التورانيون فانهم هم الذين جلبوا الى مدينة بابل او بابيلون وبلاد الاسورية طريقة الكتابة العربية وكيفية الخط الجيبية المسماة بالقلم السناني بمعنى الذي هو على شكل سنان الرمح او المسمار لكون كل حرف منها مركبا من عدة اشكال كل واحد منها على صورة سن الرمح او المسمار (وهو القلم السرياني القديم الذي كان يكتب به اسلاف سكان بلاد العراق في قديم الاعصار)

مطلب — ذكر نمرود وما يحكى عنه في التوراة من الروايات — اعلم انه لا يبتدئ التاريخ الحقيقي في حوض دجلة والفرات كما ان الحال كذلك في الديار المصرية الامن حين تكونت ببلاد كلدة والبلاد البابلية دولة واحدة ومملكة متحدة اجتمع تحت لواثرها سائر القبائل المتفرقة وقد كانت هذه الدولة في الحقيقة ونفس الامراول دولة منتظمة واسبق مملكة مستقيمة حدثت في اقطار الدنيا في سالف الاعصار الغابرة من بعد الطوفان وكانت درجة الاعلوية فيها الولد كوش بن حام على سائر الامم والاقوام التي كانت تتركب منها ولذلك يعبر عنها اهل التاريخ بالسلطنة الكوشية او الحامية الاولى وتعرف بنص عبارة

سفر الخليفة من التوراة وولد لكوش غرود وكان قد اخذ في ان يكون قادرا على الارض وصياد اقوي يا امام المولى جل جلاله ومن ثم سار المثل السائر وهو قو لهم فلان صياد قوي امام المولى كنهروود وقد كان اصل سلطنته بمدينة بابل وارش و آ كادوش لانة ببلاد شنعار ومن تلك الاعصار كان قد خرج الرجل المسمى باسم (آسورا و آشور) (بالسين المهملة او بالسين المعجمة) وهو الذي بنى مدينة نينوى (مدينة قوم النبي يونس عليه السلام) واختط شوارعها و اسس مدينتي كالاش و ريسان فيما بين نينوى و كالاش التي كانت هو المدينة الكبيرة (انتهى نص عبارة التوراة)

مطلب — اصل منشأ الآسوريين او السريانيين قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه ومن نص عبارة الكتاب المنزل المروى عنه اعلاه يستنبط عدة وقايع تاريخية ذات اهمية اصلية فيما يتعلق بتاريخ وائل بلاد الجزيرة العراقية وذلك انه يههم منها ان الاقوام الساميين الذين هم من ولد اسور كانوا قد ساكنوا فيها الاقوام الكوشيين الذين كانوا ببلاد كدة ولم يخرجوا منها وهاجروا عنها الى جهة الشمال ولم يوسسوا لهم دولة هناك غير الاولى حيث انشأوا فيها المدن الآسورية المذكورة اعلاه الا في عدة تاريخية حقيقية اى لافى المدة الخرافية بمعنى (الزمان السالفة الغير المحققة التاريخ) ومن مساكنتهم بعضهم مع بعض من اول الامر في سالف ذلك العصر في ظرف تلك المدة المديدة والاعصار العديدة يعلم السبب في كون الآسوريين والبابليين وان كانوا في الاصل متمين متغايرتين احدهما من ولد كوش بن حام والثانية من ولد اسور بن سام كانت لغتهم واحدة وكيفية تمدنهما متحدة

الفصل الثاني

في تاريخ الدولة الكلدانية الاولى

اعني طبقة ملوك العراق الاولى بعد اجتماع الآسوريين والبابليين تحت ولاية النماردة السالفين

مطلب — ذكر وائل امر لدولة الكلدانية والدولة الآسورية ببلاد الجزيرة العراقية — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ما تعريبه ادناه لانعلم شيئا مطلقا من طريق الموارد الادبية سواء كانت اثرية او بشرية من تاريخ الملوك السالفين الذي خلفوا النمرود على السلطنة ببلاد كدة ولا من تاريخ الاعصار الاولى ببلاد الآسورية غير ان الذي يمكن لنا فقط ان نتلمعه من خلال الروايات المتناقلة طبقة عن طبقة والحكايات المتداولة من التواريخ البابلية التي نقلها النسا مؤرخ الكلدان اليوناني المشهور باسم (بيرون) وان كانت

هي ايضا من قبيل الخرافات أى الاحاديث الغير المحققة المختلفة في درجة الخرافية هوان كلامن بلاد كلدو وبلاد الاسورية كانا في اول الامر من سالف العصر امتين متغايرتين وملتين منفرتين اما الاسوريون الذين هم من ولد سام بن نوح عليه السلام فقد كانت مساكنهم في السهول الممتدة بجنوب جبال بلاد ارمنستان بين نهري الدجلة والخابور وفي القطر الجبلي الكائن خلف نهر الدجلة لغاية بلاد الميمنية (التي هي الآن بلاد العراق العربي واذر بيجان) وفي هذا القطر الاخير كانوا قد اسسوا مدينة نينوى على الشاطئ الايسر من النهر المذكور والظاهر ان سير تمدنهم في الامور المادية وما كانوا قد بلغوه فيه من الدرجة العلية كان ابطاء مما كان عليه سير التمدين عند الامة الكلدانية وذلك ان الاسوريين والنينويين كانوا متوطنين على ارض او عمر من ارض الكلدانيين او البابليين وكانت درجة اتليمهم اقل اضعافا لا بدان فلذلك مكثوا مدة مديدة من الزمان وهم بحال البداوة الاصلية والقساوة الاهلية غير انهم كانوا اكثر رجولية واقوى تجلدا على الحرب من جيرانهم الجنوبيين والظاهر ايضا ان الاسوريين لم يتكاثروا من اول الامر في سالف ذلك العصر في هيئة دولة واحدة وسلطنة كبيرة متحدة بل كانوا اولا قبائل متحالفين واتوا ما مجتمعين في صورة محالفة وهي المعبر عنها الآن بلفظ جمهورية تحت ولايته مشايخ قبائل ورؤساء طوائف كانوا بالاصالة متصرفين بالصفة العسكرية واما البابليون الذين هم من ولد كوش بن حام فقد كانوا متوطنين على وجه مطلق في جميع الرساتيف الخصبية الكائنة ببلاد كلدو لغاية الخليج الفارسي وكانت سلطنتهم على تلك النواحي متميزة بدرجة عالية من ممارسة الصنایع وانعمون والتقدم في المعارف والعلوم مختلطاً ذلك بما يوجد دائماً في الاماكن التي اقام بها ولد كوش بن حام من الاوهام الفاسدة والافهام الكاسدة المتواترة عندهم الناشئة لهم من علم النجوم وهي غايقة ما كان لهم من النصيب في تاريخ تقدم الجمعية الانسانية فكان لهم خيرة بغن الفلاحة واستخراج المعادن المعتادة والاحجار النفيسة والتجارة في البر والبحر وكان عدد السكان بملك البلادان قد نما وازداد مريعاً على ارض خصبة تكاثرت فيها المدن والقرى وال عمران واخذت العلوم والفنون في التوسع والانتشار ونشأ فيهم بملك الاعصار تحت سماء صاحبة جليلة أصل وضع علم الفلك والنجوم وتقرر عندهم على آثار العقائد الاصلية الاولى التي كانت قد نزلت بطريق الوحي على نوع البشر في سالف العصر عبادة الشمس وغيرها من الاجسام السماوية وصارت هذه العبادة هي اساس دين تلك الاقطار

مطلب - ذكر الامة الكلدانية الاسورية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما تعريبه ادناه وقد كان الاسوريون بوقت مهاجرتهم الى جهة الشمال قد جلبوا معهم الى تلك النواحي بعض

شيء من تلك الممارسة التمدنية واستمر واتحدت تأثير البابليين دون غيرهم حيث كان البابليون قد سبقوهم في طريق التمدن وكانوهم المعلمين لهم في كل ما يتعلق به ولذلك كان لا يرى في سائر السهول المروية يدجلة والفرات من سالف الاعصار اعنى من قبل ان يفتح الملوك الكلدانيون بلاد الاسورية بالقوة القهرية غير امة واحدة وملة مختلطة وان كانت من حيث الاصل مختلفة وهي الامم الكلدانية الاسورية ثم صارت تلك الملة الكبيرة من ذلك الحين قد تشاهد لنا في بعض الاحيان منقسمة الى دولتين متباينتين بسططتين مستقلتين ولم تكن مدينة نينوى التي هي قاعدة الدولة الاسورية ومدينة بابل التي هي قاعدة الدولة البابلية تحت طاعة مملكة واحدة ثم آل امرهما الى ان ظهر عليهما علامات شدة الميل للاتحاد وصار هاتان الفرقتان الاهليتان في اغلب الاحيان مجتمعتين تحت يد ملك واحد ودولة متحدة وغاية ما كان يحصل من الحوادث الاصلية في مدة سلسلة ملوك الدولة الكلدانية الاسورية الطويلة هو عبارة عن حركة تناقل مركز ثقل شوكتهم وتداول ايام دولتهما حيث كانت دولة تلك البلاد تتداول بينهما من الاسوريين للبابليين وبالعكس وكانت تتناقل تارة من جهة الجنوب اى من حيث نشأت الى جهة الشمال ومن الشمال الى الجنوب وتسمى سلطنة بلاد الجزيرة الفراتية على حسب اختلاف تلك الحركات التناقلية بالدولة الكلدانية اذ الدولة الاسورية اى السريانية ولكن كان دينهم واخلاقهم وعواييدهم التي كانوا عليها واللغة التي كانوا يتكلمون بها واحدة وكل من هاتين المملكتين المتداولتين والدولتين المتناقلتين امر واحد لم يتغير في المواد الاصلية

مطلب — ذكر تملك الدولة الميديية على مدينة بابل العراقية (اى من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ٢٣٠٠ ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه ادناه ثم بعد حقة من الدهر لم يتيسر لنا العثور على دليل يدل على تعييدها بالطريقة اليقينية جاءت غارة اجنبية الى بلاد البابلية وقلعت الدولة الكوشية اى الاكادية الاولى التي كانت متسلطنة بمدينة بابل قبل ميلاد المسيح بنحو ٢٥٠٠ سنة وهم من القوم المعروفين باسم الاثر بالاولاثر بين الذين هم من ولديا فث بن نوح عليه السلام وغاية ما يظهر هو ان تلك الحادثة التاريخية كان وقوعها موافقا للوقت الذي وقعت فيه حادثة المهجرة الكبرى اعنى الوقت الذي ترك فيه الاقوام الايرانيون من ولديا فث او طائفة الاصلية التي كانت لهم بشواطئ نهر جيحون وتوجهوا الى جهة الغرب ليتمخروا وطائفة اخرى في نواحي بلاد فارس و بلاد الميديية وكان فرع آخر منهم قد نزل ببلاد الهند غير ان دولة بني يافت بمدينة بابل والجزيرة الفراتية ما سبرع ما زالت بعد فان دولتهم تستقر ببلاد آسية فيما وراء جبال تلك (وهي)

(وهي التي منشأها من عند الحدود الفاصلة بين بلاد العرب والحجم وتسمى أيضا عند السلف المتقدمين بجبال زجروس) وأتقرضت دولتهم في بلاد كلدان بالكلية وفي بلاد الميديّة مدة بعض قرون من الزمن بانقراض القوم الآريين حيث كان قد غلب عليهم بالشأن جنس القوم التورانيين الذين هم أعداؤهم من قديم الزمان

مطلب — ذكر تملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية (من سنة ٣٣٠٠ الى سنة ٢٠١٧ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه أعلاه ماتعريبه أدناه قال المؤرخ بيروز ان الذي تملك على بلاد بابل من بعد الدولة الميديّة والآرية المذكورة أعلاه هو دولة جديدة كانت قد جاءت فقلعتها واستولت على سرير الملك بديلا عنها وان اصلها من القوم الايلاميين وهم بنتوايلام (بأماله الهمزة على الياء المثناة التحتيّة في اوله) اكبر ابناء سام ابن نوح عليه السلام وان اول مؤسس لهذه الدولة هو ملك من ارباب الفتوحات والصولة يدعى باسم (شودورناخوتة) ونص على انها اقامت على سرير ملك بابل من نحو سنة ٢٣٠٠ الى نحو سنة ٢١٠٠ قبل تاريخ الميلاد ووافق ذلك ما ذكر في التوراة من الاخبار بانه في تلك الاعصار كان الملك المدعو باسم (شودور لاجومور) ملك ايلام قد استولى على سائر النواحي والجهات السكّنة في حوض دجلة والفرات وكان من اتباعه الملك المدهو باسم (امرافيل) ملك بلاد شنعار يعني كلدة والملك (اريوش) ملك مدينة (ابلسار) وقد كانت اعظم المدن الاسورية في تلك الحقبة العصرية والملك (تارجال) قال في التوراة «وهو ملك الاقوام الحاليين» فاستعجب الملك شودور لاجومور بجميع الملوك المذكورين الذين هم من اتباعه وتوجه بهم للحرب نحو بلاد الغرب فاستولى مؤقتا على جميع بلاد الشام الى تخوم الديار المصرية وانتهب مدينتي سدوم وعمورة واخذ لوطا اسيرا حتى جاء ابراهيم فاتصر عليه واستنقذه منه (انتهى ملخص ما ذكر بالتوراة) والظاهر ان الملك شودور لاجومور المذكور قد كان اشهر ملوك الدولة الايلامية ببلاد البابلية

مطلب — ذكر تملك الدولة الكلدانية ببلاد البابلية (من سنة ٢٠١٧ الى سنة ١٥٥٩) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه أعلاه بعد ذلك ماتعريبه أدناه وفي سنة ٢٠١٧ قبل تاريخ المسيح عليه السلام كانت قد قامت على سرير الملك بمدينة بابل عائلة ملوكية جديدة من القوم الكلدانيين واهل البلاد الاصليين فكانت مدة ٤٥٨ سنة ومن اشهر ملوكها الذين حصل العرش لهم على آثار عمرانية وقصور ملوكية ملكان كبيران وسلطانات عظيمات يدعى احدهما باسم (اسميدان) (بكسر الهمزة في اوله) وهو الذي انشأ الهيكل الكبير بمدينة ايلسار المذكورة

اعلاه وكان قد جمع تحت سلطنته مملكتي الايسورية والبابلية معا والثاني يدعى باسم (هامورابي) (بفتح الهاء في اوله) وهو الذي حفر الخليج السلطاني الشهير بمدينة بابل وهو اعظم طريق لرى الاراضى وسفر السفن ببلاد الجزيرة السفلى

مطلب — ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية (من سنة ١٥٥٩ الى سنة ١٣١٤ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما تعرب به ادناه كانت دولة بلاد كلدة الاولى هذه قدرالت باستيلاء فراعنة العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة عليهم فان الملك فرعون طوطميس الثالث كان قد استولى على مدينتي بابل ونيوى وادخل تحت طاعته بلاد الجزيرة والاسورية وكلدة ومكثت سلطنة الفراعنة مستولية على تلك الاقطار مدة قرنين ونصف من الاعصار والذي ذكر بتاريخ المؤرخ بيروز السالف الذكر ان الذى حكم بابل فى تلك المدة هو ملوك دعاهم ملوك العرب وقال انهم كانوا اتباعا لفراعنة طيبة صعيد مصر من ملوك العائلتين الفرعونيتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة المصريين (٥)

الفصل الثالث

فى تاريخ ملوك الدولة الاسورية الاولى او طبقة ملوك العراق الاولى

مطلب — ذكر تأسيس السلطنة الاسورية (من القرن الخامس عشر الى الرابع عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما تعرب به ادناه ولما اخذت الدولة المصرية فى الانحطاط فى ايام الملوك الكسالى ملوك العائلة الفرعونية المتممة للعشرين فى تلك الاوقات نيسر لسكان شواطئ نهر الدجلة والفرات ان يتخذوا لانفسهم بالثاني دولة اهلية مستقلة وسلطنة هلية بنفسها مستبدة وكان مركز استقرارها فى هذه الدفعة بجهة الشمال اعنى ببلاد الاسورية (قريباً من نحو سنة ١٤٥٠ ق م) بعد ان كانت قاعدة مملكتهم فى الاعصار الاولى بالجهة الجنوبية اعنى فى جهة الخليج الفارسى ومن وقت ان اخذت دولة الفراعنة فى الاضمحلال كانت قد اخذت دولة بلاد العراق فى الاستفحال فاطاعت لسلطنتها سائر بلاد آسية الوسطانية وصار لادينة نينوى من حيث تدعى على مدينتي اور وبابل درجة الاعلوية وصارت فى ذلك العصر هى قاعدة السلطنة العراقية وقد كانت قاعدة مملكتهم فى العصر الاول هى مدينة اور ثم بابل غير ان مبدأ تاريخ هذه الدولة الجديدة هو غير متضح الحال ومن الخطأ البين ما ذكر فى كتب التواريخ اليونانية من الروايات العامة واشتهر جدا عند السلف فيما شاع من القصص الحكوية حتى تداولته يد التعليم فى المدارس الاوروبية بناء على روايات حدثت فيما بعد من ذلك العهد بأن اول من اخذت مدينة نينوى هو الملك

المدعو باسم (نينوس) ثم اعقبته عنى سرير الملك المرأة المسماة باسم (سيميراميس) ونسبوا اليهما ساثر الفتوحات التي صدرت فيما بعد من ذلك العهد عن الملوك الاسوريين في تلك الاوقات وكل ذلك من قبيل الخرافات والصحيح انه لم يوجد على ظهر الكرة الارضية في ذلك العصر ملك يدعى باسم نينوس ولا ملكة تسمى باسم سيميراميس بالكافية وان اول من تملك على مدينة نينوى كان في اول الامر هو بعض امراء صغيرين او ملوك طوائف تابعين لدولة المصريين ثم توسعوا في املاكهم وتفسحو في اراضيهم واستفحل ملكهم شيئاً فشيئاً حتى آل امرهم الى ان تملكوا على مدينة بابل ولم يكن ذلك الا في نحو سنة ١٣١٤ قبل ميلاد المسيح ومع ذلك فقد كانت تلك المدينة العتيقة والحاضرة الشهيرة قد بقيت في ذلك العصر وهي بتقلد بالولاية عليها ملك مخصوص تابع للملك نينوى المذكورة وفي اكثر الاوقات كان يخرج عليهم ولا يدعون بالطاعة اليهم وكان الملوك الاسوريون المذكورون يدفعون خراجاً للفراعنة المصريين لغاية نحو سنة ١١٣٠ قبل ميلاد المسيح حتى تقلد بمملكتهم في ذلك الزمان الملك المسمى باسم (اسوردايان) فقطع ذلك الامر وامتنع عن ادائه اذ كرم من علامة التبعية والاسر

مطلب — ذكر اول فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاورين (من القرن الثاني عشر الى الحادي عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه ولم يشرع الاسوريون في طريق فتوح البلاد الخارجية الا في الربع الاخير من القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام فاستولوا على الاقاليم الجبلية المحيطة ببلادهم الاصلية من جهتي الشمال والشرق وفي نحو سنة ١١٠٠ ق م كان قد ظهر احد ملوكهم المسمى باسم (تجلا تفلصر) الاول ففتح بلاد الجزيرة الغربية وبلاد الشام لغاية جبل لبنان غير ان تلك الفتوحات التي كانت قد صارت بها دولة الاسوريين الى ما كانت قد آلت اليه فيما بعد من هذه الجهة كانت قد خرجت عن يدهم بعد سنوات قلائل في مدة سلطنة ملكهم المسمى باسم (اسورابامار) اذ كانت قد قامت بينه وبين ملك القوم المعروفين بالهيثيين في تلك الاعصار حرب شديدة كانت الغاية فيها الملك الهيثيين على الاسوريين فاستردوها منهم وأخرجوها عنهم (في نحو سنة ١٠٧٢ ق م)

مطلب — ذكر اول منشأ العائلة الملوكية الاسورية المسماة بالبيليطارية (من سنة ١٠٧٠ الى سنة ٩٣٠ ق م) — قال المؤرخ المذكور ما قرئ به بعد مسطور وكانت قد انحطت مرتبة العائلة الملوكية الاسورية الاولى المذكورة بهذه الهزيمة من درجتها ولم تقم من سقطتها وبعد ذلك بقليل قامت عليها فتنة داخلية وعصبة أهلية كان رئيسها رجل يدعى باسم (بيليطارة) وهو رجل كان موظفاً بوظيفة نظارة البساتين

السلطانية للملك المذكور أعلاه فقام على ولاء وقتله واستولى على كرسى ملكه بدلا عنه وبذلك صار أول عائلة ملوكية أخرى تدعى بالعائلة الملوكية البيليطارية (في سنة ١٠٧٠ ق م) وأوائل ملوك هذه الدولة الاسورية الجديدة هم الذين فتحوا بلاد الميديّة في اثناء القرن العاشر قبل الميلاد وضموها الى الدولة الاسورية مدة عدّة قرون من الدهر عديدة غير ان مدة حكمهم لا تعرف ولم يوقف من أخبارهم الا على شيء قليل جدا **مطلب** — ذكر الملك اسورنازير پال (من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩٠٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السابق الذكروا البيان أعلاه بعد ذلك فامعناه ولم تزل مدة حكم ملوك العائلة الاسورية البيليطارية هذه مجهولة الحال حتى ظهر منهم الملك المدعو باسم (اسورنازير پال) وبه اتضح تاريخهم وكانت مدة حكمه حيث مكث على سرير المملكة الاسورية خمسًا وعشرين سنة هي أول مؤكدة لحادثة استفحال الصولة الاسورية الشديدة بظهور الدولة البيليطارية الجديدة من حيث تعلق اطماعها بالاستيلاء على سائر بلاد آسية ولا سيما على الاقطار الغربية منها ودليل ذلك ما حصل عليه العثور من آثار الملك المذكور اذ عثر له على حجر وجد عليه قصة سائر غزواته مسطرة مع غاية التفصيل والبيان بالقلم السرياني المحفور في الحجر المذكور يصف فيها نفسه مع غاية البلاغة والتبيان بأنه ملك في غاية الشجاعة والافتراس بالاعداء ويقول انه لم يتأخر ابداعا عن كونه سلخ حياكل من تجاسر على الخروج عن طاعته من الملوك التابعين لسلطنته وعثر له على لوح آخر من الحجر وجد منصوبا على مكان مدينة كان قد أخرجها بالكلية وأزالها ووقف على اطلالها فسطر عليه ما نصه **عرباه كذا وان وجهي لينضر على اطلال المدن التي أخرجتها وان رضاه قلبي لفي شفاء غليل غضبي، (انتهى)**

وقد علم من نص الآثار المذكورة انه لم تمض سنة من مدة حكم هذا الملك بدون ان تشتهر بغزوة جهادية كبيرة وكان أكثر غزواته في جبال بلاد ارمنية وكوماجينة (وهي جزء من البلاد المذكور منها الآن كل من اياتي مرعش وحلب من مملكة آل عتمان) وفي بلاد بنطش او بنطكسان (وهي البلاد المجاورة لبحر الخزر) وقد كان الحياكم عايم في ذلك الزمان هم القوم المدهون بالموشيين ثم في بلاد الميديين وفي جزء من بلاد فارس الغربية وكان له غزوات أخرى بشواطئ الفرات حيث كان قد أدخل تحت طاعته سائر البلاد الكائنة على الجانب الايمن منه وهي المعروفة في عصرنا هذا ببلاد العراق العربي وقد كانت في ذلك العصر منقسمة الى عدة ممالك مزهرة وفيها جملة دول متعددة

وقد علم من الآثار المذكورة أيضا ان الملك اسورنازير پال المذكور كان قد عبر نهر الفرات واستولى على جميع بلاد الشام الشمالية وبلاد الهيتيين وسلسلة جبال أمانوس (الماداغ)

الدرس التام ١٤٥ في التاريخ العام

وحوض الاورنط (نهر العاصي) غير انه لم يتجاسر أن يتقدم في تلك الجهة الى أكثر من تلك الحدود لدا هي ان ملكتي يهودا وبنى اسرائيل كانتا في ذلك العصر قويتين جدا بحيث لو تعصبت احدهما مع الاخرى لتيسر لهما دفعه وكان كل من الملك يهوذا وملك اشور الذين كانا معا صرية قد تعاهدا على محاربة الآراميين ملوك دمشق الشام وظفرا عليهم بالنصر التام ولم يكن الملك آسور نازير يال المذكور أعلاه قد تعرض لهم كذلك

مطلب - ذكر الملك سلیمان نصر الرابع (من سنة ٩٠٥ الى سنة ٨٦٥ ق م) وظهر من بعد الملك آسور نازير يال المذكور ولده المسى باسم سلیمان نصر الرابع ففاقت غزواته على غزوات والده وزاد طريقه مجده على تالده ومن مدة حكمه هذا الملك الاخير أخذ تاريخ مملكة آسور في ان يكون له أشد الارتباط وأكد الاتحاد الكبير مع تاريخ الذوات المذكورين بالتوراة حيث صار من ذلك العهد يوجد في تاريخ دولة الآسوريين أنفسهم تحقيق وأوضح توفيق لما أشتمل عليه الكتاب المقدس عن بعض ملوكهم من الحكايات التاريخية والروايات الاثرية

وقد كان أكثر غزوات الملك سلیمان نصر المذكور كغزوات أبيه متجهة تارة الى جهة الشمال في بلاد ارمينية وبلاد بنطس وتارة الى جهة الشرق في بلاد الميديين اذ كانت تلك البلاد لدولة الآسوريين على الدوام غير مذعنة بالطاعة والانقياد واخرى الى نواحي الجنوب ببلاد كادة اذ كانت تلك البلاد أيضا في كل وقت هي منشأ الفتن والفساد وطورا الى جهة الغرب ببلاد الشام وجبال امانوس التي هي جبال الماداغ الآن كما سبق بذلك التوضيح والبيان غير انه من تلك الجهة كان قد تعمق الى ما لم يكن قد فعله اسلافه وكان ذلك هو أول الاسباب التي اقتضت ارتباط تاريخ مملكة آسور بالذوات المذكورين في التوراة وكان هذا الملك أول من تدخل من ملوك الآسوريين في مصالح دولة العبرانيين ببلاد فلسطين فقد دلت الكتابات التي هي عنه مأثورة على انه هزم الملك احوب ملك بني اسرائيل وانه أدخل تحت طاعته الملك ياهو من ملوك البلاد المذكورة

مطلب - ذكر الملك بيلوخوس الثالث والملكة سيميراميس الحقيقية (من سنة ٨٥٧ الى سنة ٨٢٨ ق م) وكان أفخر الملوك الآسوريين الذين خلفوا الملك سلیمان نصر الرابع المذكور من ملوك الدولة البيليطارية ببلاد آسور هو الملك المسى باسم (بيلوخوس) الثالث فقد كان ملكا عسكريا وسلطانا مغازيا قويا زاد املاك المملكة الآسورية زيادة بليغة جدا من الجهة الشرقية في ذلك العهد وبلغ جيوشه الى حدود بلاد الهند وكان قد تزوج بامرأة من بنات ملوك بابل تسمى باسم (سيميراميس) (ولم يكن في التواريخ الحقيقية الآسورية من وجد بهذا الاسم غير هذه الذات الملوكية) وقد كانت

الدرس الثامن ٢٤٦ في التاريخ العام

هي صاحبة الولاية السلطانية على مدينة بابل بحيث كان دولاب الحركة السياسية يدور بالنيابة عنها في تلك الدائرة البلدية بخلاف سائر بلاد السلطنة الاسورية اذ كان دولاب الحركة الادارية يدور باسم الملك المسذكور ولذلك نسب المؤرخ اليوناني المعروف باسم هيروودرت الى تلك الملكة سائر الاعمال العمومية التي تم انشاؤها والعمارات السلطانية التي حصل بناؤها بمدينة بابل وضواحيها في تلك المدة العصرية كالجسور والقناطر والارصفة والخيلان التي عملت على نهر الفرات في تلك الاوقات

مطلب — ذكر الملك سردانا پال (من سنة ٨٠٠ الى سنة ٧٨٩ ق م) قد كان ما حصل للسلطنة الاسورية من الامتداد البليغ في تلك الحقبة العصرية أمرًا خارقًا للعادة وكان ملوك نينوى وان كانوا قد أحاطت يدهم على ممالك كثيرة وأقاليم كبيرة لكنهم لم يصلوا الا أن يجعلوا سائر الامم الكثيرين والاقوام العديدين الذين كانوا قد أطاعوهم بالقوة القهرية في هيئة أمة واحدة وملة متحدة ولم يكن في سلطنتهم قوة اتحاد ولا دواتهم من كراشديد مطلقا وكانت طريقة سياستهم معيبة ورابطة الولايات التابعة لها فيما بين بعضها وبعض وفيما بينها وبين عاصمة المملكة غير وثيقة الى درجة بليغة بحيث كان عند مبدأ كل تقليد ملك من ملوكهم تشتمل نيران العن تارة في مكان وتارة في مكان آخر وكان لا يصعب ان يدرك انه متى قبض على دفعة السفينة قرجل غير ذي حكمة حقيقية ورجوالة كاملة وتقلد جملة الاسوريين ملك غير شهم أو سلطان غير ذي حركة حريية قوية بحيث يكون دائما على رأس جيوشه في ترحال مستعدا للحرب والقتال فلا بد من ان ما أنشأه اسلافه من ملوك القرن العاشر والحادي عشر قبل الميلاد مع غاية المشقة والاجتهاد يسقط دفعة واحدة وتذهب هذه المملكة العظيمة هباء منثورا بسهولة يتجلب منها كل أحد عجبا كثيرا ولقد حصل ذلك باستيلاء الملك المشهور باسم (سردانا پال) حيث قبض على قضيب الملك في سنة ٨٠٠ للمسيح وكان زيرنساء وأسير شهوات وخناء فانهمك كالملكين السالفين عليه كل الانهالك على اللهو واللعب واعتكف على أنواع الملاهي والطرب واشتغل بلاذ النساء عن مهام المملكة وصار لا يخرج من داخل قصره أبدا وترك كل عيش فيه شائبة عيش الرجال ولم يحصل منه أدنى التفات لمأذة الحرب والجهاد ومكث على هذا السلوك القبيح مدة سبع سنين وغضب الناس عليه لا يزال في كل يوم يزداد حتى جاء رجل يقال له (أرباس) كان رئيس طائفة الجنود الميدين وكان هو ذاته ميدي الاصل والملة فوجد فرصة للدخول عليه في داخل قصره بمدينة نينوى وشاهده لا بساء لا بس النساء والمغزل في يده منهمكا على قضاء ثموته يسترخف سائر حرمه عورة جنبه وبطالته فيداله انه يسمل الظفر بثل هذا الملك المنقصد الاخلاق حيت كان لا يقدر على الاتيان

يمثل أفعال اسلافه الشجعان وظهر للقاتل إرهابا من المذكور ان الوقت قد آن لكون الاقاليم التي كانت قد انضمت للسلطنة الاسورية بالقوة القهرية يمكنها أن تخرج عن الطاعة وتنشر ألوية العصيان وانضم لرجل آخر كلداني الاصل يسمى باسم (فول) ويلقب بلقب (بيليزيس) كان قائد الطائفة العسكرية البابلية واسرائيه أفكاره ومقاصده فبادر بمواقفته وتعاهد معه على معاضدته ومساعدته واتحد كلاهما مع قواد طوائف الجنود الاجنبية وكل من كان يرغب في الخروج عن طاعة الدولة الاسورية ويسقط نفسه من ملوك البلاد التابعين للسلطنة النينوية وعزم الجميع على عزل الملك سرداناपाल عن كرسي المرتبة الملوكية وجمع سائر رؤساء الجنود في آخر السنة جنودهم حوالى مدينة نينوى حتى بلغوا أربعين ألف رجل بعلة فرز وتبديل العساكر الذين كانوا قد أدوا واجب الخدمة العسكرية في العام الماضى حسبما كانت قد جرت عاداتهم بذلك ولما اجتمعوا في ذلك المكان جاهروا جميعا بالعصيان

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الاولى وخراب مدينة نينوى (في سنة ٧٨٩ ق م) ولما بلغ الملك سرداناपाल خبر هذا الخطر الذي لم يكن له على يسال قام في الحال من غفلة شهواته وخرج عن حباله لذاته وظهر فيه على حين غفلة من الشجاعة والشهامة ما لا مزيد عليه وسار امام من بقي على طاعته من فرقة الجيوش الاسورية الاصلية وبارزهم عسكريا الخوارج وقتلهم فهزمهم شرس هزيمة وانتصر عليهم نصره تامه عظيمة على ثلاث مرات متواليات حتى أخذوا في اليأس من الظفر بمقصودهم وبينما هم على تلك الحال وأذابا لقائد فول السالف الذكر تدارك هذا الامر واستعان في ذلك بمعونته الاوهام الاهلية وفساد الافهام العامية فقال لهم انه طالع الكواكب فعلم منها علم اليقين انهم ان صبروا خمسة أيام جاءهم من عند آلهتهم الامداد القوي وانتصروا من غير شك على عدوهم النصر المبين وفي الواقع ونفس الامر كان قد اتفق ان قدم من السفر بعد عدة أيام قليلة جماعة كثيرة من عساكر الاقاليم المجاورة لبحر الخزر كان قد طلبهم الملك لامدادهم فانحازوا الى عسكري الخوارج ولداعى انضمامهم اليهم فاز عسكري الخوارج بالنصر وظفروا بعسكر الملك غاية الظفر فانحصر حينئذ الملك سرداناपाल في داخل مدينة نينوى وعزم على ان يدافع عنها لغاية أن يخرج منها وملك كذا الحصار مدة عامين كاملين لداعى ان أسوار المدينة كانت حصينة متينة لا تؤثر فيها آلات الحرب واضطر الحال لاجبارها على التسليم بضرورة الوقوع في سوء حاله الجوع فلم يكن سرداناपाल يكثر بشئ من ذلك اذ كان بعض الكهنة قد أخبره بان مدينة نينوى لا تؤخذ من يده ما لم يكن النهر عدو له ثم في العام الثالث نزلت أمطار غزيرة ازدادت منها مياه الدجلة زيادة كثيرة حتى أغرقت

جزأجسيمان المدينة وهدمت حائط اعظيما من حصونها المينة يبلغ طوله عشرين شوطينا يونانيا (ومقدار الشوط عند قدماء اليونان ١٨٥ مترافرانساويا) فاستيقن الملك من تحقق خبر الكاهن ويثس من النجاة ولاجل ان لا يقع في يد أعدائه وهو بقاء الحياة أوقد في داخل قصر عنار اعظيمة ألقى فيها كل ما عنده من خزائن الذهب والفضة والحلال الملوكة ثم حصر نفسه هو ونساءه ومخاضيه في قاعة كان قد بناها في وسط النار وأقام معهم فيها حتى احترقوا جميعا وحينئذ فتحت المدينة أبوابها للقوم المحاصرين وسلمت نفسها اليهم فلم ينفعها ذلك التسليم شيئا لكونه جاء أخيرا بل أسلمها للسلب والنهب وأوقعوها في غاية الكرب وأوقدوا فيها النيران ومحووا أبنيتها بالكيفية والجزئية مع عناية حقدية تدل على شدة الغضب التي كانت قد جمعتمها قسوة الملوك الاسوريين الفاتحين السابقين في قلوب الامم الذين كانوا لهم بة قوة السيف مطيعين فان الميديين والبابليين لم يتركوا حجرا على حجر من بناء الحصون والقلاع والقصور والهيكل التي كانت مشيدة فيها ولم يدعوا أثرا مطلقا من عمارة الدور التي كانت قائمة من تلك الحضرة الشهيرة التي مكثت مدة قرنين كاملين وهي متغلبة على سائر بلاد آسية الداخلية حتى ان أهل العناية بالبحث عن الآثار القديمة من الافرنج المتأخرين لم تصل أعمال الحفر الجارية بمعرفتهم في المدكان الذي كانت توجد عليه مدينة نينوى المذكرة لغاية الآن الى العثور على شقة جدار قائم واحد من البناء السابق على حادثة استيلاء كل من التائدارباس والقائديايزيس المذكورين على تلك المدينة وقد كان وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة في سنة ٧٨٩ قبل الميلاد

الفصل الرابع

في تاريخ الدولة الاسورية الثانية او ذكرا الطبقة الثانية من ملوك الجزيرة الفراتية مطلب — ذكرا الملك فول (من سنة ٧٨٧ الى سنة ٧٤٧ ق م) وبعد خراب مدينة نينوى كان الميديون قد اكتفوا باسترجاع استقلالهم بانفسهم بالثاني وخروجهم عن طاعة الدولة الاسورية الاولى فعادوا للاقامة في جبالهم كما كانوا ولم يتعلقوا بمصالح بلاد الجزيرة الفراتية بخلاف التائدا الكاداني المدعو باسم (فول) أو (بيليزيس) السالف الذكرفانه بعد خراب المدينة المذكوره كان قد استولى على سائر بلاد الاسورية وجعلها تابعة لمدينة بابل مدة حقبة من الدهر وضم اليها أيضا سائر الاقاليم الغربية من المملكة الاسورية السالفة أعنى سائر البلاد الآرامية الكائنة على جانبي الفرات وغاية ما نعلم من تاريخه هو ما اقتص في التوراة من قصة الغزوة التي غزاها في سنة ٧٧٠ ق م بمملكة بني اسرائيل لاغير

مطلب — إعادة الدولة الاسورية بالثاني وذكر الملك تجلات فلصر الثاني (من سنة ٧٤٤ الى سنة ٧٢٧ ق م) ولم تدم غلبة الكلدانيين على بلاد الاسوريين الا لغاية وفاة الملك فول السانف الذكر وكانت وفاته في سنة ٧٤٧ قبل الميلاد ولما كان الاسوريون هم اشجع الامم المتوطنين ببلاد الجزيرة الفراتية وأقواهم على الحرب والضرب وكانوا قوما أهل رجولية تامّة وقوة عسكرية كاملة لم ير الوابتد كرون في القرن الثامن قبل ميلاد المسيح ما كان قد وقع من أسلافهم السابقين في مدة القرنين السالفين من الحروب الكبيرة والوقايح الشهيرة مع ما أعقبها من هزيمة الملك سردانا بال حسبما أسلفناه فلم يرل باقيا في نفوس أهل المدن الاسورية الكثيرة العمران من الشوق الى الاستقلال بالذفس ما حلهم على ان ناروا ثورة عامة وقاموا قياومة تامّة بهد خراب مدينة نينوى بأربعين سنة وطردهوا البابليين من بلاد الاسورية وكان قد بقي من نسل بيت الملك من بنى بيليطارة السالفين بعض امراء كانوا قد فازوا بالنجاة من حريقه مردانا بال المذكور أعلاه وكانوا متخفين في بعض أطراف البلاد منهم الامير المسمى باسم (تجلات فلصر) فأحضره الاسوريون وجعلوه رئيس عصبتهم عند ثورتهم ومكثوا يبحارون البابليين مدة ثلاث سنين حتى استولى تجلات فلصر على تاج الملك (في سنة ٧٤٤ ق م) وانتهم فرصة من حروب داخلية ومنازعات أهلية كانت قد شتتت شمل بلاد البابلية فأدخلها تحت طاعته ووضع عليها الجزية بعد ان كانت بالامس هي التي تمل على نينوى قواينها وأعاد الملك تجلات فلصر المذكور السلطنة الاسورية الى حدودها السابقة الاصلية ما عدا بلاد الميديّة وذلك بعد عدة وقايح حربية متعاقبة فاز بالنصر فيها على التوالي ببلاد ارمينية وبلاد الشام وفلسطين وبلاد العرب والبلاد المجاورة لبحر الخزر والاقطار الكائنة في أقصى الشرق فيما بين بلاد الميديّة وارس من احدى الجهات وبلاد الهند من جهة أخرى وهي التي يسمي مجه وعها في اصطلاح علماء الجغرافية الجارى على مقتضى طريقة تدرّس بالمدارس الاوروپية باسم بلاد اريان (وهي التي تعرف الآن ببلاد افغانستان) وحيث قد كان هذا الملك تعمق في الفتوحات من هذه الجهة الاخيرة الى أكثر من سائر اسلافه وبلغ الى حدود بلاد الهند الغربية

مطلب — ذكر الملك مرجون (من سنة ٧٢١ الى سنة ٧٠٤ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه ما تعرّبه أدناه وقد تملك من بعد الملك تجلات فلصر ولده المسمى باسم (سلنصر) فكانت مدة حكمه قصيرة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢٢ ق م) وهو الذي كان قد شرع في حصار مدينة سمرة ومات عندها في اثناء الحصار ولما كان هو آخر نسل بيت السلطنة الاسورية إذ كانوا قد انقرضوا بالكلية ولم يوجد منهم من يلي المرتبة السلطانية اجتمع أعيان الدولة وقلدوا بمنصب الملك رئيس قواد الجنود المدعو باسم مرجون

وقد كان من أعظم الملوك أرباب الفتوحات ببلاد الاسورية وكانت العائلة الملوكية التي كان هو رأسها والدولة السلطانية التي أسسها وان كانت قد مكثت مدة قصيرة لكنها كانت قد ألفت على وجه التاريخ بهجة كبيرة وذلك ان سرجون هذا من أول مبادئ مدة سلطنته كان قد أخذ مدينة سمرية وأخربها بالكليّة وحارب الملك سيبا كون الحبشى ملك مصر وبلاد الاقويوية فغلبه في واقعة رافيا ببلاد الشام (في سنة ٧٢١ ق م) ثم شن الغارة بالحرب في بلاد ارمنية مدة مديدة فأطاعها الدولة كلها الا شيئا قليلا منها ودخل في بلاد الالبانية (بلاد الارثوٹوط) حتى بلغ الى حد سفح جبال قوقازة وفتح بلاد الفلستينيين (في سنة ٧١٠ ق م) وكذلك جزيرة قبرص (في سنة ٧٠٨ ق م) وقد كانت تلك الجزيرة في ذلك الزمان يحكم فيها عدة ملوك طوائف صغيرين ورؤساء أقوام عديدين أصل أكثرهم من اليونان وفي أواخر مدة حكمه كان قد اختط مدينة (خورازاباد) وشيد قصرًا عظيمًا له فيها بدلا عن مدينة نينوى من بعد خرابها قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان والذي دل على ذلك هو ما تضح من أعمال الحفر والتفحص التي جعل اجراءها على التماقب بمعرفة اثنين من أهل بلادنا الفرائسوية وهما المعلم (بوطه) والمعلم (ويكتور پلاس) ومن تلك الاعمال صار الحصول على أغلب النقوش الجيالة الاسورية التي توجد محفوظة باتبقيخانة سراية لورة الملوكية (بمدينة باريس) ثم مات الملك سرجون المذكور حيث قتله جماعة من أرباب الفتن من أهل بابل (في سنة ٧٠٤ ق م) وبقته اشتعلت نيران الفتن الالهية في تلك الحاضرة الكلدانية

مطلب — ذكر الملك سنحاريب (من سنة ٧٠٤ الى سنة ٦٨١ ق م) وكان قد تقلد بالملك من بعد الملك سرجون المذكور ولده المشهور باسم (سنحاريب) فلم يكن دون أبيه في مادة الحرب والجهاد اذ كان قد ابتلى باطفاء نيران الفتن الشديدة القائمة بمدينة بابل واضطرت لان يقاوم الخوارج في واقعتين اذ كانا قد قاموا عليه في مدة ولايته مرتين (احدهما) تحت رياسة رجل يدعى باسم (ميروداشبالادان) (والثانية) تحت رياسة رجل يدعى باسم (سوزوب) ثم انتهى الحال بان الملك الذي يتولى المذكور اشتد غضبه على مدينة بابل فعاقب أهلها الطغاة وعذب سكانها هؤلاء البغاة بأن أباح فيها السلب والنهب وأسلمها للتيران والاهب فاحترقت عن آخرها وصار عاليها سافلها مع كونها قد كانت معتبرة عندهم كعمر محترم وكان ذلك (في سنة ٦٨١ ق م) ولم تمنع هذه الفتن الداخلية الجسمية الملك سنحاريب المذكور من ان يباشر بنفسه في الجهات الخارجية عدة غزوات عظيمة فكان قد ذهب الى بلاد فلسطين (في سنة ٧٠٠ ق م) وأدخل تحت طاعته مدينة صور وغيرها من مدن بلاد الفينيقيين وأغار على ملكة يهودا وهدد فرعون مصر

بالديار المصرية ثم وضع الحصار على مدينة اورشليم أو القدس الشريف (كما سلف ذكر ذلك غير مسرة في مواضعه من هذا التأليف) غير انه بركة دعاء ملك بلاد يهودا المسمى باسم (حزقيا) وكان رجلا صالحا وملكا تقيانا حيا وبر جاء النبي (اشعيا) الذي كان له معاصر من أنبياء بني اسرائيل كانت يد الله سبحانه وتعالى قد وطمئت على جنوده الوطء الثقيل فأرسل عليهم كما سلف ذكر ذلك في الابواب السالفة طاعونا شديدا أهلك منهم مقدار اعديدا حتى اضطر الملك سنحاريب المذكور للنأي عن حصار مدينة القدس وقفل عائدا بجنوده الى جهة الفرات ولكنه كان أسعد طالعاً في غزواته ببلاد الميديه وبلاد السوس (خوارزم الآن) لغاية بلاد فارس وأعاد بناء مدينة نينوى بالثاني من بعد ان كانت قد بقيت خرابا من عهد هزيمة سردانا پال واتخذها مفرداته وقاعدة بلاد سلطنته وجعلها ببلاد آسية أفخر حاضرة وأشهر مدينة عامرة (في سنة ٦٨٤ ق م) وانتقل اليها وأقام فيها مدة ثلاث سنين ثم مات حيث قتله اثنان من أبنائه الكبار لكنهم لم يمتة بآية جرمتهما بل اشتد عليهما الغضب العام وبادر الناس عليهما بالقيام حتى اضطررا الى الفرار ببلاد ارمنية وكان ذلك (في سنة ٦٨١ ق م)

مطلب — ذكر الملك آسارادون (من سنة ٦٨١ الى سنة ٦٦٨ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه ادناه وقد كان آسورادون المذكور هو ثالث ابناء سنحاريب وكان ابوه قد نصبه بوظيفة الوالي على مدينة بابل فلما تقلد بتاج المملكة استمر على الإقامة في المدينة المذكورة ليضبط اهلها ويمسكهم تحت الطاعة السلطانية وقع كذلك عصيان اهل المدن الفينيقية مع غاية القساوة والجبر وكانوا قد قاموا على الدولة السريانية وادخل تحت الطاعة أيضا مملكة يهودا وأمسك مدة من الدهر في مدينة بابل الملك منشة مقيدا بسلاسل الاسر وغزا غزوة في بلاد فارس واخرى على شواطئ البحر الاسود حتى بلغ بلاد اقليم (كولشيدة) (وهي المسماة الآن باسم اميريقي ومنجربلي) الكائنين على غربي جبال قوقازة واستولى على أكثر جزيرة العرب وديار مصر ثم اعتراه المرض واحس بالعجز عن القيام بواجب الملك فتنازل عن سرير المملكة لولده البكري المدعو باسم (آسور بانيبال في سنة ٦٦٨ ق م)

مطلب — ذكر الملك آسور بانيبال (من سنة ٦٦٨ الى سنة ٦٤٧ ق م) وكان الملك آسور بانيبال المذكور هو آخر ملوك الاسووريين المجاهدين وهو الذي يعرف عند اليونان باسم (سردانا پال) غير انهم كانوا يميزونه مع غاية الحرص والعناية عن الملك سردانا پال المتخنت الذي سقطت مدينة نينوى اول مرة في ايامه من سالف الزمان وقد كان الملك آسور بانيبال هذا هو الذي استمر اولاً مدة ثلاث سنين متواليات بالديار المصرية

الدرس الثامن ٢٥٢ في التاريخ العام

وهو يقاتل الملك (طهراقة) ملك بلاد الايتيوبية (الحبشة) وينازعه على مملكة مصر في ذلك العصر وظفر في تلك الديار بعدة مرات بحجبة من النجاح والانتصار واستولى على مدينة طيبة الصعيد مرتين واسلمها الى السلب والنهب ووقع بها غاية الكرب ثم انتهى امره لان ترك تلك الديار حيث رأى ان التملك عليها يحتاج لكثير من المشقة والتعب وقد كان من جملة الملوك الذين كانوا يدفعون له الخراج الملك المسمى في تلك الحقبة باسم (جيجيس) (بجيم فارسية مثلثة من تحتها ياء مثناة تحتية فجيم عربية معتادة مماثلة على ياء مثناة تحتية أيضا يليها سين مهملة في آخره) وهو ملك بلاد (ليدية) (وهي الجزء الغربي من ولاية الاناضول المتركة الآن من القسم المسمى باسم (سوراخان) وغيره من بلاد آسية الصغرى وبهمة هذا الملك الكبيرة امتدت دائرة اعلوية الدولة الاسورية على جميع بلاد آسية الصغرى المذكورة وكان للملك آسور بانيبال المذكور اخ يدعى باسم (سامولسه وچان) كان عاملا له على ولاية مدينة بابل فقام عليه واراد ان يستقل بنفسه ورفع الوية العصيان واستعان في ذلك بملك بلاد السوس وملك بلاد العرب (في سنة ٦٦٣ ق م) ووقعت بينهما حرب عظيمة دارت الدائرة فيها على جنود القوم الخوارج فهزمهم ملك نينوى شرهزيمة وظفر باخيه هذا واستولى عليه ثم اطلق سبيله وعفاه عنه وتوجه عزمه للعزاة ببلاد السوس فادخلها تحت الطاعة النينوية بعد حرب مكثت مدة ثلاث سنوات (من سنة ٦٦٣ الى سنة ٦٦٠ ق م) واستولى على مدينة سوس قاعدة البلاد المذكورة حيث اخذها بطريق الهجوم عليها واسلمها للسلب والنهب واخذ ما لىها السيرا وشنقه ثم انتقل بمنوده الى بلاد خزيمة العرب وجاس خلال ديارها ومر بها من اولها الى آخرها في غزوة مكثت عدة اعوام ظفر فيها بالنصر المستمر على الدوام (من سنة ٦٥٩ الى سنة ٦٥٧) قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب — ذكر آخر ما حصل من النجاح في الجهاد على يد بعض ملوك الطبقة الثانية من الملوك الاسوريين بتملك البلاد (من سنة ٦٤٧ الى سنة ٦٢٥ ق م) ولما توفي الملك آسور بانيبال الطاقر بالنصر على بلاد السوس كان قد تم ملك على مملكة نينوى ولد له يدعى باسم (آسور ديليلي) وفي أيام دولة هذا الملك الاسوري الجديد كانت قد ظفرت المملكة الاسورية من النجاح في الجهاد بتملك البلاد ظفرة عسكرية أخرى وذلك ان بلاد الميديين كان فيها مدة عصر الملك سرجون وولده عدة ملوك طوائف متفرقين ورثا قبائل كثيرة متحالقين بعضهم مع بعض في هيئة الحكومة الجمهورية ولذلك سهل على الملكين الاسوريين المذكورين افتتاح بلادهم وادخالها تحت طاعة السلطنة الاسورية ثم اجتمعوا في هيئة مملكة قوية واحدة وسلطنة ذات شوكة متحدة وقام فيهم الملك المدعو باسم (فراوررت) متقلدا بقلادة سلطنة الميديين (في سنة ٦٥٧ ق م) فاجلى الآسوريين من

الاماكن التي كانوا يرادوا مستولين عليها من بلاده واقتتح بلاد فارس كلها وساير البلاد الايرانية الكائنة فيما وراء جبال هندكوش ومحمارى بلاد القرماني وبذلك صارت المملكة الميدية سلطنة جهادية متسعة ودولة كبيرة ذات صولة ومنعة فخطر له انه يقتدر على أن يأتي بمثل ما فعله الملك ارباس السالف الذكر ويهدم شوكة المملكة نينوى ويعدم قوة السلطنة الاسورية بالكلية فاغار على بلاد أسور غارة شديدة وقابله الملك اسورد يابلي هذا بجيوش عديدة ووقعت بينهما واقعة حرب كبيرة عندما دخل مضائق الجبال الكائنة بتلك البلاد (في سنة ٦٣٥ ق م) تتل فيها فراوورت المذكور وهلكت الجيوش الميدية عن آخرهم وكان هذا التجاج هو آخر ظفرة جهادية وغاية نصره عسكرية حصلت على يد ملوك الطبقة الثانية بمدينة نينوى من ملوك السلطنة الاسورية

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثاني بالكلية والجزئية وبالطريقة القطعية (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٦ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان أعلاه ما تعريبه ادناه وقد كانت الدولة الاسورية الثانية في ظرف تلك المدة الماضية مع ذلك قد أخذت في الاضمحلال وتدانت للزوال وسقطت قوتها العسكرية ونفذت خزائنها المالية مع كون من جاورها من الامم كانوا قد صاروا الى درجة العظمة والاستفحال وفي سنة ٦٢٥ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد قام الملك (سيا كزار) (بكر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها يليها الف فكاف فزاي مججمة فألف فراه مهملة في آخره) ملك الميديين وخليفة الملك فراوورت المذكور آنفا على مملكتهم وكان قد استولى على ساير بلاد آسية الصخرى (بلاد الاناضول) لغاية النهر المسمى عند السالف باسم (حاليس) ويسمى الآن باسم (قز يل يرمق) وانهز فرصة من موت الملك اسورد يابلي وما ترتب عليه من ظهور الفتن والاختلال في بلاد السلطنة الاسورية وحضر بجنوده امام مدينة نينوى وحصرها وضيق عليها وكان الملك الكلداني المسمى باسم (نابو بولصر) (بنون موحدة فوقية فألف فبهاء موحدة تحتية عربية معتادة فبهاء فارسية مثلثة من تحتها بعدها واو فلام فصاد فراه مهملتان في آخره وهو أبو بختنصر المشهور) قد أثار الفتنة في مدينة بابل وأعلن لنفسه بالسلطنة فيها وتقلد بتاج المملكة عليها وأعاد له هذه المدينة الكبيرة ما كان قد عهد لها في الاعصار السالمة من الاستقلال وأخذت دولة الملك المذكور في الاستفحال وكادت مدينة نينوى ان تسقط بالكلية لولا ما حصل في ذلك العصر من غارة الاقوام السيتيين (قبائل بأجوج وماجوج) على بلاد الميديين ونزولهم على أهالي تلك البلاد كالجراد المنتشر واستعبادهم ايام مديدة ١٩ سنة من الدهر حيث ترتب على تلك الغارة بقاء مدينة نينوى واقتاد الدولة

الاسورية الثانية فى ذلك العهد مدة بعض سنوات بعد من الوقوع فى هاوية الزوال وكان الملك المدعو باسم (ساروق او آسوراقوس) قد قبض على قضيبي الملك بمدينة نينوى (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٦ ق م) ولداعى ما حصل من الهدنة لتلك المدينة بغارة الاقوام السبتيين المذكورين كان قد تيسر له ان مكث على سرير المملكة النينوية نحو تسع عشرة سنة من غير كدر ولا منازع تقريبا غير انه انما كان مستوليا على سلطنة ضعيفة ومملكة دينية وضعيفة متميزة الشمل لا قوة لها ولا ثبات ولا صلوة لها ولا حياة ولم يجتهد هو فى اقامة اودها ولا سعى اذنى سعى فى اعادتها لما كانت عليه من قوة عددها ومددها بخلاف الملك سياركزار ملك الميديين فانه بعد ان بذل مجهوده وبلغ بمقصوده من انقاذ مملكته من غارة الاقوام السبتيين والامم التورانيين المذكورين كان قد عاد يجتهد الى اسوار مدينة نينوى بعد تلك المدة المذكورة ووضع عليها الحصار الثانى عازما على ان يستأنف ما كان قد فعله به فى اوائل تلك الازمان الملك ارباس اعنى انه اراد ان يخرب تلك الحاضرة التى كانت موطن هؤلاء الملوك الجبابرة وكانت قد استعبدت معظم بلاد آسية ووضع تلك الاقطار فى اضيق ربة الذل والصغار ويدمرها الدمار الذى لا تعود للعمار بعده ابدا وساعده على ذلك ايضا غاية الاسعاد الملك نابوبولصر ومن كان تحت طاعته من القوم البابليين بمثل ما كان الملك فول قد اتى به لارباس من المساعدة مع غاية الجية والمجاهدة وبعد ان قام على حصارها مدة مديدة حصل فيها قتلة شديدة واستولى عليها واخذها فسطت ويثس الملك آسوراقوس من النجاة ففعل بنفسه كما كان قد فعل سلفه سردانا بال فى مثل هذه الواقعة وقتل نفسه بيده فخرّب القوم الغالبون تلك المدينة العنيدة وحرقوا ما كان فيها من القصور والهياكل العديدة وصارت مدينة نينوى هذه العظيمة التى كانت احدى مفاخر بلاد آسية بعهد الملك سنحاريب عبارة عن تلال متكومة وأطلال متهدمة فى غاية الدمار والتخريب (فى سنة ٦٠٦ ق م) ولم تعد للعمار مرة اخرى بعد ذلك ابدا كما أنذر بذلك أنبياء بنى اسرائيل

الفصل الخامس

فى تاريخ الدولة الاسورية بالحادية اوطبة ملوك العراق الثالثة

مطلب — ذكر الملك نابوشودونوزور او بنختنصر المشهور (من سنة ٦٠٧ الى سنة ٥٥٨ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه

أدناه وبهذه الحادثة الكبيرة انتقلت وراثته سلطنة نينوى الشهيرة مدة بعض سنوات يسيرة الى مدينة بابل أو بابلون و يشاهد من حينئذ انه قد قام في بلاد العراق القديمة دولة كلدانية حديثة تملك على سائر الاقاليم الغربية والجنوبية التي كانت تحت يد الدولة الاسورية الثانية وهي طيبة ملوك العراق الثالثة وكان بطل هذه السلطنة العراقية الجديدة ومنشئ صولتها الشديدة هو الملك المدعو باسم (نابوشودونوزور) (وهو المعرب باسم بختنصر المشهور) وكان أبوه المدعو باسم (نابو بولصر) قد استقل بالسلطنة في مدينة بابل (في سنة ٦٢٥ ق م) و بينما كان الميديون قد تمكنوا تحت طاعة الاقوام السبيين مدة مؤقتة كان هو يحسن تدبيره واتقان ادارة أموره قد أرقى بلاد أسفل الفرات من الفلاح والنجاح الى أعلى الدرجات واستفحل ملكه في تلك الجهات واعانه على احسان ادارة مملكته خرم رأى زوجته المشهورة باسم (نيتوكريس) فأنشأ في مدينة بابل بتلك الاوقات ~~كثيرا~~ من العمارات التحسينية والاعمال التزيينية والاشغال النافعة العمومية وفي سنة ٦٠٧ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان الملك نابو بولصر المذكور قد أشرك معه في منصب الملك ولده بختنصر المشهور وعهد له على السلطنة بولاية العهد فيما بعد

مطلب - ذكر واقعة حرب قيرقيزية او قرقميش (في سنة ٦٠٦ ق م) وقد كان بختنصر وهو فتى شاب بعد في هين السنة التي كانت مدينة نينوى قد سقطت في ما قد قام على ساق الحرب وسار في عدد عديد من الجيوش فقاتل الملك نبخاووس ملك مصر بمدينة قيرقيزية او قرقميش في واقعة حربية قطعية ظفر فيها عليه بغاية النصر والغلبة العسكرية اذ كان الفرعون المذكور قد انتهر الفرصة من انحطاط دولة الاسور بين مدينة نينوى فاستولى على بلاد الشام وفلسطين ثم تعدى بختنصر نهر الفرات وطرده المصريين من جميع الولايات والاقاليم التي كانوا قد افتتحوها من تلك الجهات وكان قد أراد أن يضع الحصار على مدينة اورشليم ومن ثم يدخل ديار مصر واذا بخبر وفاة أبيه قد وصل اليه فاضطر لسرعة العود الى مدينة بابل على الفور (في سنة ٦٠٤ ق م)

مطلب - ذكر أوائل غزوات بختنصر على اليهود (من سنة ٦٠٢ الى سنة ٥٩٩ ق م) ثم عاد بختنصر بعد عامين الى بلاد الشام بالثاني وأغار على الملك يهوياقيم ملك يهودا وقرر عليه خراجا يؤديه اليه وأخذ معه الى بابل من أعيان اليهود عدة رهائن وجملة من الاواني المقدسة الموقوفة على بيت المقدس و بعد ثلاث سنوات عاد ملك اليهود لنكس ما كان قد عقده مع بختنصر من العهد معتدا على امداد فرعون مصر مع كونه لم يرد له من ديار مصرية أدنى مدد وكان ملك العبرانيين المذكور قد مات بعد ذلك بقليل فترك على

الدرس التام ٢٥٦ في التاريخ العام

رأس ولده المدعو باسم (يخنيو) ثقل وبال ما ترتب على عصيانته (كما أسلفنا ذلك في مكانه من باب تاريخ العبرانيين بتفصيله ويبيانه) ولم يقيم يخنيو والمذكور على سرير مملكة يهودا غير ثلاثة شهور إذ كان يختنصر قد أرسل عليه جنوده ثم حضر بنفسه إلى بلاد اليهود بالثاني واضطر ملك اليهود المذكور لأن سلم نفسه وسائر أهل دولته ودائرته ليدعدوه هذا الجبار فلم يكتف بختنصر بأن يأخذ هذا الملك العبراني مع أهل دولته بحالة الاسر بل دخل مدينة اورشليم وانتكح حرمة بيت المقدس الكريم واستلب سائر خزائنه المكنونه وخزائن قصر هذا الملك المصونة وأخذ معه في ربة الاسر إلى مدينة بابل من أشجع أبطال الجنود العبرانية ما يبلغ عشرة آلاف مقاتل وكثيرا من أرباب الحرف والصنایع الاسرائيليين ولا سيما الحدادين والغدقلية (صناع الاسلحة) وذلك لقصد منع بلاد اليهود من ان تعود بالثاني إلى الاستعداد للدفع والمنعة ولم يترك في مدينة بيت المقدس غير القليل من أفقر الناس واخذ معه إلى مدينة بابل الملك يخنيو المذكور مع والدته وسائر نسائه ومخاصيه ووضع في السجن وضيق عليه غاية التضيق ثم أظهر انه يريد أن يترك لامة اليهودية خيال استقلها الاوّل فنصب على كرسي مملكة اورشليم عم الملك الاسير المدعو باسم (صدقيا) كما هو في موضعه فيما سلف من هذا الكتاب مسطور

مطلب — ذكر خراب بيت المقدس على يد بختنصر المشهور (من سنة ٥٩٠ م إلى سنة ٥٨٨ ق م) قال المؤرخ الروي عنه أعلاه بعد ذلك ما تعرّبه أدناه وقد كان النبي ارميا من أنبياء بني اسرائيل هو نبى ذلك العصر وقد أذّر الملك العبراني السالف الذي ومن تقدمه من ملوك اليهود بما سيجعل على مملكة فلسطين من التخريب والاسر فلم يكن يصغى لاندازه أحد منهم وعميت بصيرة صدقيا كغيره من أسلافه عن سماع هذه الاخبار النبوية والعمل بتلك النذر التدبيرية مع كون النبي ارميا كان لا يفتر عن الانذار اليه والاشارة عليه بأن الاوّل له ان يسلك طريقا سياسية احتراسية ويزعم بالطاعة لسلطان الدولة البابلية ومع ذلك فقد تحالف مشورته وناقض نصيحته وتخيل له انه يقدر على الخروج عن طاعة ملك العراق ويستقل بنفس دولته فجأه بالعيان عليه وأمتنع من اداء الخراج الذي كان يدفعه اليه واتخذ مع فرعون الديار المصرية وملوك المدن الفنيقية (في سنة ٥٩٠ ق م) قضب بختنصر لذلك أشد الغضب وسار بنفسه مرة أخرى إلى مدينة بيت المقدس ووضع عليها الحصار ثم تركها مدة يسيرة وتوجه لقتال فرعون مصر المشهور باسم (ابريديس) إذ كان قد حضر بجنوده إلى بلاد الشام لقصد امداد صدقيا عليه وكان ملك مصر المذكور قد عاد إلى تلك الديار وأخذ في الفرار بدون أن يضرب عليه ضربا واحدة فعادت الجيوش الكلدانية إلى بلاد المملكة اليهودية واستولوا على مدينتي (لاخيس وآسيشيه) ووضعوا الحصار

الحصار بالثانى على مدينة اورشليم ورضية واعايتها ومكث العبرانيون مدة تسعة عشر شهرا فى داخل قاعدة مملكهم يدفعون هجوم الجيوش البابليين ويتجادون على مقاومة صولتهم ثم اشتدت المجاعة عليهم فغلبت على قوة ثباتهم وأجبرتهم على الازعان والتسليم وكان الاسوريون قد دخلوا المدينة من خرق فى السور وتصادف ان صدقيا المذكور كان قد أراد أن يخرج منه ويفر الى جهة نهر الاردن مع بعض خدمه فلحقه بعض الجنود البابليين فى سهل ريجاق قبضوا عليه وأحضره ليجتصر فقتل ابنائه بين يديه وهو ينظر اليهم ويسأل عينيه وحمله مقيدا فى سلاسل من الحديد الى مدينة بابل (فى سنة ٥٨٨ ق م) و بعد ذلك بشهر كان قد دخل قائد طائفة خفر الملك البابلي المذكور وهو المسمى باسم (نابوراردان) فى مدينة القدس واستولى عليها وشرع فى تخريبها ودمرها عر آخرها وأحرق قصر الملك والهيكلى المكرم وذب مع الخبر الاعظم ستين نفسا من اعيان بنى اسرائيل وبعث الى مدينة بابل فى ربة الامر كل من بقى فى المدينة من غير فرار الى الوادى والقفار من القوم اليهود (وهذا هو المعبر عنه عند اهل التارىخ بخراب بيت المقدس الاكبر على يد بختنصر)

مطلب — ذكر حصار بختنصر لمدينة صور واستيلائه عليها (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٧٤ ق م) ولم يكن ملك بابل الجبار المذكور قد اكتفى بذلك بل تعلقت اطماعه بفتح بلاد الفينيقيين والاستيلاء عليها اذ كانت كثرة ثروة تلك البلاد قد جذبت قوادها اليها وكان انبياء ذلك العصر لم يزالوا من مدة مديدة يندرون اهل الى مدينة صور بما سيلحقها من مصائب الدهور وكانت قد صار لها درجة الاعلوية منذ ستمائة سنة على سائر المدن الفينيقية وقد كانت مدينة صور هذه قلعة ذات منعة حصينة فلما وضع بختنصر عليها الحصار ثبت الصوريون امامه وقاوموه حتى أقام على حصارها مدة ثلاث عشرة سنة ثم أخذها عنوة اى بطريق الهجوم عليها وقعل بالصوريين كما كان قد فعل بالقوم العبرانيين ونقل الى بلاد كلدة اوجه اعيان ذوى البيوتات من اهل تلك البلدة (فى سنة ٥٧٤ ق م) واعترف له بالطاعة بالضرورة سائر النرائل والمستعمرات من القبائل الفينيقية التى كانت تملكها مدينة صور بالسواحل الغربية من بلاد افريقية وفى بلاد اسبانيا (جزيرة الاندلس) كنزلة قرطاجة (وهى الآن ولاية تونس) قبل ان تصير ليد الدولة الرومانية وكنزلة قانس وصارت جميع هذه المستعمرات ملحقه بسلطنة بختنصر حيث صار له الغلبة على تلك المدينة الاصلية

مطلب — ذكر وقائع بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية (من سنة ٥٧٣ الى سنة ٥٧٢ ق م) وقد كان بختنصر المذكور بعد ان استولى على مدينة صور وأدخلها تحت طاعته وقبل أن يرجع الى مدينة بابل التى كانت قاعدة سلطنته شن الغارة

على الاقوام المدعوين عند الامم الاقدمين بالايديجين وبنى مؤاب والامونيين اذ كانوا قد فتحوا مع دولة العبرانيين عند قيامهم الاخير عليه فأجبرهم كذلك على الدخول تحت طاعته والزمهم بالاذعان اليه وغزا غزوة كبيرة في بلاد العرب الجاهليين حتى بلغ الى مملكة سبأ ببلاد اليمن وكانت تلك الحروب التي اندربها انبياء ذلك الزمن هي آخر سلسلة الغزوات التي غزاها هذا الملك الكلداني ببلاد آسية الغربية

مطلب — ذكر ما أثر عن مختصر من العمارات والآثار في تلك الاعصار — ولما عاد مختصر من تلك الاسفار الحربية الى بلاده الاصلية التفت الى انشاء العمارات والآثار واشتهر بحسن ادارة الامور الداخلية كما اشتهر بالفتوحات الخارجية غاية الاشتهار وكان قد حصل له من تلك الغزوات أموال عظيمة ومقادير جسيمة من اسر انك الببلاد الاجنبية فاستعملها في بناء عمارات كثيرة وانفقها في انشاء آثار كبيرة تحسنت بهامدنية بابل وتزينت بأجل الزينة حتى صارت تلك المدينة أشهر مدينة في بلاد الدنيا بقاءها في تلك الاعصار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروالبيان قال المؤرخ هيرودوت اليوناني في تاريخه عند الكلام على صفتها وقد كان سافرا اليها ونزل بها واطلع عليها في اثناء القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام ما هذا نص عبارته « وقد كانت تلك المدينة فائحة جدا الى درجة بحيث لا تعرفها مدينة اخرى يمكن مضاهاتها بها وذلك ان مدينة بابل هذه هي موضوعة في وسط سهل متسع وهي على شكل مربع تبلغ مساحته كل ضلع من أضلاعه مائة وعشرين شوطا (والشوط مقياس لليونان يقدر الآن بقدر ١٨٥ مترافرانساويا) يحيط به خندق عميق هو على الدوام ممتلئ بالماء يليه سور فيه يبلغ مساحته سبعة وخمسين ذراعا ملو كية على مائتي ذراع ارتفاعا ويحترقها نهر الفراف من الوسط بحيث يسهلها الى قسمين ويختطها خطين وهو نهر عظيم عميق القعر سريع الجريان يأتي من بلاد الارمن ويصب في بحر (اير يتره وهو البحر الهندي الذي من ضمنه الخليج الفارسي) ومن داخل السور الكبير سور آخر هو بالنسبة اليه صغير وكلا طرفي السورين ينتهي من عند شاطئ النهر بزواوية خارجة يمتد منها على الجانبين حائط مشيد من الآجر يحيط بالنهر من الطرفين وفي داخله الديار منها ما هو على ثلاث طبقات ومنها ما هو على أربع في شوارع مستقيمة متقطعة بطرق اخرى منتظمة تنتهي الى النهر المذكور بأبواب صغيرة مفتوحة في السور المبني على طولها كلها متخذة من معدن التوج اكل شارع من الشوارع القاطعة للشوارع الاصلية باب مخصوص والسور البراني هو للمدينة حصن حصين على ان السور الجواني ايضا متين غير انه دونه في الانساع ومركز كل من الخطتين المذكورتين ظاهر ممتاز (احدهما) بوجود قصر الملك فيه حيث يظهر للناظر بما يحيط به من سور عظيم

وحائط قوى متين (والثاني) يتبين لعين الرائي بتشيد هيكلي جسم لمعبودهم المسمى عندهم باسم (بعل) وأبوابه مصطنعة من النحاس الاحمر قال المؤرخ اليوناني المذکور ولم يزل هذا المعبد قائماً على جدرانها لغاية الآن (انتهى نص عبارة هيرودوت)

ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذکور أعلاه بعد ذلك ما معناه ان سور مدينة بابل الكبير يشتمل بمقاس العالم الفراتساوي المشهور باسم (اوبير) على مسافة تبلغ خمسمائة كيلومتر (والكيلومتر عبارة عن ألف متر) مربع يعني مقداراً من الارض يساوي جميع مساحة مديرية نهر السين ببلاد فرانسة أي بقدر أضعاف مسطح مدينة باريس على الحالة التي كانت عليها في سنة ١٨٥٩ الميلادية خمس عشرة مرة وبقدرها سبع مرات على الحالة التي هي عليها الآن وأما السور الصغير فهو أضيق من الاوّل يشتمل على مسافة سائتين وثمان وتسعين كيلومتراً مربعاً على أكثر من مسطح مدينة لوندريه بكثير ولايسوغ ان يقال ان هذين السورين كانا حصنين لمدينة كبيرة عتيقة بل هما عبارة عن معسكر حصين متسع جداً فاق مسافة الارض المشمولة في داخل السور الثاني فضلاً عن الاوّل لم تكن كلها معمورة بامكان السكان الاهلية وقد نص المؤرخ اللاتيني المعروف باسم كنتكويرس في تاريخه على ان محيط الدائرة الكائن عليها الديار المعمورة بمدينة بابل المذكورة قد كانت تسعين شوطاً لا غير وياقها كان ارضاً منزرعة على وجه بحيث تكفي الثمرة الحاملة منها لمؤنة القوم المحصورين فيها وتمنع عنهم ضرورة الوقوع في غائلة المجاعة مدة عديدة من الزمن كما ان السور البراني لبلاغة سعته يمنع هذه القلعة من غائلة الاخذ والاحاطة بها والتضييق عليها وقد كان يختص شيد قصره فيها على مقادير بليغة جداً وانشأ وزرع في داخل سورها على ذات ساطع الفرات البساتين العريقة المشهورة كأنها جبال صناعية كبيرة لتنتزه فيها امرأته المسماة باسم (آمينيس) وقد كانت ميسدية الاصل لقصد ان تتذكر بها المناظر الخلوية المعهودة لها في بلادها الاصلية وهي عبارة عن طبقات مدرجة بعضها فوق بعض من قبيل ما يوجد في عصرنا هذا بالجزيرة المسماة باسم (ليزولا يبله بمعنى الجزيرة الجميلة) في البحيرة المعروفة بالبحيرة الكبرى (بولاية سردينيا من بلاد ايطاليا) ومن تحتها سفلى عظيم يحملها وقد اصطنع فيه مغائر متسعة تحت كل طبقة منزرعة من السفلى للمذکور واسر في تلك المدينة ايضا عدة هياكل اهلية عديدة وجملة معابد دينية مشيدة واصلح شأن الهرم القديم الذي كان محل اقامة كاهن معبودهم المذعوب باسم (بعل) السالف الذکور وبني ما كان يدعى عندهم بما معناه (برج اللغات) الذي كان يوجد بالناحية المسماة (بورسيبة) احدى ضواحي مدينة بابل في تلك الاوقات ولم يقتصر يختصر على تخليقة مدينة مملوكة هذه كما كان يعبر عنها بذلك حسب ما عثر عليه في آثاره الأثرية وتزيين

سائر المدن الاخرى الداخلة تحت سلطنته بل كان قد آتفت ايضا الوسائل تخصيب اراضي بلاد البابلية وتوسيع دائرة المعاملات التجارية فاجرى العمارة اللازمة للخارج السلطاني الشهير الذي كان قد انشأه الملك (هامورابي) قبل ذلك انصر بالف وثلاثمائة سنة وكان قد انسد ابرور الدهر وكاد ان يزول منه الاثر فاعاده بختنصر واصح شأنه حتى عند اهل التاريخ هذه العمارة كانها انشأ جديد وتأسيس حقيقى مفيد وحفر بركة عظيمة عند اسفل الناحية المسماة باسم (سيبارة) اقصد ان تكون حوضا يجتمع فيه المياه اللازمة لرى ارض المزارع بذلك السهل وحدث فرضة بحرية فى الخليج الفارسى عنده صبب الدجلة والفرات بمدينة (تيريدون) وهى ثغر بلاد كلدانية على ساحل الخليج الفارسى وقد كانت قاعدة تلك البلاد فى ذلك العصر) وبذلك تم تأسيس مادة السقر فى البحر

مطلب — ذكر ما عثرى بختنصر من داء الجنون وما حصل له من الغرور والفتون وحيث كان الحال كما توضح اعلاه فقد ثبت ان بختنصر قد كان ملكا كبيرا وسلطانا خطيرا غير انه كان قد غلب عليه الكبر فاضاعه واستولى عليه الجبر فالتف احواله واوضاعه فاغتر بنفسه وافتتن وآل به الغرور والفتون حتى اعتراه الجنون كما قد يحصل كثيرا لامثاله من ذوى القرائح الكبيرة اذا اغتر واما حصل لهم من السعادة الكثيرة وتخيل له انه آله يستحق العيادة فصنع لنفسه تمثال من الذهب وامر سائر الناس بانهم يسجدون له ويعبدونه قال فى التوراة ولما ابى ثلاثة فتيان من الميرانيين ان يمثلوا هذا الامر كان فدا من بختنصر بالقائم فى النار فلم تؤثر قيمهم وانجاءهم الله سبحانه وتعالى منهم ولما شاهد بختنصر هذه الكرامة اذ عن لانه بنى اسرائيل غير انه لم يزل الكبر غالب عليه ولذلك اوقع الله به العذاب المهول واصاب هذا الملك الجليل بارذل جنون رذيل حتى آلت به حالة الاختبال الى انه صار يأنف الاعتزال عن الناس ويهيم فى الاودية كالبهائم ويروم ان يتغذى مثلها من الاعشاب التى تنبت فى البوادي حتى صار بدنه بشيع المنظر لداعى اهماله من المتعهد بنظافة والاغتسال والتعرض على الدوام لتغيرات الحوادث الجوية ومكث على تلك الحال مدة سبعة شهور ثم افاق ورجع للاشتغال بتدبير امور المملكة الثانية وبعد ذلك بتقليل مات (فى سنة ٥٦١ ق م) بعد ان اقام على سرير الملك مدة ثلاثة واربعين سنة وكان كما قيل قدا خير هو من قبل بزوال السلطنة البابلية

مطلب — ذكر معة انحطاط السلطنة البابلية وعجلة زوال الدولة الكلدانية قال المؤلف فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان ولم يكن يلزم لمن يتأمل فى الاحوال الواقعة فى تلك الاعصار ان يكون قد اوتى منحة من النبوة كبيرة لاجل ان يعرف ان سلطنة بابل هذه التى كانت قد بلغت بتلك الاقطار الى اعلى درجة من الابهة والفجار كانت قد تدارت

من الزوال والدمار وان ما كانت قد بلغت من اعلى درجة الشوكة في مدة يسيرة لا بد وانها سينقض منه الجدار في مدة أسرع من مدة نشأتها بل يكفي لمعرفة ذلك مجرد عقل ذى قريحة ثاقبة ونفس باعقاب الامور متبصرة وذلك ان السلطنة المذكورة لم تكن مؤسسة في حد ذاتها على اساسات قوية ولم تستقر على اصول متينة على وجه بحيث تستمر بل كان هذا التمثال العظميم انما هو قائم على قدمين من طفل بمعنى انه سريع العطب كما في تأويل الرؤيا المنامية التي كان قبر آها بهض ملوك بابل وكان قد أولاهاله البني دانيال بهذا المعنى (حسبما سبق بذلك في موضعه توضيح هذا المجال) ولم يكن في الامة البابلية الشهامة الجهادية والهمة الجندية الكافية لحفظ ما تيسر لها من السلطنة القوية على اقوام عديدين وامم في الجنس متنوعين كما اتفق للاسواريين حيث حفظوا دولتهم وابقوا سلطنتهم مدة عدة قرون من الزمن ولذلك كان بمجرد وفاة بختنصر قد انتشر الخبر بمدينة بابل على الفور بان امة جديدة ذات بطش ووطأ شديدة ستسطو على دولتهم وانها قاعدت دولة الميديين مع ان تلك الامة المستجدة قد كانت لها من التابعين وهم القوم المسمون بفارس كما كانوا يدعونهم في تلك الاعصار وكانوا قد برزوا من خلال جبالهم الوعرة لشن الغارة على سائر الاقطار تحت قيادة ملك ناشئ من اعظم ملوكهم شهامة واعلاهم همة (وهو الملك كيرشاقيرس) وكان بمجرد ظهور مبادى امره في الوفايع الحربية قد انتشر صيته وامتدت شهرته في سائر الانام وعدم جملة قواد الجيوش العظام وكان انبياء بني اسرائيل قد انبأوا منذ زمن طويل بغاية الجهور والاعلان بأن مدينة بابل العظيمة الشأن ستقع عن قريب في مثل ما وقعت فيه مدينة اورشليم من السوء والخذلان

مطلب — ذكر من خلف بختنصر على كرسى مملكة بابل من الملوك في ذلك العصر (من سنة ٥٦١ الى سنة ٥٥٥ ق م) ولما توفي بختنصر كان قد خلفه على كرسى مملكة بابل ولده المدعو باسم (ايو يليروداش) (بالف بمائة على ياء مئناة تحتية ساكنة فواو مكسورة فياء مئناة تحتية فلام ساكتين فيم فياء مئناة ساكنة فراء مهمله فواو فوال مهمله فألف فشين مجمعة في آخره) وكان هذا الملك الاخير قد اشتهر كما ذكر في التوراة بأنه قد جاء من مكارم الاخلاق الانسانية بفعلة في غاية الحسن وذلك انه بمجرد ان صعد على سرير الملك أمر بالملك (يخنيو) ملك يهودا فأخرج من السجن وكان قد مكث يقاسى سلاسل الاسر مدة سبع وثلاثين سنة ورفع مقامه فوق سائر أهل دولته وقلده بمنصب أعلى من مناصب سائر الملوك الذين كانوا مقيدون في سلاسل الاسر بقاعد مملكة وصار يؤا كاه على خوانه ورتب له ما يلزم لمعايشه على طرف خزينته غير انه في سائر مدة حكمه لم يأت بما يوافق ما وقع منه في اول أمره من هذا الفعل الجليل وقد قتله صهره ليدعي باسم (نير بجليصور) (بنون

موحدة فوقية يلها ياء مثناة تحتية - سا كنة فراء مكسورة فياء مثناة تحتية فجم مججمة سا كنتين قلام ياء مثناة تحتية فصادمه - ملة فواو فراءمه - ملة في آخره) وهو زوج بنت بختنصر وكان ذلك (في سنة ٥٥٩ ق م) واستولى على سرير ملكه بدلا عنه ولكنه لم يمكث عليه غير أربع سنين فقط وهلك هو كذلك في واقعة حربية وقعت بينه وبين الملك (كيرش او قبروس) ملك فارس اذ كان قد توجه بجنوده اليه وأراد ان ينارعه بمملكة بلاد الميديّة التي كان قد انتزعهما من يد السلطنة العراقية

مطلب — ذكر الملك نابونيد (من سنة ٥٥٥ الى سنة ٥٣٣ ق م) — وكان الذي خلف الملك نيريجايه صور المذكور على كرسي مملكة بابل طفل له صغير لم يمكث على سرير الملك غير بعض شهور وذلك ان رؤساء امناء الديانة الكلدانية وقد كانوا هم أرباب الخربة القسيسية والطائفة الدينية السياسية المتحكمة بدولة بابل العراقية في تلك الحقبة العصرية لما تلاحظ لهم ما يوجد في أخلاق هذا الطفل من تباشير الرذائل والانتطباع على الجبر والقساوة من صغر سنه قاموا عليه فخلعوه وعزلوه عن سرير الملك ونزعوه وولوا واحدا منهم بدلا عنه يقال له (نابونيد) (في سنة ٥٥٥ ق م) فاستولى على سرير الملك واعتقر عليه مدة السبع عشرة سنة الاخيرة من مدة السلطنة البابلية الشهيرة وكانت أوائل مدة سلطنته آمنة مطمئنة ومبارى أمره قارّة سارة لداعي ان الملك كيرش ملك فارس كان مشتغل انبال بافتتاح ممالك اخرى غير مملكة بابل هذه فلما خلا بابل ملك العجم المذكور من عزوانه وكان قد استولى على سائر بلاد آسية ما عدا مملكة العراق المذكورة توجه اليها وشن الغارة عليها (في سنة ٥٣٨ ق م) بجنوده من القوم الفارسيين والميديين معا بأنه عازم على ان يضم مملكة كادة الى ممالك سلطنته المتعددة

مطلب — ذكر سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكليّة (في سنة ٥٣٣ ق م) — وكان الملك نابونيد هذا قد بادر بملاقاة الملك كيرش فدارت الدائرة عليه وانهمز هزيمة تامة حتى اضطر للنجاة بنفسه وفر من امامه متبوعا بعدد يسير من جنوده وخدماه والتجأ الى قلعة بوسية وحصر نفسه فيها وترك بختنصر حتى وصل الى بابل ووضع الحصار عليها وكانت تلك المدينة يوجد فيها من الدخائر والمؤونة ما يكفيهم لمدة عدة سنين ولم يتيسر لذات القوم المحاصرين لها فلم يكثر ثوابهم ولم يسألوا بخطبهم ولكن كان قد جاء الوقت المحتوم بالتفادير الازالية للانتقام من تلك المدينة الكلدانية وكان الملك كيرش من عهد قريب قد جفف النهر المسمى باسم (لوجانديس) بواسطة فتح خيلجان فيه وهو أحد الغدران الممددة للجدلة فعزم على ان يفعل مثل ذلك بنهر الفرات ويدخل بجنوده في مدينة بابل من مجرى النهر المذكور فعمل عليه قناطر تمهيد ف

بها مياهه الى البحيرة الصناعية التي كانت الملكة نيتوكر يس قد حفرتها هناك كما أسلفنا ذلك و بهذه الوسيلة تيسر لجنوده ان يسيروا في مجرى النهر حيث صار الماء لا يبلغ الا الى ما فوق سيقانهم فقط وتوسطوا فيما بين خطتها وكان يمكن لسكانها ان يأخذوهم ويقبضوا عليهم كما يأخذ الصياد غنيمته في حباله صيدته بأن يغلقوا عليهم أبواب أرضهم المصنعة من الخس التي سلف ذكرها و يقذفوا عليهم بالآلات الحرب من أعلى أسوار مدينتهم ولكن كان أهل المدينة في اشتغال باختيار موسم لهم فغلقوا عنهم وتركوهم حتى تمكنوا من وسط حاضرهم قبل ان يشيع الخبر بهذا الامر في باقي طاراتها العديدة وكان الملك نابونيد قبل ان ينجب الى قلعة بارسية قد تزل في مدينة بابل ولده المدعو باسم (بلطازار) اذ كان قد عهد اليه بالملك وأشركه معه في كرسى المملكة العراقية ولا شك في ان ما ذكر في سفر النبي دانيال بالتواؤمة من الوصف العجيب والذكر الاخذ بمجامع القلوب فيما يتعلق بمجلس الفواحش الذي كان يلطازار قد انتمى فيه واعتكف عليه قد كان في جوف ليلة هذا الموسم اعني في ذات الليلة التي كان كيرس قد هجأ بجنوده الفارسيين والميديين مدينة بابل هذه ودخلها على حين غفلة من أهلها واتفق ان أحد قواد عسكر العجم المسمى باسم (دارا) الميادى المأمور من طرف الملك البارسي بقيادة هذه الغارة الليلية على قاعدة السلطنة البابلية قتل بلطازار بيده فكافأه مولاه بان قلده بالولاية على سترابية بابل (اي ولاية الستراب بمعنى الوالى او العامل) وكان الملك نابونيد قد سلم نفسه بصفحة الاسير لملك فارس المذكور وبذلك زالت دولة العراق بالطريقة القطعية وانمحت بالكلية والجزئية من خريطة الكرة الارضية ولحقتم الى هاوية الزوال ذات مدينة بابل هذه بعد قليل من القرون الزمنية

الفصل السادس

في كيفية ما كانت عليه بلاد الاسورية والبابلية من الدرجة التقدمية

والمحالة العمرانية في سالف الاحقاب العصريه

مطلب — بيان كيفية المراتب الاساسية والمناصب السياسية التي كانت عليها الدولة الملوكية الاسورية الكلدانية في سالف الاحقاب العصرية قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان السابق الذكر والبيان اعلاه في هذا الشأن ما تعريبه بغاية الضبط والتحرى على قدر الامكان كما سطر ادناه وقد كانت الدولة الملوكية الكلدانية الاسورية في تلك الاحقاب العصرية يتحقق فيها نوع ولاية الامر العامة التي حسدت فيما بعد بسائر الدول السلطانية الحادثة

في بلاد اسبانية وسائر الدول المشرقية كدول الخلقاء الاسلامية ودول فارس الكيانية والساسانية وهو عين نوع الحكومة التي عليها ترتيب الدولة العثمانية بالقسطنطينية والدولة الروسية الموجودتين في عصرنا هذا وذلك عبارة عن أقبح مجد لتقدم الحرية البشرية وارذل فقد انكارم الاخلاق التمدنية فكان ترتيب دولتهم من قبيل الحكومة الاطلاق ما يكون من غير ضابط يضبطها ولا قانون يربطها بوجه من الوجوه مطلقا غير ما كان يعترفها في بعض الاحيان من ثوران بعض فتن داخلية مشتتة على سفك الدماء الغزيرة التي كانت تحصل في داخل قصورهم الملوكية

ومع ذلك فلم يكن الملك في بلاد كلدنة والاسورية معتبرا في درجة الألوهية كما كان الحال كذلك بالديار المصرية ولم نعثر في ضمن الآثار القديمة التي حصل عليها العثور لغاية الآن من اطلال مدينة نينوى والمدن التي كانت مجاورة لها على اثر ولا عمارة تدل على ان من ملوك العراق السالفين من كان يحترم على انه اله معبود في مدة حياته كما وجد ذلك في آثار العمارات الفرعونية بل لا يوجد فيها ادنى شائبة ولا اثر مطلقا يدل على تأليه أحد منهم من بعد وفاته وكان الملك يعتبر عندهم دائما كقدر من البشر غير ان ذلك البشر كان بيده مجموع النفوذ الروحاني والبدني معا بمعنى انه كان مسلطا على الارواح والابدان وبعبارة أخرى كأن له الولاية المطلقة العليا واليد التصرفية القصوى على سائر الرعايا من حيث السياسة والاديان وكان هو الحبر الأعظم والسلطان الاطلاق وكانوا يلقبونه بلقب خليفة الالهة على الارض وبرون ولايته صادرة عن اصل آلهي فهي ولاية عامة مطلقة تشمل الارواح والاشباح وقد دلت النقوش والتصوير التي حصل عليها الثوري في ضمن العمارات والقصور الباقية من آثار مدينتي نينوى وبابل على حقيقة كيفية المعيشة التي كانت عليها طريقة ترتيب الدولة النينوية والبابلية في تلك الاعصار الاولى اذ يوجد على تلك العمارات والتصوير من النقوش والتمائيل ما يدل تارة على هذا الغرض المذكور وتارة على صورة ما كان يحصل من الغزوات والحروب التي كانت تقع من بعض الملوك لقصد امتداد فتوحاتهم حيث كانت لاتزال تتسع بها المملكة العراقية فترى صورة ملك الملوك منهم جالسا في داخل قصره والقصر مع ذلك قلعة حصينة وحوله جم غفير وقوم كثير من رجال دولته واعلاهم من نصبا طائفة طواشيتة ومن ارقى ارباب وظائف ديوان الدائرة الملوكية ناظر سرايته وكبير سقاة الملك ورئيس الحرس السلطاني وكان من وظائف هذا الامير الاخير ايضا رئاسة مشيخة البلد وادارة اعمال شتى المشنوقين وكان ارباب وظائف السراية الملوكية مع كونهم تحت ادارة الذات السلطانية بطريق المباشرة اى من غير واسطة وفي خدمته الخاصة هم ايضا اعيان رجال دولته ورؤساء حكومته وأرباب مشورته ينعقد منهم مثل مجلس شورى الوزراء الذي

بنعقد الآن في الممالك العصرية (وهو المعبر عنه بالمجلس الخصوصي في الديار المصرية) عبارة عن مجلس عال ينعقد من اكابر اعيان ارباب الدولة لقصد ادارة مهام المملكة تحت على رياسة الملك وان كان هو في اغلب الاحيان معتكفا في داخل حريم سرايته منهم كاعلى لذته مشتغلا بقضاء شؤونه عن النظر في المصالح العامة

مطلب — بيان كيفية تقليد الولاية على الاقاليم المفتوحة من طرف الدولة الكلدانية الاسورية في تلك الاحقاب العصرية — وقد كانت الاقاليم العديدة والولايات المديدة التي كانت قد افتتحتها الدولة الاسورية الكلدانية وجهاتها تابعة لولايتها السلطانية على ضربين (احدهما) ما كان يولى عليه عمال من طرف الملك بطريق المباشرة (والثاني) ما كان يلحق بالسلطنة العراقية بمجرد التبعية فقط فاما الضرب الثاني فكان متى فتح الاقليم توضع عليه يد السلطنة الاسورية العظمى ويقر على ما كان عليه في سالف الاعصار من ترتيب كيفية ولايته وقوانينه الاهلية الثابتة فيه بالروايات الاثرية مع بعض تغيير وتبديل قد يحصل من لدن الحضرة السلطانية الكبرى ويقر بيت ملكه على ولايته والصلية غير انه ياتزم بالاذعان والتبعية لملك الملوك الاعلى على انه سيده ومولاه ويحجر على ان يؤدي اليه في كل سنة من المال اناوة جسمية ويبعث له حصاة عظيمة من الجنود تنضم للعساكر السلطانية العراقية وقد كان من النوادر جدا ان يجرد ملك الاسورية بعض الاقاليم المذعنة بالطاعة اليه على انها بالتبعية له من ولايتها الخصوصية ويبعث عليها عاملا من مدينة نينوى بطريق المباشرة من طرفه ولا يقع ذلك الا اذا تكرر من ذلك الاقليم الخروج عن الطاعة السلطانية والمجاهرة بالعداوة والعصيان للدولة الاسورية الكلدانية

مطلب — بيان كيفية ترتيب الطبقات الاهلية و تركيب الجمعية البشرية ببلاد الاسورية — لم يكن يوجد ببلاد الاسورية في سالف الاعصار لاطبقات اهلية متميزة بعضها فوق بعض ولا درجات متباينة بالدقة ولا طائفة سيادية وراثية مستقرة على وجه ثابت بل كان سائر الناس على قدم المساواة بعضهم ابعث في هيئة الاجتماع البشرية اعنى تلك المساواة التي كانت تقتضيها وتريدها وترغب فيها وتقرها طبيعة نوع الحكومة الملوكية المطلقة التصرف في سائر الامور لداعي انها هي التي يسهل لها ان تنفذ حكمها عليها وتطمئن اليها وهي عبارة عن كون سطح التسوية بين جميع الطوائف الاهلية تضغط عليه وطأة قدم السلطنة ذات الشوكة القوية التي يحصل الحرص عليها من لدن قوة النفوذ السلطانية على سائر رقاب الرعية بحيث لا يكون بينهم تمييز الهتة اللهم الا باختلاف الدرجات الناشئة عن الترقية الى بعض المناصب العلية والمراتب الاولية التي يترقى اليها بعض الرجال بمجرد ارادة ولي الامر كما يريد ويرضاه وليس فوق يده يد اعلى الله تبتش عليها وفي اغلب الاحوال

يكون ذلك الترقى لامبانيا على بواعث فضل واستحقاق بل لمجرد قضاء شهوة المولى وهو اه لاغير حتى انه لم يوجد في بلاد الاسور بين بتلك الاعصار تمييز ثابت مستمر ولا فرق ظاهر مستقر بين القوم الاسوريين والرعايا المغلوبين من اهل البلاد التي افتتحوها وتغلبوا عليها وتملكوها فكان الملك في اغلب الاحيان ينصب بارادته بعض الرعايا الاجنبيين في اعلى مناصب دولته ولم تكن المناصب العلية التي يناط اليها النظر في اهم المصالح السلطانية العمومية ينصب فيها دائما بالخصوص من اعيان الاهالي الاسورية الاصلية

مطلب — الكلام على ما كان للاسوريين في الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين — لم يذكر في كتب الثوار يخ المأثورة عن مؤرخي السلف المعتمد عليهم في المدارس الاوربية من الفوائد التفصيلية والمعلومات البيانية فيما يتعلق بمادة الشرائع والقوانين الاسورية كما نقلوا لنا فيما يتعلق من هذا القبيل عن احوال الديار المصرية وغاية ما نعلم في هذا المقام هو ان كيفية القضاء في المواد الجنائية قد كانت تحصل عندهم بالطريقة الفورية أي السريعة بمعنى انهم كانوا يقضون على المتهم بمجرد ثبوت الدعوى عليه في مجلس القضاء بالطريقة الشفاهية وقد كانت شرائعهم في هذه المادة شديدة جدا وعقوباتهم بشعة للغاية وانهم كانوا يستعملون طرق التعذيب لاجل الحصول على اقرار المتهمين بالاجبار وان الحكم بالموت على المذنبين لا يصدر غالبا الا مسبقا بالتقنين في أنواع العذاب وتقلاب المصائب على اصناف العقاب مما لا يعرف نظيره في الديار المصرية وقد كان مجرد قطع رأس الأدمى من غير تمثيل به ولا تعذيب بالبلاد الاسورية في تلك الحقبة العصرية مما يعدم من الاحوال التزرية ويعتبر من أنواع القتل اللطيفة وهيئات الموت الغير العنيفة وكانوا في أكثر الاحوال نارة يصابون المذنبين ويمثلون بهم وتارة يخوز قونهم وطور ايسلخونهم وهمس على قيد الحياة ولا يدفنون رمم الموتى المعاقبين بل يلغونهم في البادية فتأكلهم أنياب السباع المستوحشة وتفترسهم الحيوانات المفترسة وكان من المعتاد لهم كثيرا أن يعاقبوا على الذنوب الصغيرة التي لا تستحق القتل بقطع عضو او عدة أعضاء من البدن وكثيرا ما كانوا كذلك يجازون بفقأ البصر

مطلب — ذكر طباع الاسوريين — قد كان الاسوريون في سالف الاعصار بالاصالة هم من الرجال الغلاظ الشداد والابطال اولى الحرب والجلاد ولقد صدق بعض الصدق ووافق قوله بعض الحق من غير عنهم بقوله انهم كانوا روماني بلاد آسية القديمة وقد اوضح لنا دليل ما نشاهد من تصاويرهم وتمثالهم المصورة في عماراتهم العظيمة انهم كانوا اناسا قصار القامة غلاظ الجسم شداد القوة اولى اعصاب تدل على انهم كانوا منطوين على قوة عصبية خارقة للعادة انوفهم صلابة محدودية وعيونهم متسعة وفي تقاطيع وجوههم ما يشتمل

على أظهر العلامات المميزة لذوات نوع الرتبة الالهية البشرية المعروفة بالسامية هذا فيما يتعاقب بصفاتهم الحسية وهياآتهم الجسمية وامان حيث طباعهم العقلية واخلاقهم الباطنية فانهم كانوا على حسب ما عهد فيهم من الفضائل والذائل الاخلاقية جامعين لانهم ما يكون عليه اعظم امة فاتحة للممالك ببلاد آسية فقد كانوا رجالا اهل جراءة واقدام على الحرب وقوما جبارين اهل قساوة للغاية يعشقون سفك الدماء ويحبون السلب والنهب اشد الحب وكانوا يبذلون نفوسهم مع غاية الجاس في الصداقة ملوكهم ممتلئين من الكبر الذي لم يعهد له نظير ولا قياس في امة من الامم السالفين وكانوا يزعمون انهم فوق جميع الملل المتقدمين ولهم صرع على الحرمان من الملاذ الدنيوية وفيهم ميل للخداع والخيانة واشيد الطباع الغريزية المائلة للحب السلطنة وكانوا قوما اهل نشاط وشهامة ورجالا اهل جلادة ومواظبة ولدا على اجتماع جميع هذه الصفات فيهم كانوا هم احدى الملل التي خلقها الله سبحانه وتعالى بتدابيره الازلية واعداها بتقاديره الالهية لقصد ان تستولى على غيرها من الامم الاخرين مدة ما من الاحقاب الدهرية ولاجل ان يجعلها آلة عقاب لمن يستحق منهم سوء العذاب

وقد بلغت درجة خشوتهم وشدة نشاطهم وحركتهم لغاية انهم قاوموا مدة عدة قرون كاملة ما كان حاصلها عليهم من تأثير التمتع والرفاهية التي كانت قد غلبت عليهم من بعدما كان قد تحصل لهم من كثرة الغنى والثروة من سائر اقطار الدنيا باستيلائهم على الممالك الكثيرة والفتوحات الغير المحصورة وتيسر لهم من بعد سقوط الملك سردانا بال انهم في مسافة ثلاثين سنة قاموا من سقطتهم وعادوا الى ما كانوا عليه من شدة وطأتهم وعلو درجة صواتهم وشوكتهم واستمر واعلى فتوح البلدان اكثر مما كانوا عليه في سالف الزمان ولم يتيسر لغيرهم من الامم الاسيين انهم استمر واعلى حفظ درجة اعلىويتهم الجهادية مدة مديدة واعصارا عديدة كما تيسر لهم مع كون الامم الذين كانوا قدامهم بالقوة القهرية كانوا اقواما اولى عصبية شديدة ومقاومة عبيدة وكانوا هم ذاتهم محاطين بأعداء من اشد ما يكون

مطلب — ذكر ما كان للاسوريين في تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقة — قد كانت ارض بلاد الاسورية في سالف الزمان ولم تنزل لغاية الان خصبة خصوصية تامة في اى مكان امكن جلب الماء اليه وتيسر ريد وكانوا قد تعلموا فن الفلاحة من جيرانهم البابليين الذين كانوا في اول الامر هم اساتيدهم والقوم الاعلون عليهم ولذلك كان فن الفلاحة قد بلغ عندهم الى اقصى درجه الكمال من اعصار قديمة جدا في سائر بلاد الجزيرة الفراتية سواء كان ببلاد كلدة او ببلاد الاسورية وكانت طرقهم الزراعية مؤسسة على اقوى الاصول العلمية اعنى على اساليب علمية وتجارية فهاية تصعد الى اقصى

الازمان السالفة مع كونها مبنية على قواعد من العلم مستندة للدلة العقلية ولم يكن يلحق الاسوريين والبابليين في فن الفلاحة أمة من الامم السالفين ولم يفقههم في كثير من الاعمال الزراعية أحدهم من الامم المتأخرين وكما كانت الزراعة عندها تيز الملتين في أعلى درجة من الكمال فكذلك كانت الصنایع عندهم على تلك الحال فكان يخرج من معامل مدينتي نينوى وبابل في تلك الاعصار الغابرة من الاقمشة المصبوغة بالالوان الزاهية او المطرزة والامتعة النفيسة والمصنوعات المتقنة من مخلوط المعادن الثلاثة التي هي النحاس والقصدير والحارصيني او التوتية المعدنية المسمى مجموع ذلك بالتوج ومواد من المساعات التي عليها نقوش بغاية الدقة والظرافة ومن الاواني المتخذة من الفخار المظلي ما يرغب فيه الراغبون ويجلبه الجالبون الى سائر بلاد الامم المتقدمين وقد كان بمدينة بابل تجارة ذات حركة نشيطة في البحر مع بلاد الهند وفي البر مع بلاد فارس والسوس ومدينة نينوى قوافل تسافر الى بلاد الفينيقيين واسية الصغرى وبلاد الارمن والميديين

مطلب — ذكر القلم السناني والخط السرياني — قد كان الخط الاسورى او السرياني المعبر عنه عند علماء الاقربج المتأخرين بالقلم السناني هو في الاصل من قبيل الخط الهيوري يجايفي والقلم المصرى القديم اعنى من ككبا من حروف هي تماثيل الاشياء المحسوسة وصور المواد المكتوبة ثم يقتضى الميل الطبيعى حصل في تصوير الاشياء على هذا الوجه تبديل شديد وتحويل آخر جديد واحوجت ضرورة الاختصار الى استبدال تصوير الشئ المكتوب على صورته الاصلية بتصوير بعض خواص مميزة له عن غيره وهي وان كانت ليست بصورته الحقيقية غير انها تدل على بعض صفات ظاهرية هي اخص خواصه الطبيعية ومن ثم نشأت صورة الكتابة السريانية المعبر عنها بالطريقة الكتابية السنانية وصفتها المميزة لها عن غيرها هي ان جميع الاشكال التي تتركب منها على أى هيئة كانت هي عبارة عن حروف ترجع بالاختيار او بالجبر الى كونها تنتهي بما هو اشبه به بسنان الرمح او المسمار ولذلك تعبر عنها بالكتابة السنانية ولم تكن هيئة هذه الطريقة في اول الامر الا ناشئة عن كيفية رسم الخط وذلك ان الاسوريين والبابليين لم يكونوا يكتبون علامات كتابتهم هذه لا بالقلم الواسطى على كاغد كالعهود عند اهل المشرق لغاية الآن ولا بقلم الرسم على ورق البردى ولا على جلود مدبوغة مجهزة لهذا القصد او على خرق من القماش ولا بس قلم النقش الجساف على ألواح من الخشب او خوص النخيل او قشور الاشجار بل كانوا لداعى عدم تيسر هذه الوسائل لهم بالسهولة يرسمون حروفهم مفرغة في ألواح من الطفل الطرى ثم يحرقونها بالنار اذا أرادوا بقاءها وحفظها على عمر الاعصار وكانت آلة كتابتهم قلما على شكل المثلث يتخذونه من الحديد لهذا العمل حصل العثور على عدة افراد عديدة منه في اطلال مدينة نينوى فكان تصوير شكل

خطهم على تلك الصورة الغربية أعى صورة المسماة هذه ناتجة عن تأخير خط هذا القلم في مجسم الطفل وترسم صورة المسماة فيه بواسطة الطرق عليه طرقتين بقلم النقش المذكور ولا شك ان الرسم على الحجر بمثل هذا العمل كان اسهل لهم واسرع من تصوير تماثيل الاشياء المكتوبة بتمامها عليه ولذلك عدلوا عن هذه الطريقة الاولى الى تلك الطريقة السهلة قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه وجميع الصحف التي تيسر لنا الحصول عليها من بقايا الكتب السريانية القديمة الحقيقية هي ناتجة عن اعمال الحفر التي حصلت في اوائل هذا القرن الحاضر بمعرفة المعلم (ليار) الفرانسواى الساف الذكر واصلها من الكتبخانة العمومية التي كان قد انشأها الملاء آسور بانيبال في قاعة من قصره بمدينة نينوى في ذلك العصر ولقد كانت تلك القاعة دار كتب عجيبة وكتبخانة غريبة وهي عبارة عن مجرد الواح مسطحة مربعة من الحجر كتب على كل من وجهيها بالقلم السناني القديم ونوع الخط السرياني الدقيق المصموم (المعروف في اصطلاح اهل الخط بقلم الرقعة) حقيقة من الكتابة مرسومة على أصل الطفل وهو بحالة الطراوة بعد وقد وضع بأعلاها رقم يدل على انها صفحة من كتاب يتركب مجموعته من جملة صفحات كلها من هذا القبيل ولا شك انها قد كانت في الاصل مرصوفة بعضها فوق بعض على هيئة الكتاب موضوعة في خاتمة من دواب الكتبخانه المذكوره

مطلب — ذكر ديانة الاسوريين وعقائدها من العراق السالفين — وقد كانت ديانة الاسوريين والبابليين هي اصل منشأ اغلب المذاهب الدينية التي كان عليها سكان بلاد الشام وبلاد آسية الصغرى السالفين وكان دينهم من حيث أصوله الاساسية وقواعده الاصلية العمومية من قبيل دين قدماء المصريين وسائر اديان اهل الجاهلية الصابئين وعبدة الاصنام من الامم السالفين على العموم وذلك انه متى أمعن الناظر فيه نظره وحقق بصره الى ما وراء القشرة الخشنة الغليظة أعى مادة تعدد الآلهة المعبودين لهم التي كانوا يحجبون بها مصون عقائدهم عن أعين العامة منهم وصعد الى مرتبة من العقائد الدينية الحقيقية أعلى من تلك الاوهام العامية التي هي لتلك العقائد الاصلية وسائل ابتدائية وأوائل توسلية اتضح له في ضمنها ادراك معنى أصلى دقيق من اصل الوجدانية الآلهية وانه كان لهم حظ من عقيدة التوحيد الاصلية التي هي من آثار الوحي السابق غير انها كانت قد تشوهت على مرور الازمان بما كان قد تدخل في اذهان هؤلاء الامم من التخيلات الشيعية والاهام البشيعية في ميدان تعدد الآلهة المعبودين حيث خلطوا المخلوق بالخالق وتصوروا الذات المعبودة في صورة مادة دنوية آلهية جعلوا الحوادث الطبيعية هي مظاهرها وتوهموا ان الآثار الاعتيادية هي ما أثرها فكانوا يعتقدون انه يوجد له واحد اسمى وذات معبود

أعلى هو السيب الاعظام والكل الاقصى تنتهى اليه سائر الاشياء الاخرى وتشتغل فيه اشتمال الكل على الاجزاء ودونه عدة آلهة ثانوية سفلى وجملة ذوات معبودة دنيا صادرة عن الذات الالهية العليا مرتبة في اعتقادهم على درجات متنوعة بحسب اختلاف قدرها واهمية بعضها بالنسبة لبعض وليست في الحقيقة الاعبارة عن صفات الذات الاعلى وهم قد شخصوها وعن مظاهرها الاثرية وهم قد خصصوها وجعلوها ذوات مستقلة وآلهة منفردة عن الذات الاصلية وأصل جميع أديان الامم الجاهليين وعبدية الاصنام الصابئين السالفين واحد وانما كانت تختلف خصوصاً من حيث تنوع هؤلاء الذوات المعبودين الثانويين واختلاف تاهياتهم الذاتية في تخيل هؤلاء الامم السالفين فكان المصريون كما أسلفنا ذلك في موضعه قد تأثر تخيلهم خصوصاً بالحوادث المتواليه المريثية لهم من حركة الشمس اليومية والسنوية فترأى لهم فيها أعظم مظهر وأظهر أثر للذات الالهية الاصلية وتصوروا ان فيها انموذج قوانين نظام الكون فجعلوها أصلاً لتشخصات آلهتهم ومنشأً لتخصر ذوات معبوداتهم بخلاف أهل العراق السالفين أعني الكلدانيين والاسوريين المذكورين فانهم لما كانوا قد انهمكوا بالخصوص على الاشتغال بعلم الفلك كانوا قد تصوروا ان مجموع سائر الكواكب الفلكية ولاسيما الكواكب السيارة منها هي آثار للذات الالهية فاعتبروها هي ما أثرها الظاهرية ومتعلقاتها الاثرية وجعلوها في طريقتهم الدينية هي الصور المريثية الصادرة عن ذات معبودهم الاصلى المطلق وكانوا يعتقدون اتحادها بال العالم المرئى الذى هو صنعتها وقد كان هذا التصور موافقاً لما كانوا يمكنهم عليه من دوام الاشتغال بعلم الفلك والنجوم حيث كان هذان العلمان هما الغالبان على عقول هذه الامة وكانت خرقه القسس الكلدانيين الذين هم أمناءد يانتهم منهم يمكن بالخصوص على رصد أحوال السماء وما فيها من الكواكب والنجوم ومعرفة حركاتها وكانوا قد تقدموا في هذا العلم فوق سائر العلوم تقدماً كبيراً جداً وكانوا لعلم الفلك هم اول الواضعين واسبق المؤسسين واليهم ينسب اختراع دائرة فلك البروج وتقسيم الدائرة الى ٣٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة وانهم اول من رصد الكواكب السيارة وحسب حوادث خسوف القمر وقد جرهم الاشتغال بعلم الفلك الى البحث في العلوم الرياضية ولاسيما علم الاعداد وعندهم أخذ الفيلسوف اليونانى المشهور بفيثاغورس جدول الضرب المشهور باسمه في علم الحساب لغاية الآن ولقد كانت ديانة أهل نينوى وبابل تشتغل على رذائل شنيعة ومناسك بشيعة وأمور مخالفة لمكارم الاخلاق منفره للطباع السلمية جداً ومن ثم كان التشنيع الشديد والتعبيج بالنفس العالى الذى كان يصدر من أنبياء بنى اسرائيل على هذه الديانة الدنيئة التى كانت تقر مثل هذه القبائح الشديدة

مطلب — ذكر فنون الاسوريين وصناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كان فن

العمارة عندهم - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان قدمكث
 الناس مدة مديدة واعصار عديدة يعتمدون على مجرد قول أهل التاريخ السالفين
 كالمؤرخ (اكلزياس) مثلاً فيما ذكره من انه قد كان للاسوريين في سالف الاعصار
 فنون وصنایع قد اتسعت دائرتها وعمارات اتقنت صنعها الى درجة عالية جداً ويعتقدون
 مجرد دعواهم في ما حرروه من بديع وصف العمارات الفاخرة والقصور والهياكل
 المشيدة التي كانت في مدينتي نينوى وبابل حتى جاءت سنة ١٨٤٤ الميلادية (سنة
 ١٢٦٠ هجرية) وفيها عثر بلدينا العالم النحير والقنصل الشهير باسم (بوطه) وكان قنصل
 دولة فرانسبا الموصل على آثار قصر قديم لبعض الملوك الاسوريين في مكان قرية حقيرة تدعى باسم
 (خورازاباد) على القرب من مدينة الموصل المذكورة وكان هو اول من استكشف شيئاً من
 تلك الآثار الماثورة ثم حذا حذوه وقفاً اثره جماعة كثيرون من اهل العناية بالبحث عن
 احوال الامم السالفين فاستكشفوا من هذا القبيل استكشافات كثيرة جداً حتى وقف سائر
 الناس الآن على حقيقة فن من العمارات لم يكونوا يعرفوا وجوده ولا قدره الا بمجرد الاعتماد على
 تلك الاقوال الادبية والشهادات التاريخية المشهورة ولقد علم بدليل هذه الاستكشافات
 ان ما كان يوجد ببلاد البابليين من العمارات الدينية كان كله على منوال واحد فانهم كانوا
 يبنيون هياكلهم على شكل هرم مدرج يتركب من عدة سطوح عديدة مرتبة وجملة طبقات
 من كبة من قصات بعضها فوق بعض من جميع جهاتها اعني ان كل سطح او طبقة منها هي
 اضيق مما دونها على وجه بحيث ان الطبقة السفلى اعني قاعدة الهرم كانت على اوسع مسافة من
 الارض والطبقة العليا وهي الرأس هي اضيقها وقد كان بناء برج بابل المشهور على هذا الوجه
 من قبل وكذلك كان بناء اقدم الاهرام المصرية كهرم صقارة مثلاً وقد كان انشاء معابدهم
 على هذه الهيئة موافقاً لما كان من كوزاني اذهانهم من بناء العقائد الكلدانية خصوصاً
 من مبادئ اصلها على القواعد الفلكية وكانهم كانوا يعتقدون انهم بهذه الوسيلة يتقربون
 الى الاجسام السماوية التي كانوا يعبدونها فاتخذوا هياكلهم هذه كأنها صدخانات حقيقية
 لكي يرصدوا فيها حركاتها الدورية ولذلك تراهم على سطح الطبقة العليا منها يبنيون زاوية أو
 مصلى صغيراً وهو عبارة عن حجرة من بعة من بعة بأجمل الزينة يوضع فيها تمثال الاله المعبود
 لهم في كل هيكل من هياكلهم وكل سطح او طبقة من الطبقات السكائن بعضها فوق بعض
 مكسو بطلاط من الآجر تختلف ابعاده وألوانه في كل واحدة منها عن غيرها من الطبقات
 الاخرى وقد كان من عوايد الاسوريين على وجه العموم ان يعملوا جبيلات مرتفعة عظيمة
 اي تلالاً مصنوعة جسمية يجعلونها قواعداً مسطحة يبنيون عليها هياكلهم وقصورهم ومدائنهم
 وديارهم ومنازلهم وكانت مدينة نينوى مبنية على هضبة مصنوعة من هذا القبيل تمتد على

خطمديد من مساحة الارض وكانت اسوارها تحيط على نطاق من الارض يبلغ مقاسه ٣٦٠ شوطا يونانيا ظاهرها مبنى بالأجر وباطنها محشو بتراب مجلوب ولذلك تراها المازال عنها الحائط المبنى بالأجر انهار التراب المذكور واختلط بالارض كأن لم يكن لها سور وحيث كانت عماراتهم مبنية على تلك التلال الصناعية كانت بحسب طريقة بنائها هذه تظهر لعين الرائي كأنها في الحقيقة تلال أخرى من اعمال البشر متر كبة على التلال الاولى وكانهم كانوا يحتفرون في جوانبها مساكنهم اذ كانوا يضطرون لذلك كما يظهر بضرورة جنس المواد المتيسرة عندهم لعمل الابنية والحاجة كونهم يتخذون لانفسهم بيوتاً طرية لتقيم الحرفى مثل تلك الاقطار الشديدة الحرارة نعم ان ارض بلاد الاسور ية يوجد بها أحجار بكثرة للبناء اسكن البابليين الذين كانوا لانيويين هم الاسانذة المعلمين كانوا لا يجدون في ارض بلادهم مواد للبناء حيث كانت ارضهم كلها سهولا تتركب من مجرد طينة طفالية مجلوبة ولذلك اضطروا لاتخاذ ابنيتهم كلها من الطوب المصطنع اما محروقاً بالنار او مجففاً بجرارة الشمس لا غير وقد قفأ أثرهم في ذلك تلامذتهم الاسوريون غير انهم بدلا عن كونهم يضربون الطوب بطريقة اساتيدهم البابليين انما كانوا يقتصرون على عمل مداميج من الطفل اى على مجرد القاء المادة الطفالية من بعد سحقها بسحقة في قوالب من الخشب فقط ولم يكن للاسوريين مواد بناء أخرى غير هذه المادة حسبما اتضح من جميع اعمال الحفر التي حصلت في آثار العمارات الاسورية القديمة لغاية الآن اذ لم يوجد فيها البناء بالججر اللهم الا في صورة تطبيق من الظاهر لبعض الحيطان تراه مرصوا على طبقات او صفوف بعضها فوق بعض وفيها نقوش خفيفة تمتد على طول جوانب القيعان وتلك القيعان في غاية من الزينة الزاهرة الزاهية والنقوش الباهرة الباهية يكسو حيطانها من الظاهر طبقة من الججر المنحوت مبنية على الوجاهات الخارجية من السطوح المذكورة ولما كان الاسوريون لا يتخذون ابنيتهم الا من المداميج الطفالية لزمهم ان يجعلوا حيطانهم سميكة جدا وكانوا لا يبنون الا احجاراً ضيقة وحيطانا غير مرتفعة لان القبوة المصنوعة من المداميج الطفالية المذكورة لا يمكن ان تكون الا على ابعاد غير عظيمة وكانوا لا يجعلون عماراتهم الا بدور واحد ويبريقون سطح سقوفها بطبقة جسمية من الطين لاجل ان لا تخترقها الامطار ولا ينفذ فيها الشقوق الناشئة عن اشعة الشمس

مطلب — ذكر ما كان قد اشتهر عند الاسوريين في تلك العصور من صناعة التصوير — قد كان فن التصوير ببلاد الاسورية في سالف العصور من اعظم الفنون التي كان يشتغل بها الامم الاقدمون ومنهم تعلم اليونان مبادئ تصويراتهم اذ كانت هذه الصناعة قد انتقلت اليهم بواسطة سكان بلاد آسية الصغرى وهم كانوا قد اخذوها عنهم وتعلموها منهم وذلك انه بامعان النظر في اعمال التصوير المصنوعة بتلم ارباب الفن النينويين واليونانيين في الاحصار

الاغصار الاولية يرى ان بين-مادرجة، رابة عجيبة ومناسبة غريبة جدا وقد كانت صناعة التصوير عند الاوربيين كما هو شأن جميع الفنون الابتدائية والصنایع الاولية وكما كان الحال كذلك عند قدماء المصريين عبارة عن تقليد غير تام للصور الطبيعية وصناعة غشيمة في رسم التماثيل التصويرية تكاد ان تكون اعمالا بنائية اوهى اساليب اتفاقية مصطلح عليها عندهم واكثرها من قبيل ما يشتغل به الصبيان في سائر البلدان في مبادى اشتغالهم بفن الرسم والتصوير فترى سائر رسم الوجوه في النساوير البارزة عندهم مثلا مأخوذ بجانب ولون ترتب عليه اختلال تركيب مجموع الصورة بتمامها لداعي كون تمثيل المستويات على الجنب اسهل من تمثيلها بالموالفة غير ان فن التصوير عند الاصور بين كان مبنيا على اصول مغايرة لاصول فن التصوير عند المصريين ولم يكن على الصناعة الا سورية تلك الفخامة الاحتفالية والرخامة الاثرية التي كانت تشاهد على التماثيل المصرية وذلك ان الاصوريين كانوا بدلا عن كونهم يصورون الاشياء بصورها العمومية وينظرون لمجرد القوانين الجبرية من الصور الطبيعية فقط فبجئ تصور المستويات والخطوط بواسطة ايجاز الصورة المراد تمثيلها والاقتصار فيها على اجزائها الاصلية واوصافها الطبيعية المميزة لها وينخبون ما يستحق العناية به مبنيا على اصول الدقة والحذق كما نوايتعلقون بتصوير دقائق الاحوال مع غاية العناية والتدقيق فلا ينسون تطرير الثياب ولا يهملون رسم ضفيرة من شعر الرأس أو اللحية او عصب ذراع او فخذ وما أشبه ذلك واشد اعنتانهم بمثل هذه الدقائق كانت صناعة التصوير الا سورية كما مصرية تبعدهم تمثيل الحقيقة الطبيعية لكن كل منهما من طريق مخالف للثاني مخالفة الضد للضد وكانت عنايتهم في التصوير بالاحوال الطبيعية تبلغ من درجة الاهمية البليغة الى ما يضر بمجموع الرسم على العموم وكانت كيفية رسمهم لاعصاب أعضاء الجسم لداعي المبالغة في اظهارها تصير هائلة جدا وتصير النسبة بين اجزاء البدن غير مضبوطة ومن هذه الخبيثة بقي فن التصوير ببلاد العراق القديمة دون فن التصوير في ديار مصر بكثير ولم يكن فيه ما كان في فن التصوير المصري من الروح الخيالي ودرجة التصور العقلي وعظمة السكون والجلالة الدينية الموجدة في التماثيل المصرية لكنه في مقابلة ذلك يشتمل على حركة ونشاط ونوع من الروحانية والحياة لم تكن تعرف عند ارباب الفن المصريين (انتهى من تاريخ الامم المشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروالبيان)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الرابع من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عموميه

- ١ - ما المقنضى لترتيب تاريخ الاسوريين والبابليين بعد قدماء المصريين والعبرانيين بالنسبة الينا معاشر المصريين

مقدمة

- ٢ - ماصفة حوض دجلة والفرات وما اشتمل عليه من الممالك والولايات
- ٣ - كيف تنقسم الجزيرة الفراتية بالنسبة لطبيعة طبقتها الارضية وما طبيعة أرض كل قسم منها
- ٤ - ما المراد من التعبير ببلاد الاسورية وكيف كانت تنقسم في سالف الحقب العصرية
- ٥ - ماهى الولايات المشعولة في حوض دجلة والفرات وما صفة تلك البلدان على حسب ماهى عليه الآن
- ٦ - ما مكان مدينة (نينوى) القديمة ومن هو أول من استكشف آثار هذه المدينة العظيمة
- ٧ - أين توجد اطلال مدينة بابل المشهورة
- ٨ - ما المراد من النبط أو النبطيين في مقابلة القبط أو القبطيين
- ٩ - ما وجه المقابلة بين وادى النيل ووادى دجلة والفرات وما الموجب لتعلق اطماع الدول بالجمع بينهما والاستيلاء عليهما في كل عصر وجيل
- ١٠ - ماذا قيل من الاشعار العربية الشهيرة في المقابلة بين نهرى النيل والفرات

الفصل الاول

- ١١ - من كان سكان بلاد كلدان من الامم الاقدمين في سالف الازمان بعد الطوفان وماذا يذكر عن السومير والاكاد - وهل كانوا وحدهم سكان تلك البلاد
- ١٢ - من كان اول من أنشأ المدن والعمارات على شواطئ نهرى الدجلة والفرات
- ١٣ - ما النمرود وماذا يحكى عنه في التوراة من الروايات
- ١٤ - ما أسور وماذا يؤثر عنه من الآثار والعمارات
- ١٥ - ما أصل منشأ الاسور بين أو والسريانيين وما نسبتهم للبابليين

الفصل الثانى

- ١٦ - ماذا ثبت من تاريخ أوائل أمر الدولة الكلدانية والدولة الاسورية حين كاتنا بمجتمعتين ببلاد الجزيرة الفراتية وماذا كانت مساهماتهما من تلك الاقطار وما تحقق عنهما من الاخبار
- ١٧ - ما حال الامة الكلدانية الاسورية في تلك الاعصار الاولى
- ١٨ - ما قصة تملك الدولة الميديّة على مدينة بابل العراقية وما مدة تملكهم على تلك البلاد قبل الميلاد
- ١٩ - ما قصة تملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية وما مدة تملكهم على تلك البلاد قبل الميلاد
- ٢٠ - من الذى اعقب الدولة الايلامية على بلاد البابلية وفي أى سنة كان ذلك قبل الميلاد وما أشهر ملوك هذه الدولة الذين عثر لهم على بعض آثار بملك البلاد
- ٢١ - ما قصة استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية وما مدة ذلك الاستيلاء وماذا يستأنس لذلك من كتب المؤرخين المتقدمين

الفصل الثالث

- ٢٢ - كيف كان تأسيس الساسانية الاسورية بملك البلاد (من القرن الخامس عشر الى الرابع عشر قبل الميلاد) وما حاله تاريخ تلك المدة من حيث الصحة والاعتماد

- ٢٣ - مأوائل فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاورين ومن هم أول الملوك الاسوريين الفاتحين
- ٢٤ - مأول منشأ العائلة الملوكية الاسورية المعروفة بالبيليطارية وماتاريخ حدوثها - قبل المدة الميلادية وماذا ثبت من تاريخ بيليطارية ومن خافه من ملوك تلك العائلة الملوكية
- ٢٥ - ماذا ثبت من تاريخ الملك آسورنازيرپال وما عثر له عليه من الآثار الدالة على ما كان فيه من غرائب الخصال وعجائب الافعال
- ٢٦ - ماذا ثبت عن الملك سلمانصر الرابع وما تحقق له من الغزوات والوقايح
- ٢٧ - ماذا ثبت من أخبار الملك بيلوخوس الثالث والملكة سيميراميس الحقيقية وهل في - التواريخ الاسورية الصحيحة امرأة تسمى بهذا الاسم غير هذه الذات الملوكية
- ٢٨ - ماذا يدكر عن الملك سرداناپال من رذائل الخصال وماذا تضرب به الامثال وماذا ترتب على فتح سلوكه من العنت والاحتلال وخراب مدينة نينوى الخراب الاول بعد القتال
- ٢٩ - ما قصة زوال الدولة الاسورية الاولى وخراب مدينة نينوى الاول وماتاريخ هذه الحادثة الكبرى

الفصل الرابع

- ٣٠ - ماذا كان من حال القوم الميديين بعد خراب مدينة نينوى الاول وماذا يدكر عن الملك فول بعد ذلك بمدينة بابل
- ٣١ - كيف كانت مدة مكث الدولة البابلية وماذا فعل الاسوريون بعد ذلك من المسالك حتى عادت السلطنة الاسورية الى مدينة نينوى بالثاني وماذا يدكر عن الملك (تجلات فلصر) الثاني
- ٣٢ - ماذا يدكر عن الملك (سلمانصر)
- ٣٣ - ماذا يدكر عن الملك (سرجون)
- ٣٤ - ماذا يدكر عن الملك (سنحاريب)
- ٣٥ - ماذا يدكر عن الملك (آسارادون)
- ٣٦ - ماذا يدكر عن الملك (آسور بانيبال)

- ٣٧ - ما آخر ما حصل من النجاح في الجهاد على يد بعض الملوك الاسوريين من الطبقة الثانية بتلك البلاد
- ٣٨ - كيف كان زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثاني بالكلية والجزئية وما قصة غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين وماذا ترتب على تلك الحادثة الدهرية
- ٣٩ - من هو آخر ملوك الدولة الاسورية الثانية بمدينة نينوى وكيف كانت حالته بالنسبة لصاحب الدولة الميديية

الفصل الخامس

- ٤٠ - ماذا يذكر من غرائب الامور عن الملك بختنصر المسمى المشهور
- ٤١ - ما قصة واقعة قرقيش الشهيرة وما الذي اوجب سرعة هود بختنصر الى مدينة بابل عقب هذه الواقعة الشهيرة
- ٤٢ - ما قصة أوائل غزوات بختنصر ببلاد اليهود بناء على ما كان قد حصل من طرف ملكهم من نقض العهود
- ٤٣ - ما قصة خراب بيت المقدس على يد بختنصر وماذا فعل بالملك صدقيامن أفعال الجبر والتهور
- ٤٤ - ما قصة وقايح بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية
- ٤٥ - ما قصة ما يؤثر عن بختنصر من العمارات والآثار وما صفة مدينة بابل حسبما نص عليه المؤرخ هيرودوت اليوناني في تلك الاعصار
- ٤٦ - ما ملحوظات المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بقياس مدينة بابل في تلك الازمان ببعض المدن الموجودة الان
- ٤٧ - ما تعريف البساتين المعلقة المشهورة في قديم الزمان وبماذا يمكن تشبيهها بما يوجد من هذا القبيل الان
- ٤٨ - ماذا كانت آثار بختنصر فيما يتعلق بالمواد الزراعية والتجارية والسفارات البحرية
- ٤٩ - ما قصة ما اعتري بختنصر من الجنون وما حصل له في آخر عمره من الغرور والفتور

- ٥٠ - ما أسباب سرعة انحطاط السلطنة البابلية وعجلة زوال الدولة الكلدانية بالنسبة للسلطنة الآشورية وما تأويل الرؤيا المنامية التي كان رؤاها بعض ملوك الدولة العراقية فيما يتعلق بهذه القضية
- ٥١ - ما تاريخ خلهما، بختنصر على ملكة بابل من الملوك في ذلك العصر
- ٥٢ - بماذا اشتهر ولد بختنصر المدعو باسم (ايو بلير وداش) من مكارم الافعال الانسانية وهل استمر على حسن تلك السيرة الملوكية
- ٥٣ - ما قصة صهر بختنصر المدعو باسم (نيريجليصور) وكيف كانت عاقبة امره في تلك العصور
- ٥٤ - من ذا الذي خلف الملك (نيريجليصور) وما قصة استيلاء الملك (نانو زيد) على سرير السلطنة البابلية وكيف كانت حالة أيام هذا الملك الاخير
- ٥٥ - ما قصة سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكلية

الفصل السادس

- ٥٦ - كيف كان ترتيب الدولة الآشورية الكلدانية في سالف الاحقاب الزمنية وما نوع تلك الولاية العمومية وكيف كانت تعتبر عندهم المرتبة الملوكية بالنسبة لسائر المراتب الدولية
- ٥٧ - ما كيفية تقليد الولاية على الاقاليم الاجنبية المفتوحة من طرف الدولة الكلدانية الآشورية في تلك الاحقاب العصرية
- ٥٨ - كيف كانت طريقة ترتيب الطبقات الاهلية وترتيب الجمعية البشرية ببلاد الآشورية في تلك الاحقاب الدهرية
- ٥٩ - ماذا يذكر عما كان للاشوريين في الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين بالقياس على شرائع المصريين
- ٦٠ - كيف كانت طباع الآشوريين الاخلاقية وهيئاتهم الجسمية
- ٦١ - ماذا يذكر عن الآشوريين في تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقة
- ٦٢ - ما تعريف القلم السناني والخط السرياني القديم
- ٦٣ - ا. - قيمة ديانة الآشوريين واهمية عقائد اهل العراق السالفين وماذا كانوا قد برعوا فيه من أنواع العلوم والفنون

٦٤ - ما حالة صناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كانت قد بلغت درجة فن العمارة

عندهم

٦٥ - ما حقيقة ما كان قد اشتهر عن الاسوريين في تلك العصور من صناعة التمثيل والتصوير



الباب الخامس

في تاريخ الفرس والميدين وسكان بلاد العراق الجهمي واذر بيجان السالفين

(واصل مأخذ هذا الباب من تأليفات العلماء الاوروپاويين المتأخرين وتحقيقات المؤرخين المحققين العصريين ولا سيما من تأليف المؤلف (برجان) فيما يتعلق باصول الامم المتكونة من بني يافث السالفين وتأليف العالم (بيشيت) فيما يتعلق باصول الامم الهنديين والاوروپاويين والاربيين الاولين وكتاب المعلم (شيبيل) فيما يتعلق باصول ديانة الجنس البشري الهندي الايراني وتأليفات العالم الپروسياني المشهور باسم (كوهن) وغير ذلك)

افكار تقديمية وفوايد عمومية

قد علمنا ما تقدم في الابواب السابقة ان الديار المصرية هي قطب رحى الدين القديمة والحديثة في الاعمار السالفة والخالفة كما سيأتي ايضاحه ايضا في الابواب اللاحقة وفهمنا ما سلف ذكره لغاية الآن ان كل امة نبعت بصورتها بين الامم المتقدمين وكل ملة برعت بشوكتها بين الملل السانفين في ذلك الزمان لا بد وان تتعلق بالاستيلاء عليها اطماعها وتتشوق لاستصفاؤها لنفسها واستتباعها لداعي ما منحها الله سبحانه وتعالى دون سائر الاقطار الدنيوية من المزايا الطبيعية وحس الاحوال الموقعية كالخوداء البديعة الجمال الغزيرة المال والحسنة ذات الحسب والنسب الكثيرة النشب يتزاحم عليها الراغبون ويتنافس في مهرها الخاطبون ولذلك يجب علينا معاشر ابناءنا المصريين وطلبة العلم العصريين في درس التاريخ العام والبحث عن اخبار سائر الامم والاقوام ان لا تقطع النظر عن هذه البقعة الكريمة والجنة الارضية العظيمة ونرد سائر تواريخ الامم المتنوعين اليها ونبحث في جميع اخبارهم واحوالهم لامن حيث كونهم لنا هم الغرض الاصلى والباعث الاولى بل بطريق التبعية والقياس عليها واذا سررنا اورودنا في بعض ميادين اخبارهم ولقاء الامم والاقوام في كل مكان وفي كل زمان ينبغي لنا ان نرجع دائما الى هذه الاوطان التي حباها من الايمان ونقول لها بالقلب واللسان قول العاشق الولهان (شعر)

اورى بسعدى والرباب وزينب * وكل يدبغ الحسن والقصد انتمو

وان من اشهر الامم السالفين واكبر الملل الاغراب المتقدمين الذين امتدت يدهم

واستعدت عددهم وعددهم للاستيلاء على الديار المصرية في سالف الاحقاب العصرية اعني عمدة التواريخ القديمة التي نحن بصدد البحث عنها والاعتباس منها بعد غارة الملوك اربعة المعروفين بالهيكسوسيين وغارة ملوك الايتيوبيين وضاحتهم عليها كما علمتهم تفاصيل ذلك في سالف من ملوك الاسوريين هم ملوك فارس والميديين أي سكان بلاد العراق العجمي واذربيجان السالفين وكانت مساكنهم فيما وراء البحر المسمى عند السلف باسم بحر (اير يتر) وهو المعروف الآن بالخليج الفارسي الخارج من الاوقيانوس الهندي او بحر الهند ويتصل بخليج عمان وذلك القطر هو ما يعرف في هذا الزمان ببلاد العجم أو دولة (ايران) والغرض لنا من هذا الباب ان نبحث عما ثبت عند المحققين من علماء التاريخ الاروباويين المتأخرين من أخبار هذه الامة الشهيرة والملة ذات الشوكة الكبيرة من سالف الاحقاب لغاية ان امتدت سلطنتهم وشملت غارتهم ديارنا هذه المصرية واستلحقوها بالتبعية وتتابع تاريخها بعد ذلك لغاية ما يعرف في اصطلاح أهل التاريخ بالحروب الميدية يعنون بذلك الوقائع الحربية التي وقعت بين الامة الفارسية واليونان المعبر عنهم عند العرب بالروم كما هو معلوم وذلك في نحو القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام كما فعلنا بالامم المذكورين في سالف الابواب من هذا الكتاب

وقبل الشروع في ايراد هذه التحقيقات التاريخية والنتائج الاستكشافية العلمية يلزم أن نقدم امام هذا الباب مقدمة تشتمل على معلومات جغرافية وفوائد وصفية تتعلق بالاقطار الارضية التي كان فيها مساكن هذه الامة الميدية وتلك الملة الفارسية التي يزيدان نشغلت بالوقوف على حقيقة تاريخها في سالف الاحقاب لضرورة معرفة وصف المكان قبل السكان على حسب الاسلوب الذي سلكناه في هذا التأليف لغاية الآن

مقدمة

في بعض قوائد جغرافية ومعلومات وصفية تتعلق ببلاد فارس والميدية

جرت عادة المؤرخين الاوروباويين ان يذكروا تاريخ بلاد فارس والميديين او مادي في باب واحد وان كانوا أمتين متغايرتين وملتين مختلفتين كما جرت عادتهم أيضا بأن يذكروا في باب واحد كذلك تواريخ الاسوريين والبابليين لارتباط أخبار بعضهم ببعض ولكون مساكنهم متقاربة والاقبال الميدية (ويقال لها أيضا بلاد مادي) هي خلاف بلاد فارس وان كانت اماكنهم متصاربة من أقطار الارض وحدود كل منهما كالسطر بعد

مطلب — حدود بلاد الميديدية من ابلاد الميديدية فهي محدودة من جهة الشمال ببحر الخزر وبلاد أرمنية ومن جهة الغرب ببلاد الاسورية الاصلية ومن جهة الجنوب ببلاد فارس ومن جهة الشرق بالبلاد المسماة ببلاد الفرثية (بالثناء المثلثة بعد الراء المهملة) وهي القطر الكائن بشرقي العراق العجمي وغربي خراسان الآن وجمال الخزر تستر سائر سطح الجهة الشمالية منها وفي تلك الجهة أيضا ما يوجد بتلك البلاد من الانهار وذلك غديران يسمى أحدهما باسم (قورش او قور) والثاني بنهر (آراس) وقد كانت مدنها الاصلية في سالف الزمان كل من مدينة (ايكباتان) (قال صاحب معجم مشاهير الرجال والبلدان ولعلها الآن المدينة المعروفة بهمدان) ثم مدينة (راجيس) (وهي المدينة المعروفة باسم الري الآن)

مطلب — حدود بلاد فارس — وأما بلاد فارس أو فارستان فقد كانت في سالف الزمان عبارة عن الارض المشمولة فيما بين بلاد الميديدية المذكورة اعلاه والخليج الفارسي من جهتي الشمال والجنوب وبين بلاد الكرمان (بكسر الفاء الموحدة وسكون الراء المهملة) وبلاد البابلية من جهتي الشرق والغرب وفيها من جهتي الشمال والغرب جبال لا يمكن منها الدخول اليها الا بغاية المشقة والتعب وكانت مدنها الاصلية في سالف الزمان كل من مدينة (برسپوليس) (وهي المعروفة الآن باسم (ايتشهيل منار) ثم مدينة (بازارجاد) (بالبا الفارسية في اوله وهي المعروفة الآن باسم (بارا) او (فازا) (بالباء الفارسية او بالفاء الموحدة الفوقية في اوله)

وقد كانت سلطنة فارس المشهورة في عصر (دارا) الاول تشتمل على عشرين سترابية اي عمالة بمعنى اقليم او ولاية ينصب عليها عامل من طرف دولة فارس المذكورة منها ما هو ببلاد افريقية كالديار المصرية وما يليها من بلاد (قوريس) او بلاد (ليبيا) (وهي بلاد برقة) من الاقطار المغربية ومنها ما هو ببلاد آسيا بما فيها بلاد الميديدية انما هي بلاد الهند ولا جل تصور مجموع بلاد فارس ومادى الاصلية قبل الشروع فيما يتعلق بهما من الاخبار التاريخية رأينا ان نعرب هنا ما تسطر في كتاب جغرافية المعلم (قورتنبير) الكبرى الفرانساوية فيما يتعلق بهذه الاقطار الفارسية وذلك كالمسطر بعد

مطلب — اوصاف مملكة فارس الطبيعية وذكر بعض احوالها المحلية — قال المعلم (قورتنبير) المذكور في كتاب جغرافيته الكبرى المشهور ان دولة فارس المسماة عند اهل المشرق بدولة (ايران) تمتد الآن في شرقي دولة بني عثمان على الاقطار الكائنة فيما بين بحر الخزر من جهة الشمال والخليج الفارسي من جهة الجنوب وتتصل من جهة الشرق ببلاد (بلوچستان) و (افغانستان) ومن جهة الشمال الشرقي ببلاد (تركستان) المسماة ايضا ببلاد (القطر المسماة قلة) ومن جهة الشمال الغربي ببلاد ما وراء جبال قوقازة ومساحة طولها

٣٠٠٠ كيلومتر من الشمال الغربي الى الجنو ب الشرقى على متوسط عرض يبلغ ١١٠٠ كيلومتر ومساحة سطحها مليون واحد كيلومتر امس بها وتعد اداهلها الا ن عشرة ملايين نفسا ومتوسط اقطارها على درجة ٣٥ من العرض وتمتد من جهة الجنوب الى حد الرأس المسمى باسم (راس ياسك) السكائن على بحر عمان ويسمى مدخل الخليج الفارسى من بحر الهند باسم برغاز (هرمز) ويشتمل البوغاز المذ كور على جزيرتين تدعى احدهما باسم جزيرة (هرمز) والثانية باسم جزيرة (كيشم) وفي داخل الخليج الفارسى عدة جزائر عديدة وهذا البوغاز شهير باستخراج اللؤلؤ

وأجل اقطار بلاد فارس المذ كورة هو الجهة الجنوبية منها غير ان هواءها حار وكثيرا ما تعتر بها ال رياح الخطرة المعروفة بالسموم وأما في جهة الشرق والشمال الشرقى فان درجة الهواء لطيفة موافقة للصحة وفي جهة الشمال منها اعنى على سواحل بحر الخزر تحداقطارا خصبة بخلاف جهة الشرق حيث تجدها الصحراء الكبيرة المسماة باسم (ساله) أى الملح و يخرج ببلاد فارس هذه ثمرات طبيعية نفيسة وقوا كد أرضية جميلة فهى الموطن الاصلى لشجرة التين والرمان والتوت واللوز والخوخ والشمس والسرقوق والعنب و يصطنع بها الخمر الجيد ويخرج عدة أقطار منها كذلك من القمح والار زوالقطن وقصب السكر ما هو سبب ثروتها ويزرع بهامن البساتين التى هى منتزهات أهل فارس ما يزدان بما لا يحصى من أنواع الازهار الجميلة وفي هذه الاقطار الخيل الفارسية المشهورة الجميلة والجمال الجيدة النافعة للاسفار وهى نفيسة ايضا من حيث مالها من دقيق الاوبار التى تستخدمها الاقشة المتقنة وفي الاقطار الشرقية منها صنف من المعز يكاد أن يضاهى فى الاشتهار معز بلاد (التبت) من حيث دقة الشعر وقد يوجد فى عدة أقاليم منها الاسد والنمر وغير ذلك من السباع الضارية وأعظم المواد المعدنية التى توجد بها الملح حيث يوجد فى كل مكان منها والنفط وهم يسمتعملونه للتنوير بدلا عن الزيت ومنها النحاس والياقوت والفيروزج اللازورد واللون الازرق الجميل

وتنقسم بلاد فارس بحسب احوالها الطبيعية الى ثلاثة اقطار اصلية (الاول) وهو اعظمها يشتمل على وسط تلك المملكة وعلى جهة الشرق منها ومنه يترب كبا الجزء الغربى من ارض مستوية مرتفعة متسعة تعرف بماعناه هضبة فارس وهذه الهضبة يحدها من جهة الشمال جبال خراسان وجبال البرج ومن جهة الغرب جبال (الوند) واعلى هذه الجبال هو رأس (ديباوند) السكائن فى جبال البرج المذ كورة ومقدار ارتفاعه ٦٤٠٠ متر (الثانى) من اقطار بلاد فارس الطبيعية هو منحدر بحر الخزر وهو فى جهة الشمال منها (الثالث) فى جهة الجنوب منها هو يشتمل على المنحدر المائل نحو الخليج الفارسى وبوغاز (هرمز)

وبحر عمان

وسائر الانهار الموجودة بهضبة فارس المذكورة لا مصاب لها بل تضيع اما في رمال الصحارى او في البحيرات والبرك الموجودة فيها بدون ان يرى لها مصارف معلومة واعظمها النهر المسمى باسم (زايانده رود) وهو يصب في الصحراء الكبيرة المسماة باسم (سالة) المذكورة اعلاه النهر المسمى باسم (بنده مير) وهو يصب في بحيرة (بختاجان) وفي جهة الشمال الغربي من ثم هضبة فارس هذه بحيرة ملحمة عظيمة تعرف ببخيرة (أرميه) (بضم الهمزة وسكون الراء المهملة) ومساحة طولها ١٣٠ كيلومترا وماؤها كبحيرة لوط وبخيرة (ألوان) الملح المياه التي تعرف بغربي بلاد آسيا فلا يعيش فيها سمك ولا حيوان مطلقا ومن انهار هذه الاقطار ايضا نهر (قرل أوزان) ونهر (أراس) وهونهم سريع الجري يازجدا يتكون منه بعض الحدود الفاصلة بين أرض فارس وبلاد ما وراء جبال قوقازة (وهو الذي كان يسمى عند الامم المتقدمين كنهر (بنده مير) السالف الذكر باسم (آراس) ثم نهر (تدران) وأسفل مجراه ببلاد (تركستان) (أو بلاد التتر المستقلة) وفي المنحدر الجنوبي من تلك الاقطار نهر الكرخ يلتقي مع النهر المسمى بشط العرب ثم نهر (قارون) يصب في خليج فارس مع اختلاط بعض مياهه بآه هذا النهر الاخير

مطلب — ذكر تقاسيم مملكة فارس السياسية في هذه الاحقاب العصرية — قال العالم الجغرافي المروي عنه اعلاه مامعناه ان مملكة فارس تنقسم من حيث خططها السياسية الى أحد عشر إقليما أو حكمدارية اثنان منها في جهة الشمال على طول بحر الخزر وهما (مازندران) و (كيلان) أما الاول فقاعدته مدينة (بلفروخ) يبلغ عدد أهلها ١٠٠٠٠٠ نفس وهي حاضرة شهيرة فكثرة المتاجر والصنایع والمدارس ويلها مدينة (سارى) وعدد أهلها ٣٠٠٠٠٠ نفس واما الثاني فقاعدته مدينة (رشت) ومبلغ أهلها ٨٠٠٠٠٠ نفس غير ان موقعها في مكان مضرب بالصحة

وفي وسط مملكة فارس أو ايران الاقاصم المعروف بالعراق العجمي أى الفارسي وهو يشتمل من جهة الغرب منها على اقطار خصبة ثم يمتد من جهة الشرق الى صحارى جدبة وقاعدته مدينة (طهران) التي هي قاعدة سائر مملكة فارس وهي على القرب من جبال البرج وعددها أهلها في الشتاء ١٣٠٠٠٠٠ نفس وفي الصيف ٤٠٠٠٠٠٠ نفس فقط ومن أظهر ما فيها من الانبئة الكبيرة والعمارات الشهيرة قصر الملك وهو عمارة متسعة جدا متخلية بكثير من الزاوق والزينة وعلى شرق تلك المدينة مدينة (ديماوند) الكائنة على القرب من الرأس المسمى باسمها من جهة الجنوب ويجوارها طلال مدينة الري التي يقال انها هي مدينة (راچيس) القديمة وهي مكان ولادة الخليفة هارون الرشيد المشهور وفي جنوب العراق

الجمي المذكور مدينة (أصفهان) وقد كانت هي قاعدة المملكة الفارسية قبل مدينة (طهران) ثم انحطت عن عالي درجتها السالفة إذ كان عدد أهلها في سالف الزمان نحو مليون كامل من السكان ثم صارت لا يوجد بها الا نحو ١٠٠٠٠٠ نفس الآن ومن أظهر العمارات الظاهرة بتلك الحاضرة عدة قصور وقنطرة (زايا نده رود) والسوق المعروفة بسوق عباس والمسجد السلطاني الموجود بها والسهل المحيط بها ذو خصوبة غزيرة جدا يخرج منه خصوصا من القاون والبلخ أصناف شهيرة وفيما بين أصفهان وطهران مدينة (فاشان) وهي مدينة جميلة جدا والمدينة المسماة باسم (قم) وهي عند أهل فارس كعبة محترمة يكثر حجهم إليها وبقعة مباركة يترددون بالزيارة إليها وعلى شمال طهران مدينة (فروين) يبلغ عدد أهلها ٦٠٠٠٠٠ نفس وقد كانت في سالف الأزمنة مقر السلطنة وهي شهيرة بما يصطنع بها من السيوف الجمية والمصنوعات النحاسية وفي غربي العراق الجمي مدينة (همدان) أو (همدان) (بالذال المعجمة أو بالذال المهملة) وهي من أجل مدائن بلاد فارس موضوعة على القرب من اطلال المدينة الشهيرة عند السلف باسم (ايبانان) وفي الجنوب الشرقي من العراق الجمي المذكور مدينة (برد) وهي حاضرة كبيرة لا بأس بها وأكثر سكانها من المجوس وهم عبدة النار المتدينون بديانة (زردشت) (وسياق بيان تاريخ مذهبهم في هذا الباب ان شاء الله تعالى)

ومن الاقاليم السياسية بغربي المملكة الفارسية ثلاثة اقاليم تمتد على حدود الدولة العثمانية وهي (اذر بيجان) (وكرديستان) و(خوزستان) اما الاول فهو عبارة عن اراض جبلية حفراء قفراء باردة الهواء تمكث بها الزلازل الارضية الشديدة وتظهر فيها الانقلاط البركانية (اي الاربية) العديدة (والبركانية نسبة للبركان بمعنى الجبل الذي قد تنفخ فيه فوهات من النيران) وقاعدة هذا الاقليم مدينة (تبريز) وهي حاضرة جميلة ذات تجارة كبيرة على الشمال الشرقي من بحيرة (ارميه) يبلغ عدد أهلها ١٦٠٠٠٠ نفس وعلى الشمال الغربي من البحيرة المذكورة المدينة المشهورة بعض الشهرة باسم (خوى) (على صيغة التصغير)

واما اقليم كردستان الفارسي فهو كذلك عبارة عن اراض جبلية أكثر سكانها قبائل من الاكراد الرحالين النزاليين والاقوام الغير المتوطنين ومن مدنه ايضا مدينة (سهنه) ومدينة (كرمانشاه) وهي مدينة رديئة الابنية غير انها كثيرة التجارة يبلغ عدد أهلها ٤٠٠٠ نفس واما اقليم خوزستان فهو كائن من جهة الجنوب على ساحل الخليج الفارسي ويشتمل من جهة الشمال على الخطة المسماة باسم (لورستان) وقاعدته مدينة (شستر) على القرب من اطلال المدينة القديمة المشهورة باسم (سوس) ومن مدنه الشهيرة مدينة

(ديس فول)

ومن اجل اقليم مملكة فارس ايضا الاقليم الجميل والوادي الجميل المسمى باسم (فارستان) وهو بلاد فارس الاصلية وارض دولة العجم القديمة الحقيقية وقاعدته مدينة (شيراز) موضوعه في اجل المواضع واجل المواقع بواده وفي الحقيقة جنة يستمر بها فصل الربيع على ممر ايام السنة ويخرج بها اجود اصناف الخمر الذي يتأني ببلاد آسيا والبرقوق اللذيذ وغيره من أنواع الفواكه الشهيرة وهذا الوادي محدود من جملة الجنان الارضية عند اهل البلاد الشرقية غير انه يكثر به الالازل التي قد يترتب عليها خراب بعض الاماكن والمنازل ويسمى اهل فارس مدينة شيراز هذه بدار العلم وبها كانت اقامة الشاعرين الفارسيين الشهيرين باسم الخافظ والسعدي وفي الشمال الغربي من هذا الاقليم ايضا الوادي المسمى باسم (شهاب ديوان) وهو احد الجنان الاربع المشهورة بتلك البلدان وعلى الشمال الشرقي من شيراز آثار مدينة (برسپوليس) التي كانت قاعدة مملكة فارس في سالف الازمان واعظم المين الكائنة بهذا الاقليم هي الفرضة المسماة باسم (أوشهر أو بندر ابوشهر) على ساحل الخليج الفارسي وهي عرضة لدرجة من الحرارة خانقة وامامها في الخليج المذكور جزيرة (كرك) التي توالى عليها يد الفلمنكيين ثم الفرائسيين ثم الانجليز

وأقصى الاقليم الفارسية الى جهة الجنوب اقليم (لارستان) وقاعدته مدينة (لار) التي كانت في سالف الزمان مدينة عظيمة ثم انحطت عن عالي درجتها القديمة الآن

وفي الجنوب الشرقي من المملكة المذكورة أفليمان أحمد هما بحري وهو المسمى باسم (موغستان) والثاني أدنى منه وهو اقليم (كرمان) اما الاول فهو من جهة على ساحل بوغاز (هرمز) وبحر عمان وبه ميناء تعرف باسم (بندر عباس أو جومرون) كانت في سالف الزمان موضع تجارة عظيمة وفرضة بحرية جسيمة وايست تابعة لمملكة فارس بل هي ملوكتة لامام مسقط من ملوك العرب ويوجد امام هذه الفرضة جزيرة (هرمز) في البوغاز المسمى باسمها وهي عبارة عن صخرة قفرة لا تنبج شيأ غير ان فيها مدينة مزهرة كانت في الاعصار المتوسطة لغاية القرن السابع عشر من الميلاد من أعظم البقاع تجارة ببلاد آسيا

وعلى القرب من هذه الجزيرة من جهة الغرب منها جزيرة (كيشم) وهي أوسع منها وأرضها خصيبه جدا وكتاهما تابعة لامامة مسقط للمملكة فارس

وأما الثاني وهو اقليم (كرمان) فهو مشهور بما يصنع فيه من الانسجة الجميلة المتخذة من أوبار الابل وشعور المعز و.ايخرج منه من العقاقير الطبية والمواد المعدنية والخمور الجيدة وقاعدته مدينة (كرمان) وتسمى أيضا (سرجان)

وفي شرقي مملكة فارس ايضا الاقليم الكبير المسمى باسم (خراسان) وهو بقعة خصبة جدا

في الجهة الشمالية ومتكونة من صحارى جديدة في ابلهة الجنوبية وهي مشهورة بما تطلق منها من نوع الياقوت المسمى بالعل وبالفيروزج والخيول الجيدة والبسط المتقنة وقاعدته مدينة (المشهد) (مشهد الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه) وقد كانت أكثر عظمة في المدة السالفة مما هي عليه في هذه الاعصار الخالفة بكثير وبها مسجد شهير واثر كبير يقال انه مؤسس على مشهد الامام الحسين ولذلك يكثر عليه تردد الزائرين ومحط رحال المسافرين ويجوار المدينة المذكورة آثار مدينة (طوس) المشهورة وقد كانت في الاعصار السالفة حاضرة كبيرة ومنها الشاعر الفارسي الشهير بالفردوسي ومن المدن العظيمة باقليم خراسان أيضا (يسابور) وجوارها معادن الغبيرزج وفي نواحي بحر الخزر من مدن مملكة فارس الشهيرة مدينة (أستراباد) عدد سكانها ٤٠٠٠٠٠ نفس وبها يسمى الخليج المعروف بهذا الاسم ثم مدينة (دامغان) الكائنة على جنوب المدينة المذكورة وهي الآن مدينة حقيرة مع كونها قد كانت في الاعصار الغابرة مدينة مزهرة جدا تسمى باسم (هيكاتونفيل) قال المعلم (قورتنبير) المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وهيئة حكومة بلاد فارس من قديم الزمان ولم تزل لغاية الآن هي من قبيل الحكم الملكي المطلق غير ان عدة قبائل منهم لا يزالون يعيشون بحالة من الاستقلال تكاد ان تكون تامة ويلقب السلطان عندهم بلقب (الشاه) ودينهم الآن دين الاسلام من شيعة علي رضي الله عنه وهم يهبرون عن انفسهم بالتاجية ويسمون اهل مذهبهم من حيث الديانة بالعدلية واهل مذهبهم من اهل السنة هم الذين يدعونهم بالشيعية واهل فارس هم امة متهذبة واهل مؤدبة يوجد فيها جملة فضائل ظاهرة جميلة واخلاق عمودية مقبولة (هـ)

مطلب — ذكر جغرافية أرض فارس التاريخية ومقابلتها بما استجد من الاسماء الحادثة في هذه الاحقاب العصرية - قال العالم الجغرافي المحسكي عنه اعلاه في هذا المقام ما معناه ان دولة فارس او ايران وهي المعبر عنها عند العرب بدولة العجم التي وصفناها في المطلب السابق البيان هي الآن في مكان ما كان يدعى في سالف الزمان بهذه الاسماء القديمة وهي كالمسطر ادناه

- (اولا) القطر المسمى باسم (مادى) او (الميدية) في جهة الشمال الغربي
- (ثانيا) بلاد (هركانيا) في جهة الشمال
- (ثالثا) بلاد (السوسية) او (السوس) في جهة الغرب
- (رابعا) اقليم (فارستان) او بلاد فارس الاصلية في جهة الجنوب
- (خامسا) بلاد (كرمانيا) او (لكرمان) في جهة الجنوب الشرقي
- (سادسا) بلاد (القرثية) في جهة الشمال الشرقي

أما بلاد (مادى) أو (الميدية) المذكورة أعلاه فقد كانت قاعدتها في سالف الزمان المدينة الشهيرة باسم (ايكباتان) (و يقال انها هي همدان الآن) وقد كان من جملة أقاليمها ما يسمى بأقليم (البروباتين) (كصيغة المثني) وكان فيه القلعة المسماة باسم (يرواسبه) ومن مدنها الكبيرة الكائنة في جهة الشمال الشرقي منها مدينة (راچيس) وهي مدينة عتيقة جدا على القرب من جبال الخزر لها ذكر في التوراة وقد كان اسمها عند المقدونيين من اليونان (اوروبس) وفي عهد الملوك الفرثيين (ارساو با) ثم سميت في مدة القرون الوسطى في عهد دولة العرب المسلمين باسم (الري) وبقى عليها هذا الاسم الاخير لرعاية الآن ثم مدينة (طابه) على القرب من بحر الخزر وكانت قاعدة الاقليم المسمى في ذلك العصر باسم (طابور) وعلى القرب من ذلك المكان كانت مساكن الإقوم الاقدمين المعروفين باسم (المارديين الشماليين)

وأما بلاد (هركانيا) فقد كانت تمتد على السواحل الجنوبية الشرقية من بحر الخزر ولذلك كان يدعى ذلك البحر أيضا باسم بحر (هركانيا) وكانت قاعدة تلك البلاد تسمى باسم (زودراكارت) أو (كارتد) أو (هركانيا) وموقعها في ناحية الجنوب بالأقليم الذي كان يدعى حينئذ باسم (الاستابين) (كصيغة المثني) وقد كان اعظم أقاليم تلك البلاد في ذلك الزمان وكانت هذه المدينة هي قاعدة سلطنة القوم المعروفين بالفرثيين

وأما بلاد (السوسية) أو (السوس) فهي المعروفة الآن بأقليم (خوزستان) وقد كان من أهلها في سالف تلك الأزمان فضلا عن السوسيين الاصليين أقوام آخرون يدعون باسم (الكوسيين) و (الاوكسيين) و (المارديين الجنوبيين) وكانت المدينة الشهيرة عند السلف باسم (سوس) هي قاعدة تلك البلاد وموقعها في جهة الشمال منها وقد كان ملوك فارس يتخذونها محل إقامة لهم في بعض الأحيان ومن مدم الاصلية ابضا مدينة (سيلوقية) في جهة الشمال الغربي منها ومدينة (عراقه) على نهر الدجلة والظاهر ان أصل منشأ التسمية بلفظ العراق عنها

وأما بلاد فارس فهي التي كانت تدعى في التوراة باسم (فارس) أو (ايلام) وهي الآن عبارة عن اقليم (فارستان) مع جنوب العراق الجهمي وقد كانت السلطنة القديمة التي كان يطلق عليها هذا الاسم عند الامم المتقدمين قد امتدت امتدادا عظيما واتسعت اتساعا جسيما بكثرة الاقطار التي كان قد افتتحها الملك (قورش اوقيروس) وعدة ممن خافه على سرير ملكة فارس وكانت تشمل فضلا عن بلاد فارس الاصلية بالمعنى المراد هنا على بلاد (مادى) أو (الميدية) و بلاد (السوسية) و (الابابية) و (الاسورية) و بلاد (ارمنية) و (آسية الصغرى) (وهي بلاد الاناضول الآن) وعدة اقطار أخرى من بلاد آسيا الغربية وقد كانت تنقسم بلاد فارس الاصلية عند الامم المتقدمين الى قسمين اصليين (احدهما) فارس الحقيقية الاصلية

الذرس التام ٢٩٠ في التاريخ العام

في الجهة الجنوبية و (الثاني) ما كان يدعى باسم (فاريتماسين) في الجهة الشمالية أما القسم الأول فقد كانت قاعدته المدينة المشهورة باسم (برسپوليس) على نهر (آراس) وكان بها نصر ملوكي فاخر حرقه الاسكندر وكان به مدينة كبيرة أخرى تسمى باسم (بازارجاده) على نهر (القور) وبها قبر الملك (قورش) السالف الذكر وقد كان في القسم الثاني المدينة المسماة باسم (اسبادانه) وهي المعروفة باسم اصفهان الآن في الجهة الغربية منه والمدينة المسماة باسم (ايكباتان المجوس) في الجهة الشمالية الشرقية وانما تنسب للمجوس لكون الملك (دارا) كان قد بناها لهم بالخصوص

وأما بلاد (كرمانيا) وهي المعروفة بالكرمان الآن فقد كان من ضمنها جزيرة (اوراكته) وهي المسماة الآن باسم (كيشم) وجزيرة (اورجانه) وهي المسماة الآن باسم (هرمز) وهي اصغر من الجزيرة الأولى غير انها صارت اشهر منها في القرون الوسطى لداعي ما حصل فيها من واقعة التجاء القوم المسلمين المسمين باسم (الهرمزيين) حين هربوا من التتار والمغول اليها وقد كانت مدينة (كرمانه) وهي المعروفة بمدينة (كرمان) الآن هي قاعدتها غير ان الظاهر ان مدينة (كرمانه) المذكورة قد كانت موضوعة على المكان الكائن عليه مدينة (جومرون) الان

وأما بلاد (الفرثيين) فقد كان موقعها على شرفى بلاد (هركانيا) وقد كانت في الاصل جزءا منها وأصل القوم المعروفين بالفرثيين من الاقوام السيتيين (اقوام يأجوج وماأجوج) ظهروا في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح وحدث رئيسهم المسمى باسم (ارباس) سلطنة عظيمة ودولة ذات شوكة جسيمة جدا امتدت حدودها الى غاية شواطئ الفرات من جهة الغرب والخليج الفارسي من جهة الجنوب حتى خشيت منها دولة الرومانيين على نفسها حقيقة من الزمن وانتهت في القرن الثالث لميلاد المسيح عليه السلام

وقد كانت بلاد الفرثيين تشتمل من جهة الشمال الشرقي على الاقليم المسمى باسم (مرجيان) ومن جهة الشمال على الاقليم المسمى باسم (قوميزين) ومن جهة الجنوب على الاقليم المسمى باسم (طابيين) وكانت المدينة المشهورة باسم (هيكانونفيل) الكائنة بأقليم (قوميزين) المذكور هي قاعدة دولة الفرثيين ودار اقامة الملوك الاربابيين المذكورين وأما مدينة الاسكندرية التي كانت توجد بأقليم (مرجيان) فقد كان الاسكندر هو الذي اختطها وبنائها ثم جاء الملك (انطيوخوس سوتير) عاتق بناءها وزينها ولذلك سميت فيما بعد باسم (انطاكية) على نهر (مرجوس) وهو المعروف الآن باسم (مرجاب) (بفتح الميم وسكون الراء المهملة في أوله) قال العالم الجغرافي المروى عنه أعلاه في تاريخ دولة فارس على وجه الاجمال كما هي طريقة العلماء الجغرافيين ما تعريبه أدناه وكانت بلاد فارس قد مكثت بحالة

الجول وعدم الذكر من سالف الدهر حتى جاء عصر الملك (قورش) فأحدث فيها سلطنة متسعة البلاد ودولة ذات منعة وجهاد في القرن السادس قبل الميلاد وجاء الاسكندر (الرومي أو المقدوني أو اليوناني) بعد قرنين فازالها وبوفاته اقتسمها خلفاؤه الى آخر ما أبداه (هذا ما اردنا نقله هنا من جغرافية قورتنبير الكبرى لغصد تعريف هذه البلدان التي يزيد الوقوف على حقيقة تاريخها على وجه التفصيل والبيان وذلك هو ما يأتي بعد) معربا من كتاب تاريخ الامم المشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر) منحصر اذلك في ثلاثة قصول وهي هذه نذكرها فنقول

الفصل الاول

في بيان اصل الذرية الايرانية ومنشأ الامة الفارسية

مطلب - ذكر الآريين الاولين الذين هم اصل القوم الفارسيين - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه مامعناه ان اقدم الآثار التاريخية التي تتعلق بذيية بنى يافت أو الطائفة البشرية المعبر عنها في اصطلاح علماء الافرنج المتأخرين بالمرتبة الهندية الاوربية لاتصعد الى اكثر من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد كانت تلك الطائفة في تلك الازمان منحصرة كلها بالمواطن الكائنة على القرب من المهد الاول الذي كان قد نشأ فيه نوع الانسان قبل الطوفان اعنى على شواطئ نهر (جيحون) ببلاد (البكرية) (وهي ما يدعى الان بخانية بلخ من بلاد (تركستان) او بلاد ااتتر المستقلة) قال المؤرخ الفرانساوى المذكور ولقد صدق من حق النظر ودقق الفكر فذهب الى ان هذه البلاد هي اقدم المساكن وأول المواطن التي اقام بها فيما يعلم من التواريخ البشرية اصل تلك الذرية اليافية التي نحن منها معاشر الاورباويين وكانها كانت لهم كخلاية نحل خرج منها على التوالي قبائل شتى وعدة اقوام متفرقين اتخذوا لهم مواطن أخرى من اقطار الارض والذي يظهر من احوالهم التاريخية انهم حين كانوا مجتمعين في قطر واحد على هيئة اجتماعية واحدة كان لجميع الفروع المتفرعة عن اصل يافت بن نوح عليه السلام صورة وجود ذاتي مخصوص وكانوا يتكلمون بلغات متباينة بعضها عن بعض غير انها ترجع كلها الى لغة أصلية مشتركة بينهم صار كل فرع من فروعها المذكورة فيما بعد تفرق هؤلاء القبائل من بنى يافت الى تلك الاماكن المختلفة من الارض اصل اللغة أو الفرقة من اللغات البشرية وقد كانت سائر هذه الذرية تسمى نفسها باسم (الآريا أو الآرية) أو (الآريين)

(بمعنى المحترمين)

مطلب - ذكر اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسبما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين - لما يبق لنا من آثار هذه الاعصار الاولى للاقوام اليافثية الاصلية مانقف به على حقيقة اخبارهم التاريخية غير ما بقي من بعض كلماتهم اللغوية تشبث اهل النظر في مضاهاة اللغات البشرية ببعض الكلمات التي كانوا يتكلمون بها في تلك الاعصار الغابرة واستنبطوا منها أكثر ما كانوا عليه قبل تفرقهم من الاحوال الدنيوية والهيئة الاجتماعية الانسانية والقاعدة الاصلية التي توصلوا بها للوقوف على هذه الحقيقة التاريخية هي ما اتفبه اليه بعض علماء الافرنج المتأخرين من ان جميع الكلمات الدالة على مدلول واحد في اللغة الهندية الدينية المسماة باسم (السنسكريت) واللغة الايرانية القديمة المعروفة باسم (الزند) وفي اللغات التي يتكلم بها أهل أوروبا في هذا العصر الاخير هي على حال بحيث لم تتغير صيغتها ولا معناها غير تغيير يسير وبذلك استدلوا على ان الآريين الذين هم اصل القوم اليافثيين هم اصل اهل الهند وفارس وسائر الامم الاورباوية المتأخرين واستنبطوا من ذلك ما كان عليه تلك القبائل الآرية الاصلية في تلك الاعصار الاولى من الدرجة المدنية والهيئة المعاشية الدنيوية حين كانوا مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض التي كانت تسمى في تلك الاحقاب الدهرية باسم (البكترية) اعنى قبل ان يتفرقوا في ذلك العهد الى الاقطار الشتى التي توطنوا بها فيما بعد وتوضح ذلك انهم وجدوا مثلا ان طائفة الالفاظ اللغوية التي تتعلق بالمعيشة الرعائية كاللفظ الدال على معنى الدابة أو الماشية أو البهيمة مثلا كلها تقريبا متحدة اللفظ والمعنى في جميع طوائف اللغات الهندية والاوروبية وبذلك حق لهم ان يستنتجوا ان هذه الطريقة المعاشية (اعنى رعاية المواشى) قد كانت هي الحرفة الاصلية التي كان يتخذها وسيلة لمعاشهم بنو يافث السالفون حين كانوا متوطنين بالاقطار الكائنة على شواطئ نهر جيحون ومن ثم علم ان أكثر أنواع الدواب المتزلية والحيوانات الاهلية كانت معلومة لهم وانهم كانوا يفتنون نوع البقر والخيل والغنم والمعز والخنزير والاوز وغير ذلك من الحيوانات والطيور الانسية

وبواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية بعضها مع بعض استدلوا على ان هؤلاء الاقوام قد كانوا في سالف تلك الايام يعرفون تعليق الخيل والبقر تحت ناف المخرات ولا يعرفون فن الفروسية وانما كان لليونان به بعض معلومية في أيام جاهليتهم الاولى المسماة بالاعصار الاميروسية (أى التي ذكرها الشاعر اليوناني المشهور باسم (اميروس) في قصائده الشعرية) وقد كان الفبائل اليافثيون السالفون قد عرفوا أيضا صناعة بعض معادن وابتدؤوا في زراعة الارض ولم يكونوا يسكنون تحت الخيام كالعرب ولا فوق العريانات كالاقوام السيتين بل كانوا يبنون لهم

مساكن يأوون اليها وبيوت ثابتة يقيمون فيها وكانوا يجمعون بعضها البعض في بعض بقاع من الارض بحيث يتكون منها ما يمكن ان يطلق عليه لفظ القرى أو الكفور بل ربما كان منها ما يصح ان يطلق عليه ما هو من قبيل المدينة أو الحاضرة أو البندر الكبير

مطلب — ذكر ما كانت عليه العائلة والملة عند الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين — وما تحقق أيضا عند علماء الافرنج المتأخرين بواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية من احوال الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين ان العائلة تظهر لنا عند الاقوام الآريين المذكورين ببلاد (البكترية) في سالف تلك الاحقاب العصرية مادة محترمة وعقدة وثيقة قوية مكرمة ينبنى عليها أساس ترتيب الهيئة الاجتماعية والزواج عقدا مقدسا معتبرا وعمل مختار مشتهرا تسبقه خطبة ويشار اليه بانضمام اليدين من العروسين ومتى دخلت الزوجة في بيت الزوج صارت من حسن المعاملة وجميل المعاشرة والمواصلة حرما محترما ودستورا مكرما كما يليق بمقام من به بقاء النسل نعم ان المرأة كانت عندهم تحت طاعة الرجل غير ان تلك الاعلوية كانت ملطفة بما كان يحصل بين الزوجين من التعاشق الحاصل من الطرفين وبما كان ممكنا في اخلاقهم وعوايدهم من احترام الزوجة لزوجها واتخاذ الزوج لها حرما يذب عنه وحى يحميه ويرة اتل دونه

وبالتوسع في دائرة العائلة حدثت عندهم العشيرة وقد كانت في أوائل اسر الاقوام اليافثيين عبارة عن مجموع عدة عائلات مرتبطة بعضها مع بعض بروابط القرابة النسبية كما صارت كذلك فيما بعد ببلاد ايران والهند وجزيرتي (ارلمدة) و (ايقوسيا) ببلاد انجلترا وعند سائر الامم الاسلاوية بين بلاد اوروطة وكان لها رئيس هو شيخ العشيرة او ولي أمرها او كبير القوم أو أبوالعائلة ومع ذلك فلم يكن يسوغ له ان يتصرف في سائر أمورها وحده بمجرد رأيه بل كان له مجلس شورى يتركب من بعض رجال كلهم من مشايخ القوم وآباء العائلات الذين يجمعهم أصل واحد فيستشيرهم ويرجع لقلوبهم ومن اجتماع عدة عشائر تتألف القبيلة ومن عدة قبائل تتركب الامة والامة رئيس أعلى له الولاية العامة القصوى على سائر رؤساء العشائر والقبائل وهو الملك وكان يعبر عنه عندهم بما معناه (القائد والمرشد)

وكان من وظائف الملك عند الامم المتناسلين من بنى يافث السالفين انه هو الذي يعقد الصلح ويأذن بالحرب ويقود الجند وكان قد ابتدأ عندهم فن القتال العام بالتقاء الصفيين ومقابلة الجيشين وأخذوا يبنون حول القرى والبنادير بعض اسوار تحصينية بطريق العمارة الخلووية وكان من وظائف ملكهم ايضا ان يقضى بينهم ومن اغرب اخلاقهم وخصالهم واعجب عوايدهم وخصالهم انهم كانوا في حالة الشك يرجعون لما كانوا يعبرون عنه (بقضاء الله) وكان ذلك عندهم أولا عبارة عن الامتحان بالنار وهو الاكثر استعمالا

مطلب - ذكر كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل الياقثيين المتقدمين - قال المؤرخ المنقول عنها اعلاه بعد ذلك ما معناه قد علم لنا من ترجمة الكتب الدينية الاربعه المشتملة على الادعية والصلوات التعبدية الهندية القديمة المعروفة باسم (الويدا) وهي الكتب التي بقيت الى هذا العهد في بلاد الهند بطريق الرواية والتوارث جيلا عن جيل من آثار القبائل الذين كانوا قد افتتحوا تلك البلاد قبيل بعد قبيل ان ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل الياقثيين المتقدمين وان كانت الكتب الدينية المذكورة لم تغدنا منها غير صورة مقتطفة من اصولها الاصلية وهيئة فرعية من عقائدها الاولية لكنها قريبة جدا منها وهي اصل سائر الخرافات التي تحكمت فيما بعد على عقول جميع الامم الهنديين والاوو باويين وخصوصا عند اليونانيين قد كانت كلها مبنية على عقيدة الوحدةانية الالهية فقد كان اسلاف الامم الهنديين والاوربيين يعتقدون ان كل شيء صادر عن الذات الالهية العليا والحضرة المستحقة للاوجود بالحقيقة القصوى وهي ذات الله سبحانه وتعالى ويرون ان تلك الذات كما هو عين العبارة المنصوصة في صلب الكتب الويدية المذكورة هي « الذاب الحى والروح الالهى الباقي السارى فى العالم » وما ذكر فى احده هذه الكتب الدينية المأثورة وهو الكتاب المسمى باسم (لوريج ويدا) وهو عبارة عن مدائح الهية وادعية توسلية على الهيئة الشعرية فى حـق الذات العلية) ما هو قريب مما ورد فى نصوص التوراة من العبارات المتعاقبة بما يستحقه المولى الاعلى جل جلاله من الصفات ونص عبارته (معربة) هكذا ان الاله الذى ندعوه « هو وحده مالك الملك وهو ملء السموات والارض وهو المحيى والمقوى لكل شئ وكل ما عداه من الآلهة يلمسون بركته وايس الموت والحياة المخلدة الا بامرهم وارا دته وان الجبال المغمورة بالثلج والبحار مع ما يعتريها من الموج والاقطار السماوية المتسعة لتشهد بقدرته وهو الذى بنى على امكن اساس كلامن السماء والارض والفراغ والفلك ونشر النور فى الجو وان السماء والارض لتفشعرا من هيئته بحضرتة وهو الاله الاعلى فوق كل آله » (انتهى نص عبارته) قال المؤرخ المذكور ولم يتفق ان احدا من ارباب الاديان من الامم السالفين فى قديم الزمان تكلم فى المواد الدينية باعلى من هذا اللسان غير العبرانيين ولعمري ان ادراك الذات الالهية بهذه الصفة العالية بالنسبة للعقائد الدينية التى كانت تعلم فى اشهر المعابد والهيكل ببلاد آسيا عند الامم المتناسلين من ابناء سام او حام له وناظر دليل على ما لى يافث من درجة الاعلوية العقلية وشدة الميل للتصورات الروحانية العلية غير ان معنى الوحدةانية الالهية الذى كان قد بقى فى عقول الناس من آثار العقائد البشرية الاصلية وبقايا الوحي الذى نزل على ارباب النبوة المتقدمين قد كان

الدرس التام ٢٩٥ في التاريخ العام

اعتراه الفساد عند بني يافث الاولين كما حصل مثل ذلك عند سائر الامم السالفة ما عدا
العبرانيين حيث اختصهم الله سبحانه وتعالى بعنايته وامدهم باعانتهم اذ جعلهم مستودع
حقيقته وموضع امامته فبقيت حتى وصلت اليها بخلاف غيرهم من الملل والاقوام الا تخرب
كيني يافث هولاء المذكورين حيث كانت قد فسدت عقائدهم الوحيية الاصلية بما سلكوه
من طرق الضلال وتوهموه بمجرد الخيال من تشخيص الصفات والنعوت الالهية وتأليه
الآثار الصادرة عن الذات المؤثرة واعتقدوا ذلك كله آلهة اخرى متنوعة المراتب
والاحوال صادرة عن الذات العليا فاطوا. الا له الخالق بالعالم المخلوق وحلاوا وحدته الى
عدة افراد اشركوهم معه في مرتبة الالهية وبذلك بدلوا اصل الادراك للذات المعبودة
الصادر عن الوحي الاول اشنع التبديل وحولوه اشنع التحويل وانحى ذلك الاصل بالكلية
والجزئية في صور العبادة العامة الظاهرية حتى جرد ذلك الى ان سقطوا في هاوية الاشرار
وتعددا لآلهة المعبودين وتعوامر عبادة الاصنام في اقبيدين وقد كانت المظاهر
الطبيعية والآثار الظاهرية التي ترى للاقوام الآريين الاولين انها اثر قوة الذات
المعبودة الاصلية ومظهر القدرة الالهية الاولى فعبدوا فيها صفاتها وشخصوها وجعلوها
ذوات آلهية اخرى وصارت اصلا لخرافاتهم الالهية ومنشأ لاهامهم الملية هي محض
الحوادث الجوية التي تتولد منها خصوصية الكائنات الطبيعية كتأثير الشمس على الحياة
النباتية وكالرياح الجارية والابخرة الرطبة والسحب والصواعق والامطار وغير ذلك من
الآثار الالهية النووية

مطلب - ذكر مهاجرة القبائل اليافثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى
الارض الاوربية - لم تكن مهاجرة القبائل اليافثيين السالفة الذين تكونت منهم
اهالي بلاد اوروبه الا ان كيفية رحلتهم من الاقطار الاسية في سالف الزمان قد حصلت
دفعه واحدة ولم يخرجوا كلهم خرجة متحدة بل لزم الضرورة ان يكون ذلك قد حصل شيئا
فشيئا وجزءا لجزءا بالطريقة التدريجية سيما اقتضت ضرورة ازدياد عدد النفوس
وتكاثر مقادير الاهالي الآريين المشرقيين لانهم لم يدعي كونهم بحسب طبيعة تلك الاقطار
كانوا وعين من جهة الشرق بموانع عظيمة وقواطع جسيمة من الجبال الصعبة المنطع
والارتمال فاضطر والآن بدفعوا غيرهم من القبائل اليافثيين الآخريين الى جهة المغرب
حيث كان هولاء الاقوام الاخريون يجدون امامهم في تلك الاقطار مسافات متسعة وفرغات
من الارض مطلقه من غير مانع يمنعهم ولا قاطع يقطعهم عن ان يتخذوا لانفسهم فيها
مواطن مستجدة واما كن اخرى مستعدة غير ان الظاهر ان هذه المهاجرة وان كانت في اول
الامر تدريجية كان قد طرأ عليها - بين من الدهر لزم ان تكون فيه قد تراجعت على حين

بغاة و تراكت دفعة واحدة على حين غفلة لسبب من الاسباب اقوى دفعا مما ذكر اعلاه هو ليس لنا بمعلوم غير ما يظهر من انه في ذلك الحين كان كل من بقى ببلاد آسيا من اصول القبائل الياقضية الاولى التي انتشت منها الملل الاوروبية والامم الافرنجية الموجودة الآن كانوا قد هاجروا مرة واحدة وخرجوا خرجة متخذه من تلك الاقطار المشرقية الى هذه النواحي المغربية ليبحثوا فيها عما فيه اصلاح شؤونهم من ترقية الاحوال والحصول على السعادة والمال وتركوا ههنا اخوانهم الاربيين المشرقيين يتحملون وحدهم ويتعمدون دون غيرهم بذلك القطر الخصب الذي كان اول مهـد لنسأهم وكان وقوع هذه الحركة الاعلمية الكبيرة والحادثة المحجربة الاخيرة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثة آلاف سنة من الاعوام وفي المدة التي تلى تلك الواقعة التاريخية على الفور كان قد حصل انشاء اقدم القاطع المؤلف من مجموع الكتب الدينية الاربعة المعروفة باسم (الويدا) السالفة الذكر وبالتأمل فيها والاطلاع عليها يظهر منها ان القبائل الياقضية المشرقيين قد كانوا ايضا في تلك الاعصار التالية على حالة من الهيئة الاجتماعية البشرية كالحالة التي كانوا عليها في الاعصار السالفة سواء سواء غير انهم لما كانت اعداد الاهالي قيمهم لا تزال تزداد بغاية السرعة لزم ان ترتب على ذلك عندهم ان العمارات والمدن كثرت والبنادر والحواضر عظمت وكبرت ومنطقة الزراعة اتسعت وتقدمت واخذت تغلب على ما كانوا عليه اولا من حالة المعيشة الرعائية والحياة الخلوية وشرعت جمعيتهم البشرية وكيفية شركتهم الانسانية في ان تنتظم بالهيئة التدريجية اعني انها قد اخذت في ان تكون منقسمة الى درجات اي طوائف اهلية ومراتب ملية بدون ان تتصور هيئة الخرق الحقيقية والفرق القانونية اي المراتب الاهلية التي تكون بحيث لا يسوغ لاحد من ارباب اي فرقة منهم ان يتعداها الى ما عداها وغاية ما ههناك أنها كانت على وجه بحيث ان الحرف والصنایع قد كانت عندهم في تلك الارمان على وجه العموم وراثية بمعنى ان الولد في اغلب الاحيان كان ينتحل صنعة ابيه ويتبعه في وسيلة معاشه ويقتفيه لا غير وقد كانت هذه الطوائف الاهلية عبارة عن طائفة امناء الديانة او مشايخ الدين وطائفة العسكري والمجاهدين وطائفة ارباب الزراعة او الملاحين وقد كانت تنقسم هذه الطائفة الانسية عندهم في بعض الاحيان الى فصيلتين متميزتين وطائفتين اخريين وهما فرقة رعاية المواشي وفرقة الحرايين الحقيقيين ثم يتمكن حوادث الفتوحات المتوالية من الاقوام الياقضيين الغالبين وبتأثير قوة طائفة امناء الديانة المعروفين بالبراهمانيين في بلاد الهند قد آل امر الفرق الثلاث المترتبة من اسلاف الاقوام الاربيين المتقدمين لان صارت خرقا اهلية حقيقية وفرقا قانونية ملية وصارت هي الطبقات الاهلية العليا فيما بعد وصار الاهالي المغلوبون من نسل جام الذين كانوا قد سبقوهم الى تلك البلاد

في سالف الايام منحصرين في الطبقة السفلى وأرباب هذه الدرجة الدنيا محقرين وهم يدعون
 أرباب هذه الطبقة الالهية الدينية باسم (السودرا) او السودريين
مطلب - ذكر زردشت ومذهب ديانتته وشرح حاله وملته - قال المؤرخ المحكي
 عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه أدناه - وفي ذلك العصر يلزم أن نضع تاريخ حادثة المذهب
 الديني الذي تدين به الايريانيون في ذلك العهد وينسب الفخر فيه للرجل المشهور باسم (زردشت)
 (بفتح الزاي المعجمة وسكون الراء المهملة يليها دال مهملة مضمومة ثم شين معجمة سا كنة
 بعدها تاء مشناة فوقية سا كنة أيضا وضبطه ابو الفدا في تاريخه بلفظ (زرادشت) يزاي منقوطة
 مفتوحة وراء هملة مفتوحة بعدها ألف قدال مضمومة مهملة وشين منقوطة سا كنة وتاء
 مشناة من فوقها وهو المحرف عند اليونان بلفظ (زروراستر) (بضم الزاي المعجمة وسكون الراء
 المهملة يليها واو مفتوحة فألف فسین مهملة سا كنة فتاء مشناة فوقية مكسورة فراء مهملة
 سا كنة في آخره) واصل معناه (اشراق الذهب) وقد اجتمع سائر من كتب في التواريخ
 القديمة على ان (زرادشت) هذا قد كان موجودا في اعصار عتيقة جدا والذي استقر عليه
 الآن رأى اهل العلم من الافرنج المتأخرين هو انه ولولم يتحقق تاريخ مضبوط لوقت وجود هذا
 الرجل المؤسس لدين الاقوام الفارسيين في سالف الزمان ولم يزل يصعب تعيين العصر الذي
 حدث فيه هذا المذهب الديني الشهير لداعي عدم الوقوف لغاية الآن على مواد صحيحة يبنى
 عليها ما يدل على ذلك من البرهان الا ان الاقرب للصحيح انه قد كان في نحو القرن الخامس او
 السادس والعشرين قبل ميلاد المسيح ولا علم لنا بشئ نابت صحيح فيماتة وعلق بحياة (زرادشت)
 المذكور غير انه قد كان هو المنشي للمذهب الديني الذي هو باسمه لغاية الآن مشهور
 وتبينت أصوله في ضمن كتب تعرف باسم (زندوستا) (يزاي معجمة مفتوحة فنون موحدة
 فوقية سا كنة يليها دال مهملة مفتوحة فواو همالة وسين مهملة سا كنة فتاء مشناة فوقية
 مفتوحة بعدها ألف في آخره بل لا نعرف له على وجه الضبط وطنا معيننا ونهاية ما هنالك ان
 المكان الذي كان فيه قد نشر اصول مذهبه وظفر بنجاح ما وعظبه من قواعد دينه هذا هو
 الذي تعين فقط وهو بلاد (البكترية) (بلخ) وان ذلك كان في عهد الملك (جوستاسب) بن
 (لوهراسب) بن (كيخسرو) بن (كيكاؤوس) بن (كيقباد) الذي هو مؤسس العائلة
 الملوكية المعروفة بالكيانية التي كانت هي المتوالية على كرسي مملكة بلاد (البكترية) في
 تلك الحقبة العصرية ولا نعرف حقيقة هذا الصانع الابصناعته ولم تقف على هذا الرجل
 المشرع الا بشريعته وذلك انه في الحقيقة هي شريعة عظيمة الشأن واحكام عالية المقام
 يستحق اعلى درجة من الاستحسان وانديانة (زرادشت) هذه لهي اقوى اجتهاد
 يتصور من تصاعد العقل البشري نحو عالم الروحانيات وحقباتق ما وراء الطبيعيات

وامكن عماد يمكن ان تؤسس عليه اصول ديانة ناشئة عن مجرد العقل البشري اعنى بدون مساعدة الوحي الالهى و بعض الاستحسان العقلى الطبيعى وبالنسبة لسائر الاديان التى كان يتدين بها سائر الملل ببلاد آسيا فى سالف الازمان وغيرهم من جميع الامم المتقدمين ما عدا ديانة العبرانيين الصادرة عن الكلمة الالهية هى اشرف ديانة وانقاها واتحف شرعة واعلاها واقرب طريقة تشريعية للحقيقة الدينية الحقيقية وهى نتيجته اشرف الطبيع المجبولة فى نفوس بنى ياقث الذين هم ارباب العقول الفلسفية الحقيقية واصحاب النفوس العالية الابية التى تأنف الميل للعقائد المادية وتأبى دون سائر بنى نوح ما ينبنى عليها بالضرورة من الديانات المبنية على تعدد الالهة المعبودة التى كانت قد سرت تدرى مجافى عقائد الآريين السالفين ومحت آثار الشريعة الموحة السالفة فى الاعصار الاولى ولذلك ترى (زرادشت) قد جاء فى اصول ديانته بمثل ما جاء به انبياء بنى اسرائيل واحبار دين النصرانية السالفون من شدة الغضب على عبادة الاصنام واتى فى هذا المقام من الاحكام بما يقتضى تسمية الذوات التى كانت الاقوام اليافثيون يعبدونهم على انهم آلهة لهم بناء على اصول الديانة الويدية القديمة بالارواح الخبيثة وانه جعل الالهة الذين كانوا لهم فى سالف الزمن معبودين بمقتضى ذلك الدين بالنسبة لدينه من قبيل الشياطين وبالجملة فان (زرادشت) يميل فى مذهب دينه الى حقيقة الوجدانية المحضة ويصعد باجنحة قوة عقله الى اعلى هذه العميدة الصادقة الازمية ويرقى الى اوج تلك الحقيقة الشابتة المخدرة غير انه لما كان قد وكل نفسه لمجرد قوة عقله الطبيعية وانحرم من عناية الوحي الالهية زلت قدمه عنده هذه المسألة المعضلة وستطت هممه لدى تلك القضية المشككة التى هى مسألة اصل الشرف فكانت هى العقبة المهولة التى انكسرت دونها سفينته علمه والصخرة الغائلة التى عجزت عندها قريحة فهمه وحيث لم يتيسر له ان يرقاها ولم يمكنه ان يخلص دونها ويتعداها اضطر لان سقط الى اسفل هذه الثنية وهبط الى ارض عميدة دينية اعنى عقيدة التثنية (أى اعتقاد الآلهة اثنين و بناء اصول دينه على اصلين) وهما الخير والشر أو النور والظلمة المدعو (أوهما) باسم (اورموزد) و(الثانى) باسم (اهريمان) وسيأتى لذلك فى المطلب الآتى بعد هذا زيادةيضاح وبيان

مطلب — ذكر ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما انبنى عليه منهما دين (زرادشت) فى سالف الزمان - وقد كان (اورموزد) فى اعتقاد (زرادشت) ومن تبع مذهب لغاية الآن عبارة عن الخير فيقول بانه هو الذى خلق الخلق وانه كما هو نص الكتب المأثورة عنه المذكورة آنفا هو الروح العاقل والحكيم ويعبر عنه كذلك بروح القدس واصل الخير ويتصور عنده بالنور والشمس والدار ويدعوها بصفة ولده وانه خالق

لكل شيء ويصفه بأنه قائم بذاته غير مخلوق ازلي باق لا أول له يعهد ولا آخر له ينقد ويعتقد انه يوجد بازاء هذا الا له الجيد واصل الخير المستعد له آخره وله على الدوام والاستمرار خصم وضد وان اله الخير معه في نزاع مستعمر اقصد ان يتسلطن عليه ويهولوفوته وانه اصل يساوي في القدرة ويضاهيه في الطبيعة والحقيقة وانه كما ونص عبارة الكتب المذكورة اعلاه ايضا هو الروح الخبيث او اصل الشر ويدعوه باسم (اهريمان) ويقول انه هو الذي خلق الشر المعنوي والحمي وانه هو الذي خاق الموت غير ان غريزة (زرادشت) العقلية لم تأذن له ان يجزم بأعتقاد كون الشر بقتضى ان يكون باقيا مخدا الى المالا يزال فقال بان (اهريمان) وان كان ازليا لا اول له يعهد اذ لا بد من انه يأتي عليه يوم في آخر الزمان يغلبه فيه اله الخير ويعلو عليه ويستحيل اله الشر المذكور الى حالة العدم وينقد وتعد الخلية الى ما كانت عليه في اول الامر من النقا والصف ويذهب (اهريمان) الى حيث لا يرجع بالثاني الى عالم الاكوان ويسمى مذهب (زرادشت) هذا بالديانة المزدية

مطلب - ذكر تفرق الآريين المشرقيين الى فرقتين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين - ولما كان بالضرورة مثل هذا التبدل الديني الكلي والحادث الكبير الاصل الذي حدث في تلك الا زمان على يد (زرادشت) السالف الذكر والبيان لا يمكن ان يتقرر في الاذهان بدون معارضة شديدة ومقاومة عنيدة تحصل من سكان تلك البلدان فالظاهر ان الاقوام الايرانيين الذين هم اسلاف القبائل الساكنين ببلاد الفارسيين والميديين (بلاد الآرية) قد صوبوا في اسرع حين الى التدين بأصول دين المزدية وهو مذهب (زرادشت) المذكور وذلك ان صاحب هذا المذهب الجديد المسطور كان قد خرج منهم وظهر من بينهم وذلك باعث قوى يحملهم على ان ينضموا اليه ويعتدوا عليه وافترق منهم اعداؤه وهم القبائل الذين توجهوا منهم الى نواحي الهند وافتتحوها في ذلك العهد وبقي في اذهان أمناة ديانتهم قوة العبادة الوهمية وغلبة الديانة الصنمية المتوجهة نحو تأليه الحوادث الطبيعية والاعتقاد في اعلوية المخلوقات الكونية ولا شك في ان حادثة تبديل ديانة الاقوام الآريين المنسوبة الى (زرادشت) المذكور واصل منشأ الوعظ به في تلك العصور قد كانت قبل حركة المهاجرة الكبيرة التي تفرق بها مجموع الآريين المشرقيين الى فرعين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين احدهما الى جهة الشرق والثاني الى جهة الغرب بعد ان كانوا غاية ذلك العصر مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض ولا شك في ان اصل هذا الافتراق الذي حصل بين هؤلاء الاتسال الآرية لا مقتضى له غير المنازعات الدينية والظاهر ان القبائل الذين اظهروا العداء لمذهب (زرادشت) كانوا هم الذين تمت عليهم الغلبة في تلك المنازعات التي وقعت بينهم فيما يتعلق بمسائل العقائد الدينية وكيفية الاعمال التعبدية فاضطروا

الدرس التام ٣٥٠ في التاريخ العام

للمهاجرة بالكلية من ارض (البكترية) التي كانت هي اصل مسقط رأسهم واول
مهذب لبناء جنسهم وصارت تلك الارض وطنا خاصا لاصحابهم وارتجحوا لوازمر اعنها
وانتقلوا جوعا منها الى ماوراء سلسلة جبال (هند كوش) من الجهة الاخرى
ولم يزلوا يتقدمون من هناك دائما الى نحو المشرق والجنوب وتوطنوا على التدرج بالاقطار
التي كانت تعرف عند اليونان في تلك الاعصار باسم (البارو بانيسوس) و(الدرنجيان)
(الاراكوزيا) وتداخلوا في الجزء الشمالي من وادي جيحون ومكثوا في تلك الاقطار مدة
الف سنة يتنازعون مع الاقوام البلديين الاصليين الذين هم من نسل حام ومن ثم تعدت
يدهم وامتدت سلطنتهم على سائر البلاد الكائنة بحوضي جيحون ونهر السنج
واما الابرانيون التابعون لمذهب (زرادشت) فكانوا قديما وامتوطنوا في بلاد (البكترية)
(وهي خانية بلخ) و بلاد (السوجديان) (وهي ما يدعى الآن بخانية بخارى وخرقند من
بلاد تركستان) و بلاد (مرجيانه) (وهي البلاد الكائنة على شواطئ النهر المعروف
الآن بنهر مرجاب) واستقر بعضهم في تلك الاقطار وهاجروا آخرون منهم بضرورة كثرة عدد
النفوس وبهم الى جهة الجنوب الغربي وعبروا بلاد (هركانيا) وتغلبوا على بلاد (مادى
اوالميدية) و(السوسيه) و بلاد فارس الاصلية وطردها منها بالسهولة لسكانها الاصليين
الذين هم من الاقوام الكوشيين المذكورين في الروايات القديمة المتداولة عند الفرس بانهم
كانوا رجالا اسود البشرة اولى شعور قصيرة تشبه اصواف الغنم

الفصل الثاني

في تاريخ الماديين والبيديين وذ كرالدولة الميدية

مطلب — ذكر الماديين الاريين والتورانيين — اما في بلاد فارس الاصلية وفي
بلاد القرم ان التي كانت ملحقة بها من وقت استيطان القبائل الياقشية فيها فان اليرانيين
لم يجدوا من طرف سكانها الاصليين معارضة شديدة ولا مقاومة قوية عنيدة ولذلك مكثوا
بتلك البلاد وتوطنوا فيها وصاروا هم المالكين لها بدون منازع قوى ينازعهم عليها
بخلاف بلاد الميدية حيث كان الاقوام الاريون قد سبقهم اليها القبائل التورانيون الذين هم
اعدائهم الشديدون واهمهم الالدون وكان هؤلاء القبائل التورانيون الذي كانوا
متوطنين في اول الامر ببلاد الميدية يوجد منهم فيها اقوام عديدون ورجال اولوعصية كثيرين

الدرس التام ٣٠١ في التاريخ العام

ولذلك لم يتيسر للقوم الايرانيين ان يخرجوه - من ديارهم - بل اضطرر الان يساكنوهم فيها وبيعة وافوقهم هم الاعلون ويكثوا عليهم بصفة اقوم الفاتحين

مطلب - ذكر منازعة القومين ومقاومة الخصمين المذكورين - وقد كان التورانيون الذين هم سكان بلاد (مادى) الاصليون في اول الامر قد امتثلوا الشدة الوطأة الناشئة بادئ بدء عن قوة عليية الاقوام الاربيين ثم رفعوا رؤسهم في اقرب مدة واشتباكوا بالحرب والقتال مع القوم الايرانيين الذين ارادوا ان تكون لهم الدولة عليهم ولم يزل النزاع بين القومين يتردد مرة بعد مرة ويتجدد بين الخصمين المذكورين ككرة بعد كرة على ذلك القطر حيث كانت القوة متساوية من الطرفين والشجاعة متعادلة من الجانبين حتى مكث النزاع بينهما مدة اكثر من عشرة قرون والحرب بينهما مسجما لتارة ينتصر هؤلاء واخرى يظفر الآخرون وليس لهذه الوقائع الحربية تاريخ ثابت وثيق يعتد به ولا ذكر محقق يعتمد عليه غير ان ذكرها لم تزل محفوظة مع غاية الوضوح والصرامة العجيبة فيما بقي لغاية هذه الايام الحاضرة من الروايات المتداولة بين العوام ببلاد فارس ولم يزل مذكورا في ضمن الحكايات الخرافية والافتعال الخيالية الماثورة عن الشعراء الفارسيين فلم يزلوا يتحدثون بان مدة الحروب المذكورة كانت قد طال جدا وعالت اشتدادا وبعدا ثم آلت في اخر الامر لان غالب ايران على توران وصار هو الاعلى عليه غير انه لم يصل لغاية ان يعدمه بالكلية وبفنيه وقد كان ذلك في الحقيقة هو ما وقع في آخر الحروب الاهلية والمنازعات النسبية التي وقعت في تلك الاعصار الغابرة بين التورانيين والايرانيين ببلاد الميديه اعني ان الايرانيين لم يبلغوا الملهم من اعدام صورة الوجود الملية وهيئة الكينونة الاهلية التي كانت متكونة من الاهالى التوارنيين الذين كانوا قد سبقوهم بالتوطن في تلك الاقطار من سالف الاعصار وانما تغلبوا عليهم بالقوة القهرية وتحكموا فيهم بالحالة السيادة وصارت لهم الدولة عليهم وصاروا هم بالتبعية اليهم

مطلب - ذكر دين المجوسية وبيان كونه هو غير دين المزدية - ومع ما كان قد استقر الحال عليه من توطن هاتين الملتين المتغايرتين في الاصل والنسب ببلاد الميديه وهما الايرانيون والتورانيون ومن بعد ما وقع بينهما من المقاومات الاهلية والمخاصمات الدينية في ظرف تلك المدة المديدة من القرون الزمنية قد كان من المستحيل ان مذهب (زاردشت) المجلوب الى تلك البلاد مع القبائل الايرانية يبق في اعلى حال النقاوة الاصلية بدون ان يعتره بعض تغيير وتبديل وفي الواقع ونفس الامر كان قد حصل في مذهب الديانة المزدية الذى هو دين فارس الاصلية بعض تحويل في ذلك العصر وآل الى ما صار يعرف بدين المجوسية وهو مذهب الديانة الذى حدث يتخاصم الملتين المذكورتين وتفاقم هذين القومين

المخاضين ببلاد الميديه وكان مذهب دين الميديين مخالفاً بالكلية لمذهب الاقوام الفارسيين وانما عرف بدين المجوسية نسبة الى طبقة اماناء الدين السيادية التي كانت تقوم بخدمته وكانوا يدعون بالمجوس وحينئذ فدين المجوسية هو - لا فدين المزدية وقد جرت عادة الناس ان يطلقوا اسم دين المجوس على مذهب (زرادشت) المسمى بدين المزدية والحال ان هذا خطأ كان اول من وقع فيه مؤرخو اليونان في سالف الازمان وكان اولهم المؤرخ اليوناني المعروف باسم (هيرودوت) وذلك انه قد كان انما ما فر في بلاد الميديه لان في بلاد فارس الاصلية نخلط بين المزدية بدين المجوسية. ولا شك في ان ذلك خطأ صريح والصحيح كما علم لنا من المعلومات التي تحصلنا عليها في هذا الشأن وان كانت قليلة الوضوح والبيان هو ان دين المجوسية عبارة عن مذهب اعتزال ناشئ عن اصل دين (زرادشت) مبني على عقيدة التثنية الالهية كدين المزدية غير ان الفرق بينهما ان المجوس يعتقدون مساواة الاصلين (اهريمان) و(اورهوزد) اللذين هما اله الشر واله الخير عندهم ويتعبدون لعدد كثير من الالهة المتعددين والاصنام المعبودين - حيث سرى لهم ذلك من ديانة الامم المجاورين ولا سيما من الاسوريين وهذا امر يناقض بالكلية لاصل ثرية (زرادشت) الاصلية

مطلب - ذكر استيلاء الدولة الاسورية على بلاد الميديه - وقد كانت بلاد الميديه من اول الاقطار التي تعدت اليها يد ملوك الاسوريين من دولة بني بيليطارة فكثرت في ايديهم مذعة لوطاة نظامهم وتعليمهم مع غاية الامتثال والاذعان مدة ثلاثة قرون من الزمان وكانت طريقة سياسة الاسوريين في تلك البلدان ان يعتمدوا على القوم التورانيين لكونهم راءهم اقرب للصناعة والامانة مثل من الاقوام الاربيين لما كان في طباع الاربيين المذكورين من حب الحرية والاستقلال وعدم سهولة الاذعان لاحكام الدولة الاجنبية ولكونهم كانوا كثيراً ما يراهم في ظاهرين عليهم بالهصيان ولداعي كونهم كانوا على الدوام والاستمرار مستعدين عليهم للقيام والثوران ثم لما تشاقلت وطأة الدولة النينوية مع مرور الزمان على سائر الاهالي الميديين من كلا الجنسين المذكورين سواء كان اصلهم من التورانيين أو الايرانيين حصل ارتداد فعل في الجنس الايراني الاصل الذي كان هو المقاوم لجور الدولة الاجنبية ولداعي توجيهه الحرب على الدوام من طرف الملوك الاسوريين الى الطبقة الآرية ببلاد الميديه تقررت اعلاويتها وثبتت أفضليتها وامتزجت بالطائفة التورانية وانضم كل من هاتير الطائفتين الاهليتين المذكورتين كلناهما الى الاخرى وان كانتا من منذ قرون عديدة متعديتين عداوة شديدة واجتمعتا لقصده التخلص من ظلم هذه الدولة الغريبة ولما جاء وقت توجيهه اول ضربة قوية على الشوكة النينوية التي كانت متسلطة على بلاد الميديه في تلك الحقبة العصرية كان القوم الآريون هم اول

ذكر الدولة الميمنية

مطلب — ذكر ارباس والدولة الجبهه هورية الميمنية (من سنة ٧٨٨ لغاية سنة ٧١٠ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لو نورمان السابق الذكروالبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه قد عصفنا في الباب المعتود البحث عن تاريخ الاسور بين والبابلين السابق قصة العصيان الذي حصل بجموع تدبير كل من قائد العسكر المسمى باسم (ارباس) الميمني الاصل والقائد الكلداني المسمى باسم (فول) أو (بيانيزيس) في سنة ٧٨٨ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وما ترتب على ذلك من خروج الجنود الملكية على الدولة الاسورية واستيلائهم على مدينة نينوى وقتل الملك سردانا بال الى آخر ما ذكر في موضعه هناك فلا حاجة لتكراره هنا بالثاني وتمام ما ترتب على هذه الفتنة الجندية بالنسبة لبلاد الميمنية هو ما انعدت له هذه الترجمة بالخصوص وهو المعبر عنه في كتب التواريخ الاسلامية بتاريخ ملوك دولة فارس الاولى وما تحقق منه عند علماء الافرنج المتأخرين هو ما نذكره بعد فنقول

قال المؤرخ المذكور انه من بعد تمام هذه الفتنة الاسورية واستقرار (ارباس) في بلاده الاصلية لم يكن هو وفيه امل كما حقيقيا ولا سيما بالمعنى الذي يطلق عليه هذا اللفظ عند الامم الآسيين بل كان قائدا عسكريا ورتسا جهاديا واحدا للمة مرتبة ترتيبا سياسيا أساسيا على هيئة ما يعرف الآن عند الامم المتأخرين بالحكومة الجمهورية وبقى الحال كذلك حتى لحقته الوفاة فاستمر الميمنيون على تلك الهيئة الجمهورية من بعد وفاته غير انهم لم يوجد فيهم من بعده رجل وجهه ذو نفوس وشوكة يجتمعون اليه ورئيس نبيه ذو اعتبار وصوله يعتمدون عليه ليمسك في يده عروة امورهم العمومية ويحفظ في قيده ولايتهم المركزية فتفرق شملهم وتفرق حالهم بالكيفية والجزئية والجملة فتدكان التفرق الذي هو من هذا القبيل مدة مقدار عديد من القرون جيل عن جيل هو الحال الاصل المتسلطن في سائر القبائل الإيرانية على العموم حين كانت عندهم طريقة تمييز القبائل ادعى موافقها لما كان متحكما في طباعهم من حب المعيشة الحربية مع الاشتغال بالملاحة ورعاية المواشي دون سائر الصناعات والفنون قد بقيت لديهم على حالة تفاوتها الاصلية وكانت عندهم هي القاعدة

الدرس التام ١٠٤ في التاريخ العام

الاساسية التي يبنى عليها تركيب هيئتهم الاجتماعية البشرية
واذا كانت هذه الحالة التفرقة توافق حب الاستقلالية المحلية وتناسب الحرية الشخصية
الاهلية وتليق بحال أمة لا بأس عليها ولا خطر يصل اليها من الغارات الاجنبية كالامة
الفارسية الاصلية فقد كانت مضرة بآمة كالامة الميديّة اذ كانت على خطر شديد من جهة
الدولة الاسورية وذلك انه على أبواب الميديين كانت السلطنة الاسورية قد قامت من
سقطتها في اسرع مدة زمنية واعادت قوتها العسكرية الى اقوى مما كانت عليه في اى حقبة عصرية
وكانت قد دخلت في طريق الفتوحات والتغلب على سائر الاقطار والولايات وتوجهت
مطامعها خصوصا الى استرداد سائر البلدان التي كانت تحت طاعتها في سالف الزمان واشتد
تبعها على الوجه الاخص لاعدام سائر الدول التي كانت قد تعصبت عليها وخرجت عن
القاء ايد الطاعة اليها وترتب على تحزبها عليها خراب مدينة نينوى بالكلية وكانت بلاد
الميديّة بعد ان كان قد اخرجها (ارباس) من رق عبودية الملوك الاسورين قد كادت ان تقع
في حباله أسر الدولة العراقية بالثاني لولا ان شدة الخطر المتوجه اليها من تلك الجهة وضرورة
الاجتماع للدفاع العامة عن الاوطان قد اجأت الاقوام الميديين على ان تركوا الحالة
الاستقلالية التي كانوا عليها في كل خطة ارضية من بلادهم واجتمعوا في هيئة دولة واحدة
قوية واتخذوا هيئة الحكومة المملوكية وتوضح ذلك هو ما يأتي في المطالب المسطورة بعد
مطلب - ذكر (ديجوسيس) ومنشأ ترتيب الملك ببلاد الميديّة (من سنة ٧١٠ لغاية
سنة ٦٥٧ ق م) قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قال المؤرخ
اليوناني المشهور باسم (هيروودوت) مانص عبارته هكذا قد كان يوجد في بلاد الميديين
رجل حكيم يسمى باسم (ديجوسيس) وكان قد تعلق اطماعه بان يكون ملكا عليهم فسلك
مسلك العدل وحسن السيرة للحصول على اغراضه وذلك انه قد كان من اخلاق الاقوام الميديين
انهم كانوا تفرقوا الى احطاط متميزة كل قبيلة منهم في خطة ارضية مختصة بها لا يتعدى
عليها اقليم غيرها وكان (ديجوسيس) هذا منذ زمن طويل قد صار رجلا معتبرا في قومه
مشتهرا في خطه ولـكونه يعد ان المظلومين ييغضون الظلمة و يحبون من يتقضى بينهم بالعدالة
والحكمة كان يبذل كل طاقته في ان يتقضى بالحق بين اهل عشيرته بخلاف سائر القبائل
ببلاد ما دى كما احيث كانت اصول العدل فيها منكورة وسائر القوانين والشرائع محترقة ولما
شاهد اهل خطه حسن سيرته ولوه عليهم قاضيا فسلك في جميع أعماله مسلك العدل والاستقامة
ولم ينحرف عن طريق الحق في جميع أحكامه حتى استوجب ذلك غاية الثناء عليه من اهل
قبيلته وسمع به غيرهم من سكان الخطط الاخرى وكانوا الى ذلك الوقت يقضى عليهم
ظلاما وجورا وحيث ثبت لديهم من غير شك ولا التباس ان (ديجوسيس) دون غيره هو

القاضي

الدرس الثام ٣٠٥ في التاريخ العام

القاضي الكامل والحاكم العادل الذي يقضى بالحق بين الناس صاروا يتجارون الى محكمته ولا يرضون الا بحكومتها ولم يزل يزداد في كل يوم عددا المتقاضين لديه ويشتهد زحام المتحاكمين اليه لتيقنهم من عدالة احكامه وما شاهدان جميع الناس قد انكبوا عليه وانه قد صار وحده هو الحامل لثقل اعباء جميع القضايا والاحكام امتنع من الجلوس بمجلس القضاء وأبى ان يصعد على كرسي المحكمة بعد ان كان هو وحده من تلقاء نفسه يصعد عليه وينظر في كل امر يعرض اليه ويقضى فيه وصرح بتنازله عن وظيفة القضاة بين الناس متعللا ان ذلك او يجب اهمال مصالحه الخصوصية حيث صار يقضى ايامه كلها في قضاء المصالح العمومية فترتب على امتناعه هذا ان عادت البسفات وانقطعت الطرقات وفشا الظلم والجور في سائر الطبقات الاعلى واختن نظام الجمعية بالكلية في سائر اخطاط جميع بلاد الميديه اكثر مما كانت عليه في أى مدة كانت من الاعصار الخالية ولذلك اجتمع سائر الاهالي الميدين في مجلس جمعية عمومية وتشاوروا فيما بينهم تقصدان برسوالهم على صورة مستحسنة في شأن حالهم الراهنة وقام اصدقاء الحكيم (ديجوسيس) في المجلس وقالوا امامه ان حيث كانت هذه الحالة التي نحن عليها بهذه البلاد لا يمكن معهان نميش فيها فتدوجب علينا ان نختار لاملكنا يضبط امورنا ويقضى بيننا على اصول جيدة وقوانين متقنة حتى يتيسر لنا ان نزرع اراضينا مع الامان بدون ان نخشى من احد يختر حنما منها بالظلم والجور والتفوق القهرية فآثر هذا القول على عقول سائر القوم الميدين واتفقوا جميعا على ان يتخذوا لهم ملكا واخذوا على الفور في ان ينتخبوه وحيث اجعت سائر الاراء بالمدح والثناء على الحكيم (ديجوسيس) المذكور واتفقوا على ان يكونوا له هو الجدير وحده بالتقيام بولاية الامر العمومية توجهوا اليه وبايعوه وباجماعهم عليه قلدوه بالملك وولوه فامرهم بان يشيدوا له قصرا يلبق بمرتبة ويرتبوا له حرسا يقومون بحفظ ذاته وحضرتة فامتثلوا ذلك الامر وبنوا له في المكان الذي اشار لهم اليه عمارة متسعة حصينة ودار ملكة جميلة متينة وباحوا له ان ينتخب من شاء من جميع افراد الامة الميديه ليكونوا النقبه طائفة حرس ملوكية ويجردان صعد على سرير الملك اجبر الرعية على ان يبنيوا له مدينة وامرهم بان يزينوها بانواع الزينة ويحصنوها بالقلاع والحصون المكيئة ولم يلتفت لغيرها من الاماكن التي كان يلزم ان تكون حصينة بتلك البلدان فامتثلوا امره وأذعنوا اليه كل الاذعان وشيدوا له مدينة حصينة وقلعة كبيرة جدا وهي المسماة في ذلك الزمان باسم (ايكباتان) وفي مكانها الآن مدينة (همدان) (هـ) ما نقله المؤرخ فرانسيس لونورمان عن (هيروdotus) مؤرخ اليونان

مطلب — ذكر الملك (فراوررت) وما نشأ في عصره من السلطنة الميديه الكبيرة

الدرس التام ٣٠٦ في التاريخ العام

(من سنة ٦٥٧ الى سنة ٦٣٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه واظهار ان مدة ولاية الملك (ديجوسيس) هذا قد كانت مدة علمية استعملها هذا الملك بالخصوص في ترتيب احوار المملكة الميديية الداخلية لتكون مستعدة لما كان قد كتب لها من القادير الازلية وتوصلت اليه فيما بعد بذلك العهد من المراتب العلية وذلك انه من بعده كان قد تقلد بالملك في ذلك الوقت ولده المدعو باسم (فراوورت) وكان ملكا محبا للجهاد وساطانا مغرما بفتح الممالك والبلاد ولا نعلم شيئا صحيحا من اخبار اوائل مدة حكمه غير ما يظهر لنا من انه كان قد اشغله باطراد الاسوريين من سائر الاماكر التي كانوا الميرزاوا عليها مستولين من بلاد الميديية وذلك انتازى هذا الملك من اوائل مدة الفتوحات التي كان قد تحصل عليها من البلاد الاجنبية مستوليا على سائر بلاد (مادى) من غير منازع ينارعه ولا معارض يعارضه في ذلك مع ان من المحقق كون جزء منها قد كان في مدة عهد الملك (ديجوسيس) السالف الذكري يد بعض الامم الاجنبية ولم يبتدئ الملك (فراوورت) في مغازيه الكثيرة الا في سنة ٦٥٠ ق م) وكانت قد توجهت همتها للجهادية أولا الى جهة المشرق وكان مبدأ امره ان اطاع لدولته بادئ بدء سائر بلاد فارس الاصلية وكانت في ذلك العصر قد اخذت في ان تتكون في هيئة مملكة متحدة بعد ان كانت قد مكثت مدة مديدة وهي متمزقة الى عدة قبائل متعددة لا رابطة لها ولا عقدة تحالفية وثيقة تضبطها وكان اول تصورها في صورة المملكة المتحدة في الوقت الذي كانت بلاد مادى قد خرجت فيه بواسطة هصيان (ارباس) السالف الذكري عن طاعة السلطنة الاسورية التي كانت قائمة بمدينة (نينوى) في ذلك العصر وكان ملك فارس المسمى عند اليونان باسم (آشمينوس) هو آخر ملك استقل بمملكة فارس الاصلية ثم حاربه فاتصر عليه وغلبه الملك (فراوورت) ملك مادى المذكور فاعترف له بالتبعية وصارت مملكة فارس الاصلية تابعة للدولة الميديية والملك (آشمينوس) هذا هو اصل العائلة الملوكية الفارسية التي منها الملك (كيرش اوقيروس) وسائر ملوك فارس المسمين عند اليونان بالآشمينوسية (وعند مؤرخي العرب وفارس بالكيانية) ولم يقتصر ملك مادى المذكور في تلك الجهة من الفتوحات والاستيلاء على الممالك والولايات على ما ذكر اعلاه فقط بل كان في مسافة بعض سنوات قلائل قد اطاع لدولته سائر الامم المتوطنين فيما وراء جبال (هندكوش) وصحارى بلاد القرمان اذ كان اصلا اكثرهم من الابرانيين وقد مر ح الطبيب المؤرخ اليوناني المشهور باسم (اكتازياس) في كتاب تاريخ فارس والهند الذي كان قد الفه وبقى بعضه مسطورا في ذيل تاريخ (هيروودوت) بان القرنيين وهم قوم اصلهم من الاقوام البيطيين او التوارنيين كان الملك (فراوورت) قد

الدرس الثامن ٣٠٧ . في التاريخ العام

أدخلهم تحت طاعته ومن ابتداء مدة حكم هذا الملك نرى أيضا بلاد (البيكترية) وما اتقوا من ولاية (هركانيا) وولاية (المرحيان) و(السوجديان) كلها منضمة لدوائه وكذلك في جهة الغرب من بلاد ما أدى كانت الامة الارمنية التي هي من جملة الامم الآرية وكانت متحالفة من عهد (ارباس) مع الامة الميديّة لزم الضرورة ان تكون مدعنة بالتبعية لسلطنة الملك (فراوررت) المذكور وعلى حسب الظن اقوى وصادق الحدس العقلي انه كان في نظير تلك التبعية قد انقذ بعض اراضيهم من يد الدزلة الاسورية اذ كان بعضها تحت ايديهم وكانت قد وصلت اليهم يد تعديهم

وحيث كان الملك (فراوررت) قد استولى على جميع هولاء الامم وبذلك جعل المملكة الميديّة سلطنة جهادية متسعة ودولة عسكرية ذات منعة قوية ظن انه يمكنه ان يفعل بمدينة نينوى كما فعل بها من قبله (ارباس) أعنى انه اراد ان يخربها ثانيا مرة وكانت قد قامت من سقطتها ورجعت لسالف بجمتها وعظمتها بعناية الملك (سخراب) وشرع في ان يطبع لدولته بلاد الاسورية لكر خبايا له في ذلك اذ توجه مع نخبة جنوده اليها فلم يظفر بها وهلك هو وهم جميعا في (سنة ٦٣٥ ق م)

مطلب — ذكر الملك (سيا كزار) (من سنة ٦٣٥ الى سنة ٥٩٥ ق م) وتقالد بمملكة الميديين من بعد الملك (فراوررت) المذكور ولده المسمى باسم (سيا كزار) فكان اكثر جبالا للجهاد واقوى شغنا بالحرب والجلاد من والده المحكي عنه أعلاه وذلك انه اعتبر بسوء عاقبة أبيه فكان أقل عناية من ذممه على سريره ملكته ان أحدث في الامة الميديّة ترتيبات عسكرية جيدة وكان القوم الفرثيون بوفاء أبيه قد خرجوا عن طاعته فتوجه اليهم وحاربهم واطاعهم بالثاني لدوائه ثم التفت لتنفيذ مقاصد والده فيما يتعلق باخراب مدينة نينوى بالثاني وتدبر في ذلك الامر وتذكر وتأمل وتبصر فأداء حسن التدبير الى ان مثل هذا المشروع المهم لا يتم الحصول عليه الا بواسطة عقد محالفة مع اهل الجنوب من حوض دجلة والفرات كما فعل مثل ذلك (ارباس) في سالف الاوقات ولاجل ان لا يقدم وحده على مثل هذا الامر العظيم عقد عهدا مع الملك الكلداني المعروف باسم (نابو ناصر) على انهما يفتحان معا دية تسمان المملكة الاسورية وتوثقت عروبة هذا العهد بما حصل بينهما على الفور من المبادرة بعقد زواج بنت الملك (سيا كزار) المذكور على ولد الملك (نابو ناصر) وهو (بختنصر) المشهور وقد كان شابا حديث السن بعهد وبوفاء الملك (آسوردبيلي) ملك نينوى في سنة ٦٢٥ قبل الميلاد (كما سلفنا ذكر ذلك في موضعه) بدت لهذين الملكين المتحالفين والسلطانين المتصاهرين فرصة ان ينفذا أغراضهما وعزمهما على ان يبلغا مقاصدهما فأخارت الجيوش الميديّة والكلدانية دفعة واحدة على بلاد الدولة الاسورية

فتوجه الميديون اليها من جهة الشمال والكلدانيون من جهة الجنوب والتقى الجمعان والتهم الصفان من الجنود الميديية والعساكر الاسورية وكان قد غاب الميديون على الاسوريين في ملحمة عظيمة وواقعة حرب منتظمة جسمة وأخذ الملك (سيا كزار) في أن يعقد على مدينة (نينوى) دائرة الحصار وتقدم الملك (نابوبولصر) ودنا من ان يحضر لامداده بسائر اجناده على اخذ هذه المدينة واذا بملك الميديين قد نزل عليه على حين فجأة منه جيش عديد من الاقوام السيتيين وشنوا الغارة على سائر بلاد الميديين

مطلب — ذكر غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين — وقد كانت غارة الاقوام السيتيين عبارة عن مهاجرة حصلت من امة متوحشة سارت بالصدفة وذلك انه كانت قد قامت حرب بينهم وبين قوم آخرين كانوا لهم مجاورين يقال لهم (القرميميون) كانوا في ذلك العصر متوطنين بالصحارى الجبلية الكائنة في شمال بحر الخزر وجبال قوقازة فلما تمت غلبة السيتيين على هؤلاء القوم القرميين اندفعوا وراءهم ولم يزالوا هم متتبعين حتى ضلوا في مضائق جبال قوقازة ولم يزالوا يتقدمون فيها الى جهة الامام ويهيمون في تلك الصحارى بدون أن يعرفوا الى أي جهة هم متوجهون حتى نزلوا كالسيل على بلاد الميديين فقام الملك (سيا كزار) المذكور وأراد ان يوقف غارتهم ويمنع صولتهم عن بلاده ولا قاهم بجنوده فهزموه وغلبوه واضطروا لان صارت تحت طاعة هؤلاء القوم المتوحشين ومالك السيتيون مدة ثمانى عشر سنة يخربون سائر بلاد آسية الداخلية حتى انهم بلغوا الغاية حدود الديار المصرية وكان الميديون هم اكثر سائر الامم الآسيين اصابة بغارة هؤلاء القوم المغيرين حيث كانوا توطنوا بدارهم وقتها وفيها على وجه بحيث كان يظهر عليهم انهم لا يريدون ان يخرجوا منها أبدا ولم يتوصل الميديون لنجاة منهم الا باعمال الخيلة والحيلة والخيانة عليهم وذلك ان الملك (سيا كزار) واصحابه من طائفة اسياد الميديين الكبار دعوا ملك السيتيين وأعيان رؤسائهم الاصليين الى وليمة كبيرة واسكروهم بكثرة شرب الخمر ثم ذبحوهم عن آخرهم وهم سكارى وقامت جميع الاهلين الميديين على سائر الاقوام السيتيين فقتلوهم عن آخرهم وقطعوا ديارهم جميعا حيث صاروا الارئيس لهم ولا رابطة عامة

تجميعهم

مطلب — ذكر ما حصل بعد ذلك للملك (سيا كزار) من الظفر الجديد — ومجرد ما انتقد هذا الملك من غارة هؤلاء الاقوام المتوحشين كان قد جدد العهد مع الملك (نابوبولصر) والنفت لتنفيذ ما كان قد عقد هزيمته عليه وتجبب اليه من العزم على خراب مدينة (نينوى) بالثاني فتوجه كل من هذين الملكين المتحالفين بجنودهما اليها وعقد الحصار عليها وظفرا بها تمام الظفر واتصرا عليها كل النصر وفي (سنة ٦٠٦ ق م) كانت هذه

الدرس الثام ٣٠٩ في التاريخ العام

المدينة الجبوتية الفاخرة والحاضرة العظيمة المتكبرة التي كان قد أعادها الملك (سنخاريب) بالثاني من بعد خرابها الاول الى درجة عظمتها الاولى قد سقطت في قبضة هذين الملكين الجبارين فأخر باها في هذه المرة خرابا لم تعد للعمارة من بعده ابد او اقتسما بينهما بلاد الاسورية فاخذ الميديون جهة الشمال واستولى البابليون على جهة الجنوب منها ثم بعد ذلك بثلاث سنوات أعنى في (سنة ٦٠٣ ق م) كانت قد قامت حرب أخرى بين (سيا كزار) وملك القوم المسمين باسم (البيديس) وهو المدعو باسم (أليات) وكان هذا الملك الاخير قد استولى منذ بعض سنوات قليلة على إقليم (افريجيا) وهو على وجه التقريب عبارة عما يسمى الآن بلواقونية وآق سراي وآق شهر بيلا - القرمان ولوائى كوتاهية وقراحصار من بلاد الاناضول المعروف (ببلاد آسيا الصغرى) وكذلك على إقليم (قبادوسيا) وهو جزء من ولايتي سيوة والقومان الآن) قال المؤرخ اليوناني المشهور باسم (هيرودوتس أو هيرودوت) في تاريخه مانصه (معربا) هكذا مكث الميديون والليديون يتحاربون مدة خمسة سنوات والحرب بينهما سجال تارة يظفر هؤلاء وأخرى ينتصر الآخرون حتى جاءت السنة السادسة فصل بينهما ما هو أشبه بواقعة حرب ليلية وبيان ذلك ان القومين المذكورين بعد ان مكثتا تلك المدة على الدوام والاستمرار في قتال تعادل فيه الحظ من الطرفين ، ناقدا لتلاقيهما في ملحمة كبيرة ومقتلة خطيرة واذا بالهراق صارا ليل على حين غفأة منهما با انكشاف قرص الشمس وهما في حوة الميدان يتحاربان ويتضاربان وكان الحكيم (طاليس) المايطي احد فلاسفة اليونان السبعة المشهورين قد انذر من قبل بهذه الحادثة الجوية واخبر بوقوعها الامة اليرانية وعين ذات اليوم والسنة التي تقع فيها ولما تراءى للجيش الميدي والليدي ان النهار قد انقلب ليلا اجتمعوا على القتال وبادروا للصلح وتوسط بينهما في ذلك ملكا بابل وبلاد (سيليسية) (وهي انعم عنها الآن بولايتي سيافكة وادنة) ولما كانوا يظنون ان عروة العهد لا تتأكد الا برابطة قوية كرابطة مصاهرة ونحو ذلك ألزم هذا الملك (اليات) بان يزوج ابنته المسماة باسم (ار يانيس) بابن الملك (سيا كزار) المذكور المدعو باسم (استياج) (اه نص كلام هيرودوت) ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المنقرل عنه اعلاه بعد ذلك مامعناه وتعيز مجرى النهر المسحى باسم (هايس) (وهو المعروف الآن باسم (قز يل يرموق) وهو القاسم لارض اقليم (قبادوسيا) المذكور الى قسمين متساويين هو الحد الفاصل بين تخوم السلطنتين المذكورتين

مطلب — ذكر الملك (استياج) والملك (كيرش أو قيروس) المشهور وقصة زوال سلطنة الميديين في سالف العصور (من سنة ٥٩٥ الى سنة ٥٦٠ ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه وكان الملك (استياج) ابن (سيا كزرا) المذكور قد خلف أباه على سرير سلطنة الميديين في (سنة ٥٩٥ ق م) وكان له كظاما وسلطانا جاثرا غاشما لا يخفله ولا يجد قال المؤرخ الفرانسوي المعروف باسم (روبيو) ما نصه (عربا) بعد

وكان قد رأى في المنام انه ينزله عن سريره ملكته ابن بنته المسماة باسم (مندانة) وكان قد زوجها ابولدمن ذرية العائنه الملوكية الفرسية القديمة يقال له (قميريس أو قمبيز) فأراد ان يقتل الطفل الذي ولدها معا عند ولادته وهو (كيرش أو قيروس) وأمر بهذه المأمرية رجلا من كبار ضباط عسكره يقال له (هر باجوس) وهذه القصة مبنيّة على ما حكاه اهل فارس عنهم في حكاياتهم الاهلية ورواياتهم الملية حيث ارادوا ان يغربوا في قصة تاريخ مده طفولية الملك (كيرش) هذا بكرا والخرية ووقائع عجيبة اذ كان هو الذي وسع سلطنتهم ورفع صواتهم وبواسطته استولوا على سائر بلاد آسيا فذكر واما معناه ان (هر باجوس) المذكور أعلاه لما أسر الملك (استياج) بان يأخذ حفيده هذا ويقتله كان قد هزته اريحية الرأفة اليه واخذته شدة الرحمة والحنية عليه فتعلقت ارادته بان انجس من القتل الذي أمر به الملك وألقاه عند راع من رعاة الفلاه وادعاه اياه ثم عثر عليه الملك الميدي الذي هو جده لأمه وعرفه بتقاطيع وجهه وأسرة محياه فاستحياه وابقاه مؤولا رؤياه بأنها قد تصدقت بما كان (كيرش) قد اجراه بوقت طفوليته وقد رآه وهو يلعب مع الاطهال يجرى صورة رسوم المملكة عليهم ويلقي الاوامر العلية بنحوه الملك اليهم فاخذته الى قصر ملكته وضه الى اهل دواته وانتقم من ضابط العسكر الذي كان قد أمره بقتله على وجه شنيع وطريق شنيع بان اطعمه لحم ذات ولده في هيئة لحم جدى مشوى فخذ ذلك (هر باجوس) على (استياج) وجم (كيرش أو قيروس) على الخروج عن طاعة جده وعلى ان ينقذاه فارس الاصلية من رق السلطنة الميديّة ووعده بان يساعده على ذلك ببل قوته وبعضه بذاته متى شرع في تلك المسالك قال المؤرخ (روبيو) المروي عنه اعلاه بعد ذلك ايضا ما معناه وكان (كيرش) المذكور قد اعمل الحيلة وتوصل لان اثار نيران الفتنة والعصيان عند ابناء اوطانه الاصليين اعنى الاقوام الفارسيين وكانوا اقواما جبليين وانا سابدوين اشد قوة واقوى على الحرب بالقتال من الاقوام الميديين وكان الملك (استياج) قد أساه التدبير اذ قلده (هر باجوس) هذا برياسة جنده المتوجه لقطع دابر هذه الفتنة وقع ذلك العصيان حيث خان الملك ادعى ما كان قد أسر في باطنه من الحقده عليه بما اجراه في حقه من الظلم بذبج ولده واطعمه لفلزة كبده وترك راية الظفر وضربة العلية والنصر لرئيس جنده القوم الفارسيين على الميديين فقام الملك (استياج) بنفسه

على رأس جنوده و اراد أن يدفع الجنود الفارسية عن كرسى مملكته فلم ينجح واجتهد كل الاجتهاد في اطفاء نيران هذا الصياع فلم يفلح بل انهزم اتم هزيمة واقبحها وقتل اكثر عسكره في حومة الميدان ووقع هو ذاته اسيرا في يد اعدائه وكان قدمه مكث على سرير السلطنة الميدية خمساً وثلاثين سنة وهو آخر ملوك دولة الميديين التي كانت قد ظهرت في الاقطار الآسية ذات شوكة كبيرة مدة حقبة من الزمن يسيرة (اه كلام الماورخ (رويو) المنقول عنه اعلاه

الفصل الثالث

في تاريخ الساطنة الفارسية الاصلية

مطلب — ذكر فتوحات الملك (كيرش) (من سنة ٥٥٩ الى سنة ٥٤٥ ق م) — قال الماورخ فرانسيس لونورمان المروي عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وكانت نتيجة هزيمة الملك (استياج) المذكور وافتتاح بلاد الميديين ان صار بيد الملك (كيرش) الولاية الساطانية على سائر البلاد التي كانت تابعة للسلطنة الميدية وصار له اليد العليا خصوصاً على جميع الامم الآريين والملل الايرانيين المتوطنين فيما وراء جبال (هندكوش) وصحارى بلاد القرمات فبادر لوضع اليد بالفعل عليها وأجرى رسوم الساطنة بالعمل فيها وقد كان ذلك أمراً سهلاً عليه اذ كان سائر هؤلاء الملل أخوات ملته فكانوا يميلون بالطبع اليه ويعطفون بالحب اليه ويؤثرون بالضرورة ان يكونوا تحت أعلوية امة ايرانية الاصل المحض كالامة الفارسية على أمة مختلطة النسب والحسب يتداخلها أصول أمم غرب كالامة الميدية

ولما كانت بلاد البكترية معرضة لكثرة غارات هؤلاء الامم الاغراب وتمكرا سقوط هؤلاء القبائل المتوحشة عليها بالقتل والسلب والانتهاك كان أول ما تعلق به همة الملك (كيرش) ان ابتداء قصد الحصول على الامن فيها بان حارب القوم التورانيين المسمين باسم (الساسيين) وهم قوم من الاقوام التورانيين كانوا متوطنين حوالى ينابيع نهر سيحون المسمى ايضا باسم (سيردار يا) فغلبهم وانتصر عليهم وأسر ملكهم المسمى باسم (آمور جيس) وجعل بلادهم سترايية من اعمال سلطنته أى ولاية جعل عليها واليا من ولاية فارس الملقبين بلقب الستراب بمعنى العامل على إقليم من أقاليم الدولة الفارسية وحيث توطلدت بذلك سلطنته وتمهدت البلاد لدولته من الجهة الشمالية الجنوبية شرع

يفتح البلاد المجاورة لجبال قوقازة وكانت قديمت مستقلة لم تدخل تحت طاعة الدولة
الميدية وبعد أن أقام على قتلها عدة سنوات عديدة وقامى فيها عدة حروب شديدة وهلك
فيها أناس كثير ون كان قد ادخل تحت طاعته وألحق بأعمال سلطنته كلامن اقليمى
(البازيا) و (ايبيريا) (ومجموعهما هو مايعبر عنه الآن باسم (داغستان وبلاد
الجرج) واما الاقوام المدعوون باسم (الكولشيديين) سكان اقليم (كولشيدية) (وهو
مايعبر عنه الآن بولاية ايميرسيا ومنغريليا) فقد كانوا امتثلوا لقوته ودخلوا صلحا
تحت طاعته وكذلك الاقوام الذين كانوا يسكنون الجبال الوعرة الكائنة على الساحل
الجنوبى الشرقى من بحر الخزر وهم (المارديون) و (المكرونيون) و (الكاليديون)
والقوم المشهورون باسم (الطبرانيين) وهم قوم كانوا مشهورين عند الامم السالفة من
أقدم الاعصار السابقة بعمل المصنوعات المعدنية وباختراع حديد الصلب كاهم كانوا قد
اطاعوا اصولته ودخلوا تحت أمر دولته وبذلك صار الملك (كيرش) الفارسى المذكور
مستوليا على سائر الاقطار الكائنة بآسيا الصغرى (بلاد الاناصول) الى حد نهر
(قريل يرموق)

مطلب — ذكر الملك (كريزوس) ملك بلاد ليديا — قال المؤرخ فرانسيس
لونيون المقول عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان معاصر الملك (كيرش ارقيروش)
المذكور آنفا ملك يقال له (كريزوس) ملك بلاد ليا وهى الجزء الغربى من بلاد آسيا
الصغرى او الاناصول ويعبر عنها الآن باسم سوراخان ومدينة من بعض بلدان احرى وكانت
قاعدة مملكة في ذلك الزمان تدعى مدينة (سردوس) كان ذلك الملك هو أقوى الملوك لبلاد آسيا
الصغرى وكان قد اجتهد في أن يحدث له في تلك الاماكن من الدنيا القديمة دولة عظيمة
وسلطنة متسعة جسيمة يضاهاى بها السلطنة الفارسية وكان قد اجبر المداين اليونانية التى
كانت كائنة على السواحل البحرية من تلك الجهة الآسيوية على ان تذهن بالطاعة اليه
و بلغ لغاية ان جاء تحت قبضة مملكته سائر البلاد الكائنة فيه اورا نهر (قريل يرموق) وكان
قد اغتر بما حصل له من النجاح فاراد ان يبدأ بالحرب والكفاح الملك (كيرش ملك فارس)
المذكور اذ كان يخشى صولته على بلاده واراد ان ينتقم عليه ويأخذ منه بشار الملك
(استياج) الذى هو صهره ويحكى انه قد كان استشار كاهنة مدينة (ديلفوس) (ويقال
لها ايضاديلفى) وهى مدينة شهيرة كانت بأقليم (فوكيدة) من بلاد اليونان القديمة كان بها
هيكل وكاهنة تتخبر بالمغيبات لمعبودهم المدعو باسم (ابوالون) (بتفخيم اللام) وفى مكانها
الآن مدينة (كسترى) (بفتح الكاف فى أوله وتاء مثناة فوقية يليها راء مهملة مكسورة ثم ياء
ساكنة فى آخره) وسألها كيف تكون عاقبة هذه الحروب فاجابته بقولها انك اذا

جرت نهر (قزيل يرموق) اُخربت مملكة عظيمة فسافر مطمئنا لقولها جازما بأنه سيزيل مملكة فارس فكان الحال بالعكس وكانت المملكة التي زالت هي مملكته والسلطنة التي تخربت هي سلطنته في ذلك العهد وبيان ذلك هو كما يأتي بعد

مطلب — ذكر هزيمة الملك (كريزوس) وزوال دولة الليديين على يد (كيرش أوقيروس) من (سنة ٥٤٥ الى سنة ٥٤٤ ق م) بخاز (كريزوس) بجيوشه النهر المذكور ودخل بهم اقليم (قبادوسية) واستولى عليه بغاية السهولة لداعى انه لم يجد من يصد عنه غير سكان تلك البلاد ثم التقى مع جيوش فارس تحت قيادة الملك (كيرش) بنفسه ووقعت بينهما مقتلة شديدة هلك فيها نفوس عديدة من الطرفين غير انه لم يظهر فيها النصر لاي الجانبين حتى جاء الليل فاتسبى بذلك القتال ولم يرد (كريزوس) ان يعود عليه بالحرب في الغد لداعى انه كان قد قبل له ان جنوده هم دون جنود خصمه في العدد فعاد الى مدينة (سردوس) التي هي قاعدة مملكته وبعث يطلب المدد من ديار مصر وبابل و (لقدونيا) ببلاد اليونان بناء على ما كان منعقد بينه وبينهم من العهود وهزم على ان يعود بالحرب في فصل الربيع الآتي قال المؤرخ (روبيو) وكان الملك (كيرش أو قيروس) قد تبصر في نتيجة تلك الاستعدادات الطويلة وبلغه الخبر بان الملك (كريزوس) اعتمد على طول مدة فصل الشتاء ففرق شمل جنوده وأذن لهم بالعودة الى بلادهم فبادر ملك فارس بالسير الى مدينة (سردوس) قبل ان يتيسر لملك الليديين ان يجمع جنوده ويستعد للافانه ومع كون الملك (كريزوس) كان قد رجاه ملك فارس على حين غفلة منه وجأ بالقتال من حيث لم يكن له ذلك على بال سار لقتاله مع من تيسر له جبهه من رجاله وكان الليديون قد فتحوا في مدة عهده فتوحات كثيرة واستولوا تحت قيادته على بلاد متسعة كبيرة فاغتروا بامتداد صيبتهم وشهرتهم بالحرب والظاهر انهم كانوا قد تعالوا في قيمتهم من حيث الجلال والضرب وكانوا قد اطمأنوا لانفسهم واعتمدوا على شجاعتهم وكان لهم خصوصاً هارة كبيرة وحذاقة شهيرة بركوب الخيل فالتقى الصفان والتحم الجيشان في سهل متسع عظيم مكشوف امام مدينة (سردوس) عند ملتقى نهرى (هيلوس) و (هرموس) وهو النهر المعروف الآن بنهر (شرابات او القادوس) على القرب من مدينة (ازمير) قال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني المحكي عنه أعلاه في هذا الموضع من تاريخه مانصه (معرباً) أدناه

وكان الملك (كيرش) قد جمع الجبال الحاملة للذخيرة جنوده ووضعها في مقدمة جيوشه المشاة بإشارة بعض قواد عسكره فلما نظرت اليها خيول عسكر الليديين فزعت من منظرها وهلعت من رأتحتها لعدم اعتيادها عليها ففرت منها ونفرت عنها قبل ان تحمل عليها فنزل فرسانها عن ظهورها وتركوها واجتهدوا في ان يحاربوا على الارض بدونها فلم يصادفوا الغرض

ولم يغب عنهم اجتهادهم ذلك شيئاً اذ كان أقوى عددهم قد فقد واشد مددهم قد نفذ فتمت عليهم من جنود فارس الغلبة والنصر وتفرق شملهم وتمزق جمعهم وانهمزوا شرهزيمة وانحصر الملك (كيرسوس) في مدينة (سردوس) اشد الحصر (انتهى نص كلام هيرودوت) منقولاً من تاريخ (رويو) ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المتكبر بالذکر والبيان اعلاه بعد ذلك مامعناه ومع ذلك فقد كان ملك الليديين المذكور لم يقطع العشم من الظفر اذ كان الاقوام اليونانيون قد دخلوا تحت طاعته من عهد قريب وكانوا له مصادقين وكان قد ارسل مراسيله بالثاني يستجلبون حضور الامدادات اليه من عنده هؤلاء الامم والممل المتحالفين معه فلم يند كل ذلك ثمرة ولم يعد عليه من عائدته معتبرة بل كان الملك (كيرس) بعد اربعة عشر يوماً من تاريخ الحصار قد هجم بجنوده على تلك المدينة التي كانت في ذلك العصر قلعة مؤسسة على صخرة ذات منعة مشتهرة فدفعهم القوم المحصورون في اول الامر وكان بعض جنود الفرس قد لحظ بالامر طر يقا يوصل الى مكان من سور القلعة يمكن منه التسلق عليها وكانت القلعة حينئذ عاطلة من الحرس لاعتقادهم عدم امكان الصعود على الصخرة التي كانت هذه القلعة موضوعة فوقها فارتد اخوانه اليها وصعد عليها وتبعه كثير من اصحابه وبذلك سقطت مدينة (سردوس) المذكورة هي وذات ملكها وساير بلاد المملكة الليدية في قبضة يد الملك (كيرس) (في سنة ٥٤٤ ق م)

مطلب — فتح المراتن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة ببلاد (يونيا) اي البلاد اليونانية الاصل التي كانت على سواحل بلاد آسيا الصغرى واذ كراستيلاه دولة فارس على ساير الامم والاقوام الكائنين ببلاد آسيا العليا (من سنة ٥٤٤ الى سنة ٥٣٩ ق م) قال المؤرخ المذكور آنفاً ولم يتأخر (كيرس) ان شن الغارة على ساير المدن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة ببلاد (يونيا) اي البلاد اليونانية الاصل التي كانت قائمة على سواحل بلاد آسيا الصغرى (وهي سواحل الوية سيوى وصوراخان وعابدين الآن) وحيث لم يردهم امداد من اخوانهم اليونانيين المتوطنين بنواحي اوروپة كان الملك (كيرس) قد استولى عليهم وامتدت يده اليهم وامتنع اهل مدينة (تيوس) (وهي المدينة المسماة باسم (سيدشيدجك) الآن واهل مدينة (فوكيا) (وهي المدينة المسماة بهذا الاسم على القرب من ازمير لغاية الآن) من الاذعان لطاعته فهاجروا من اوطانهم الاصلية وانتقلوا الى الجهات الادروبية وانضم الفوكيون الى اخوانهم اليونانيين الذين كانوا قد هاجروا من قبل الى الجهات المغربية اعني القبائل اليونانية الذين كانوا قد نزحوا بجهة (مرسيليا) (من سواحل فرانسة) ثم فتح اقليم (كاريا وليسيا) (لواتي منتشروتكها الآن) مع ما كان قد حصل من اهلها من المقاومة الشديدة والمصادمة

الدرس التام ٣١٥ في التاريخ العام

العنيدة وقد كان الذي تم له فتح سائر البلدان التي كانت تتركب منها رأس آسيا الصغرى في ذلك الزمان هو القائد (هر باجوس) المذكور آنفاً وكان (كيرش) نفسه مشتغلاً في اثناء تلك المدة بالاستيلاء على جميع الامم والاقوام المتوطنين ببلاد آسيا العليا وسائر الاقاليم الكائنة فيما بين بلاد الهند وفارس أعني سائر الاقطار التي كانت تعرف عند الجغرافيين السالفين باسم عام وهو (بلاد الاريان او الاريان) بمعنى بلاد الآريين وهي ما يعرف الآن بسجستان وخراسان وما يليهما من البلدان لغاية بلاد (الهند) وفتح بلاد (چيدروزيا) وهي ما يعرف الآن بولاية (مهران) وسائر الاقطار التي تليها لغاية بلاد اقوام المسلمين باسم (الجنداريين) المصابقة لآعلى مجرى نهر جيحون

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية على يد (كيرش) ملك فارس المذكور في (سنة ٥٣٨ ق م) قال المؤرخ الهروي عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان الملك (كيرش) لم يزل ينتقل من فتح الى فتح ويرتحل من بلد الى بلد فائتزا بالنصر والنجح حتى تعلقت اطماعه بالاستيلاء على جميع بلاد آسيا بتمامها والاحاطة بالاخذ بزمامها وكان قد استولى على معظمها ولم يبق عليه للحصول على هذا الغرض على وجه لم يتيسر لاي ملك كان من ملوك ذلك الزمان لغاية ذلك الاوان غير ان يخرب مملكة الكلدانيين التي كان قد أسسها في ذلك العصر بمدينة بابل المسمى الشاهيران (نابوبولصر وبختنصر) على آثار المملكة الاسورية القديمة وكانت هذه المملكة قد أخذت في الاضمحلال والسقوط لسوء الحال وابتدأت في الزوال ولم يتأخر الملك (كيرش) ان فعل ذلك وتحصل على بلوغ آماله فيما هنالك (كما قصصنا قصة ذلك في الباب السالف فلا حاجة لتكراره هنا) ولما استولى الملك (كيرش) على مدينة بابل (في سنة ٥٣٨ ق م) صار سائر سكان الاقطار الكائنة فيما بين نهر السند الى بحر الارخبيل او بحر جزائر الروم ومن عند صحارى بلاد العرب الى حد نهر سيحون امارعاً بالسلطنة وامامو كما مذعنين بالتبعية لدولته ولم يخرج عن ذلك بحسب الظن الا بعض أناس قليلين من سكان الجبال المتوحشين اوبعض قبائل بدويين من الاقوام الرحالين التزالين كان هذا البطل الفارسي يأتمن ان يكدر عليهم في عزلتهم وعيشتهم وتأبى نفسه العلية منازلهم ومقاتلتهم وكان متى استولى على امة او ملة من هؤلاء الامم والملل العديدة او اطاع لدولته مملكة او دولة من تلك الممالك والدول الكثيرة لم يبدل أقسامها السياسية ولا خططها الارضية ولم يغير شيئاً من الشرائع والقوانين الجارية عندها بل كان يبقها على حالها ولم يكن مطمح نظره متوجهاً الا نحو انشاء دولة جهادية و سلطنة عسكرية قبل كل شيء على سائر هذه الاقطار الآسية

مطلب — ذكر خاتمة الملك (كيرش) (من سنة ٥٣٦ الى سنة ٥٢٩

ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان الملك (كيرش) قد اقام على كرسي سلطنة فارس من بعد استيلائه على مدينة بابل مدة ثمانى سنوات وهو بحالة السلم الكامل وفي تلك المدة كان قد اطلق سبيل القوم العبرانيين الذين كانوا بمدينة بابل مأسورين واذن لهم ببناء هيكل اورشليم بالثانى كما قصصنا ذلك تفصيلا في تاريخ القوم اليهود (وتقدم ذكره ايضا في الباب الثالث من هذا التأليف نقلًا عن كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان)

ومكث الملك (كيرش) على تلك الهدنة لغاية (سنة ٥٢٩ ق م) ثم في تلك السنة اما لقضاء ما كان قائما بنفسه الى فتح البلاد من الشهوة التي لا تشبع والحاجة التي لا تقنع اول قصدان يجمع غارات بعض القبائل الذين كانوا مجاورين وكانوا له بالاذى يتعرضون كان قد شرع في شن الغارة بحرب جديدة على القوم المسمين في ذلك العصر باسم (الماساجيتيين) (يا جوج ويا جوج) وهم قوم من الانسال التورانية او التركية كانوا متوطنين بالصحارى الكائنة على شمال نهر سيحون وانهز الملك (كيرش) الفرصة لشن الغارة عليهم من حيث كونهم كانت تملكهم امرأة يقال لها (توميريس) فجمع جيوشا عديدة وسافر بهم اليها وانشأ عدة قناطر على نهر سيحون ومر بهم عليها ولما بلغ الملكة (توميريس) المذكورة خبر سير تلك الجيوش الفارسية اليها بعثت اليه رسولا يعرض عليه ان يلتقى الجيشان ويلتحم الصفان في ميدان حرب مغلقا باى مكان اراده فلم يقبل وبدلا من ان يرضى بالقتال على هذا الوجه الصادق والطريق المستقيم اللائق عمد وعول على طريقة مكر وخديعة بمشورة الملك (كريزوس) ملك الليديين وكان معه في هذه الغزوة الشنيعة وذلك انه اشار عليه بان يترك معسكره معطلا عن الدفع والاحتراس ويملأه بالذخائر من سائر الانواع والاجناس بحيث يسهل على الجنود (الماساجيتيين) ان يلجوه وبسلبوا ما فيه وينتهبوه ومتى دخلوه واستغلوا بتعاطى ما فيه تزل هو عليهم على حين فجأة منهم بجمل جنوده ففرق شملهم وخرق جمعهم وظفروهم كل الظفر واتصر عليهم كل النصر وكان قد خبا في ناحية من النواحي جل جيوشه العديدة فتمت عليهم هذه المكيدة قال المؤرخ (هيرودوت) اليونانى في تاريخه ، وكان الملك (كيرش) قد تباعد عن نهر سيحون بمرحلة يوم وترك اقبج جنوده هناك وعاد مع اجودهم الى ذلك النهر بالثانى فخا القوم (الماساجيتيون) وهجموا على معسكره بثلاث جنودهم وقتلوا سائر الحرس وظفروا منهم بمقصودهم واشتغلوا بالسلب والنهب والسكر والاكل والشرب واذا بالجيوش الفارسية كانت قد اقبلت اليهم ونزلت عليهم فقتلوا منهم رجالا كثيرا واخذوا اكثرهم مأسورين كان من جلتهم قائد معسكرهم المسمى باسم (اسبارجاينيس) وهو ابن الملكة (توميريس) التي هي ملكتهم فارسلت

الملكة المذكورة اعلاه رسولا الى الملك (كيرش) تقول له ما معناه يا ايها الملك السفاح الذي لا يشبع من سفك الدماء لا تفخر بما حصل لك من هذا النجاح فانك لم تحصل عليه الا بواسطة عصارة العنب وهذا الشراب الذي يزيل العقل وانى لنا صحة لك بنصيحة جيدة فاسمع ما أقول لك رد على ولدى واخرج سالما من بلدى ولو أنك أتلفت معظم جنودى والا فانى أقسم بالشمس التى هى الاله الاعظم والسيد المالك الاكرم للقوم (الماساجيتيين) اننى لا اشبعنك بالدماء ولو بلغت ما بلغت من الظمأ فلم يعبا الملك (كيرش) بقولها هذا المسطور اعلاه واما ولدها فانه لما أفاق من سكره التمس من الملك ان يفك قيوده ويجرد ان انفك من سلاسل الحديد قتل نفسه ويده ولما بلغ ذلك أمه اجتهدت فى ان جعلت سائر من كان عندها من الرجال وعقدت الحرب والقتال مع ملك فارس المذكور فتم النصر للقوم (الماساجيتيين) على العساكر الفارسيين وهلك اكثرهم فى ذلك المكان وفى هذه الواقعة الحربية مات الملك (كيرش) نفسه بعد ان كان قد أقام على سرير المملكة الفارسية مدة تسع وعشرين سنة كاملة وأمرت الملكة (توميريس) بالبحث عن جثته فى جملة الموتى فعثرت عليها ومثلت بها وغمست رأسه فى قربة مملوءة من دم الآدميين المقتولين وهى تقول انى وان كنت لم أزل على قيد الحياة ظافرة بالنصر لكنك قد قتلتنى بقتل ولدى فلا شبعنك من دم البشر كما أوعدتكم (اه) ما نقل من تاريخ (هيرودوت) اليونانى قال المؤرخ فرانسيس لونورمان الفرانسوى وهكذا كانت خاتمة هذا الملك الفاتح الكبير غير ان السلطنة العظيمة التى كان قد أسسها كانت قد بقيت من بعده مدة حقبة من الدهور كما هو بعد مسطور

مطلب — ذكر الملك (قمبزاوقمبيزس) فاتح الديار المصرية و ذكر فتح ديار مصر بغارة الجنود الفارسية (من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٥ ق م) ولما مات الملك (كيرش) كان قد خلف ولدين اكبرهما يدعى باسم (قمبزاوقمبيزس) وكان قد تقلد من بعده بتاج المملكة الفارسية والاصغر يدعى باسم (سمرديس) كان قد تقلد بالعمل على ولايتى البكتريه والبرثية من اعمال السلطنة الفارسية بشرط ان لا يدفع لآخيه خراجا غير انه يعترف له بالاهلوية السياسية لا غير ويجرد ان جلس الملك (قمبيز) على سرير المملكة الفارسية وجبرما كان قد ترتب من المصائب وسبوء العواقب على الغزوة الماساجيتية كان قد تعلقت رغبته وتوجهت همته لان يشهر نفسه هو كذلك بفتوح البلاد و يذكر بالغزو والجهاد وأول ما توجه نظره الى فتح الديار المصرية حيث كانت لداعى ما اشتمت عليه من أنواع الغنى والثروة دائما تجذب اطماع الملوك الآسيين اليها وكانت تلك الدمار فى ذلك العصر خصوصا قد أودحت حقد القوم الفارسيين عليها اذ كانت

قد تعاهدت مع الملك (كريسوس) ملك اللبيديز عليهم وكان قد وفد على دولة ملك فارس في ذلك العهد رجل يوناني يقال له (فانيس) (باماليتون الموحد) الفوقية على ياه مئنة من تحت بعدها سين هـ ملة في آخره) كان قائد الجنود اليونانيين المقيمين بالاجرة في خدمة فرعون مصر المدعو باسم (امازيس) وكان قد فر من الملك المذكور والتجأ الى ملك فارس المدعو باسم (قمبيز) هذا فاطاه على حقيقة أحوال تلك البلاد ودله على طرق الوصول بالسهولة اليها فكان ذلك موجبا لتسام التصميم على فتحها والتوجه اليها و بإشارة الرجل اليوناني المذكور كان الملك (قمبيز) قد عقد معاهدة مع مشايخ قبائل العرب الذين كانت لهم اليد على الطرق الموصلة من البر الى وادي النيل وكان الملك (امازيس) ملك مصر قد مات وخلفه على سرير المملكة الفرعونية ولده المسمى باسم (اساماتيكوس) الثالث فقابله بالجيوش المصرية عند فرع النيل المسمى بفرع (بيلوز) (وهي ما يسمى بناحية (تينة او الفرمة) الآن) وكان في جملة الجيوش الفرعونية اوجاق لجنود اليونانيين والكاريين المستخدمين عند الدولة المصرية بالجامكية فارادوا ان ينتقموا من الرجل اليوناني الخائن هذا على اولاده وكان قد سافر الى بلاد فارس وتركهم بمصر فاحضر وهم الى المعسكر وذبجهم بين الصفيين وابوهم ينظر اليهم و يتفجع وتفجع الوالد عليهم ثم التقى الصفان والتحم العسكران وكان الملك (قمبيز) قد وضع في مقدمة جيوشه جملة من القطاط والبيارات وغيرها من أنواع الحيوانات المحترمة عند المصريين فلم يتجاسروا ان يضر بوابسهاهم على العدو وخوفوا ان تصيب تلك الحيوانات وانهمزوا الى وراء بمجرد أول صدمة حصلت عليهم وثبت مع غاية القوة الجهادية امام الجنود الفارسيين العساكر اليونانيون والكاريون المؤجرون في خدمة الدولة المصرية حيث لم تمنعهم مثل هذه التدقيقات الاعتمادية واشتد القتال بينهم مدة مديدة وقتل من الطرفين عدة عديدة ثم انتهى الحال بان تمت غلبة الفارسيين عليهم لداعي كثرتهم بالنسبة اليهم ولما فاز الملك (قمبيز) بالنصر على جيوش مصر ارسل اليهم رسولا من قومه بمدينة (منف او منفيس) وكانوا قد رجعوا منهمزمين اليها يطلب منهم ان يعقدوا معه عقد شروط يتفقون عليها فصعد النهر على سفينة من سفن جزيرة (ميدان او ميديل) اليونانية وبمجرد ان وصل الى مدينة مصر القديمة وراه أهلها على البعد خرجوا من قلعتهم زمرا زمرا وقبضوا على السفينة فكسروها قطعاً قطعاً وقطعوا ركبها اربابا وأخذوها معهم الى القلعة علامة على النصر فغضب الفارسيون من هذا الفعل الذي هو من قبيل الخيانة الالهية للحقوق الملية و جاؤا الى القلعة المصرية واحاطوا بها وحصروها وضيقوا عليها بالعنوة والقهر استولوا عليها واخذوها وقتلوا ولد الملك (اساماتيكوس) الثالث فرعون مصر وجماعة كثيرين

الدرس التام ٣١٩ في التاريخ العام

من أعيان المصريين المأسورين وكان اول الملك (قمبيزس) ملك فارس قد أبقى ملك مصر نفسه ولم يقتله ثم بعد مدة من الزمن امر بقتله فقتل بناء على دعوى انه عقد عصبة وأقام فتنة على القوم الفارسيين

مطلب — ذكر كيف كان سلوك الملك (قمبيزس) بديار مصر لما استولى عليها في ذلك العصر — ولما تمكن الملك (قمبيزس) من ديار مصر وتسلطن عليها ذهب الى مدينه (سيديس) (صالحجر الآن) حيث كان قبر الملك (امازيس) فنبش قبره واحرق رمته واجرى عليها انتقاما قبيحا اذ كان يزعم انه كان قد سببه وأذاه في مدة حياته فامر بميته (يعنى بجثته المصبرة بالموميا) فضربت بالمناخيس حتى تفرقت وتقطعت قطعاً وتفرقت وتمثل بها غاية التمثيل والتشويه ثم ألقاها في نار فاحترقت وكان في ذلك أساءة للعقائد الدينية من وجهين (أولاً) للعقائد الدينية الفارسية حيث كانت أمة فارس تعتقد ان النار هي أكرم صورة لاله الخبير المسمى عدهم باسم أ(ورموزد) وبرون ان من قبيل أقبح الكفر تدنيسها وتنجيسها بالقاء الرمة فيها و(ثانياً) للعقائد الدينية المصرية اذ كان من عقائد أهل مصر الاصلية وشعائرهم الدينية الاهلية أن يحفظوا جثث موتاهم بغاية الدقة ومع ذلك فقد كان (قمبيزس) المذكور قد سلك في أوائل أيام افتتاحه للديار المصرية طريقة سياسية تأنيسية ومساك معاشرية تأليفية تجنح لمراعاة جانب الخواطر الملية والعواذ والاخلاق الاهلية وسعى في أن يجذب قلوب المصريين بواسطة تقليد من بقي من اعيانهم بعلامات تمييزا كثر لهم منها وعلى الخصوص باظهار العناية الظاهرة بمواد عبادتهم حتى انه كان قد اتخذ لنفسه القابا سلطانية مصرية محضة واراد ان يوهم الناس انه من نسل العائلات الملوكية الفرعونية القديمة واخذ في انه يتعلم قواعد الديانة البلدية

مطلب — ذكر غزوة الملك (قمبيزس) في بلاد الايتيوبية (الحبشة) (في سنة ٥٢٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وكانت ديار مصر قد مهدت للقوم الفارسيين وتوطدت واستقرت على حالة السلم وتمكنت ولم يرفها كما في عهد افتتاح الايتيوبيين لها واستيلائهم عليها في العصر السالف ان قام بالاقليم البحرية المسماة بالديلتة منها بعض عصب اهلية ولا حصل بها حروب خزية لقصد اخراج القوم الفاتحين لها منها بل كان فتح الديار المصرية بالجيش الفارسية قد أفرع سائر الامم والممل المجاورين لها جأ الليبيون (اي البرقيون وهم اهل جبال برقة اى الجبال الغربية من الديار المصرية) واذعنوا بالطاعة من غير قتال اليهم والتموا بالملك (قمبيزس) بخراج يدفعونه اليه وبعثوا له هدايا واقتنى اثرهم في ذلك القوم اليونانيون القورينيون (وهم سكان المدينة

المسماة الآن باسم قورين أو جريمة ببلاد المغرب) وصفاله الخال قارادان يوجه الحرب في آن واحد الى ثلاث أمم متنوعين وهم القرطاجيون (سكان مدينة قرطاجة) وهي تونس الآن) والامونيون (وهم سكان واحات آمون الكائنة بالجبال الغربية من الديار المصرية) والايثيوبيون (وهم الحبشة) وكان اسطوله من كبان أناس بحارة من الفنيقيين وهم الصوريون (أى سكان سواحل الشام البحريون) فامتنعوا من واقفته على التوجه للهجوم على القرطاجيين لكونهم فى الاصل من اخوانهم الذين هاجروا من السواحل الشامية وصاروا بتلك السواحل المغربية نازلين ولذلك توجه (قمبيزش) بجنوده الى بلاد الاثيوبية بجراءة لا يتصورها العقل غير ملتفت بالمكيدة لما يلزم اؤنة جيوشه من الذخائر الضرورية ولما يلزم لنفسه من وسائل الاحتراس والامنية ولما وصل الى مدينة (طيبة) الصعيدية وجه فرقة من جنوده الفارسية تبلغ نحو خمسين الف عسكري لمحاربة الامونيين وخراب ما كان لهم فى تلك الناحية من هيكل الصنم المعبود للاقوام الليبيين باسم (آمون) وهو المسمى عند اليونانيين باسم (جوبيتير) وكان له فيه كهنة مشهورون بالاخبار بالمغيبات فى تلك الاعصار فامر عسكريه باحراق ذلك الهيكل وما فيه من الكهنة المذكورين واستمر على السير ياتى جنوده الى جهة بلاد الاثيوبية واراد ان يختصر الطريق فانحرف عن شواطئ النيل من عند اول اعوجاجانه الكبيرة وتوغل بعساكره الكثيرة فى الصحراء (المعروفة الآن بصحراء كروسكو) فلما صاروا فى وسط سهل متسعة من الرمال لا أنجار فيها ولا علف للدواب ولا ماء للشرب ولا شئ مما مطلقا ما يؤكل صاروا فى مجاعة شديدة حتى أكل بعضهم بعضا واضطر (قمبيزش) لان يرجع على أثره مع قل عسكريه ابعده ان ترك فى تلك الصحراء اكثرهم واهلك فيها معظمهم واما من كان قد توجه منهم الى واحات (آمون) فلم يعرف لهم خبر ولم يوقف لهم على أثره وبقي حالهم مجهد ولا افاية الآن والظاهر انهم لم يتيسر لهم ان يصلوا الى محل مأموريتهم وانهم هلكوا كذلك فى طريق مسيرتهم بتلك الصحارى الجبلية حيث لم يجمع منهم رجل واحد الى الديار المصرية وقد روى عن بعض الكهنة الامونيين ان فرقة الجيوش الفارسيين الذين كانوا قد توجهوا الى تلك الناحية لما وصلوا الى نحو نصف الطريق من تلك الصحارى الليبية كانت قد قامت عليهم من جهة الجنوب ريح عاصفة شديدة فدفنتهم تحت جبال من الرمال حتى هلكوا جميعا بهذه الآفة السماوية

مطلب — ذكر ما اعتدى الملك (قمبيزش) من الجنون والاعتزاز ببدء الكبر فى ديار مصر (من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٢٢ ق م) — ولما كان (قمبيزش) بمكان عال من الكبر والاعتزاز يبلوغ الامل جاءته هذه المصائب فخطت

من كبره وجرحت جرحا شديدا من غروره وجبره حتى اختل لذلك عقله واعتراه داء الجنون وعاش بعد ذلك مدة خمسة عشر شهرا لا يصدر عنه الا افعال جنونية شديدة واعمال قاسية عنيدة من أشد افعال اختلال العقل والفتون وذلك انه لما رجع من غروته هذه الخائبة الى مدينة (منف او منفيس) كان قد وجد الاهالى المصريين مشتغلين باشهار موسم معبود لهم وهو العجل المشهور باسم (ايبس) وكان قدماء لهم عجل قديم وارادوا ان يستبدلوه بعجل آخر جديد وكان من عادتهم انهم يشهرون تلك الحادثة بافراح اهلية عظيمة وخلاعات عامية جسيمة فتخيل له ان اهل مصر انما كانوا يبسطهم هذا في ذلك العصر تشمتا بما حصل لهم من النوائب وان تلال الامر قد عالجضرت كبار رولاة الامور اعيان الطوائف الاهلية بمدينة (منفيس) ومع ما حصل منهم من توضع الحال وبيان الاسباب المقتضية للاعلان بهذه المواسم الملية أمر بقتلهم فقتلوا بيلة انهم كذبوا عليه وغشوه ثم طلب القسس والكهنة المصريين وأمر بضربهم بقضبان الحديد فضر نوا وأمر بقتل كل من وجد من الاهالى المصريين مشتغلا باشهار شئ من شعائر هذا الموسم الدينى ورغب فى ان يرى بنفسه ذات العجل المعبود لهم باسم (ايبس) فأتى به اليه فقال حين رآه ما معناه ان هذا لعمرى لهو المعبود الذى يليق بعقول المصريين وطعنه بسيفه فى فخذه ثم نزا كتمنه على رؤس المصريين مظالم شديدة وتوالت عاينهم منه معانم عديدة فانكروا حق الملاكية فى سائر الاماكن من الديار المصرية بالكليّة وابطل سائر الشعائر الدينية أو عطلها واختل أمر الاحتفالات الجنازية واصدر الامر بمنعها بالكليّة مع كونها قد كانت من أشد ما تتعلق به عناية الطوائف الاهلية وآكد ما تنشوق اليه قوة العقائد الدينية المصرية ولم يكن القوم الفارسيون أنفسهم باكثر مراعاة ولا وقاية من شر افعال هذا الرجل المجنون الماعر بدعى الاهالى المصريين حيث أمر أحد خواصه المسمى باسم (ايريكرايب) بقتل أخيه المدعو باسم (سمرديس) السالف الذكر فقتله فى السر وأعجب ذلك أينما بقتل أصغر اخواته اذ كان قد عرض عليها ان يتزوج بها على خلاف العوائد الجارية ببلاد فارس فى ذلك العصر فامتنعت الى غير ذلك من القبائح الشنيعة والقساوات البشعة التى ثبتت عنده ورويت

مطلب — ذكر تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرير المملكة الفارسية ووفاة (قمبيزش) بالديار المصرية (فى سنة ٥٢٢ ق م) — وبينما كان الملك (قمبيزش) ملك فارس منكمكا بالديار المصرية على هذه الافعال الجنونية والاعمال العريضة كانت قد قامت فتنة عظيمة ومحنة جسيمة بالديار الفارسية وترتب عليها ان صارت مقاليد السلطنة بيد القوم الميديين مدة حقبة يسيرة من الاحقاب الزمنية وكان رأس

تلك العصابة هم طائفة المجوس وعادت ثمرتها عليهم اذ كان الملك (كيرش) لقصد ان يجذب قلوب الامة الميديية ويستمياهم اليه قد اعطى للطائفة المجوسية جاها عريضا وتأثيرا كبيرا وقد كان قصد المجوس بقيام هذه الفتنة فضلا عن الاستيلاء على ولاية الامر العمومية ان يجعلوا للامة الميديية درجة الاعلوية على الامة الفارسية ويجعلوا دين المجوسية الذي هو مذهبهم هو الاعلى على مذهب الديانة الزرادشتية المحضة التي هي ديانة القوم الفارسيين اذ كان كل من المذهبين المذكورين على الدوام متعاديين وكان كل من القومين متخصصين فقام رجلان اخوان من المجوس وتكفلا للقوم بتنفيذ هذه المقاصد وكان أحدهما منصوب بامن لدن (قمبيزش) بمنصب نظارة الاملاك السلطانية ببلاد الميديية فقام بتدبير هذا الامر وذلك انه كان قد علم بان الملك (قمبيزش) قد قتل اخاه (سمرديس) وكان قد أسر هذا الخبر وكان اكثر الناس يمتنعون انه لم يرزل على قيد الحياة وكان للمجوسى المذكور اخ يدعى باسم (جوماتيس) كان بينه وبين (سمرديس) مشابهة ذاتية شديدة فقام المجوسى المذكور ونصب اخاه (جوماتيس) هذا على سرير مملكة فارس على انه هو (سمرديس) وبعث رسلا في سائر الاقاليم والولايات الفارسية وعلى الخصوص في الديار المصرية يعرفون العسكر بعدم الاطاعة الى (قمبيزش) وانهم لا يعترفون من الآن فصاعدا الابسلطنة (سمرديس) ابن (كيرش او قيروس) فلما بلغ (قمبيزش) خبر هذه الفتنة عزم على ان يسافر من بقي على طاعته من الجنود الى بلاد فارس وتجهز للسفر الى قاعدة مملكته وهم بان يركب حصاه على وجه عنيف كما يفعل المجنون فجرح نفسه جرحا شديدا بذات سن سيفه ومع وجود هذا الجرح امر بان يحمل على نعش فتجهز له وسار عليه مسافة من الطريق ثم غلب عليه تعب السفر فتقرح الجرح وعضل الداء واستولت عليه الغنغرينة فهلك به في قرية حقيرة بالشام

مطلب — ذكر مدة تملك المجوسى (جوماتيس) باسم (سمرديس) واستيلاء (دارا اوداريوس) على سرير الملك الفارسى (من سنة ٥٢٢ الى سنة ٥٢١ ق م) —
ولمات (قمبيزش) ظن (جوماتيس) المجوسى المذكور انه قد ثبتت اقدامه على سرير مملكة فارس بالوجه القطعى فأقام على سرير الملك الفارسى مدة بعض شهور يحكم البلاد ويلى امر هؤلاء العباد باسم (سمرديس) بدون منفص يكبر عليه ولا منازع ينازعه في ذلك وكان قومه المجوسيون لم يزالوا يفعلون على اعدائهم الفارسيين الزرادشتيين من افعال التشفيات الغلية الناشئة عن التعصبات الدينية الجهلية والتخربات المليية ماساعت سيرته وشاعت قباحتها بين الناس حيث كانوا قد عذبوا أمناء الديانة الزرادشتية وأخربوا معابدهم واتفوا احوالهم بالكلية فاراد (جوماتيس) المذكور ان يستميل

قلوب الرعية الية و يعادل سوء ميرة قومه المجوسيين المذكورين بانعطاف الناس عليه
فامر بأن كل من كان له ثلاثة أطفال من الرعية يعفى من كل خراج وخدمة عسكرية
ومع ذلك فقد كان السر الذي هو فيه مستترا لكي لا تعرف حقيقة حاله قد انكشف وظهر
وذلك ان رجلا فارسيا يدعى باسم (اوتانيس) كان واليا له على اقليم (القابادوسية)
الجنوبية وكان له بنت كانت في جملة نساء المجوسى (جوماتيس) المزور باسم (سمرديس)
هذا فتفطن لتزويره وتيقن من حقيقة حاله وتعيينه واسر بذلك الى بعض اعيان قومه
الفارسيين فاجتمعوا على الفور وتذاكروا فيما بينهم وتدابروا في وسائل عزل هذا الرجل
المتهم على كرسى مملكتهم بطريق الغش والتزوير وكان المتواطئون على هذه الامر
سبعة نفر كان من جملةهم رجل يدعى باسم (دارا اوداريوس) فاشار عليهم بانه يلزم ان
يتوجهوا في الحال ليجمعوا على الملك المجوسى في قصره ويقتلوه فوافق جميعهم على ذلك
ولم يتأخر وان ذهبوا اليه في الحال وهجموا عليه في قصره من غير توازن ولا اجمال
وقتلوه هو وكل من صادفوه معه في القصر الموكى من المجوس وبلغ هذا الخبر الى مدينة
(ايكباتان) (همدان) فقام اهلها الفارسيون وفي ايديهم السلاح وقتلوا كل من
لاقوه في طريقهم من القوم المجوسيين تشفيا للغيل صدورهم من جراءة تعديهم عليهم
واستلاب قضيب الملك بطريق الغش من ايديهم وحصل مثل ذلك في أغلب المدن بسلاط
فارس كلها بل اتخذوا مثل ذلك اليوم من كل سنة عيدا اهليا ونورا زامليا يشهرون
فيه هذه المقتلة الداخلية ولم يزل هذا العيد شهر عندهم لغاية القرن التالى لذلك العصر
حتى ذكره المؤرخ (هيرودوت) اليونانى في تاريخه المسمى عنه غير مرة اعلاه وسماه
بما معناه (موسم مقتلة المجوس)

ولما تمت هذه الفتنة على الوجه المذكور انما اجتمع السبعة نفر المتعصبون وتشاوروا بينهم
في كيفية هيئة الحكومة التى تليق بحال بلاد فارس اذ كان فرع بيت الملك المستقيم من آل
(كيرش) قد انقرض فيها وبعدها كرتة طويلة ومجادلة جادة عيقة فيما يترتب من
الفوائد والمضار على كل واحد من انواع الحكومة الثلاثة التى هى الحكومة الملوكية او
السلطانية والحكومة السيادية والاعيانية والحكومة الالهية او الجمهورية استقر
رايهم على ان النوع الاول هو اجددها واحسنها وانه هو الية لها اياها وحول بلادهم واتقنها
واجمعوا رايهم ايضا على طريقة مخصوصة ينتخبون بها الملك الجديد وهى انهم اتفقوا على ان
يتوجه كل واحد من السبعة الاعيان المذكورين من صباح يوم الغد وهم راكبون على
صهوة افراسهم امام المدينة واول من يسلم على الشمس وهى طالعة بأول صهيل حصانه صار
هو الملك المتقلد بتاج المملكة دون غيره منهم وكان الذى فاز بقصة السابق فى حومة هذا

الميدان بواسطة حيلة وخديعة حصلت من سائس ركابه هو المدعو منهم باسم (دارا اودار يوس) بن (جوستاب او هيستاب) ولذلك صار هو السلطان في (سنة ٥٢١ ق م) وهو رجل من نسل الملك (اشيمونوس) من خامس جيل ينتهي اليه بواسطة اخ نان لوالد الملك (كيرش اوقيروس) كان يسمى باسم (ار يارامنيس) وكان والد (دارا اودار يوس) المدعو باسم (جوستاب او هيستاب) المذكور واليا للملك جو ماتييس المجوسي على ولاية فارس (فارستان) الاصاية وبقي على هذه الوظيفة بعد تقليد ولده بتماج المملكة الفارسية (ولعل الملك (اشيمونوس) هذا الذي جعله اليونان مؤسس العائلة الموكية الفارسية المسماة عندهم باسم الدولة (الاشيمونوسية) وهي غير العائلة المسماة عند فارس والعرب باسم الدولة (الكينانية) هو عين الملك المعروف في كتب مؤرخي فارس والعرب المذكورين بلقب (كيقباد) حيث جعلوه هو اول الدولة (الكينانية المذكورة)

مطلب — ذكر ما حصل من الفتن والعصيان في سلطنة فارس بتلك الازمان (من سنة ٥٢١ الى سنة ٥١٤ ق م) — قال المؤرخ قرانيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه ولما جلس (دارا) على سرير ملكة فارس قام عليه عدة ثورات شديدة وسلسلة فتن هائلة عنيدة كان مبدأها لثمنها من عهد سلطنة (جوماتييس) المجوسي المتشبه بذات (سمرديس) السالف الذكر وحدث بعضها بمجرد صعود (دارا) نفسه على كرسي المملكة الفارسية في ذلك العصر فكث مدة ست سنوات وهو على قدم الحرب والقتال حتى اطلقاً نيران ذلك الاختلال واستأصل تلك الفتن كلها وتوصل لأن اقرله بالملك سائر العباد في سائر سعة تلك البلاد التي كانت تابعة للدولة الفارسية بتمامها ولم تكن تلك الحركات عبارة عن مجرد ثورات أهلية ناشئة عن بعض أهواء وقتية او بعض مظالم محلية اود سائس طمعية صادرة عن بعض أعيان من كبار الطوائف الالهية بل كان اكثرها ناشئاً في الاقطار الارضية التي كانت توجد فيها مخاصمات قومية توجب نفور أهلها عن الدخول تحت طاعة الدولة الفارسية وتمييزهم عنها بالكلية لدا هي تذكري ما سبق اهتم عنها من احوال الاستقلالية والاستبداد بالنفس

الملية وبالجملة فقد كانت أغاب نواحي السلطنة الفارسية على التعاقب اود فعة واحدة ميدانا لتلك الفتن الداخلية والثورات الالهية فكان الخروج عن الطاعة السلطانية قد حصل اولاً ببلاد السوسية بل في بلاد الولاية الفارسية الاصاية نفسها ولكن الظاهر ان أشد الامم الخارجين عن طاعة السلطنة الفارسية مناهضة وعناداً في تلك الحقبة العصرية كانوا القوم الميديون لدا هي ايفار صدورهم بما وقع عليهم من قرب عهد من ازاله ما كان

لهم من الدولة القوية ودرجة الاعلوية ولا سيما بحادثة مقتل خرقة المجوس الذين هم طائفة
 امناء ديانتهم الاهلية والارمنيون لداى ما كان قد قام بقلوبهم من الحقد والضغينة من حيث
 كون الدولة الفارسية قد عاملتهم بصفة الرعية والقوم المغلوبين مع كونهم كانوا يرون انهم
 اتماهم بالنسبة اليها خصوصا من الاقوام المتحالين فقط والبابليون لداى ان الفارسيين كانوا
 قد فقدوا حريتهم وأزالوا دولتهم واستولوا عليهم من عهد قريب قال المؤرخ فرانسيس
 لو نورمان المروى عنه اعلاه نقلا عن كتاب المؤرخ (رويو) الفرنساوى بعد ذلك ما معناه
 ولم يحك المؤرخ (هيردوت) اليونانى في هذا الموضوع من تاريخه مما يتعلق بهذه الحوادث
 التقليدية غير مقدار يسير من الاخبار التاريخية وان كانت قد شغلت أوائل مدة حكم
 الملك (دارا) من تلك الاحقاب الذهبية وكان الذى تعرض لذكره منها هو اهمها فى الجملة
 ثم حصل العشور فى هذه الحقبة العصرية على الاثر القديم المشهور باثر جبل (بيستون)
 وجاءنا هذا التاريخ المسطور فقص لنا قصة تامة لهذه الوقائع الدولية الفارسية (قال المؤرخ
 فرانسيس لو نورمان) المذكور فى تاريخ بلاد المشرق القديمة الكبير بعد ان قص ما حكاها المؤرخ
 (هيردوت) فى تاريخه مانصه هذا رواه المؤرخ (هيردوت) فى تاريخه ولقد اكد كل
 ما قاله فى هذا الشأن وتم بعض ما نقص منه مع غاية الايضاح والبيان ما عثر عليه فى هذه
 الايام الاخيرة من الاثر المكتوب ذى الاهمية الكبيرة حيث جاء تحقيق اعظم التحقيق
 وصدق كل التصديق على الحقيقة التى ذكرها هذا المؤرخ اليونانى الشهير بأبى التاريخ
 وذلك هو ما وجد مسطورا على جبل (بيستون) وهو صخرة توجد على نحو من حلة من شمال
 مدينة (كرمانشاه) على يسار الذهاب من مدينة بغداد الى همدان الآن أعنى فى إقليم
 كردستان الفارسى اى الارض التى كانت تعرف فى قديم الزمان باسم (الميدية) وصخرة
 (بيستون) هذه هى ما كان يسمى عند علماء الجغرافية السالفين المتداوله كتبهم فى مدارس
 الاور وباو بين باسم جبل (راجستان) وهى صخرة ترتفع ارتفاعا قابلا بقدر ٤٥٦ مترا
 وجد على جانبا رسم صورة منقوشة بالنش البارز الجسم والنحت المعظم ودونها ثرة قديم
 مسطور مستطيل العبارة الى غاية بليغة بحيث ان السياح المشهور باسم (كيريورير) قال
 فى رحلته انه يلزم للمخنة لا أقل من مدة شهرين وذلك هو صورة ملك جالس على هيئة
 الهدى والسكون فى مجاسد تتفال يقدم اليه فيه صورة أعداء أسورين وهو يدوس
 تحت أقدامه رمة رجل مغلوب وهذا الملك هو (دارا أوداريوس) والرجل الذى
 يدوسه تحت أقدامه هو المجوسى (جوماتيس) وهؤلاء الأعداء ورن هم رؤساء اقوام كانوا
 قد اتمزوا وفرصة من تعدى المجوسى المذكور على كرسي السلطنة الفارسية فأثاروا الفتن
 الداخلية وخرجوا عن الطاعة الساطانية فى سائر الاقاليم الفارسية والذى استكشف

هذا الاثر العظيم وعرف ذلك الكتاب المسطور البكرى وترجمه ونشره في عالم المنشورات العلمية هو (الجنرال راوولسون) الانجليزى المشهور وهو محرر النقش والتعبير بثلاث لغات مما وهى اللغات الرسمية والجهات الدولية التى كانت مستعملة فى ديوان كتابات الدولة الفارسية الكيانية فى تلك الحقبة العصرية أعنى اللغة الفارسية والميدية والاسورية اقتص فيها قصة استيلاء الملك (دارا) المذكور على سرير المملكة الفارسية وحوادث مدة سلطنته لغاية سنة ٥١٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وهى أنفس أثر يؤتى ويستند اليه واصدق تاريخ مسطر يذكرو بهتمد عليه فى حقيقة تاريخ ذلك العصر ولذلك رجعنا اليه واعتمدنا عليه فى كثير من مواضع هذا التأليف لداعى كونه خصوصاً قد ترجمه الى اللغات الاوروبية أولا جناب (الجنرال راوولسون) الانجليزى المذكور ثم جناب (الموسيو أوبيير) السياح الفرنساوى المشهور وبذلك صار هذا الانزالمأثور الآن سهل التداول والاطلاع عليه من كل أحد (انتهى ما اردنا نقله عن كتاب تاريخ المشرق الكبير للمؤرخ فرانسيس لونورمان ورجعنا للنقل من تاريخه الصغير)

قال المؤرخ المذكور نقلا عن تاريخ (روبيو) المروى عنه اعلاء بعد ذلك ما معناه وهذا الاثر الذى هو اطول اثر قديم عثر عليه فى الدنيا بتمامها كان قد نقش فى الحجر باهر الملك (دارا) على جانب جبل بلاد الميدية محرر بثلاث لغات اصلية كانت هى اللغات الثلاثة الرسمية المستعملة بديوان كتابات الدولة (الاشيمونوسية أو الكيانية) وكانت كلها تكتب بالحروف المعروفة بالسنانية وهى الفارسية والميدية والاسورية وهى عبارة عن قصة جميع الحوادث والغزوات التى فعلها هذا الملك من اول قتل (جوماتيس) المجوسى المتشبه بذات (سمرديس) الى ان ثبتت اقدامه على سرير المملكة الفارسية وتم له الاعتراف بالسلطنة فى جميع الاقطار التى كانت تابعة لهذه الدولة المتسعة الآسية وباعلى كتابة الاثر المذكور رسم صورة مجسمة هائلة بقلم النقش البارز فى ذات الصخر المسطور تصور فيها ذات صورة (دارا) على هيئة الدائس تحت اقدامه رمة (جوماتيس) المجوسى وامامه صورة عدة من رؤساء الفتن التى كانت قد قامت على دولته فاطاعهم لهولته بوقت جلوسه على سرير مملكته وفى رقابهم أغلال الحديد وبيان ذلك كما هو المحض نص الاثر المروى عنه اعلاء هو كما سطر ادناه .

وهو ان بلاد السوسية كانت قد قامت اولاً واثارت فيها الفتنة وخرجت عن طاعته وثارَت معها ايضا مدينة بابل تحت رياسة رجل زعم انه ابن الملك (نابونيد) الذى هو آخر ملوكها فتوجه اليهم (دارا) بجنوده وقتلهم أشد القتال وحاربهم اجد الحرب والنزال وبعد ان انتصر عليهم زعمرتين عظيمتين (احدهما) على شواطئ نهر الدجلة (والثانية) على

شواطئ الفرات كان زعيم القوم البابليين قد انخرم والتجأ الى داخل مدينة بابل ومكث فيها مدة مديدة محصورا يذب عن نفسه

وحكى قصة ثوران هذه الفتنة بمدينة بابل المؤرخ (هبرودوت) اليوناني في آخر المقالة الثالثة من تاريخه المشهور فقال ان هذا الحصار كان قد مكث مدة عشرين شهرا ولم ينته الا بواسطة خيانة وخديعة حصلت على يد رجل فارسي يقال له (زوير) (بالزاي المعجمة في اوله يليها واو فباء موحدة فارسية مكسورة بعدها ياء مشناة تحتية ساكنة فراء هملية في آخره) كان للملك (دارا) من الخدمة الصادقين والاولياء الذين هم لمصلحة اسيادهم المالكين لارواحهم من الباذين وكان من هؤلاء الرجال الذين تقوم بهم الحمية الملكية اى التعصب لبعض الدول السلطانية او الحمية الوطنية فتحملهم على ان يفعلوا بنفوسهم افعالا عجيبة واعمالا غريبة وكثيرا ما يوجد من امثال هؤلاء الرجال في التواريخ البشرية فقطع انفه واذانه وذهب على هذه الهيئة المشوهة الى القوم البابليين لقصد ان يوجههم ان الملك (دارا) هو الذى فعل به تلك الفعلة القاسية وانه انحاز اليهم لينتقم لنفسه من سوء معاملته هذه الظاهرة فتمت عليهم هذه الحيلة وصدقوه واعتمدوا عليه ووافقوه فسلم مدينة بابل للملك فارس بواسطة هذه المكيدة وبمها كانت الجيوش الفارسية محاصرة لتلك المدينة السكدانية كانت قد قامت فتنة اخرى متسعة شديدة في الاقاليم الشمالية وذلك ان كلام الامم الميديين والاسوريين والارمن كانوا قد اتحدوا بعضهم مع بعض وتعصبوا على القوم الفارسيين لداعي ما عوقا ثم بقلوبهم من الحقد التام والضغن العام عليهم وانقلب ايضا اليهم اهالى ولاية (المرجيان) وغيرها من الولايات الشمالية الشرقية فاعانواهم على ذلك حتى قامت فتنة ثانية ببلاد السوسية مع كونها قريبة من مركز السلطنة الفارسية ولكنها كانت وقتية حصل تسكينها في برهة يسيرة من الزمن بخلاف الفتنة العظيمة التي كانت قد قامت ببلاد الميديية اذا كان رئيس هذه العصبة الاهلية كما هو نص ما سلف ذكره من تلك الكتابة الاثرية قد ادعى ان ابن (سيا كزار) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان يعنى من غير شك انه زعم كونه حفيد الملك (استياج) اخر ملوك بلاد الميديية وانه كان قد منع عن حق استيلاء التملك عليها لداعي سبق تقليد الملك (كيرش) بتناج المملكة اليها) ولذلك وجه الملك (دارا) نحو بلاد الارمن والميديية معار باشددة مكثت مدة مديدة مع غاية الهمّة والشهامة العنيدة واقامت مادامت مدة حصار مدينة بابل واضطر الملك (دارا) ايضا لارسال احد قوادعه كره لاستئصال الفتنة لقائمة بولاية (المرجيان) حتى قامت عليه فتنة أهلية اخرى ايضا في ذات اقليم (فارستان) من رجل منازع له في سرير الملك ثاب باسم (سمرديس) السالف الذكر والبيان ثم أعقب ذلك في متن الاثر المذكور أعلاه

ذكر عدة فتن أخرى عديدة وقيامات أهلية جديدة (أولا) لولايه (آرا كوزيا) ثم عد بنه بايل
مرة ثانية إذ كان قد قام بهامدع آخر يزعم انه ابن الملك (نابونيد) ثم بلاد (السوسية) وبلاد
القوم الساسيين بعنى القبائل (السيديين) الذين كانوا داخلين فى ضمن السلطنة الفارسية
غير ان تقاصيل جميع هـ. ذه الهمن الاخيرة لم تزل مجهولة الحال ولا يمكن كها حصل اطفائها
بعناية الملك (دارا) بالقطع والاسئصال (انتهى ما نقل عن تاريخ المؤرخ (رويو) المنقول
عنه اعلاه)

مطلب — ترتيب السترايات بالسلطنة الفارسية — قال المؤرخ فرانيس
لويورمان السالف الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان (دارا) بعد ان ادخل تحت
طاعته السلطانية سائر الاقاليم التى كان قد اطاعها الملك (كيرش) من قبله للدولة الفارسية
قد اجرى تقسيما سياسيا جديدا وعمل ترتيبا اداريا سديدا فى الخطط الارضية والاقطار
المذعته لصلوته بصفة الرعية لقصد توثيق جباية الضرائب السلطانية على وجه الانتظام
وتقوية سريان نفوذ ولاية الامر العمومية المركزية فى سائر اجزاء جسم السلطنة الفارسية
اعنى فى جميع الولايات والاقاليم التى كانت لها بالتبعية ولأجل التسوية بين اهمية المراتب
العسكرية الكبيرة فتقدمت المناصب الجهادية العلية قوادا لقبوا بآب (الستراب)
وسميت الولاية المنوطة لعهدتهم باسم (الستراية) وهى عبارة عن وظيفة عسكرية ومالكية معا
يعنى انه اناط الهم قيادة العسكر الموضوع فى كل ولاية لغرض حفظها مع وظيفة جباية الخراج
السلطاني المضروب عليها فتقسم سائر البلاد التابعة الى السلطنة الفارسية فى تلك الحقبة
الزمنية الى تسع عشرة ستراية وقد كان الغرض الاصلى المقصود للملك (دارا) من احداث
هذا الترتيب الجديد هو ان يغير ما كان قد سلكه اسلافه من قبله فى تقسيم ولايات السلطنة
الفارسية على مقتضى الطريقة الطبيعية وهما (كيرش وقمبيز) حيث كما انما اقتنح
ملكه اجنبية تركها على كيفية تقسيمها الاصلية اعنى انها جولا كل ملكة كانت مستقلة
بمجرد ستراية ملحقه ببلاد الدولة الفارسية فقط فلما جاء (دارا) وزع سائر بلاد السلطنة
الفارسية توزيعا جديدا وقسمها تقسيما سياسيا سديدا اعنى على حسب اقتضاه
الاحوال السياسية والطرق الإختراسية اى على وجه بحيث يصعب على الامم والملل
الداخلين تحت طاعة الدولة الفارسية ان يثيروا الهمن الاهلية وينخرجوا عن طاعة
الدولة السلطانية الاصلية اذ كان الملك (دارا) قد ظهر له بالتجربة فى مبادئ مدة حكمه
بكثره الفتن التى قامت عليه ما يوجد من الخطر فى طريقة التقسيم القديمة ولذلك عدل عنها
الى هذه الطريقة الجديدة

وهذه هى قائمة السترايات الفارسية اعنى الاقاليم والولايات التى كانت تابعة للدولة
الفارسية

الفارسية وكان قد وضع عليها (ستراب) بمعنى العامل او الوالى من طرف السلطنة الاصلية حسبما كان قدرتها (دارا) كما سطرها المأورخ (هيرودوت) اليونانى فى تاريخه ولم تكن ولاية (فارستان) الحقيقية مندرجة فيها لداعى ما كانت عليه من الاحوال السياسية المختصة بها ولم تكن تدفع خراجا للخزينة السلطانية كسائر الولايات الفارسية الشاهانية وذلك كالمسرودي بعد

(اولا) الاقوام اليونانيون المتوطنون ببلاد آسيا الصغرى (وهى بلاد الاناضول الاآن) وهم اليونانيون والمانيون والايوليون مع اقليم (كاريا) (وهى لواء منتش) واقليم (ايسيا) (لواء تسكة) وولاية (بنفيليا) (وهى الجزء الغربى من ولاية (ايتشيل) مع الجزء الجنوبى من ولاية الاناضول الاآن)

(ثانيا) سترايية (الليديا) (وهى الجزء الغربى من ولاية الاناضول اعنى صوراخان وما يليها من تلك البلدان) وولاية (الميزيا) (وهى لواء قرهسى وغيره من البلاد المجاورة له ببلاد آسيا الصغرى) مع سائر القبائل المتوطنة بالجمال الكائنة فيما بين هاتين الولايتين (ثالثا) سترايية سواحل بوغاز (هيليسپون) (وهو بوغاز الدردانيل او بوغاز (شنى قلعه) الاآن) مع ولايات (افريچيا) (وهى تقريبا ما يعرف الاآن بالوية قونية وآق سراى وآق شهر ببلاد القرممان ولوائى كوتاهية وقره حصار ببلاد الاناضول) و(بثنيا) (وهى الجزء لشمالى الغربى من ولاية الاناضول) و(بفلاجونيا) (وهى ما يعرف الاآن بلوائى قسطمونى وكيانجارى) و (القابادوسيا) (وهى الاآن جزء من لوائى سيوة و بلاد القرممان)

(رابعاً) سترايية (سيليسيا) (وهى ولاية (سلفتش وادنه) الاآن)

(خامساً) سترايية بلاد (فنيقيا) والشام وفلسطين وجزيرة قبرس

(سادساً) سترايية مصر وبلاد (ليبيا) (وهى الجبال الغربية من الديار المصرية)

و بلاد (القيرونية) (وهى بلاد برقة الاآن)

(سابعاً) سترايية بلاد (الساتاجيتيين) و (الجنديين) و (الداديسيين) والاباريتيين

وكل هؤلاء هم اقوام من الامم الاقدمين كانوا متوطنين فى الجبال الكائنة فى اعلى نهر السند

(ثامناً) سترايية بلاد السوسية (وهى خوارزم الاآن)

(تاسعاً) سترايية بلاد بابل والاسورية (بلاد العراق العربى القديمة)

(عاشرًا) سترايية بلاد الميديية (وهى بلاد اذربيجان والعراق الجهمى الاآن)

(حادى عشر) سترايية بلاد (هركانيا) مع ما فيها من الاقوام الشقى وهم (الكاسبيون)

و (الينتيماثيون) و (الداريتيون)

(ثاني عشر) سترابية بلاد البكترية (وهي الآن خانية بلخ ببلاد تركستان المستقلة)

(ثالث عشر) سترابية بلاد الارمن مع بعض الاخطاط المجاورة لها

(رابع عشر) سترابية بلاد الاقوام المسمين باسم (الساغرتيين) و (السارنجيين)

و (الطامانيين) و (الميزيين) و (الاولتيين) والظاهر ان جميع هؤلاء الاقوام كانوا هم

اهل بلاد القرمين و بلاد (السوجديان) الاقدمين وسكان الجزائر الكائنة في مدخل

الخليج الفارسي في تلك الازمان

(خامس عشر) سترابية بلاد (الساسيين) وهم قوم من الاقوام السيتيين كانوا متوطنين

حوالي منابع نهر سيجون

(سادس عشر) سترابية بلاد (البرثية) و (الخوارزمية) و (السوجديان) و بلاد

(الآرية)

(سابع عشر) سترابية بلاد (الباريكانيين) و (الابتيويين) يعني الحبشة او الكوشيين

المتوطنين ببلاد (جيدروزيا) (وهي المسماة ببلاد مهران الآن)

(ثامن عشر) سترابية بلاد (ايبيريا) و (البانيا) وهي البلاد الكائنة فيما بين نهر

(آراس) وسلسلة جبال قوقازة

(تاسع عشر) سترابية بلاد بحر (بنطس) وهي قطر من بلاد (آسيا الصغرى) مع

ما كان متوطنا فيه من الاقوام الصغرى والاعم الكثيرين وهم الاقوام المسمون باسم

(الموشيين) و (الطبارانيين) و (المكرونيين) و (الموزيناكيين)

هذه هي قائمة بيان السترابيات الفارسية حسب ما سردها المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في

تاريخه وكما كان قدرتهم الملك (دارا) ولما غم الملك المذكور الى حملته البلاد الكائنة

على الشاطئ الايمن من نهر السند جعلها سترابية ممتدة لعشرين وحينئذ فقد كان عدد

السترابيات اى الاقاليم التابعة لسلطنة الفارسية في عهد (دارا) عبارة عن عشرين

سترابية فقط وكان المؤرخ (هيرودوت) المروى عنه اعلاه قد جمع سائر مبالغ

الخارج المتحصلة من الاقاليم الفارسية المذكورة وحول النقود الفارسية الى النقود

اليونانية فبلغت قيمة الواردات للدولة الفارسية من العشرين سترابية المسرودة اعلاه في

كل سنة مبلغ ١٤٥٦٠ تالانا بسكة مدينة (اتينه) وذلك يسارى بالوزن مبلغ ٨٢

مليوناً و ٧٩٩٨٦٦ فرنكا بالسكة الفرانساوية واذا نظرنا لما كانت عليه قوة

الفضة في ذلك الزمان بالنسبة لما هي عليه الآن صح لنا ان نقول ان مبالغ ايراد الدولة الفارسية

المرقوم اعلاه يضاهى قيمة حقيقية تبلغ ٨٦٢ مليوناً و ٣٨٢٩٢٨ فرنكا

مطلب — ذكر بيان طريقة ولاية الاقاليم بالسترابيات — قد كان سائر

العمال الملقين بلقب الستراب للدولة الفارسية في درجة متساوية بعضهم لبعض وكانت درجة نفوذهم فيما يتعلق بالمواد العسكرية والمالية متحدة غير ان طريقة الادارة الداخلية التي كانت تجرى في كل سترابية من تلك السترايات هي التي كانت مختلفة ولم تكن على وتيرة واحدة بل كانت السترايات الفارسية كما كان الحال كذلك في السلطنة الاسورية على ضربين (الاول) الاقاليم التي كانت يوضع عليها ولاية أو أعمال بطريق المباشرة من طرف السلطنة الفارسية المركزية اعني ان ادارة امورها كانت جارية على مقتضى القوانين السلطانية الاصلية و(الثاني) الاقاليم التي كانت ملحقة بها بمجرد علاقة التبعية اى على وجه كونها تابعة للسلطنة الاصلية بمعنى انها كانت باقية على حالة الاستقلالية الداخلية بحيث تجرى ادارة امورها بمقتضى قوانينها الخصوصية و يوضع عليها ولاية أو أعمال من أعيان طوائفها الاهلية فاما الضرب الاول فقد كان من جلته ما كان الباعث على التشديد عليه وتضييق حبل ارتباطه بقوة النفوذ المركزي هو خشية ان يحصل فيه الثورات الاهلية والقيادات الملية المتكررة على الدولة السلطانية الاصلية مثل ولاية الليدية والبابلية والميدية ومنه ما كان الباعث على ذلك فيه هو كونه محطات بحرية ومواقع عسكرية اصلية للاسطيل الحربية الفارسية بحيث يلزم جعلها تحت مباشرة ادارة السلطنة العليا لداعي انها من حيث كونها جهات ثغرية بحرية هي ذات اهمية قصوى مثل الديار المصرية وولاية السيليسية ومنها ما كان الباعث على التضييق عليه وجعله تحت مباشرة الاوامر والنواهي السلطانية كونه قد كان قبل ذلك تحت طاعة الدولة الميدية مثل ولاية البكترية وما يليها من الولايات المجاورة لها فقد كانت طريقة سياسة السلطنة الفارسية من حيث ادارة الاقاليم التي هي من هذا الضرب جارية على مقتضى العوائد القديمة فلم يكن الستراب المتولى عايمها، قلدا فقط بقيادة الجنود المرصوعين فيها للمحافظة عليها و جباية الخراج المضروب عليها بل كان منوطا اليه أيضا ادارة سائر امورها وجميع تفاصيل تدبيرها بان يقلد من طرفه سائر العمال والولاية اللازمة من مباشرة سائر المصالح فيها وكان من اهم ما يوكل اليه واعظم ما يوصى عليه بأن يلتفت بالخصوص اليه ويعتنى به هو العناية التامة في كل سترابية بمصلحة الفلاحة اذ كانت زراعة الارض من اهم ما تهتم به الامة الفارسية هذا فيما يتعلق بالسترايات الكائنة تحت مباشرة الدولة السلطانية

وأما في البلاد التي كانت تابعة للسلطنة الفارسية بمجرد علاقة التبعية فقط فقد كانت وظيفة الستراب متحصرة في مجرد قيادة الجنود والمرصوعين في القلاع والحصون والمواضع العسكرية ذات الاهمية منها للمحافظة عليها و جباية الخراج المضروب عليها وبعثه الى الخزان السلطانية لا غير ولا يتعلق له شئ من امور الادارة الداخلية غير انه كان له حق

الحسبية والتفتيش والملاحظة بوجه عام على ولاية الامور الاهلية المنصوبين في مناصبهم الاصلية كما كانوا قبل فتح بلادهم لطاعة السلطنة الفارسية وقد كان منصب الستراب في تلك البلاد بتلك الاحقاب الزمنية أشبه شئ بمنصب عمال الدولة الانجليزية الموضوعين في هذه الحقبة العصرية عند بعض ملوك الهند البليدين المسلمين باسم (راجا) بمعنى الملك البلدي المتقلد بمنصب الملك الاصلى في بعض الممالك الهندية التابعة للملكة البريطانية مجرد علاقة التبعية فقط وقد كان من جملة السترابيات الفارسية سترابيتان متميزتان على وجه بحيث كانتا متصورتين في هيئته مملكتين كشيئتين مولاتين تكادان ان تكونا تقر بيها مستقلة اذ كان الرئيس عليهما يتولاهما بطريق التوارث وان كان يلقب بغيره من ولاية الاقاليم الفارسية بلقب الستراب غير انه لم يكن يوضع عنده عامل ينصب بطريق المباشرة من طرف الدولة السلطانية وهما السترابية الثالثة عشرة والتاسعة عشرة اعني ولاية ارمنية وولاية بنطش فاما بلاد ارمنية فانها الداعي ما كان حاصل من الصداقه للسلطنة الفارسية من طرف ملك ارمنية المدعو باسم (نيجران) الاول ومن خلفه على سرير مملكة ارمنستان كانت قد اعطيت لها هذه المزية السياسية على خلاف المعتاد في سائر الاقاليم التابعة للدولة الفارسية واما بلاد (بنطش) فانها وان كانت لم يسبق لها كبلاد ارمنية انها كانت مملكة مستقلة قديمة بل كانت مسكونة بمجموع أهم متفرقين واقوام بعضهم عن بعض مستقلين لغاية ان افتتحها الملك (كيرش) وضمها للملكة الفارسية وكانت ذلك الوقت قد اجتمعت وانضمت ووضع عليهما ملك من فروع العائلة الملوكية الفارسية المسماة باسم (الاشمونوسية او الكيانية) كان يدلى لبيت الملك الذي منه (دارا) بدرجة نسبة قريبة جدا فلذلك اعطيت لها أيضا هذه المزية السياسية

وفيما عدا هاتين السترابيتين المذكورتين آنفا كانت حادثة ترتيب السترابيات التي كان قد أحدثها (دارا) بناء على ما كان جاريا من قبله عبارة عن كونه قد جمع كل عدة ولايات كانت محكومة أو تابعة ولاية امور اهلية ورثاء محلية كان اغاها بلقب أو لا بلقب الملوك وجعلها كلها سترابية واحدة اعني عمالة أو خطة سياسية تابعة للدولة الفارسية وذلك لقصد ان يستوثق ولا يخشى من كون الستراب المنصوب من طرفه عليها يتيسر له بالسهولة ان ينتهز الفرصة اذا كان مستوليا على دولة واحدة من ميل تلك الملة للخروج عن طاعة الدولة الاجنبية فيتحكم معها ويجعل مصلحته مصلحتها ويخرج بذلك عن الطاعة السلطانية و يفوز بالاستقلالية وكان من جملة ترتيب السترابيات بالدولة الفارسية أيضا ان الملوك التابعين للدولة السلطانية مجرد علاقة التبعية فقط لم يستمر وفي عهد (دارا) على ما كانهم في عهد أسلافه (كيرش وقمبيزش) من التصرف التام وولاية الاصل العام

على ممالكهم بل كان دائماً يوضع عندهم عامل فارسي يصب عاينهم من طرف الدولة السلطانية المركزية ليكون نائباً عنها ويكون له اليد الطولى عليهم وكان له المرتبة العليا فوقهم بحسب ترتيب درجات أرباب المناصب السياسية والمراتب السلطانية الفارسية ولما كان ملك فارس في تلك الاحقاب الدهرية يوجد تحت طاعته السلطانية عدة أمراء مستولين على امارات أرضية وجله ملوك طوائف كثيرة من كانوا له بالتبعية كان الملك الديكمانى يلقب في ذلك العصر بملك الملوك أو بالملك الاعظم والا كبر

مطلب — بيان ما ترتب على ترتيب السترايات من المترتبات — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذمكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه هكذا كانت طريقة الخطط الارضية والتقاسيم السياسية والمالية حسبما كان قدرتها (دارا) في بلاد السلطنة الفارسية وقد حصل فيه بعض تغيير وتبديل وجرى عليه بعض اصلاح وتكميل في كثير من التفاصيل غير انه بقي على حاله الاصلى واستمر على حسب الترتيب الاولى فيما يتعلق بالخطط الارضية الاصلية والاصول السياسية الاساسية لغاية ان جاء الاسكندر الاكبر وافتتح الممالك الآسية

كان من مقتضى هذا الترتيب ان الملك هو الذى ينصب السترايين ويعزلهم واقل مخالفة للوامر السلطانية كانت تعد من قبيل العصيان والبغى على السلطان والخروج عن طاعة ولى الامر الفارسي فيترتب عليها في أغلب الاحيان قتل المرتكب لذلك الذنب وأدنى تهمة تكفى لضياح أى ستراي كان من ولاية الاقاليم الفارسية وذلك انه قد كان يرسل اليه بمجرد السعي عند السلطان الاعظم رسول مخصوص ومعه سند توكيل عام وترخيص تام من طرف السلطان للحرس بان يفتلوا الشخص العاصي فينفذوا الامر السلطاني على الفور من غير تأخير ولا توان وقد كانت دولة فارس لاجل سرعة المواصلات بين الاقاليم التابعة اليها قد رتببت بعناية على خيول موزعة على محطات بين كل واحدة والثانية من رحلة يوم كانوا يحملون اوامر ملك الى السترايين ومراسلاتهم الى الدولة العليا وهذا هو ما يعرف بالبريد وهو من اختراعات (دارا) وقد كانت هذه الطريقة مما يسهل سر يان نفوذ الدولة المركزية في سائر اجزائها لفرعية ومع ما كان حاصل من ملوك فارس من الاحتراسات الشديدة والاحتراسات الاكيدة لقصد مراقبة احوال ولاية الاقاليم الملقبين بالسترايين وامساكهم في قيود الطاعة والامتثال على الدوام والاستمرار لم يتيسر لهم تدارك ما كان يكثر وقوعه منهم في تلك الاعصار من الفتن الاهلية المتكررة والحروب الداخلية المتكاثرة التي كانت قد مضرت شمل السلطنة الفارسية في آخر أيامها المتأخرة وذلك ان السترايين كان قد نيط ايدهم من ولاية الامر نفوذ كبير فكان الوالى منهم ما أسرع ما يفرغ وراذلتها ويتأبط شرا وكبرا

شخصيا ويرى لنفسه زيادة درجة من الأهمية الذاتية لسعة ما يراه تحت طاعته من البلاد الموكولة لولايته حتى انتهى أمرهم لان صاروا يعتبرون أنفسهم في مرتبة ملوك مستقلين وولاة أمور حقيقيين وصارت البلاد الموكولة لعهدتهم لا عبارة عن ولايات منوطة لاماتهم وهم فقط بمنزلة العمال عليهم الدولة سلطانية عليا بل صارت لهم كأنها أملاك خصوصية يستغلونها لانفسهم وچفالك ارضية يتمتعون بها المنفعة ذواتهم الشخصية ولذلك تضاعفت قوة الدولة المركزية واضمحلت وتلاشت شوكة السلطنة الفارسية الاصلية واستردت وجاءت سرعة زوالها في أيام الاسكندر الأكبر فدللت على ضعف عروة الرابطة السياسية الجاهدة بين اجزائها العضوية

مطلب — ذكرش الغارة من الملك (دارا) بيجتؤذه الفارسيين على الامم المعروفين بالسيثيين (في سنة ٥٠٨ ق م) — وبعدها أتم الملك (دارا) اطفاء سائر القطن الاهلية والقيادات الملية التي كانت قد قامت على دولته ورتب جميع بلاد سلطنته ترتيبا سياسيا جديدا تراعى له من عزم الامور السياسية وحزم الآراء الاحتراسية لاجل حفظ حالة السلم الداخلية ان يوجه همه رعاياه بالجهادية وشهامتهم الحربية نحو غزوات خارجية وقد كان كبره أيضا يدعو له لان يدخل في طريق الفتوحات ويشهر نفسه كاسلافه بالجهاد والغزوات وذلك ان سلفه الملك (كورش) كان قد افتتح جميع ممالك آسيا و(قمبيزش) ذهب بجيوشه الى بلاد افريقية فعزم هو أيضا على ان يستولى على بلاد اوروبا و لاجل الحصول على هذا الغرض احتج بعلمتين وهما انه اراد ان يمنع من الآن فصاعدا ما كان يقع دائما على بلادهم من غارات الاقوام السيثيين وان يقطع درجة الاعلوية التي كانت قد تقرررت اهؤلاء القبائل المتوحشين على جميع بلاد آسيا في سالف الاعصار مدة ثمانى عشرة سنة من قبل عهد الملك (سياكزار) فصمم على ان يجهز تجريدة عظيمة ويذهب بنفسه على رأس غزوة جسيمة لشن الغارة على الامم السيثيين

ولفظ (السيثيين) هذا هو لفظ عام وكامة غير معينة المعنى والمرام يعبر بها عند السالف ولا سيما عند اليونان في تلك الايام عن جميع القبائل التي كانت تعيش بالحالة البدوية والهيئة الانتجاعية أعنى القبائل الرحالين التزالين والاقوام النهر المتوطنين في اماكن ثابتة ولا في مدائن وقرى مستقرة كقبائل العرب المنتجة من كل من كانوا يقيمون في الصحارى المتسعة والبوادى الكبيرة الكائنة على شمال البحر الاسود وجبال قوقازة وبحر الخزر وبحيرة (آرال) وينتجعون الى ما هو ابعده من ذلك الى جهة الشرق من أى جنس كان من الاجناس البشرية وكان هذا اللفظ يطلق عند اليونان وسائر الامم المتقدمين في تلك الازمان على قبائل شتى ويطبق على اقوام من اكثر ما يمكن تنوعا وتفرقا

من حيث الاصل والجنسية فاما السيتيون الآسيون الذين كانوا قد انتشروا كالجراد المنتشر ببلاد آسيان في عهد الملك (سيارار) ووصلوا الغاية ببلاد فلسطين فتمد كانوا يبقين سن التورانيين ولا شك في انهم هم أسلاف الاقوام المعروفين في الاعمال الوسطى باسم التترا والمغول اعني الاقوام المفسدين والامم المؤذين الذين كانوا قد اذخروا البلاد ودوخوا العبادت تحت قيادة (خنكيزخان وتيمورلنك) المشهورين وهؤلاء الاقوام السيتيون السابقون هم الذين كان الملك (كيرس) قد توجه لشن الغارة عليهم فيما وراء نهر سيحون فلحقته من سيوفهم المنون ومات هنالك كما تقدم ذكر ذلك واما السيتيون الاوروبيون فهم من جنس الذرية اليافقية المعبر عنها بالطبقة الهندية الاوروبية والظاهر انهم هم أصل الفرع الجرمانى بالخصوص من فروع هذه الطبقة البشرية فانهم هم أول من عرفهم اليونان فعبروا عنهم في الاصل على وجه التخصيص بهذا اللفظ اليونانى القديم وهو لفظ (السيتيين)

ولاشك في ان ما ذكره المؤرخ (هيرودوت) اليونانى في تاريخه من الوصف الغريب والشرح الطويل العجيب لاختلاق السيتيين وعوائدهم واحوال بلادهم واما كنهم ليس المراد منه غير الاقوام السيتيين الاوروبيين المذكورين وهم السيتيون الحقيقيون اعني القبائل الآرية الاصل الذين كانوا مقيمين بالبوادي والصحارى التى هي صحارى بلاد الروسيا الآن وكان اكثرهم ساكنا فيما بين الهرا الذى كان يعرف عند القدماء باسم (لورستين) وهو ما يدعى الآن باسم نهر (دنيبير) والهرا الذى كان يعرف عند السلت باسم (لوتاناييس) وهو المدعى الآن باسم نهر (الدون) ببلاد اوروبا وقد كانوا فى اعلى أو ج من الشوكة واقوى درجة من الصولة حين شن الغارة عليهم (دارا) الفارسى ووصف احوالهم المؤرخ (هيرودوت) اليونانى ثم انحطت درجتهم واضمحلت حالتهم بعد ذلك فى أقرب ما جرت قبائلهم تدريجيا الى جهة الشرق وآل أمر الامم السيتيين المذكورين فى عهد الملك (ميتريدات) ملك (بنطس) المشهور لان صاروا الاعداد لهم ولا اعتدائهم بطريق الجدد فى جملة الامم الذين كان لهم حظ من العمل فى الحروب الجارية بسواحل بحر (بنطوكسان) (البحر الاسود) فى تلك الاعصار وكانت ذرارهم قد انقرضت من تلك الاقطار وصارت البلاد التى كانت مساكنهم بعضها قفارا وبعضها حل فيه بدلا عنهم الاقوام (السرمايون)

ولما أراد (دارا) ان يشن الغارة على الاقوام السيتيين من جهة شمال بحر (بنطوكسان) اجتاز بجنوده الى اقليم (طراقة) (وهو الجزء الشمالى الشرقى) من الولاية المسماة باسم (الروملى الآن) وذلك انه وضع قناطر على بوغاز (البوسفور) وهو المعروف ببوغاز

القسططينية او بوغاز اسلامبول الآن) وصر بهم عليها وأنشأ قنطرة أخرى أيضا على نهر (طونة) واجتاز بهم كذلك عليها وأقام القوم اليونانيين الدين كانوا في ضمن جيوشه حرسا عليها وأخذ يتبع الاقوام السيتيين في تلك النواحي فلم يثبتوا امامه بل صاروا كلما دناء منهم يتبعون وهكذا صاروا على الدوام والاستمرار ينتقلون ويرتحلون قدامه في سهول متسعة لا آخر اذ حتى كادت ان تنفذ خاترجنوده وتلقفهم مجاعة شديدة واضطر للرجوع بجيوشه الى ورايا بالثاني لاجل ان لا يقع في مثل ما وقع فيه قبله (قمبيزس) من المصائب بدياره صر بل بادر بالفرار اذ كان السيتيون قد عادوا عليه بالكرة لما تراى لهم ضعفه وارادوا البطش به واهلاك جنوده بالكلية حتى ان الجيوش الفارسيين لقصد سرعة قهقههتهم كانوا قد تروا مرضاهم في الطرقات ولم يحملوهم معهم وابتدؤا عملية عودتهم من الليل لاجل ان يتهمزوا وفرصة بعض ساعات يسترون فيها عن اعين العدو حيث كان قد كاد ان يلحقهم ويبطش بهم وصاروا يهربون من ملاقاته بقدر ما كانوا في أول الامر يرغبون فيها ولربما كان فرارهم هذا لا ينفعهم في شيء لو لم يكن القوم اليونانيون الذين كانوا موضوعين على حراسة قنطرة نهر (طونه) قد صدقوا في حفظها وأنقذوا بذلك هؤلاء العساكر الفارسيين المساكين الذين كانوا قد كادوا ان يكونوا من الهالكين شهداء جراءة ملكهم وقضاء لاوطار اطماعه هذه

مطلب — ذكرا حصل بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) وبلاد الهند (في سنة ٥٠٦ ق م) ولما لحق (دارا) من الخجل بتلك النوايب والغضب مما أصابه من تلك المصائب في غزوة السيتيين اخترق بجنوده اقليم (طراقة) واجتاز بهم بوغاز (البوسفور) وانتقل الى سواحل آسيا من عند مدينة (سستوس) (بسينين) مهملتين في أوله وهي المسماة الآن باسم (باو الى قلعة سي) وترك بجهة أوروبا بجيشا يبلغ ثمانين الف مقاتل تحت قيادة (ميجابيس) بن (زوبير) احد السبعة نفر الذين كانوا قد تعصبوا معه على عزل (جوماتيس) المجوسي وقتله كما سبق ذكر ذلك في محله فما كان من القائد (ميجابيس) المذکور الا ان تأى عن التوجه بجنوده للحرب على الاقوام السيتيين والثفت لمحاربه اهل اقليم (طراقة) فادخلت تحت طاعة الدولة الفارسية بالكلية في اقل من سنة ثم شن الغارة بعد ذلك على مملكة (مقدونيا) وهي الجزء الغربي من ولاية (الروملى الآن) وطلب من ملكها المتولى عليها في ذلك الزمان وهو المسمى باسم (امانتاس) الطين والماء عبارة عن طلب الاذعان والامتثال لطاعته فلم يتاخر الملك المذكور ان اجابه لما طلب واذعن له بالطاعة من غير توقف كما رغب فوضع القائد الفارسي المذکور اليد على مدينة (بيرانشة) المسماة أيضا باسم (هرقله) ولم تزل تعرف بهذا

الدرس الثامن ٤٣٧ في التاريخ العام

بهذا الاسم الاخير لغاية الآن وعلى مدينة (بيزانسة) وهي المسماة بالقسطنطينية والاستاقنة العلية او اسلامبول الآن) وهما مفتاح بؤغاز (البوسفور) من نواحي اقليم (طراقة) ووضع اليد ايضا على كل من جزيرة (امبروس) (بالسين المهملة في آخره) وهي المسماة الآن باسم (امبرو) (من غير سين مهملة في آخره) وجزيرة (كينوس) وهي المسماة الآن باسم (استالين) من جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وفي تلك السنة بعينها كانت قد توجهت غزوة فارسية ايضا لفتح بلاد الهند فخرج جيش من الجنود السلطانية من اقليم (الجنديارية) التابع للسلطنة الفارسية فاطاع سائر الامم والاقوام القاطنين في الجهات التي يخترقها اعلى نهر (السند) قبل ان يدخل بلاد (بنجاب) من سلسلة جبال الثلج الهندية للمسماة بجبال (هيمالية) وانضموا بطريق التبعية للسترايية السابعة مع بقائهم تحت ولاية ملوكهم الاصليين وولاية امورهم الاهليين كما كانوا قبل فتح بلادهم للدولة الفارسية ومن هنالك بأمر (دارا) انشئت عمارة بحرية واسطول مركب من سفن فارسية على نهر السند من اخشاب بلاد (كشمير) وجعل القائد عليها امير البحر اليوناني الماهر الشهير باسم (سيلاكس دو كار يانده) وكان قد اشتهر في ذلك العصر بما عايناه من كثرة السفر في البحر فنزل بالسفن الفارسية على نهر السند لغاية مصبه من بحر الهند واشرع بها الى جهة المغرب حتى وصل بعد مدة ثلاثين شهرا الى نهاية البحر الاحمر اعنى الى الميناء التي كان فرعون مصر المشهور باسم (نيخاووس) قد وجه منها السفن الفينيقية لقصد السفر في البحر حول بلاد افريقية وكانت نتيجة سفر القائد (سيلاكس دو كار يانده) اليوناني المذكور بالاسطول الفارسي على الوجه المسطور ان امتدت يد سلطنة (دارا) على سائر البلاد الكائنة فيما بين الشاطئ الايمن من نهر السند وجبال (پكتيان) ومنها تكونت السترايية الفارسية المتممة للعشرين ولم تتجاوز الامة الفارسية الى الشاطئ الايسر من النهر المذكور ولم تدخل خصوصاً في البلاد المبرعنها الآن باسم (بنجاب) بمعنى الخمسة الانهار من تلك الاقطار حيث كانت يسكنها في تلك الاعصار اقوام اولوا حرب وجهاد وأمم أرباب شجاعة وجلاد كان الاسكندر الاكبر هو اول من فاز بفخر ادخالهم تحت طاعته وحاز ذكر اسمالهم في دائرة سلطنته

ولم يكتف (دارا) بالاقنصار على جميع هذه التوسعات المكينة والتملكات الارضية من الاقطار بل كان لما وصل الى حدود الممالك الادروبية القائمة في تلك النواحي بتلك الاعصار تعلق مطامعهم ايضا بأن يفتح اقطار اخرى من تلك الجهات اوسع وابرج من اقليم (طراقة) و (مقدونيا) واراد ان يطبع لدولته ذات ملكة اليونان الاصلية الكائنة على السواحل البحرية من تلك البلدان فتعمل اثن الغارة عليها بملء خروج عن الطاعة السلطانية الفارسية

حصل من بعض الطغاة اليونانيين المتمردين على بلاد (اليونانية) (أى المدن اليونانية السكائنة على السواحل الآسية) وكان قد خشي على نفسه من (غضب دارا) فعصى عليه وخرج عن طاعته وكان الاثينيون أى أهل مدينة (اثينة) قاعدة مملكة اليونان الاصلية قد ساعدوه عليه مدة حقبية من الزمن وان كان أمدادهم له ضعيفا خاليا عن القوة والحزم ومن ثم صارت مملكة اليونان دون غيرها من سائر البلدان عند الملك الفارسي هي مرعى اشتغال البال ومحط رحال الحرب والقتال وترتب على ذلك انه تورط في تلك المتازعة الطويلة والحرب العوان الثقيلة التي اشتهرت بين فارس واليونان في ذلك الزمان بقوة الجيوش من الطرفين وبما بعث عليها من البواعث السياسية من الجانبين حتى استمرت على الدوام تقريبا مسافة قرن ونصف من الدهر وترتب عليها في ذلك العصر خراب مملكة فارس وزوالها بالكلية وتحويل احوال بلاد آسيا الغربية بتأثير قوة الفنون والصنایع التمدينية الاثينية وقوة اللغة اليونانية وهذه المدة هي المشهورة على لسان أهل التواريخ اليونانية والاوروبية بهد الحروب الميديية بمعنى الفارسية وهي عبارة عن الحروب التي حصلت بين ملوك فارس واليونان في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عاياه السلام وكان مبدأها في عهد (دارا) بن جوستاب هذا وهو (دارا الاو) ولذلك لزمنا ان نقف هنا من تاريخ دولة فارس على هذا العهد وبقيته تأتي في ضمن باب تاريخ اليونان الآتى بعد لان تاريخ بلاد المشرق من أوائل عهد الحروب الميديية في الحقيقة وعلى وجه الاصلة انقطع ولا يكون من الآن فصاعدا الا عبارة عن حوادث تذكر بطريق التبعية لتاريخ اليونان حيث يكون تاريخ اليونان من الآن هو تاريخ التمدن وال عمران (انتهى الى هنا معربا من تاريخ بلاد المشرق والهند لل مؤرخ فرانسيس لونورمان)

تذييل

يتضمن بعض قوائد تفصيلية ومساائل تكميلية مما يتعلق باحوال الدولة الفارسية

(معربا من تاريخ المعلم (فرانسيس لونورمان) الكبير)

المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن (دارا) ومن سبقه من ملوك دولة فارس السالفين من الابنية والعمارات الماثورة عنهم في تلك الاوقات — قال المعلم فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير المتقدم الذكر والبيان في هذا الشأن اعلا ما تعربيه أدناه قد كان من عيوب ترتيب الدولة الفارسية مع ما كانت عاياه من عدم البلوغ لدرجة الكمال

بعد في عهد كل من الملك (كيرش) والملك (قبيزش) انهم لم يكن لها قاعدة سلطنة ثابتة ولا كرسي ملكة معير يقيم فيه أرباب الدولة المركزية بل كان هذان الملكان الاولان يعيدشان عيشة تكاد أن تكون انتجاعية بمعنى رحالة نزلة وحالفة على الدوام انتقالية منتجعة فكانا تارة يقيمان في ناحية وتارة في أخرى من نواحي سلطنتهما المتدعة أما الملك (كيرش) فكان قد ثبت في المدينة التي كانت تدعى في ذلك العصر باسم (ايكباتان) (وهي همدان الآن) وكانت أقامته في القصر الملوكي الذي كان قد شيده لنفسه الملك (ديجوسيس) كما تقدم ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب ، وأما الملك (قبيزش) فلم يكن قد خرج من ديار مصر منذ افتتحها حتى مات وكانت حادثة تعدي (سمرديس) المجوسي على سير الملك الفارسي قد دلت على ما كان يوجد في تلك الحالة من الخطر من وجهين (أحدهما) في طول إقامة الملك في إحدى نهايات حدود مملكته و (الثاني) في جعل مركز السلطنة الفارسية ببلاد الميديين مع كونهم لم يزالوا يحلمون باسترداد ما كانوا يزعون منه من أنه قد كان أهم الدولة العظمى واليد العليا على القوم الفارسيين وان القوم الفارسيين انما اغتصبوها منهم واستولوا عليها بدلاً عنهم ولذلك لما جاء الملك (دارا) واراد ان يرتب أحوال الدولة الفارسية على وجه بحيث يعطى للصولة الملوكية زيادة قوة أحس بشدة ضرورة ان يجعل لمملكته قاعدة ثابتة مستمرة ويعين لسلطنته نقطة مركزية مستقرة فانتخب لقضاء هذا القصد مدينة (سوس) وهي المسماة الآن باسم (شوستير) لكونها قد كانت معتمدة من جهة على ولاية فارسستان الأصلية التي كان فيها من مركز قوة السلطنة الفارسية الحقيقية ومن جهة أخرى كانت قرية من مدينة بابل ومن بلاد الميديية وموضوعة على إبعاد متساوية من نهاية حدود بلاد سلطنته المتسعة من المشرق الى المغرب وشيد فيها قصر املوكيا عظيما فاخر اصاب بعد ذلك محل سكني سائر الملوك الكبار الذين اذا كانوا يسوا مسافرين على رأس جيوشهم في الغزوات البعيدة وكان (دارا) قد أسس أيضا في وسط ولاية فارسستان الأصلية المدينة المسماة في ذلك العصر باسم (پرسبوليس) او (فارسخرا) وهي المسماة الآن باسم (ايتشيل منار) (بمعنى الاربعين عمودا) لقصد ان تكون مقبرة لمدافن ارباب عائلته الملوكية وبني فيها أيضا قصر املوكيا متسعا

أما قصر (سوس) فكان قد حفر عليه منذ بعض سنوات القائد الانجليزي المسمى باسم (الجنرال ويليام) المشهور بالدفع عن مدينته (كارمر) (السكائنة ببلاد الارمن على حدود الدولة العثمانية من جهة دولة ايران الآن) والسائح الانجليزي المشهور باسم (نوفتوس) فلم يجد امنه غير اطلال واهية وآثار بالية غير انهم لم تزل تدل على ما كان لفر العمارة الفارسية من الصفات الأصلية المميزة لها عن غيرها من انواع العمارات التي كانت للامم السالفين واما قصر (پرسبوليس) وهي التي كانت تسمى عند الفارسيين المتأخرين باسم (استخرا)

الدرس التام ٣٤ في التاريخ العام

فان اكثر بنيانه هو لغاية الان قائم على جدرانها وكل من اطلع عليه من السياحين منذ قرون عديدة عجب له واستغربه غرابة شديدة وهو موصوف في كتب التواريخ المطولة بما لا يسع هذا الدرس المختصر ان يحيط به من البيانات المفصلة

المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم الفارسيين في سالف العصور — قال المؤرخ فرانسيس لو نورمان في تاريخه الكبير ما تعريبه كما هو بعد مذكور

قد كان فن التمثيل والتصوير الفارسي حسب ما يظهر لنا من التأمل في العمارات المذكورة والنظر في تلك الآثار التي هي عنهم مأثورة متولدا بطريق المباشرة عن فن التصوير الاسوري القديم وانه منسوخ على صورته وان الفرع ليس دون الاصل بل ربما كان تفرغه اعلى واسلم وضرب قلم النقش فيه اطلاق واتقن واعلم وتناسب الاجزاء العضوية من البنية البشرية اضبط واكثر مراعاة واحوط ولكن الامر الذي يظهر ان الفارسيين كانوا فيه بالحقيقة مخترعين وفي الواقع ونفس الامر مبتدعين في تلك الازمان هو فن العمارة والبنيان نعم لاشك في انهم كانوا قدامتعاروا ايضا كثيرا من نموذجات فن العمارة والبيضان الذي كان متبعاعا في مدينة (نينوى) عند الاسوريين مثل طريقة السطوح المدرجة والنقوش المفروغة في داخل الحجرات على صورة سلاسل غير منقطعة من الاشكال والهيئات ورسم الابواب المصورة على جوانبها صورة اثار ذات اجنحة وغير ذلك من الكيفيات فكل ذلك لا بد من انة قد كان مأخوذا عن الاسوريين غير ان القوم الفارسيين كما كانوا يقتدون بغيرهم كانوا كذلك يترحون ويخترعون ويختلفون في فن العمارة ويتدعون فانهم قد غيروا فن العمارة عندهم تغييرا كبيرا وكليا وذلك انهم لم يببنوا ابنيتهم من الاجر ولا من المدامج المصطنعة من الطين النية كما كان ذلك شأن البناء بمدينة نينوى بل كانوا يتخذون مواد ابنيتهم كلها سواء الحيطان او الاعمدة من المرمر الجميل المستخرج من جبال فارس الاصلية دون غيره من سائر المواد والمهمات العمارية وكانوا ينجحون مع غاية الضبط والدقة و يصقلونه صقلا عجميا واما العقود والخروجات فكانوا يتخذونها من الخشب ويطلون بها بانواع الالوان ويكسون بعضها بصفايح المعادن ومع ذلك فاعجب شيء انفردت به طريقة العمار الفارسية واختصت به دون غيرها من طرق العمارات التي كانت مستعملة عند الامم المتقدمين هو كيفية وضع الاعمدة وذلك ان الاعمدة تو جد بكثرة بليغة جدا في بناء قصر مدينة (سوس) وقصر مدينة (پرسبوليس) وكلها على وتيرة واحدة وهيئة متحدة وحيث كانت اعمدتهم لا تحمل الاثقال خفيفا جدا لانهم كانوا لا يببنون ابنيتهم على طبقات متعددة وكانت ابنيتهم الصلوية تتخذ دائما من الخشب كان العمود عندهم يرتفع الى درجة عظيمة وخفة بليغة

الدرس التام ٣٤١ في التاريخ العام

جدا كأنه جذع شجرة ارتفع في الجوليا أخذ حظه من الهواء والشمس ولم يتفق لافته من الامم السالفين انهارت في انبثها اعمدة الى هذا الحد من الارتفاع وشيدت مع هذه الدرجة لبلغة من الظرافة والابتداع فان الاعمدة التي حصل العثور عليها في قصر مدينة (برسبوليس) يبلغ ارتفاعها اضعافا قطرها ثلاث مرات ويظهر عاينها انها مصطنعة من الحجر على منوال اعمدة قد كانت متخذة من الخشب الخفيف وتتميز تلك الاعمدة خصوصا عن طريقة المساند التي كان يستعملها المصريين واليونان والاسوريون بما كانت عليه كيفية صناعتهم وسهام الترتيب العجيب والتنظيم الغريب وذلك انهم كانوا يصطنعون رؤس اعمدهم مسطوية جدا على وجه بحيث تتسع كلما ارتفعت على عدة طبقات من قباب توضع بعضها فوق بعض متعاكسة حتى تنتهي بصورة مقدم ثور يرتكز عليها الخشب الخارجة البارزة من البناء وبالجملة فان فن العمارة الفارسية هو نسيج وحده وفن فريد لا يوجد ما يماثيه ولا يعهد ما يحاكيه في فنون النمازات القديمة من حيث كونه قد جمع بين الظرافة والعظمة

المسألة الثالثة — باي لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية والوثائق العمومية بديوان الدولة الفارسية في عهد (دارا) وما هو الخط الفارسي القديم — قال المؤرخ المروى اعلاه انه لما كان الملك (دارا) قد استولى على بلاد متنوعة واهم مختلفه اللغات والاجناس جدا اضطر في ترتيب دولته لان يتبع الطريقة القديمة التي كانت مستعملة من قبله عند الملوك النينويين وهي تحرير الدفاتر الديوانية والوثائق العمومية بعدة السن مختلفة واتخذ لثلاث لغات متنوعة بصفة اللغات الرسمية بمعنى الديوانية فكانت الاوامر الملوكية والوثائق العمومية الصادرة من لدن الدولة الفارسية في تلك الاحقاب العصرية تنشر في البلاد الكائنة على سواحل آسيا الصغرى باللغة اليونانية وفي بلاد القبادوسية و(سيليسيا) و(سورية) و(فلسطين) باللغة الارمنية وفي ديار مصر باللغة المصرية وتكتب بقلم الكتابة الهيروغليفية كما كان الحال كذلك في عهد الدولة الفرعونية الاصلية سواء بسواء واما في بلاد آسيا الوسطانية فقد عثر على الآثار الماثورة عن ملوك الدولة السكيانية من عهد (كيرش) لغاية عهد (دارا الثاني) الملقب بالقب (نوتوس) مسطرة بثلاث لغات كلها مرسومة بنوع الخط السناني وهي اللغة الفارسية الاصلية واللغة التورانية الميديية واللغة الاسورية وقد اسلفنا الكلام فيما تقدم على كيفية الخط السناني الذي كان يكتب به كل من هاتين اللغتين الاخيرتين فلا حاجة لتكراره هنا واما اللغة الفارسية الاصلية فانها كانت مبينة لهم بالكلية ولم يكن لها مشاركة مع الخط الاسوري القديم الذي كان مستعملا في مدينتي نينوى و بابل الامن حيث اتحد رسم ساثر الاجزاء التي تتركب منها الحروف على هيئة سنان

الرمح او المنمار فقط وقد كان اول من وقف على قراءته واثبت قيمة بعض العلامات الدالة على حروفه هو العالم الالماني المشهور باسم (جروثفند) الذي هو من مدينة (هانوره) ببلاد المانيا ثم اقتنى اثره مع النجاح في ذلك كل من العالم الفرانساوي المعروف باسم (سنمارتان) والعالم الدانيمارقي المعروف باسم (باسك) والذي تم الوقوف على حقيقة الخط الفارسي القديم المذكور وجعل هذه المادة من قبيل الاستكشافات العلمية التي مار الحصول عاها بالطريقة القطعية هو ما حصل في هذا الشأن في سنة ١٨٣٦ الميلادية من الاشغال البحثية باتحاد كل من العالمين الفرانساويين المعروفين باسم (أوجين بورنوف) و (الموسيو لاسان) وجاء كل من (الدوكتور هانكس) و (السير هنري راولنسون) الانجليز بين فاشتغلا أيضا بالبحث عن طريقة الخط الفارسي القديم ثم جاء العالم الفرانساوي الشهير باسم (الموسيو او بير) فوضح ما كان قد بقي غامضا للغاية الآن من مسائل هذا الشأن والظاهر ان أول منشأ هذا الخط قد كان ببلاد (البكترية) وانه قد كان في أول الامر من كبار مقاطع حربية ولكن ما عثر عليه من الآثار المكتوبة في عهد الدولة السكيانية لم يكن بهذه الصفة بل هو من كبار من مجرد حروف هجائية تبلغ ستة وثلاثين حرفا وكيفية رسمها كرسمة صورة الحروف الهيوريجلية المصرية والسناثية الاسورية القديمة توجد في كتب التواريخ المطولة (انتهى من كتاب تاريخ بلاد المشرق الكبير للأورخ فرانسيس لورنومان)



الدرس التام ٣٤٣ في التاريخ العام
مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الخامس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل مأخذ هذا الباب

افكار تفديعية وفوائد عمومية

٢ — كيف يقتضى ان يعتبر البحث عن تواريخ سائر الامم المتقدمين بالنسبة الى تاريخ مصر عندنا معاصر المصريين

مقدمة

- ٣ — ما حدود بلاد الميديّة
٤ — ما حدود بلاد فارس والى كم سترابية كانت تنقسم في عهد (دارا) الاول
٥ — ما اوصاف مملكة فارس الطبيعية وما بعض احوالها المحلية
٦ — ما اقسام مملكة فارس السياسية وما بعض احوالها في هذه الاحقاب العصرية
٧ — ما جغرافية ارض فارس التاريخية ومقابلاتها بما استجد من الاسماء الحادثة في هذه الاحقاب العصرية

الفصل الاول

- ٨ — ماذا يدكر عن الآريين الاولين الذين هم أصل القوم الفارسيين
٩ — ماذا يدكر من اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسبما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين
١٠ — كيف كانت حالة العائلة والملة عند القوم الآريين السالفين وبني يافث المتقدمين
١١ — كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافثيين المتقدمين
١٢ — ما قصة مهاجرة القبائل اليافثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى الاراضى الاوروبية وماذا يفهم من احوالهم حسبما علم من الكتب الويدية
١٣ — ماذا ثبت من تاريخ (زردهشت) ومذهب ديانتته وشرح حاله وملته
١٤ — ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما اتبني عليه منهما دين (زردهشت) في سالف الزمان

- الدرس الثامن ٣٤٤ في التاريخ العام
- ١٥ — ماذا يذكر عن حادثة تفرق الآريين المشرقين إلى فرقتين وتوجههم إلى ناحيتين متعارضتين

الفصل الثاني

- ١٦ — ماذا يذكر عن الميديين الآريين والتورانيين وكيف كانت منازعة القومين ومقاومة الخصمين المذكورين
- ١٧ — ما حقيقة دين المجوسية وهل هو غير دين الزردية أم كيف الجلال
- ١٨ — ما قصة استيلاء الدولة الآسورية على بلاد الميديه

ذكر الدولة الميديه

- ١٩ — ماذا يذكر عن (أرباس) والدولة الجمهورية الميديه وكيف كانت حالتها الاولية
- ٢٠ — ماذا يذكر عن الحكيم (ديجوسيس) وكيف كان منشأه وتقدم الملك به بلاد الميديه
- ٢١ — ماذا يذكر عن الملك (فراروت) وما حدث في عصره من السلطنة الميديه الكبيرة
- ٢٢ — ماذا يذكر عن الملك (سيارار) من الاخبار وما توجه اليه عزمه من خراب مدينة (نينوى) في تلك الاعصار
- ٢٣ — ما قصة غارة الافوام السيتيين على بلاد الميديين
- ٢٤ — ماذا حصل بعد ذلك للملك (سيارار) من الحوادث والاعخبار
- ٢٥ — ماذا يذكر عن الملك (استياج) وكيف كان منشأ الملك (كيرش اوقيروس) المذكور وما قصة ما ترتب عليه من زوال دولة الميديين في تلك الاعصار

الفصل الثالث

- ٢٦ — ماذا يذكر من اخبار فتوحات الملك (كيرش) للبلاد وقصة تدوينه للعباد
- ٢٧ — ما قصة الملك (كيريوس) ملك ليديا وماذا يحكى عنه من قضية استشارته لكاهنة (ديلفوس)
- ٢٨ — كيف كانت هزيمة الملك (كيريوس) وزوال دولة الليديين على يد الملك (كيرش اوقيروس)
- ٢٩ — ما قصة فتح مدائن يونيا واستيلاء دولة فارس على سائر الامم والاقوام المتوطنين ببلاد آسيا العليا
- ٣٠ — ما قصة زوال دولة آسور على يد الملك (كيرش) المذكور

الدرس التام ٣٤٥ في التاريخ العام

- ٣١ — كيف كانت خاتمة الملك (كيرش أو فيروس) وما قصة مكيدته ووفاته في واقعة حربية مع الملكة (توميريس)
- ٣٢ — ماذا يدكر عن الملك (قمبيز أو قمبيز) قاتح الديار المصرية وما قصة فتح هذه الديار المصرية بالجنود الفارسية ودكر (فانيس) احد قواد الفرقة العسكرية اليونانية المؤجرة للدولة المصرية
- ٣٣ — كيف كان سلوك الملك (قمبيز) بديار مصر لما استولى عليها في ذلك العصر
- ٣٤ — ما قصة غزوة الملك (قمبيز) ببلاد الايتيوبية وفي واحة (آمون) بالصحارى الليبية
- ٣٥ — ما قصة ما اعترى الملك (قمبيز) من الجنون في ديار مصر بذلك العصر
- ٣٦ — ما قصة العن الاهلية والمحن الداخلية التي حصلت بالدولة الفارسية من طائفة المجوسية بعد غياب الملك (قمبيز) في ديار مصر وكيف كان تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرير الملك الفارسى وكيف كانت وفاة (قمبيز) في ذلك العصر
- ٣٧ — ماذا يدكر عن مدة استيلاء (جوماتيس) باسم (سمرديس) وكيف كان استيلاء (دارا اودرايوس) على سرير ملكة فارس
- ٣٨ — ما قصة ما حصن من العن والعصيان في سلطنة فارس بتلك الارمان حسبما تصها المؤرخ اليونانى (هيروdot) وما حقيقة الاثر القديم المعروف باثر جبل (بيستون)
- ٣٩ — كيف كان ترتيب السترايبات بالدولة الفارسية حسبما كان قدرتها (دارا) ونص عليها المؤرخ (هيروdot) وماذا دكر فيما يتعلق بتقدير مبلغ الخراج الوارد منها للدولة الفارسية في تلك الحقبة العصرية
- ٤٠ — كيف كانت طريقة ولاية الاقاليم الفارسية بالسترايبات والى كم ضرب كانت تنقسم الولايات الفارسية في تلك الاوقات
- ٤١ — ماذا ترتب على ترتيب السترايبات من النتائج المترتبة
- ٤٢ — ما معنى البر يدوم كان اول من ابتدعه في الدولة الفارسية
- ٤٣ — ما قصة غارة الجنود الفارسيين على الامم والاقوام المعروفين عند اليونان باسم (السيثيين) وماذا كان المراد بهذا اللفظ عند الامم المتقدمين وذكر

الدرس التام ٣٤٦ في التاريخ للعام
(السيئين الاوروبيين والاشيين)

- ٤٤ — ماقصة ما حصل فيما بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) وبلاد الهند
وذ كرامير البحر اليوناني المشهور في تلك المدة باسم (سيلاكس دو كاربانده)
٤٥ — ما المراد بما اشتهر في عرف اهل التاريخ بعهد الحروب الميدية ولماذا وقفنا هنا من
تاريخ دولة فارس على هذه المدة التاريخية

تذييل

- ٤٦ — المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن الملك (دارا) ومن سبقه من ملوك دولة
فارس السالفين من الابذية والعمارات الماثورة عنهم في تلك الاوقات
٤٧ — المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم
افارسيين في سالف العصور
٤٨ — المسألة الثالثة — بأى لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية
والوناتق العمومية بديوان الدولة الفارسية في عهد الملك (دارا) الاول
وما هو الخط الفارسي القديم



الباب السادس

في تاريخ الفنيقيين او الصوريين وقدماء سواحل الشام السالفين

واصل ما آخذ هذا الباب الاصلية من امرين
(الاول) التأليفات العمومية والتحقيقات التاريخية العلمية التي كتبها بعض علماء الافرنج
المتأخرين فيما يتعلق بعموم احوال الكنعانيين وسكان بلاد الفنيقية المتقدمين
(الثاني) الرسائل الخ. وصية التي انفها بعض علماء الافرنج المذكورين فيما يتعلق بكشف
احوال بعض الآثار القديمة التي حصل العثور عليها في هذه الاعصار الراهنة من آثار هؤلاء
الامم السالفين)

مقدمة

في بيان اصل الفنيقيين وتاريخ المداين التي كانوا فيها متوطنين

(معر: بان مختصر تاريخ الامم الشرقية والهند للأورخ فرانسيس لونورمان)

مطلب — بيان اصل الفنيقيين — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان
في مختصر تاريخ الامم الشرقية والهند ما تعريبه بعد — ان اصل الفنيقيين كما هو نص
العبارة الواردة في الباب العاشر من سفر الخليفة من التوراة وكما كانوا هم انفسهم يقولون به
في سالف الاوقات وكانت ذراريتهم قد حكوه لاحد احبار النصارى المشهور باسم
(سنتوغوستان) حسب ما نص عليه في الكتب المأثورة عنه هم من نسل (كنعان) الذي هو
من نسل حام بن نوح عليه السلام كما روى في نصوص التوراة غير ان بنى كنعان لم ينحصروا
في الفنيقيين فقط بل كانوا فروعا متفرعين كان منهم هؤلاء الفنيقيون وكان هذا الفرع قد
تكون من اول الامر في صورة وجودية منفردة عن سائر الفروع الكنعانيين وكان هو
اشهرهم واكبرهم وآخريهم انقراضا واقدروهم

مطلب — ذكر اصل الكنعانيين وكيفية مهاجرتهم من الاوطان التي كانوا فيها
في اول الامر متوطنين — وقد كانت مداين الكنعانيين من اول الامر على سواحل
الخليج الفارسي في اقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم (القطيف أو البحرين) وفي جزائر
البحرين وقد كانت اثنتان متماثلتين اسمي احدهما في ذلك العصر باسم (صور) والثانية باسم
(ارواد) ولما انتقل الكنعانيون من تلك الاماكن فيما بعد كانوا قد اخذوا هذين اللفظين وسموا
بهما بعض اماكن من بلاد فلسطين حين انتقلوا اليها وتوطنوا فيها وعلى نحو ٣٥٠٠ سنة تقريبا
قبل الميلاد كانوا قد اضطروا للخروج من مساكنهم الاولى هذه اما لداعي زلازل ارضية

وقعت فيها فاجرتهم منها كما ذكر ببعض الروايات واما كما ذكر برواية اخرى لداي اجبارهم على الخروج منها عقب واقعة حربية وقعت عليهم من بعض ملوك بابل وكانوا قد اتصروا عليهم فيها فاضطروا للهجرة من اوطانهم الاصلية وهاجروا كلهم منها واخترقوا بلاد العرب في سالف الازمان سائرين في الطريق الاصلية التي لم تنزل القوافل تسير فيها من تلك الاقطار لغاية الآن حيث كانت هي التي توجد بها ابار الماء العذب الذي يلزم لسقى المسافرين ودوابهم وصاروا يرتحلون من واحة الى اخرى من تلك الصحارى حتى وصلوا الى بلاد فلسطين على القرب من بحيرة (طبرية) وقد كان ذلك هو آخر مدى هجرتهم ولما استقروا ببلاد الشام تغلبوا على تلك البلاد ووضعوا اليد عليها وتفرقوا هنالك الى اربعة فروع (احدهما) تكون من عدة اقوام مختلفة وقبائل متنوعة منهم واقاموا ببلاد فلسطين و(الثاني) توطر على السواحل الشامية فيما بين جبل لبنان والبحر المتوسط الابيض (بجرسفيد) و(الثالث) تعمق الى جهة الشمال واستقر بوادي (الاورونط) (وهو نهر العاصي) وهذا المرع عبارة عن اكثر القبيلة المعروفة باسم (الهيثيين) (بالتاء المثناة الفوقية او التاء المثلثة) وقد كانت هذه القبيلة في ذلك العصر هي اقوى سائر القبائل الكنعانية وشوكة واشدهم صولة و(الرابع) كان قد اغار على الديار المصرية مسترشدا بجماعة من القوم الهيثيين المذكورين فاستولوا عليها معهم مدة - قبة من الدهر وتأثر منهم فيها لهائل المملوكية المعروفة بالمملوك الرعاة (او المملوك العمالة)

وقد كان استيطان الكنعانيين ببلاد فلسطين من قبل نزول ابراهيم عليه السلام فيها اذ كان قد وجدهم مستولين على سائر ذلك القطر فعاش بين اظهريهم في امداء حقبته من الدهر

مطلب — ما المراد من لفظ الفنيقية وتعريف ما ككار يوجد فيها من المدن الاصلية — اما لفظ (فنيقية) فهو كلمة يونانية تكتب وينطق بها في الاصل بلفظ (فيسيا) (بالسير المهملة بدل القاف المثناة) وقد جرت عادة المعربين في هذا العصر ان يقابوا السين قافا ولذلك صارت (فنيقية) ولم يعلم اصل اشتقاقها وما أخذها لغاية الان غير ان المعلوم ان لفظ (الفنيقيين) لا يوافق على سائر الاقوام الكنعانية الذين توطنوا في نواحي الشام الجنوبية كلهم بل على الكنعانيين البحرانيين المتوطنين على سواحل البحر فقط وهم الذين قد كان لهم صولة وجود منغزلة عن غيرهم من سائر الاقوام الكنعانية يرب بالكلية وحينئذ فالمراد من لفظ (الفنيقية) في اصطلاح اهل التاريخ او الجغرافية المدرسية هو هذا القطر الضيق جدا المنحصر فيما بين الجبل والبحر ممتدا شمالا من اول جزيرة (ارواد) لغاية مدينة (عكة) جنوبا وهو يشتمل على الاراضي التي كانت يهيمون فيها في تلك الاعصار باراضي ممالك القوم (الاروايين) و(السيميريين) و(الصيداويين)

الدرس التام ٣٤٩ في التاريخ العام

وهذا القطر هو الذي نريد ان نشغل بتار يخه في هذا الباب غير اننا قبل ان نقص مختصر الحوادث القديمة التي وقعت في ارضنا من النافع ان نذكر هنا على سبيل التقديم بعض ما يتعلق به من المسائل الجغرافية وتعداد مدائنه القديمة الاصلية ونبتدئ من جهة الشمال فنقول ان اول ما يبسد ولناظر من تلك الجهة هو الجزيرة التي كانت تدعى في سالف الازمان باسم (ارادوس) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (ارواد) وهو ذلك الاسم بعينه مع بعض تحريف اعتراه وهي موضوعة على القرب من الساحل تحت عين درجة الطول التي توجد عليها مدينة (شيتي اولارناكة) التي هي احدى مدن جزيرة (قبرص) وهي جزيرة ضيقة جدا فلذلك كانت ارضها مستغرقة بموضع مدينة كانت توجد فيها تسمى مدينة (ارادوس او ارواد) وقد كانت هي قاعدة مملكة الاروايين السالفين وكانت هذه المملكة عمارة عن المدينة المذكورة مع مدينتين اخريين كائنتين على الساحل القريب منها كانتا بالتبعية اليها وهما (اولا) مدينة (انتارادوس) (وهي المعروفة باسم (طرطوش) الآن) وفي السهل الذي توجد فيه هذه المدينة الخيرة يظهر ان قد كان موضع مقبرة اموات تلك المدينة الكائنة بالجزيرة المذكورة و (ثانيا) مدينة (ماراتوس) وهي المعروفة الآن باسم (عريظ) وفيها يشاهد اعظم آثار فن العمارة الفنية التي بقيت لغاية عصرنا هذا وقد كانت مملكة الاروايين هذه اعنى مدينة (ارواد) والمدينتين التابعتين لها على السواحل القريبة منها بعد ان انضمت الى مملكة الهيداويين لم يزل لها ملك مخصوص ملحق بطريق التبعية للملك الاكبر الذي كان له درجة الاعلوية على سائر بلاد الفينيقية

ثم الى جهة الجنوب وعلى القرب من مصب النهر الذي كان يسمى في ذلك العصر باسم (ايلو تيروس) وهو المعروف الآن بالنهر الكبير كانت توجد المدينة المسماة باسم (سيميرا) (وهي المسماة الآن باسم (سمرة) وقد كانت هي قاعدة مملكة السيميريين وهي وان كانت قد دخلت في ضمن المحالفة الفينيقية قد كان لها كما كان لمدينة (ارواد) المذكورة قبلها ملك مخصوص وفي عهد المملكة اليونانية والسلطنة الرومانية كانت هذه المدينة العتيقة قد فقدت درجة عظمتها الاولى وانتقلت حالة اهميتها الاصلية الى مدينة اخرى كانت تدعى باسم (اورتوريا) ثم فيما يلي ذلك الى جهة الجنوب ايضا يوجد الملك الذي كان قد اسس فيه كل من اهالي (ارواد) و (صيدا) و (صور) ثلاث عمارات متجاورة وسموها في ذلك العصر باسم (تريبوليس) (ومعناها المدن الثلاثة) وهي المحرفة الآن باسم (طرابلس) وبعد ذلك ندخل في ارض الامة القديمة التي هي من ضمن الاقوام الفينيقيين وهي التي كانت تعرف في قديم الاعصار بالصيداويين وهم كما هو عيّن نص التوراة (ابناء كنعان البكر يوز) وقد كانت ارض الفينيقية في اول الامر محدودة بنهاية ارض المملكة الهيداوية المذكورة

الدرس الثام ٣٥٠ في التاريخ العام

واول مدينة يبد وللناظر منها هي هذه الجهة هي المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (بوتريس) وهي التي تعرف الآن باسم (بترون) ثم مدينة (الجيل) وهي التي كانت تسمى عند اليونان باسم (بيلوس) وتعرف الآن باسم (جبيل) (بصيغة التصغير) وقد كانت تابعة لمدينة (بوتريس) المذكورة قبلها وكانت مدينة (الجيل) هذه مدينة مقدسة وحرما مكرما محترما يصعد اليه اقصي اذكار العقائد الخرافية التي كانت هي دين الاقوام الفنيقيين في تلك الاعصار وكان لهم في ايام موسم سنوي يشهرون فيه اسرار امشورة عندهم تعظيما لمعبودهم المسمى باسم (آدونيس) ثم يلي ذلك فنازلنا الى جهة الجنوب أيضا المدينة التي كانت تسمى - يئذاك باسم (بيريت) وهي المعروفة الآن باسم (بيروت) وقد كانت في ذلك العصر كرسى ملكة ولم تزل في كل عصر من الاعصار قرصة بحر بة عظيمة وميناء تجارية جسيمة ثم تليها المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (صيدون) وهي التي تعرف الآن باسم (صيدا) وقد كانت كذلك في سالف الزمان مدينة عظيمة وكرسى ملكة جسيمة ولكنها قد آلت الآن الى حالة حقيرة جدا ولم يبق من الاثار الدالة على عظامتها القديمة غير بقايا مقبرة متسعة جسيمة توجد هناك واصل لفظ (صيدا) مشتق من الصيد وذلك يدل على ان هذه الصناعة هي اول صناعة اتخذها اول ساكن تلك الاوطان بمجرد ان توطنوا على ساحل البحر وفيه قمر نواع على فن الملاحة بمعنى السفر في البحر الملح وقد كانت هذه المدينة هي أقدم مدن الفنيقيين وكانوا يلقبونها بلقب (أم سائر المدن الفنيقية الاخرى) ما عدا مدينة (الجيل) فانها ربما لم تكن من جملة مدن الفنيقيين الاصليين بل كانت من مدن السينيين (بالنون الموحدة الفوقية في وسطه وهم قوم اخرون من الكنعانيين) وعلى جنوب (صيدا) توجد المدينة التي كانت تدعى باسم (سار ببطا) وهي التي تعرف الآن باسم (سرفند) وقد كانت في سالف الدهر مدينة ذات ثروة كبيرة ودرجة من العظمة والاهمية لا بأس بها ولا سيما في الاعصار الغابرة جدا ثم صارت في القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام تابعة من حيث السياسة لمدينة (صور) ثم مدينة (صور) هذه وقد كانت هذه المدينة الاخيرة مدة حقبة مديدة من مدة تاريخ الفنيقيين حاضرة لدرجة الاعلوية القصوى على سائر مدن الفنيقيين التي كانت اول المدينة (صيدا) من قبلها ومدلول لفظ (صور) في اللغة الكنعانية (صخرة) ولم تزل تعرف بهذا الاسم عند العرب لغاية الآن وهي تنقسم عند علماء الجغرافية من اليونان والرومانيين الى مدينتين (احدهما) كائنة على جزيرة من الصخور صغيرة قريبة جدا من الارض القارة و (الثانية) على الساحل وقد كانت هذه المدينة الثانية موضوعة في المسكان الذي يعرف الآن باسم (رأس العين) وكانت تدعى في ذلك الزمان بالخصوص باسم (بالاتيروس) ومعناها مدينة (صور) القديمة

وفي ضواحي (صور) يلزم ان يكون منتهى الحدود الجنوبية للمملكة الصيداوية القديمة حسبما يفهم من الباب العاشر من سفر الخليفة من التوارفة في تلك الاوقات ثم امتدت حدود تلك المملكة بعد ذلك الى جهة الجنوب وذلك انه بوقت ان كان بنو اسرائيل قد اغاروا على الاقوام الكنعانيين المتوطنين ببلاد فلسطين وفتحوا بلادهم واستولوا عليها واغاروا ايضا القوم المعروفون باسم (الفلسطينيين) على سائر السواحل الجنوبية من ذلك القطر كانت المدن البحرية من ولاية (جاليلة) التي هي احدى الولايات الاربعة التي كانت تتركب منها بلاد (فلسطين) في ذلك العصر قد تعصبت للدفاع عن نفسها من غارة هؤلاء القوم الاجنبيين وبلغت امنيتهما من حفظ جنسيتها المالية السكعافية غير انها لم يكنها ان تستقر على هذه الحالة وحدها ولم يتيسر لها ان تبقى على حفظ نفسها من غاراتهم بمفردها فاضطرت بالطبيعة لان تلجأ الى الصيداويين وتبذل نفسها لهم اذ كان يمكنهم ان يحموها من غارات القوم المذكورين وبذلك عمارت تلك المدن الثغرية من ضمن المخالفة الفنية وقد كان ابعد تلك المدن البحرية الى جهة الجنوب واقصاها واكبرها ثروة واغناها هي المدينة التي كانت تدعى في ذلك العصر باسم (اكو) وتدعى عند اليونان في بعض الاحيان باسم (بطولوميس أو البطليموسية) ثم غلب عليها في الاعصار المتوسطة اسمها الاصلى مع بعض تحريف فيه باسم (عكا) هدا ما اردنا ايراده هنا بالاقتصار من جغرافية هذه الاقطار وقد ساغ لنا الآن ان نتكلم بوجه الاقتصار ايضا على الحوادث التاريخية التي وقعت بتلك البلاد في سالف الاعصار وهو اصل موضوع هذا الباب وذلك في ثلاثة فصول فنقول

الفصل الاول

في تاريخ عصر الصيداويين اعنى وقت ان كانت مدينة (صيدا) هي مقر ملكة الفينيقيين

مطلب — ذكر ميادى اخذ الصيداويين في الاشتغال بالسفر في البحر في سالف العصر — بينما كان جماعة من الكنعانيين قد توجهوا نحو ديار مصر وفتحوها في ذلك العصر وكان القوم المعروفون منهم باسم (الهيثيين) الذين كانوا هم اقواهم شوكة واشدهم صولة قد احدثوا لهم في تلك الديار دولة ووضعوا على سرير ملكة الغراعنة من رؤسائهم عائلة ملوكية اجنبية (وهي التي تعرف عند اهل التاريخ بدولة العرب أو عائلة الملوك الرعاة او دولة العمالقة بالديار المصرية) قد كان من بقى في مدينة صيدا من الكنعانيين وهم المعبر عنهم بالصيداويين يظهر انهم لم يكن لهم اطماع حربية

ولارغبة جهادية في الارض الفارة فلذلك انصرفت قوتهم واهمهم وتجردت نشاطهم وشهامتهم للتشبث بالاعمال البحرية حيث كانوا قد اسست وتوطنوا سواحلها ولا ندري هل ما وجد في الصيد او بين من هذا الاستعداد الغريب والتأهل العجيب للاشتغال بفن السفر في البحر والتجارة البحرية الذي تميزوا به ما عن غيرهم من سائر الاقوام الكنعانيين في ذلك العصر قد كان يظهر فيهم من اول الامر وهم في اوطانهم الاصلية منذ كانوا متوطنين على سواحل الخليج العارسي أم لم يظهر فيهم ذلك الامر الا من بعد ان هاجروا من تلك الاوطان وتوطنوا على سواحل البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) فقط وعلى كل حال من هذين الجانبين فمن المعلوم المحقق ان هذا الاستعداد كان من بعد ان تباينت هذه الاقطار الاخيرة قد نما وازداد مع غاية السرعة والازدياد وذلك انهم لما كانوا مقتصرين في ارض ضيقة جدا فيما بين الجبل والبحر كما فهم من سالف الذكر بحيث لا يكفي مقدار تلك الارض من طريق الزراعة لغذاء اهلها اذ طر الصيدا ويون باشد اللوازم الضرورية ويواضع غرائزهم الطبيعية لان يتخذوا لهم ما هو اشبه بواطن جديدة ويتشبثوا بوسائل معاش وثروة مفيدة فوق امواج البحار ولا سيما وقد كان اكثر الامم المتوطنين على سواحل بحر سفيد في تلك الاعصار لم يزالوا بعد باقين بحالة الاقوام المتوحشين ولم يكونوا يعرفون ولا يقدرين في ذلك العصر على اشياء قارب يمكنهم ان يذهبوا به الى ادى مسافة على امواج البحر وكان مثل المصريين مع كونهم قد كانوا في تلك الاحقاب الزمنية هم مركز اسبق الدائرة التمدنية ومحط اقصى الدرجة العمرانية لم يصلوا بعد من فن الملاحة اللهم الا للتجاسر على شيء يسير جدا من السفر على القرب من السواحل بدون ان يتباعدوا منها ولا يعضوا النظر عنها بحال الصيد او بين فانهم كانوا والحالة هذه اول من سافر في البحر وقد مكثوا مدة مديدة واعصارا عديدة من الدهر وهم وحدهم منفردون بفن الملاحة دون غيرهم من سائر سكان الدنيا بتمامها ولم يسبقهم احد في التجاسر على طول الاسفار واقحام اخطار الرياح العاصفة والزوابع الشديدة فوق اللجج والامواج المتسعة والاندفاع بغاية الجرأة الى ابعدها السواحل البحرية للشاسعة لجلبها امنها المعادن والاشباب النفيسة والمواد الاولية من سائر الاصناف التي كانت تلزم لاعمالهم الصناعية واقدمت اعصار عديدة وادوار مديدة من الزمان قبل ان تظهر امة اخرى تزاوجهم في هذا الميدان

وبالجملة فلم يكن البحر بالنسبة للصيداويين معدن ثروة وغنى لا ينفذ وميدان النشاط قوم أولى جراءة وصناعة واهال ذوى فطنة وبراعة لم يجدوا في حراثة ارضهم ما يقوم بضرورة معيشتهم فقط بل كان البحر ايضا ملجأ لهم يتهم ولا ملجأ لهم سواه ولم يكن لهم سبيل يوجهون اليه

الدرس الثام ٣٥٣ في التاريخ العام

اليه سائرة وتتم غير طريق التجارة البحرية وذلك انهم كانوا على الدوام والاستمرار تدفعهم غارات الاقوام المجاورين لهم الى السواحل البحرية وتقدفهم صولة الامم الاقوى شوكة منهم الى الجهات الثغرية (أولا) من ابناء جنسهم وهو القوم الهيشيون و (ثانيا) فيما بعد من ملوك دولتي وادي النيل ووادي الفرات العظيمتين اللتين كانتا فاعمتين في تلك الاوقات فلم يتيسر للصيداوين أن يتوسعوا الى داخل البر ولا ان يكون لهم منصب سياسي ولا مقام جهادي بين الامم السالفين ولم يقدر واحتي على أن يحفظوا حالة استقلال بانفسهم تامة لهم ولان أن يمتنعوا الايجالة استبداد بالنفس ضيقه تابعة للغير فاننا نراهم في أغلب أعصارهم التاريخية بالتبعية لدولة من تلك الدول الكبيرة القائمة في ذلك العصر وفي الواقع ونفس الامر اذا كانت اممة من الامم لا تجدي حراثة الارض التي هي قائمة عليها ما يقوم بضرورة غذائها ولا يتيسر لها ان تكون قوما فلاحين ولا جندا مجاهدين ولا ان تحفظ حالة استقلالها بالكلية من صولة الصائليين وكان فيهم مع ذلك تلك الشهامة الاهلية والنخوة العصبية المليية التي ينتج عنها عظام الامور فلا سبيل لها غير طريق واحد وهو ان تندفع في ميدان التجارة والسياحة في البحر لا غير واقد كان ذلك هو حال القوم الفنيقيين في ذلك العصر ولما لم يكن لهم سابقة تتقدمهم ولا خصم يراهم في ذلك الامر الذي كانوا قد اندفعوا فيه بضرورة الحال لزم بالضرورة ان يمتنعوا فيه ويستقيموا عليه و يختصوا منه بجزية الاحتكار مدة احقاب مديدة من الاعصار

مطلب — ذكر اسثيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية — لم يعلم لغاية الآن الوقت الذي فيه قد كان اول تشبث الصيداوين بالاخذ في مبادئ الاسفار البحرية والنجاح في الاعمال التجارية فانه لم يعثر لغاية يومنا هذا في الآثار القديمة التي حصل العثور عليها فيما يتعلق ببلاد الشام وقدماء سكانها السالفين ما يدل على شيء من ذلك ولا نظن انه يحصل العثور على شيء من هذا القبيل في المستقبل ومن ثم فهم ان تلك الحادثة قد كانت في اعصار سابقة على تلك الآثار التي حصل عليها العثور لغاية الآن ولم يوجد أي شئ مما يستدل به على تاريخ الحادثة المذكورة في الروايات الاهلية والحكايات المليية المأثورة عن القوم الفنيقيين أنفسهم فيما حكاه عنهم مؤرخو السلف ونقلوه اليها على وجه ضعيف وانما من الثابت المحقق ان الصيداوين قد كانوا أمة بحارة وقوما في فن السفر على البحر أولى جراءة وجسارة وملة ذات تجارة عظيمة و ثروة جسيمة في وقت ان كان المصريون قد استيقظوا من غفلتهم الاهلية وقاموا بصيتهم المليية و طردوا من بلادهم طائفة ملوك العرب الرعاة وعادوا لاخذ بشارهم من هؤلاء الامم الاجانب بعد ان كانوا قد استعبدوهم

الدرس الثام ٣٥٤ في التاريخ العام

مدة اعصار مديدة قاستولوهم كذلك على سائر بلاد اسيا السالدة وقد ذكرنا فيما سلف في ضمن الباب الثاني المعد للبحث عن تاريخ المصريين والعراعنة السالدين انه قد كان من امر العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة ان فراعنة مصر كانوا قد استولوا على جميع بلاد الشام ومن ذلك الوقت كان الصيداد يون كغيرهم من سائر الامم والاقوام الذين هم لهم مجاورون قد صاروا تحت يد الدولة المصرية واقامت الدولة الفرعونية واضعة اليد عليهم بدون انقطاع مدة اقامة العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين اعني من ابتداء النصف

الثاني من القرن السابع عشر لغاية القرن الثامن عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب — ذكر حادثة توسع الصيد او يمين في الاسفار البحرية — ومن المعلوم من وجه ان مثل الصيد او يمين المذكورين الذين هم قوم تجار يلزم لهم بالضرورة ان يكونوا تابعين لسلطنة كبيرة ليكفونواهم سماسرتها المقدمون على غيرهم ومن وجه آخر قد كان المصريون لداعي ما كان متسلنا عليهم من الاوهام الدينية ينفرون من الاسفار البحرية فلذلك كان لاسبيل للفراعنة في الحصول على انشاء اسطول لهم غير ان يستعينوا بالقوم الفنيقيين وقد كان الفراعنة المصريون بالضرورة يكافئونهم على هذه الخدمة بأن يخجوهم بأعظم المزايا التجارية ولذلك اتفقت كلمة المؤرخين من السلف السابقين على ان قالوا ان اعلى درجة بلغت اسعة الاسفار البحرية وتأسيس المناقد التجارية في الجهات النغرية من اكثر الاقطار لمدينة صيدا في تلك الاعصار قد كان بمدة عهد استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية (اعني فيما بين القرن السابع عشر فنازلا لغاية القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام) وقد كان جل حركة اسفارهم على البحر واصل نقطة نائرة تجارهم بذلك العصر في النواحي الشرقية من البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) اذ لم يكن قد حدث في تلك الاقطار لغاية تلك الاعصار سفن بحرية اهلية تراجمهم ولا مال بحارة تخصهم وفي جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وفي البحر الاسود

مطلب — ذكر سفن الصيد او يمين في بحار اليونان بتلك الازمان — وفي تلك المدة المنقضية فيما بين القرن السابع عشر فنازلا لغاية القرن الخامس عشر ق م المذكورة اعلاه كان الصيد او يمين قواسموا مدينة (شيتي) (المعروفة ايضا باسم لارناكه) بجزيرة (قبرص) ومدينة (ايطانوس) بجزيرة (كريد) وانشأوا على سواحل بلاد (سيليسيا) (وهي مايعبر عنه الآن بجموع ولايتي سيلفته وادند) عدة نزلات استعمارية اضطر اهلها الاصليون فيما بعد للهجرة منها الى الجبال الداخلية وصاروا هم اصل القوم المعروفين عند الامم السالفين بالقوم (السوليميين) وقد كانت سفن الصيد او يمين هي التي تخترق في ذلك الزمان سائر بحار بلاد اليونان وقد كان لهم اليد عليها الا يشار كهم فيها احد غيرهم وكانوا

الدرس الثامن ٣٥٥ في التاريخ العام

يفدون الى تلك البلدان ليأخذوا منها حواصلها البليدية ويعطوا للاهالي البيلاجية بمعنى اليونانية حواصل الصنائع الآسية والديار المصرية اذ كان اليونان لغاية تلك الازمان لا يعرفون بانفسهم شيئا مما يضاهاى تلك الحواصل الصناعية ولداعى ما كان يوجد على سواحل الارض القارية ببلاد اليونان وبلاد آسيا الصغرى في تلك الاعصار من كثرة الاهالي والسكان وما كان يوجد فيهم من الغيرة على حفظ حرمتهم وبقائهم على حالة استقلالهم بانفسهم كانوا لا يأذنون لاحد من الامم الاغراب ان يحدثوا في بلادهم نزائل كبيرة بحيث تشبه النزائل الاستعمارية الحادثة من اهالي الاوطان الاجنبية فلذلك لم يتيسر للصيداويين ان يحدثوا لانفسهم نزائل استعمارية بتلك البلدان بل كانوا يفدون عليها فقط بوظيفة اغراب لقصد التجارة فيها لاغنيير وغاية ما هنالك انه ربما كان لهم فيها مجرد بعض اماكن عمالات تجارية من قبيل ما يعبر عنه الآن باسم (الفكتوريات بمعنى اقليم العملاء التجارية ببلاد الهند) واما في اراضي الجزائر اليونانية فقد كان للصيداويين اماكن تجارية ومواطن ملكية من نوع اخر ومحطات بحرية دائمة مستقرة ومراسي ثغرية قائمة بذاتها مستقرة على سند الملكية الحقيقية نلتجئ اليها سفنهم التجارية ومن اعظم ما كان لهم من هذا القبيل في جنوب بحر الارخبيل وهو بحر جزائر الروم المذكور انعاما كان يوجد بجزيرة (رودس) وجزيرة (طيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سنتورين) وجزيرة (سيتيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سيريجو) من الاماكن التجارية والمواطن البحرية العظيمة التي كانت من الامور الضرورية لفلاح الاعمال التجارية والاشغال البحرية العنيفة وحيث كان يوجد على البعد من تلك الاماكن الجزائرية الى جهة الشمال وعلى القرب من سواحل اقليم (طراقة) وهو ولاية الروم على الآن معادن ذهب يتحصل منها حواصل وافرة جدا كان قد انجذب الصيداويون في تلك الاعصار ايضا الى جزيرة (طاشوش) وهى ما يعرف الآن في لسان ارباب دولة بنى عثمان باسم (ولاية الجزائر) الكائنة على سواحل اقليم الروم المذكور اعلاه وكانوا قد استولوا على ارض الجزيرة المذكورة وعملوا فيها الاستخراج تلك المعادن الكثيرة اعمالا جسيمة جدا بقيت اثارها بعد ذلك باكثر من عشرة قرون من الزمن الى العصر الذى كان قد وجد فيه المؤرخ اليونانى المشهور باسم (هيرودوت) وقد وصفها بتلك الاحقاب في كتاب تاريخه الشهير مع غاية الاستغراب والاستعجاب ومن ثم كانت نسافر سفنهم التجارية الى السواحل الغربية من تلك الجزيرة فتشترى من سكان تلك الاقطار ما كانوا يلتقطونه من الذهب المستخرج من العروق الذهبية التي كانوا قد فتحوها بحث التجار الصيداويين المذكورين لهم في ذات الصخر من جبل (بنجوس) الكائن فيما بين اقليمي (مقبدونيا) و (طراقة) وهو

الدرس التام ٣٥٦ في التاريخ العام

المعروف الآن بجبل (كاستانيا تاز) السكان باقليم (طراقة) المذكور
مطلب — ذكر تجارة الصيد او بين تولايه ببحر بنطش او بنتسكان (وهو
المعروف بالبحر الاسود الآن) — ولم يكن اخر الشطحات النجارية والاسفار الصيد اوية
البحرية في تلك الاقطار ينتهي في تلك الاعصار الى جزيرة (طاشوش) المذكورة فقط بل
كانت بحارتهم بعد ان يقفوا بتلك الجزيرة يأخذوا منها ما يلزم لهم من الازواد والزخائر اللازمة
يخرجون منها ويسافرون الى جهة الشمال فيمملون تجار يد تجارية كانت هي اكثر من ذلك
ارباها وفائدة فيعبرون كلامن بوغاز (هيليسبون) وهو بوغاز الدردانيل او بوغاز (شفق
قباة) الآن و بوغاز (اليوسفور) او بوغاز اسلامبول الآن) ويدخلون في بحر (بنطش
او بنتسكان) وهو المعروف بالبحر الاسود الآن) وكان غيرهم من الامم الاقل جرأة
منهم يبتوهمون ان ما هو ككاش في مدخل بوغاز (البوسفور) هذا من الجزائر
الصخرية من خواصها انها تتباعد بعضها عن بعض ثم تنطبق على ما يمر بينهما من السفن
و يتخيلون انها مستحضرة لآن تلك كل من تجار على العبور فيما بينهما فم يكن يتجاسر احد
غيرهم من الامم السالفين على المرور منها واما الصور يون فبواسطة زوارقها التجارية
وان كانت غير متقنة الصناعة بعد في ذلك العصر كانوا قد تجاسروا على اقتحام اخطار زوابع
البحر الاحمر وان كانت لم تزل خطيرة في كل زمان حتى على السفن الاوربية التي تسافر
فيه لغاية الآن وكانوا يطوفون على السواحل البحرية الشمالية من بلاد (آسيا الصغرى)
وان كانت سكانها لا يكرمون الاغراب و ليس فيها مأوى مأمون للسفن فيلتنقظون وهم
سائرون كل ما عثر و اعليه و يجمعون وهم يارون كل ما وجدوه من اعظم الحواصل
الاصيلة التي تخرج بتلك الاقطار حتى ينتهوا الى سواحل اقليم (كولشيد) (وهي ما يعرف
الآن بمجموع بلاد) ايمير يسيا و منجر بلبا) وكانوا يجذبون اليها بما يوجد فيها من المعادن
التي توجد في الاقليم المذكور وهي التي قد تلح اليها في الخرافات اليونانية بما يدكر في
حكاياتهم العامية بما معناه (جزرة الذهب) وذلك ان سفن الصيد او بين كانت ترحل الى
تلك النواحي فتحمل منها من انفس انواع المعادن الثمينة والجواهر النفيسة ما لا يحصى ولا
يحصر وهذا والذي كان قد جذبهم لاقحام اخطار تلك الاسفار البعيدة و وجه قلوبهم
لركوب تلك البحار الخطرة الشديدة وكانوا يجلبون من تلك الاقطار الذهب الذي كان
(الكولشيديون) يستخرجونه بانفسهم من ذات مياه انهارهم مع ما كانت القوافل تجلبه
من ذلك ايضا من جبال (اورال) و بلاد (الارميين) (وهم قوم كان اليونان
يتصورونهم ببلاد اسيا لهم عين واحدة كائنة في وسط رؤسهم و يتخيلون انهم يختطفون
الذهب من الطير الموهوم المسمى بالعنقا على نهز كانوا يدعونه باسم (ارميسبيوس) وكان

الصيдаويون يجلبون من تلك الاقطار ايضا القصدير اذ كانوا يحتاجون اليه حاجة ضرورية في اصطناع التوج وهو مخلوط المعادن الثلاثة وهي النحاس والتوتيا والقصدير وكان القوم (الايبيريون والالبانيون) يستخرجونه من جبال (قوفازة) في تلك الاعصار ويجلبون منها ايضا الرصاص والفضة وقد كانوا يوجدان مخلوطين ببعض الجهات من ذلك القطر ويأتون ايضا منها بالمعادن المصنوعة التي كان القوم المعروفون باسم (الشاليبيين) يعملونها في جبالهم وكانوا قد اشتروا بها في جميع الاقطار بتلك الاعصار ويجلبون ايضا التوج المتقن الصنعة من اعني ما يكون والحديد المصنفي في هيئة قضبان ولا سيما حديد الصلب الذي لم يكن يمكن لامة من الامم غيرهم في ذلك العصر ان يصطنعوه وقد كان نخسته وعوه هوؤلاء الذين كانوا اقواما بدويين وانما يكادون ان يكونوا متوحشين في فن صناعة المعادن يصطنعونه ويتقنونها فنذا حقا بغمابة لا يعلم لها اول من الدهر

وقد كان تجار مدينة صيدا في عين ذلك المعدر يترددون ايضا على سواحل بلاد (الايبير) وهي بلاد الارنوط الجنوبية التابعة لمملكة اليونان الآن وعلى جنوب بلاد ايطاليا وجزيرة (صقلية) غير ان الظاهر انهم لم يكونوا قد اتخذوا لهم مواطن ثابتة ولما كن تجارية في تلك الجهات متمكنة

مطلب — ذكر تجارة الصيदाويين ببلاد افريقية — ولم يكن الصيदाويون يقتصرون اكثر متاجرهم البحرية ويقتصرون في اكثر شطحاتهم السفرية على النواحي الشرقية من البحر الابيض المتوسط وبحار بلاد اليونان وبلاد ينكسان فقط بل كانت الديار المصرية ايضا من اروج الاسواق الاصلية لطائفة التجار الفنيقية وكان مقدار وافر من تجار تلك البلدة البحرية يقيمون في مدن النواحي السفلى من الديار المصرية المبر عنها في ذلك العصر باسم (الديلتة) وفي مدينة (منفا ومنفيس) وكان لهم فيها خطة مخصوصة (كما قد كان للتجار الاوروبيين فيهما في كل زمان) وكانت سفن التجار الصيदाويين ومن تبعهم من اهالي المدن التي كانت لها بالتبعية ايضا تسافر على القرب من سواحل بلاد افريقية فيما وراء وادي النيل لغاية البلاد التي كانت تعرف عند قدماء الرومان بين باقليم (زوجيتان) وهي البلاد التي حدثت على مكانها فيما بعد ذلك من الزمان مدينة (قرطاجه) (مدينة تونس الآن) وكان الصيदाويون قد اسسوا في تلك الاماكن لداعي تردهم عليها في ذلك الزمان مدينتين قديمتين لقصد ان تكونا بضائهم مخازن تجارية تسمى (احداهما) باسم (كبه) (بفتح الكاف في اوله) وكان موقعها على المكان الذي حدثت فيه (قرطاجه) فيما بعد (الثانية) باسم (هبيون) ومعنى هذا اللفظ في اللغة الفنيقية المكان المحاط بالاسوار

مطلب — ذكر سفر الصيदाويين في البحر الاحمر — وقد كان اهل

صيدا ايضا هم الذين يركبون السفن الحربية التي كانت تنقل الجنود المصرية الى اقاليم بلاد العرب الجنوبية لتدخل اهلها او تمسكهم في طاعة السلطنة القرعونية وقد كانت تلك الاقطار من منذ تلك الاعصار هي محط رحال سائر الحواصل الصناعية والزراعية النفيسة التي تخرج ببلاد الهند من المعادن والجواهر والاشباب الثمينة والاعطار وروسن الفيل وغير ذلك وبهذه الوسيلة كانت السفن التجارية الفنيقية تتردد فيما بين الثغور المصرية وتلك الاقطار العربية التي هي كذلك اقطار ذات حظوة طبيعية يخرج بها النبات الطيب الرائحة المعروف بالحصل البان وينبت فيها الآس ومن ثم كان فتح البحر الاحمر واختكار تجارته في يد الصيداء و بين بالخصوص هو اعظم المزايا التي كانوا يختصون بها في نظير دخولهم تحت طاعة الفرعنة السالفين

مطلب — ذكر اسباب انحطاط دوجة فن البحرية عند الصيداء و بين — على نحو وسط القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد حصل تغييرا حوال عظيم في سائر الاقطار الكائنة في حوض البحر الابيض المتوسط في تلك الاعصار فكانت الاقوام البيلاجيون الذين هم من ابناء يافث (وهم اليونان او الهيلينيون) قد احدثوا لهم بحرية صارت في مدة قريية الى حالة هائلة بحيث يخفى منها على السلطنة المصرية وكان الاقوام الليبيون اليافثيون (وهم اهل الجبال الليبية المعروفة بجبال برقة الآز) قد اتوا من طريق البحر واستوطنوا على نواحي افريقية الشمالية مع الاقوام الهيلاجيين الوافدين من اهل جزائر الارخبيل اليونانية وبلاد اليونان الاصاية و بلاد ايطالية و الفلستينيين الخارجين من جزيرة (كريد) و اهل جزيرة (صقلية) و جزيرة (سردينيا) و عقد جميعهم عقد محالفة كانت بالاصالة محالفة بجزيرة اعنى انهم اجتمعوا بعضهم مع بعض على ان يكونوا على يد واحدة بحيث يتعاونون على السفر في البحر و صار لهم بذلك مدة قرنين او ثلاثة فرون من الدهر الدرجة العليا و اليد القصوى على سائر الاقطار الكائنة في الجهة الشرقية من البحر الابيض المتوسط ولا شك ان مثل الحادثة المذكورة لا يمكن بالضرورة ان تتم على تلك البحار مع كون سفن الصيداء و بين كانت قد تسلطت عليها و اختصت باحتكار التجارة فيها دون غيرها للغاية تلك الاعصار بدون ان يحصل لشوكتها البحرية وقوتها التجارية مقدار عظيم جدا من الانهضام و الانكسار و قد كان ذلك هو اصل مبادئ اضمحلال تلك المدينة الفنيقية العظيمة و اول علامات زوال صلوة تلك الحاضرة الصيداء وية الجسيمة وذلك ان الصيداء و بين قد صار لهم منذ ذلك العصر في مادة السفر و التجارة في البحر اخصام من اجون و اقوام يعملون في البحر مثلهم وهم لهم مقارمون ولا شك في انهم كانوا قد توجهوا الى تلك الوجهة اقتداء بهم و اتحلوا تلك الحرفة تبعالهم و صاروا معهم في طريق كان الصيداء و بين من قبلهم قد صاروا فيها

الدرس الثام ٣٥٩ في التاريخ العام

وحددهم ولم يكن الاقوام الملاحون المستجدون هم اخصامنا من احين للبحارة الصيد او يس فقط بل كانوا هم اعداءهم الطبيعيين حيث كان هؤلاء الاقوام العاملون في البحر معهم لا يمكنهم ان يقتصر واعلى ان يراحوهم في واد معاشهم فقط بل لزمهم بالضرورة ان يكونوا معهم في حرب مستمرة على الدوام ويجهدوا كل الاجتهاد في ان يسدوا عليهم من البحر سائر الطرق التي كانوا يترددون عليها بفردهم قبل ذلك العصر ومن ثم كانت قد درست صناعة الصيال البحرية سائر بحار بلاد اليونان وصار السفر فيها غير مضمون الامان وسقطت سائر الاماكن البحرية والمواطن التجارية واحدة بعد واحدة بقوة صولة سكان الجزائر اليونانية البلديين وتعدى السفن القرصان على الاماكن التجارية الصغيرة التي كانت للصيدا وبين فيها من الاقوام البيلاچيين وامامها كان للصيدا وبين في تلك الاقطار من العمائر التجارية والنزائل البحرية الكبيرة كالتي كانت لهم بالنواحي المسماة باسم (طبره) و (ميلوس) و (طاشوش) فانها الداعي عظمها ولكونها كانت يتيسر لها ان تدفع عن نفسها صولة الاقوام الصائدين قدامكنها ان تبقى على حالها دون غيرها مدة مديدة من الزمان

مطلب — ذكر غارة الاسرائيليين على بلاد فلسطين — وبعده هذه الحادثة بقليل كانت قد حدثت حادثة اخرى من تلك الحوادث الزمنية الكبيرة التي توقع الامم بعضهم على بعض وتوجب مهاجرتهم من ارض الى ارض فاخرجت الكنعانيين الفلاحين المتوطنين في بلاد فلسطين من ديارهم وغيرت الاحوال السياسية من تلك البلاد بالكلية وهي حادثة غارة بنى اسرائيل على تلك الارض تحت قيادة النبي يوشع عليه السلام ولم تكن تلك الغارة قد توجهت على ذات الصيدا وبين بطريق المباشرة فان يوشع عليه السلام يظهر انه كان قد حرص على ان لا يخاصم اهل صيدا بالخصوص بل كان قد وقف بجنوده من بنى اسرائيل الذين كان قد استصحبهم لتبابعة عصابة الملوك المتعصبين عليهم مع الملك (هاصور) عند حدود بلادهم كما هو في التوراة المذكور وانكنهم مع ذلك كان قد لحقهم بالضرورة شؤون عواقب الحادثة المذكورة وبيان ذلك انه كان قد ترتب على غارة بنى اسرائيل ببلاد فلسطين في ذلك العصر ان انقرضت دولة الكنعانيين في احدى وثلاثين امانة صغيرة كانت موجودة لهم في ذلك القطر واضطر سائر اهلها للهجرة من اوطانهم وانتقلوا الى جهة السواحل البحرية امام غارة بنى اسرائيل عليهم ولم يكن لهم ملجأ يأوون اليه ولا حصى يستندون عليه في فرارهم هذا سوى ارض ملكة صيدا المذكورة ولم يكونوا يجندون فيها ما يكفي مؤتمتهم الضرورية ولذلك اضطر والالاتقال منها الى بلاد اخرى يجندون فيها ما يلزم راحتهم وسعادتهم بواسطة الاشتغال بزراعة الارض فيها ولقد كان ذلك هو الباعث على ان الفنيقيين كانوا قد اضطرروا بضرورة مقتضيات الاحوال الراهنة وبواعث الضرورة المتساطنة على ان

الدرس التام ٣٦٠ في التاريخ العام

احد ثوالهم ما يطلق عليه على وجه الحقيقة لا المجاز لفظ النزائل الحقيقية اعني تلك التوطنات الفلاحية بمعنى انهم كانوا قد انتقلوا الى بعض بلاد اجنبية واستولوا على سائر ارضها واجلوا منها اهلها البلديين واشتغلوا بزراعتها بدلا عنهم في كل مكان حلوا فيه وذلك بخلاف النزلات التجارية التي قد كان من عوايد الفنيقيين اربح ثوالها على سواحل البحر

مطلب — ذكر نزلة الفنيقيين في ذلك الزمان بناحية (طيبة) من بلاد اليونان وقد كان اول نزلاتهم الحقيقية في ذلك الزمان بناحية (طيبة) باقليم (بيوتيا) من بلاد اليونان فقد ذكر في الحزافات اليونانية على حسب ما يحكى في القمص العامية الهيلينية ان اول مؤسس لتلك البلدة هو بطل كان يدعى باسم (قدموس) واصل مدلول هذا اللفظ في اللغة السامية القديمة بمعنى (المشرفي) ولم يزل يتصور فيه باذهان اهالي بلاد اليونان على الدوام والاسرار لغاية الان مسورة اصل الملاححة البحرية التي كانت للقوم الفنيقيين في عصر الصيد او بين قالوا وقد كان هذا الرجل لم يخرج في اول الامر عند تروله مع اصحابه من الفنيقيين على البر من بلاد اليونان بل كان قد تلقاه سكان تلك البلدان بغاية العداوة والشنآن وكانوا قوماعديدين وخصاما للآجماهدين فحصل له في سفره هذا مشقات عديدة ولقى اخطارا شديدة ثم انتهى امره بان مهدها واطفأ نارها وارقدتها واستولى على تلك الناحية وزل فيها واستعمرها

مطلب — ذكر النزلات الفنيقية ببلاد افريقية — وقد كانت النزلة الفنيقية الثانية اكثر عددا واعظم قوة ومددا وكان حالها بخلاف ما ذكرناه بشأن النزلة اليونانية المذكورة سالفها وكان نزولها بارض افريقية ودليل ذلك ان اهالي الاقليمين المعروفين عند السلف باقليم (البيزاسين) و(الزوجيتان) وهما القطران اللذان كانا يتركب منهما في سالف الازمان ما يعرف باسم (افريقية) الحقيقية وهي الارض التي تأسست فيها فيما بعد مدينة (قرطاجة) المشهورة وهي التي في مكانها اولاية تونس الآن لم يزلوا يعتخرون بانهم من ذراري السكنايين الذين كانوا قد نزلوا ببلاد فلسطين الجنو بية ثم هاجروا من تلك الديار وانتقلوا الى بلاد افريقية بضرورة غارة بني اسرائيل عليهم في سالف تلك الاعصار ولم يتيسر لاهل التاريخ العثور على سند قوى يعارضون به قوة اعتمادية هذه الرواية الاهلية قال المؤرخ قرانيسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه ما معناه وانه ليرجح عندي ان الصيد او بين في الواقع ونفس الامر كانوا قد اضطروا لضرورة اقتضاء الاحوال في ذلك العصر لان نزول القوم الفنيقيين المتجشيين اليهم في ذلك القطر حيث كانت قد ضاقت ارض بلادهم الشامية عليهم لاسيما وقد

كانوا هم ذاتهم قد أنشأوا بلادا فر يقية هذه من قبل كلاً من مدينني (هيپون) و (كبه) كما أوضحنا ذلك في سالف الذكر (٥١)

مطلب — ذكر الاقوام الليبيين الفنيقيين — وقد كان هؤلاء الاقوام الكنعانيون الفلاحون وهم غير القوم الفنيقيين الذين كانوا منهم كمين في الاكثر على صناعة التجارة والسفر في البحر بذلك العصر قد امتزجوا في تلك البلاد التي كانوا قد نزولوا بها واستولوا عليها مع بعض قبائل من الليبيين الياقينيين كانوا قد وردوا الى ذلك القطر من الاقطار المجاورة لبحيرة (تريتون) وهي البحيرة الكائنة في جنوب افر يقية الحقيقية، تعرف الآن ببحيرة (فارون) (بالقاء الموحدة في اوله) او بحيرة (لودقه) ومن اختلاط هذين الجنس من الناس تولدت تلك الامة الفلاحة الحربية الكبيرة المعروفة عند السلف باسم (الليبيين الفنيقيين) (بمعنى اهل جبال برقة المختلطين بالسكانانيين) وهم الذين كان منهم معظم القوة الجهادية التي امتازت بها فيما بعد ذلك مدينة (قرطاجة) الشهيرة وقد كانوا امة مختلطة وملة متمزجة من القومين المذكورين غير ان تقاطيع وجوههم كانت اقرب الى الليبيين من الفنيقيين واسكنهم كانوا بطباع الكنعانيين متطبعين ولذهب ديانتهم متبعين وكانوا لغاية العهد الذي كان فيه الحبر النصراني المشهور باسم (سنهوجستان) ولي امر الكنيسة النصرانية بمدينة (هيپون) هم بغير اللغة الفنيقية لا يتكلمون وكانت تلك الامة قد فلتحت ونجحت وارتقت حالها واصلحت على تلك الارض الخصبة التي كانت قد اقامت عليها وتربت فيها الى درجة قوية جدا حتى بلغ من شأنها انها بعد ان خرج منها جوع كثيرة نزولوا بعدة اقطار من بلاد (اسبانيا) وهي المعروفة عند العرب بجزيرة (الاندلس) والى بعض سواحل بلاد (الموريتانيا) وهي بلاد المغرب الاقصى) مع سواحل غربي بلاد افر يقية لغاية رأس (نون) وانشأوا في جميع تلك الاماكن البحرية عدة نزلات استعمارية كان لهم اكثر من ثلاثمائة مدينة عامرة وحاضرة كثيرة الاهل من هرة على الارض الضيقة التي كان يتركب منها كل من اقليم (البيزاسين والزوجيتان) اللذين كان فيهما ساكنهم لغاية العهد الذي قد سكن فيه انعقاد الخضم بين مدينة (رومية) و (قرطاجة) كما يأتي ذكر ذلك في موضعه فيما بعد ان شاء الله تعالى

مطلب — ذكر غارة الفلسطينيين وخراب مدينة صيدا (في سنة ١٢٠٩ م) — وقد اعقب غارة بني اسرائيل على بلاد فلسطين في عهد قريب جدا غارة قوم آخرين يعرفون بالقوم (الفلسطينيين) وهم قوم كانوا قد خرجوا بطريق البحر من جزيرة (كريد) في العصر الذي كان فيه فرعون رمسيس الثالث مستوليا على ديار مصر وكان اول نزولهم على السواحل الشامية حول نواحي (غزة) و (اسدود) و (عسقلان) و (غاطه)

و(اكارون) ولاشك في انهم كانوا قد هاجروا الى اقوام آخرون فيما بعد ذلك من جزيرة (كريد) المذكورة ايضا فكثر بهم عدتهم وعظمت قوتهم بوصولهم في اسرع وقت وانتزوا الفرصة في ذلك الوقت من حادثة انحطاط الدولة المصرية في عهد الملوك الكسالى من ملوك العائلة الملوكية المتممة للعشرين وبعدهم مدة نحو مائة سنة من ههدنرولهم على البركانت قد اشددت قوتهم وامددت شوكتهم حتى تعاقبت اطماعهم بان يستولوا على سائر بلاد (سورية) الجنوبية وتجاروا على ان شنوا الغارة على بني اسرائيل واهل صيدا معا حيث ارادوا ان يدخلوا كلامن القومين المذكورين تحت طاعتهم فاغاروا عليهم في آن واحد ووقعت لهم مهمات عدة وقائع جريية كان لهم فيها عليهم اهداة نصرات ظاهرة وبذلك استولوا في اقرب مدة من الزمن على سائر بلاد بني اسرائيل وأذاقوهم اشد الجور والظلم مدة اكثر من نصف قرن وعلى نحو اول العهد الذي كان قد ابتدئ فيه عهد هذا الظلم من القوم الفلسطينيين على بلاد فلسطين اذ قبله بيهض سنين اعني في سنة ١٢٠٩ قبل ميلاد المسيح عليه السلام بيقين كان قد قام من مدينة (عسقلان) اسطول من سفن القوم الفلسطينيين المذكورين ووقف على حين فجأة امام مدينة (صيدا) واهلها في غفلة آمنون ولم يكونوا قد اذوا واحذرهم من قبل فتحصنوا دون هؤلاء القوم الصائين فنزلت السفن الفلسطينية على مدينة (صيدا) الفنيقية العظيمة هذه التي كانت هي بنت كنعان البكرية واخذوها بالقوة القهرية واخربوها وازالوها من ظهر الدنيا بالكلية وقد كانت هذه الحادثة هي خاتمة هذا العصر الاول من تاريخ بلاد الفنيقية وهو المعبر عنه عند المؤرخين بعصر الصيدانين اي وقت ان كانت مملكة (صيدا) هي من كز قوة الفنيقيين

الفصل الثاني

في تاريخ عصر الصورين اي وقت ان كانت مدينة صور هي من كز قوة الفنيقيين

مطلب — ذكر مبادئ اخذ مدينة صور في حيازة درجة الاعلوية على سائر المدن الفنيقية (من سنة ١٢٠٩ الى سنة ١١٥٨ ق م) — وقد كانت جوع الاقوام المهاجرين من اهل مدينة (صيدا) قد اجتمعوا في مدينة صور حول هيكل المعبود الاصلي الذي كان لا يقوم الفنيقيين في ذلك العصر وهو المدعو باسم (مبلكار) والتجشوا اليه واحتموا ابعدها من صولة الاقوام الاغراب الصائين عليهم في ذلك القطر وكانت مدينة صور اغاية ذلك الوقت من المدن ذات الدرجة الثانية في جملة المدن الفنيقية وبواسطة هذه الحادثة تحولت طاها وتغيرت صدها وارتقت حالتها دفعة واحدة وبلغ مقدار سكانها الى اكثر من اضعاف ما كانوا عليه من نين وصارت هي الكرسي الاصلي والمركز السياسي.

لسائر المدن الفنيقية بعد ان كانت لهم هي المركز الديني فقط وخلفت مدينة (صيدا) في كل ما كانت عليه من السعادة والرفاهية ودرجة الاعلوية

و بوقوع حوادث (سنة ١٢٠٩ ق م) هذه حدث في تاريخ بلاد الفنيقية عهد جديد وهو عصر اعلوية الصوريين على غيرهم من سائر الفنيقيين وقدمت ذلك العهد مدة خمسة قرون ومن اول العصر المذكور فقط كانت قد تـكونت الامة الفنيقية الحقيقية واما قبل ذلك فلم يكن الفنيقيون الا عبارة عن القوم الصيداويين لا غير و بيان ذلك ان الكنعانيين مهاجرتهم الى بلاد سورية في سالف الازمان كانوا قدماء و امدة مديدة وهم المستولون على اكثر تلك الميلاذ حتى جاء القرن الرابع عشر قبل الميلاد وفي اثنائها هذا القرن وفي القرن الثالث عشر الذي يليه كانوا قد احاط بهم ونزل عليهم من كل جانب جموع من الاعداء استلبوا منهم اكثر اراضيهم واغتصبوا منهم ما اغلب تلك الاماكن التي كانوا قد استوطنوا فيها واستولوا عليها وانتهى حال تلك المصائب العظيمة والنكبات الجسيمة الى ان اتعظ منها بعض القبائل الكنعانيين اني كانت قد بقيت في شمالي بلاد فلسطين واستيقظوا الى ان فهمم وانهم اذ باقوا على حالة تفرق الكرامة وعدم تعاون بعضهم ببعض صاروا غنيمة باردة محقة لاصولة الصائمين واقمة حاضرة مأمونة موثقة لا كل الاكابر من الاغراب وانهم لا سبيل لحفظ حياتهم الخاصة بهم ولا لبقاء مادتهم واستبدادهم الذاتي لهم غير ان يجتمعوا على قلب رجل واحد ويلتئموا في هيئة جسم متحد بواسطة توثيق روابط سياسية شديدة فيما بينهم ولذلك اتحد بعضهم مع بعض وتعاقدا على ان يكونوا ايدا واحدة على سائر اعدائهم الاجنبيين ومن ثم حدثت امة الفنيقيين المشهورين في عداد الامم الاقدمين

مطلب — ذكر كيف كانت حادثة المحالفة الفنيقية — وذلك ان جميع المدن ذات الدرجة الاولى من بلاد الفنيقيين كدينة (سجيرة) ومدينة (الجبيل) و (بيروت) و (صيدا) اذ كانت هذه المدينة الاخيرة قد رجعت للحجارة بالثاني بعد الخراب الاول كلها كانت قد اجتمعت وتعاهدت والتئمت وتعاقدت على ان تكون كلها في هيئة اجتماعية متحدة مع بقاء كل واحدة منها على حالة الاستقلالية المحلية التامة وهيئة ولاية امورها السابقة الغامة اعني انهم اشترطوا ان تبقى مع ذلك كل مدينة منها تحت ولاية ملوكها السابقين كما كانت عليه قبل ان تدخل في عصبة القوم الفنيقيين المتحالفين وقد كان نوع ولايتهم في كل مدينة منها من قبيل الدولة الملوكية المماثلة به قد يجالس جمعيات شورى عومية تجتمع من اعضاء يؤخذون من اكثر الاهالي ثروة واما والا وباستشارة بعض اناس مخصوصين من آحاد طائفة امناء الدين والقضاة ذوي الجاه ونفوذا الكلمة بين الناس وكان هؤلاء المستشارون يمشون في مواكب الاجتماعات العمومية بمساواة ذات الملك وهم الذين يستشيرهم في بعض من يلزم بعثه من

السفراء والنواب الذين ينوبون عن المملكة في مجلس الشورى العمومية بمدينة صور حيث كان فيهم من كرام الملة الفنيقية

ومع ذلك فقد كان ملوك سائر المدن الفنيقية كأهم تحت طاعة ملك (صور) وهو الذي كان له اليد العليا عليهم وكلهم له بالتبعية وكان هو الرئيس الفريد والمولى الحقيقي الوحيد على سائر الملة الفنيقية ولذلك كان دون غيره هو الذي يتلقب بعنوان (ملك الصيداويين) وكان معقضى تقاليد هذه الوظيفة الولائية العليا واتصافه بهذه الصفة السياسية القسوى هو الذي يأمر وينهى ويقضى في سائر الأمور المتعلقة بصحة الفنيقيين العامة ويقطع في كل ما يتعلق بواجباتهم ونزائهم الاستعمارية الكائنة في جميع الاقطار الدنيوية ويعقد العهديات مع الملل الاجنبية ويتصرف في سائر القوى البحرية والعسكرية التي كانت موجودة لامة الفنيقية في تلك الحقبة العصرية وغاية ما هناك انه كان يستشير في ذلك مجلس شورى نواب سائر المدن الاخرى فقط

مطلب — ذكر ما كان للفنيقيين من النزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد افريقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية (من سنة ١١٥٨ الى سنة ١٠٥١ ق م) — يلزم ان تكون حادثة اجتماع سائر المدن الكنعانية المتنوعة في هيئة ذات اجتماعية اهلية واحدة وصورة هامة متحدة تحت عموم ولاية ملك (صور) قد وقعت في ظرف مدة الخمسين سنة التي اعقبت حادثة خراب مدينة (صيدا) وان كانت تلك المدة من تاريخ الفنيقيين لم يتكلم عليهم احد من مؤرخي السلف من اليونان والرومان وغيرهم من الامم الاقدمين المتبعة اقوالهم في المدارس الاوروبية ولا وجد شيء بعد مطلقا من الآثار المشرقية القديمة يدل على شيء من احوالها البتة والدليل على ذلك هو ما نراه في الواقع ونفس الامر من انه في وسط القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كانت قد حدثت حالة جديدة في مادة ترتيب هيئة الفنيقيين الاجتماعية وعادت الاخبار توجد عن احوالهم بالثاني في ضمن اخبار الامم السالفين واضحة بان مدينة (صور) الفنيقية قد صارت من ذلك الحين ثابتة على ارضها الاصلية وعادت بالثاني الى ما كانت قد تشبثت به في سالف العصر من الاسفار البحرية الكبيرة بعد ان كان ذلك قد انقطع مسافة فترة من الدهر بسيرة بما كان قد حصل لمدينة (صيدا) من الخراب بغارة الامم الاغراب

ولكن لزم بالضرورة ان تكون الجهة الاصلية التي توجهت اليها هذه الاسفار البحرية الجديدة غير التي كانت تتوجه اليها الاسفار البحرية الفنيقية القديمة بوقت ان كانت درجة الاعلوية عليهم بيدها اهل صيدا في سالف الايام وصار بالنسبة اليهم الامل في استرداد ما كان لهم من السلاطنة العظمى دون غيرهم على بحر الارخبيل وجزار بلاد اليونان في سالف الزمان

من قبيل الاحلام والاهام ولذلك فلاجل امداد اسواقهم بالمواد الضرورية وحفظ قوتهم البحرية لزمهم ان يوجهوا انظارهم وينهبوا افكارهم واسفارهم نحو بحار جديدة واقطار بعيدة اخرى يتيسر لهم فيها ان يحصر وافي ايديهم حواصلها الزراعية والصناعية بحيث لا يشاركهم فيها احد من الامم الاخرى ويمكنهم بدون ان يخشوا من مزاحمة غيرهم لهم ولا من بأس صولة القرصان الصائلين عليهم ان يتحصنوا على ما يلزم لهم من المعادن اللازمة لتاجرهم المالية وصنائعهم الاهلية فكانت توجهاتهم في ذلك العصر الجديد الى الجهات المغربية بواسطة سفر سفنهم على سواحل افريقية حيث كانوا في العصر السالف اعنى عصر الصيد او بين قد سبق لهم انهم انشأوا في تلك النواحي زلتين تجاريتين وهما كل من مدينتي (هيبيون) و (كيبه) وانزلوا فيها ايضا الاقوام النازلين منهم بتلك الجهات الذين حدث منهم اصل الامة الليبية الفنيقية كما سلفنا ذكر ذلك فيما تقدم

ومن ثم كان الصوريون (في سنة ١١٥٨ ق م) قد اسسوا ايضا بتلك البلدان مدينة عظيمة اخرى على سواحل ولاية (زوجيثان) وهي المدينة المسماة باسم (اوتيكة) وبذلك تيسر للفنيقيين ان يعملوا بسفنهم تجاريد سفرية جديدة واسفار بحرية بعيدة تتوجه من مين تلك الاقطار المغربية الى اقطار ابعدها اذ صار يمكنهم ان يأخذوا منها ازوادهم وميرتهم وشرعوا من ذلك العصر في ان يترددوا على سواحل ولايتي (نوميديا) (وهي ولاية (قسنطين) و جزء من النواحي المسماة باسم (بيليك تونس) وعلى ولاية (الموريتانيا) وهي ولاية (فاس) من سلطنة (مراكش) مع جزم من بلاد الجزائر المغربية ولم يزالوا يتدانون شيئا فشيئا حتى كسفوا سواحل بلاد (اسبانيا) (المعروفة عند العرب ببلاد الاندلس) وانشأوا فيها المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (قاديس) (بامالة الدال المهملة على الياء المثناة من تحت يليها سين مهملة ايضا) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (قادس) وقد كان تأسيسها من بعدهم ههنا تأسيس مدينة (اوتيكة) السالفة الذكر بمدة يسيرة جدا

مطلب — ذكر استيلاء الفنيقيين على ولاية (بيتيكة) من بلاد اسبانيا — ولم تمض من بعد انشاء مدينة (قادس) المذكورة الامدة قرن واحد من الزمن حتى تيسر للصوريين ان يتمكنوا بصفة الاسياد من غير منازع لهم في سائر النواحي الاكثر ثروة والاجزاء الاكبر خصوصية وخطوة في ولاية (بيتيكة) اعنى في سائر وادي النهر الذي كان يدعى في ذلك العصر باسم (بيتيس) ومنه سمي ذلك القطر باسم (بيتيكه) وهو الذي صار يعرف منذ الاعصار المتوسطة بلفظ (الوادي الكبير) وهذا القطر هو ما يعرف الآن باقليم (الاندلس) الاصلى الحقيقي مع مملكة (غرناطة) من بلاد اسبانيا وقد كان اهل ذلك

القطر الاصليين الذين استولى الفنيقيون الصوريون عليهم في ذلك العصر هم القومين الذين كانا يدعيان باسم (التورديتانيين والتورديليين) وكان الصوريون ايضا قد استولوا على سائر طول بلاد القوم المسمين باسم (الستوليين) ونقلوا الى تلك الاقطار في تلك الايام كثير من الليبيين الفنيقيين الذين كانوا متوطنين بسواحل افريقية ليعملوا لهم في حراثة الارض فامتزجت تلك الامة بالاهاالي البليديين الاصليين حتى نص العالم الجغرافي اليوناني الشهير باسم (استرابون) في كتاب جغرافيته المشهورة على ان اكثر سكان اقليم (التورديتانية) في عصره كانوا من ذراري السكتانيين وكان سكان السواحل البحرية المكنانة حوالى مدينة (ملقه) و (ابديره) لم ير الوايدهون في عهد الدولة الرومانية باسم (الستوليين الفنيقيين) او (الليبيين الفنيقيين) وقد عثر في تلك الاماكن على بعض قطع من نوع الاثار القديمة المعبر عنها في اللغة الفرانساوية بالفظ (ميدالية) وهي لوحيات متخذة من المعادن الذهب والفضة والنحاس والتوج او غير ذلك ينقش عليها بعض كتابات تدل على بعض حوادث عظيمة لقصد تخليد ذكرها) فحصل الاستدلال بها حيث وجدت مكتوبة باللغة الفنيقية على انه في ذلك العصر بعينه قد كانت اللغة المذكورة هي التي يتكلم بها في مدينة (قادس) ومدينة (ملقه) ومدينة (سكس) ومدينة (ابديره) من تلك المواطن الانداسية

مطلب — ذكر جزيرة مالطة — وحيث كانت تجارة الصوريين على سواحل افريقية واسبانيا هي الغرض الاصلى من اسفارهم البحرية صار لهم من الزم اللوازم الضرورية ان يتخذوا السفنهم فيما بين بلاد الفنيقية وتلك الاقصار البعيدة مكانا من البحر ترسو سفنهم فيه وتأخذ اوزادها وما يلزم لها من الميرة والموثونات منه وقد كان ذلك بطبيعته يلزم ان يكون هو جزيرة مالطة اذ كانت لداعي ما منحها الله سبحانه وتعالى به من حسن مواقع مينائها الجيية وجمال مواضعها الغربية هي مفتاح البحر الابيض المتوسط في كل عصر ولذلك كان الصوريون على نحووا واخر القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام قد استولوا عليها وعلى الجزيرة المجاورة لها التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (جولوس) وتعرف الآن باسم جزيرة (جوتزو) ثم خلفهم عليها ما بعد ذلك القرطاجيون ودليل ذلك ما عثر عليه في اماكن هاتين الجزيرتين ولم يبق محفوظا لغاية عصرنا هذا غير مرآة هياكل الفنيقيين

مطلب — ذكر جزيرة صقلية — وقد كان اسلاف اهل جزيرة صقلية من جملة عصابة الاقوام الليبيين البيلاجيين اى اليونانيين الكبيرة وكانوا يشاركونهم في اسفارهم البحرية وتدخل سفنهم في ضمن تجار يدهم السفرية التجارية ثم انقطعت علائق اهلها الى بلاد (ابية) مع جزيرة (صقلية) دفعة واحدة لاسباب لم تزل مجهولة لنا بعد وانتهر الصوريون فرصة ذلك التقاطع فيما بينهم فاستولوا على تجارة جزيرة (صقلية) وانشأوا

من مناقدهم التجارية ممالئ سائر سواحل تلك الجزيرة الغنية ولم يكن احد من الامم الا خرين في ذلك العصر يزاجهم عليها اذ كان اليونان لم يأتوا اليها الا بعد ذلك بمدة ثلاثة قرون من الزمن

مطلب — ذكر جزيرة سردينيا — واما جزيرة (سردينيا) فقد كانت ارباب السفن الصورية قد وجدوها على طريقهم في اسفارهم البحرية ورأوا ان من اهل اصلي مصلحتهم وانفع منفعة امنية تجارتهم ان يتخذوا فيها مكانا لتزولوا عن الميرة اللازمة لبحارتهم منها ولم يكونوا يستغنون بالضرورة عن ان يحدثوا لهم مناقد تجارية على سواحل تلك الجزيرة ايضا اذ كانت اما كنه في ذلك الزمان اوفق للصحة مما هي عليه الآن وكانت معمورة في ذلك العصر باهل كثيرين يربون مواشي كثيرة من الاغنام كانت اصوافها من انفس اصناف التجارة المتداولة في تلك الايام وكان يوجد في بلادهم ايضا معادن عظيمة من النحاس والرصاص الممزج بالفضة ولذلك كان الصوريون قد اسسوا فيها مدينة (كاراليس) وهي التي هلي مكانها الان المدينة المعروفة باسم (كجالياري) وانشأوا ايضا على الساحل الغربي من الجزيرة المذكورة امام بلاد (اسبانيا) مدينة كانت تسمى باسم (نوره)

وما مردناه هنا في المطالب المذكورة اعلاء من الاما كن التجارية والمواطن البحرية هو مجموع التزائل الاستعمارية التي كان اهل مدينة (صور) قد انشؤوها في اثناء القرن الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد في سائر الاماكن المهمة من البلاد الكائنة على السواحل الغربية من حوض البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) وكانت قد استحوذت بذلك على درجة شوكة بحرية وقوة تجارية ليست دون ما كانت قد استحوذت عليه من قبلها مدينة (صيدا) من هذا القبيل في سالف الجيل

مطلب — ذكر محافظة مدينة (صور) مع بني اسرائيل (في سنة ١٠٥١ ق م) وقد كان نزول القوم البحريين المعروفين باسم (الفلسطينيين) النازلين من اهل جزيرة (كريد) على سواحل الشام في سالف الايام وما حصل لهم من النجاح والظفر على سكان تلك الاقطار في ذلك العصر وتعلقت اطماعهم بان يستحوذوا لانفسهم على سائر النواحي الجنوبية من اقطار بلاد (سورية) قدر ترب عليه تبديل احوال العلائق التي كانت توجد بين بني اسرائيل والفنيقيين في ذلك الجيل وذلك ان الاسرائيليين في اول مبادى فتحهم لبلاد الشام كانوا اعداء للصيادين كما كانوا كذلك بالنسبة لسائر الاقوام الكنعانيين ثم لما رأى بنو اسرائيل والفنيقيون ان القوم الفلسطينيين قد شغلوا الغارة عليهم دفعة واحدة فظفروا بهم وغلبوهم وصاروا بحيث يخشى عليهم من ان يستولوا عليهم

ويستعبدوهم استعبادا مخرجا وتراعى لهم من جهة اخرى ان (الآراميين) على نحو ذلك الوقت كانوا قد اخذوا بجهة شمال (سورية) في ان يستفعل امرهم ويعظم شأنهم اعوزتهم ضرورة الدفع عن انفسهم من عدو واحد على ان يتقارب كل من القوم المذكورين ويتحجب كل من هذين الخصمين الكبيرين وان كانا للغاية ذلك الوقت متعاديين وتمكنت في اذهان الطرفين شدة لزوم عقد محالفة بين الجانبين

ولذلك كان الملك (هرام) ملك صور في ذات السنة التي كان (داود) عليه السلام قد اخذ فيها مدينة (اورشليم) من يد القوم المعروفين باسم (اليويزيين) وجعلها قاصمة المملكة العبرانية (اعني في سنة ١٠٥١ ق م). قد بعث اليه رسلا من طرفه عقدوا معه عقد محبة بين الملكين المذكورين

مطلب — ذكر العمارات والاعمال النافعة التي انشأها الملك (هرام) الثاني بمدينة

صور (من سنة ١٠٢٨ الى سنة ٩٩٤ ق م) — وكان قد صعد الملك (هرام) الثاني ابن (ابي بعل) على سرير مملكة الصور بين سنة ١٠٣٨ ق م) فبادر من اول مبادى مدة عهده بان شرع بمدينة صور في انشاء عمارات عظيمة وابتداء اعمال جسيمة تغيرت بها حالة منظر هذه المدينة بالكلية فجدد عمارة هيكل معبودهم المسمى باسم (ميلكارت) وكان قد انشئ فيها من قبله بالف سنة فهدمه واقامه بالثاني على وجه من الابهة والزينة لانظيره في سائر المبانى وردم الخليج الفاصل من البحر بين الجزيرة التي كانت عليها حاضرة حرمتها المعمورة باسم جزيرة (ميلكارت) والجزيرة الاخرى التي كانت عليها حاضرة (صور) البحرية الاصلية بحيث صار كل من الجزيرتين المذكورتين جزيرة واحدة وضم اليها ايضا سافة من قاع البحر تزيد عن اصله مساحة مجموع ارض هذه الجزيرة الامامية واجرى ردمها وتجفيفها في الجهة الجنوبية منها وانشأ فيها محلة مساكن جديدة واحاط مدينة (صور) البحرية هذه من جميع جهاتها بعد ان صارت بتلك الاعمال في حالة جديدة بجسور تقبها من امواج البحر وبنى عليها سور المحمنا بالقوى الاعمال الاستحكامية وانشأ على سائر محيط الميناء القديمة اربعة عظيمية واحداث على الساحل الغربي من تلك الجزيرة ميناء اخرى جديدة تسع من السفن ما يكاد يزيد عن ضعف ما كانت تسعه الميناء القديمة وانشأ ايضا في تلك المدينة الجزيرية قصر ابلو كيا عظيم حتى صارت بذلك كله هي مدينة (صور) الحقيقية الاصلية وحازت درجة الاعلوية والاهمية على سائر المدن الفينيقية في تلك الحقبة العصرية واما مدينة (صور) البرية التي كانت تسمى باسم (باليتوروس) ومعناه (صور القديمة) فقد كانت اخذت في الانحطاط والتخرب بالكلية

مطلب — ذكر علائق الملك (هرام) الثاني ملك صور مع سليمان عليه السلام — وبينما كان الملك (هرام) ملك صور المذكور مشغولاً بهذه الاعمال النافعة العظيمة اذ توفي (داود) عليه السلام وخلفه على سرير مملكة بني اسرائيل (في سنة ١٠١٩ ق م) ولده سليمان فبادر ملك (صور) المذكور بأن بعث الى القدس الشريف سفارة لقصده تهنئة ولد حليفه بحادثة تقليده بملك بني اسرائيل وكان داود عليه السلام قد عهد قبل وفاته الى ولده سليمان بان يبني هيكل بيت المقدس لعبادة الله الواحد الاقدس فطلب من الملك (هرام) ان يعينه على تحصيل هذا المرام ولداعي ان ملك صور المذكور كان ملتزماً باعمال العمارات التي كان مشغولاً بها في بلاده لم يمكنه ان يسعف سليمان على الفور بما كان قد طلبه منه ولزم ان لا يشرع في عمارة بيت المقدس الا (في سنة ١٠١٨ ق م) قال الماورخ فرانسيس لو نورمان المروى عنه اعلاه ما معناه وقد قصصنا قصة عمارة القدس الشريف في كتابنا (تاريخ القوم اليهود) فن اراد ان يطلع عليها فليراجعه (هـ) ثم قال الماورخ المذكور بعد ذلك ما هو بعد مسطور

ومن بعد ذلك بمدة يسيرة كان الملك (هرام) الثاني وسليمان عليه السلام قد اتفقا وتعاهدا على ان يعمل لاجل بصار يف مشتركة من طرفهما الاعمال اللازمة لاشروع في الاسفار البحرية بمينا (اوفير) على البحر الاحمر وقد ذكرنا قصة تلك الحادثة ايضا فيما سلف فلاحاجة الرجوع اليها كما لاحاجة ايضا للعود على قصة عمارة بيت المقدس وانما ينبغي لنا ان ننص هنا على ان من الحوادث التاريخية الثابتة والوقائع الدهرية المقررة انه من مدة مديدة واعصار قديمة عديدة قد كانت بضائع الهند النفيسة من اعظم المواد الجارية عليهم امدار تجارة الفنيقيين وكانوا يجلبون اكثرها الى مركز بلادهم ثم ينشرونها من البر بواسطة قوافل تجارية تسافر الى الديار المصرية والى بلاد وادي الفرات ومن طريق البحر الى سائر سواحل البحر الابيض المتوسط ولذلك كان جم غفير وقوم كثير من التجار الفنيقيين متوطنين بنواحي بلاد جزيرة العرب الجنوبية حيث كان يأتي اليها من الاقطار الهندية بعض سفن خليفة الانشاء والعمارة من صناعة اهل الهند كانت تدفعها الرياح الهندية الدورية المعروفة في اصطلاح ارباب السفر في البحر باسم (الموسون) فتأتي اليها مشحونة بحواصل تلك الاقطار فيأخذها منهم التجار الفنيقيون وينقلونها في العادة الى بلادهم الاصلية بواسطة قوافل تسافر في اثناء صحارى بلاد العرب الوسطانية فلما شرع كل من الملك

الدرس الثام ٣٧٠ في التاريخ العام

(هرام) الثاني ملك صور وسليمان عليهما السلام في انشاء اسطول بحري عينا (اوفير) المذكورة كان ذلك اصل منشأ عمل الاسفار البحرية المستقيمة من مين آخر الخليج العربي (البحر الاحمر) الى سواحل بلاد الهند وكان قائمهم الحصول على هذا المرام كل التمام غير انه لم يستمر الا لغاية وفاة سليمان بن داود عليهما السلام فقط

مطلب — ذكر من خلف الملك (هرام) الثاني على مملكة (صور) من الملوك الفنيقيين (من سنة ٩٩٤ الى سنة ٨٧٦ ق م) — ذكر مؤرخ اليهود المشهور باسم (يوسف) قائم الملوك الذين تقلدوا بمملكة (صور) من بعد (هرام) الثاني المذكور مدة قرن ونصف من الدهر وبقيت محفوظة لنا لغاية هذا العصر واكثرهم لافائدة في ذكره بالنسبة لعلم التاريخ ولذلك تقتصر منهم على ذكر الملك المسمى باسم (ايتبعل) حيث ذكر في نصوص التوراة انه هو ابو المرأة المشهورة باسم (هازابيل) التي كان قد تزوج بها ملك بني اسرائيل المسمى باسم (احوب) وكان قد صار له تأثير كبير على عقل صهره هذا وترتب على ذلك ما ترتب من اسوأ العواقب لمملكة بني اسرائيل حيث شأت فيهم بدسية هذه المرأة القبيحة ديانة عبادة الاصنام الصريحة وقد كان الملك (ايتبعل) هذا هو اول عائلة ملوكية حادثة كانت قد استقرت على سرير المملكة بمدينة (صور) بعد فتن سياسية شديدة ومحن اهلية امتدت مائة من الزمن مديدة

مطلب — ذكر ملك صور المشهور باسم (بجماليون) واخته المسماة باسم (الياسار) المسماة ايضا باسم (ديدون) (من سنة ٨٧٦ الى سنة ٨٦٩ ق م) — وقد كانت مبادئ عهد الملك الرابع من ملوك هذه العائلة الملوكية الجديدة قد اشتهرت بمجادثة فتنه شديدة ترتب عليها ان حدثت على سواحل افريقية فيما بعد ذلك العهد مدينة (قرطاجة) الشهيرة التي صارت هي قرية مدينة (رومية) الكبيرة وتفصيل ذلك ان ملك صور المسمى باسم (ماتان) كان قد توفي وقد خلف ولدين (احدهما) ذكر يبلغ من العمر احدى عشرة سنة يدعى باسم (بجماليون) و(الثاني) انشى كانت اكبر منه سنابعض سنوات سمي باسم (الياسار) وكان ابوهما قد عهد اليهما بان يجلسا على سرير المملكة بطريق الشركة وكان عوام الرعية يرغبون في تغيير صورة ولاية الاسر الفينيقية من هيئة الحكومة الملوكية السيادية او الاعيانبة بمعنى كون ولاية الامور من الطبقة العليا من الاهالي التي كانت عليها لغاية ذلك العهد ويبدلونها الى هيئة دولة اهلية فاناروا فتنه داخلية ولوا على سرير المملكة الصورية (بجماليون) بن (ماتان) وحده دون اخته (الياسار) واتخذوا له مجلس شوري من ارباب المناصب الدولية المساعدين

على هيئة الدولة الالهية وبذلك اخرجوا عن حق المملكة اخته (الياسار) المذكورة
فما كان منها الا انها تزوجت برئيس طائفة خدمة ديانة معبودهم المسمى باسم (ميليكارت)
واسمه (زيسار بعل) وقد كان من اصول ترتيب درجاتهم السياسية انه ثاني ذات من ارباب الرتب
السياسية بعد ذات الملك فكان بحسب درجة منصبه هذا هو رئيس اهل العصابة السيادية
وحيث كان الملك (بيجماليون) قد نشأ مربى على الميل للعصابة الالهية كان بعد تقليده
بقلادة الملك ببعض سنوات قد قتل (زيسار بعل) المذكور اذ كان يرى انه ضار حمله
على سرير المملكة فاشتدت في قلب اخته (الياسار) هذه حرارة بغية الانتقام وغية الاخذ
لزوجه من اخيه بالشار ولذلك صارت رأس عصابة اهلية قوية كبيرة تعصبت لقصد
عزل اخيهما هذا عن سرير الملك واعادة ما كانت عليه صورة الدولة الصورية من الهيئة
السيادية وسعوا في الحصول على الغرض المذكور فلم ينجح سعيهم بمدينة (صور)
فصمموا على ان يهاجروا من اوطانهم الاصلية ويخرجوا من ديارهم الصورية استنكافا
من ان يبقوا فيها تحت ذل العصابة الالهية وقاموا جميعا فوجدوا في ميناء تلك المدينة عدة
سفن متجهز قلا قلاع فاستولوا عليها على حين غفلة من اهلها وركبوا فيها وكانوا عدة الوف
عديدة وسافروا في البحر تحت قيادة (الياسار) السالفة الذكر ليبحثوا لهم عن
مكان آخر يحدثون فيه مدينة (صور) اخرى في بعض الاقطار حتى تزلوا بسواحل
افريقية واختطوا فيها مدينة (قرطاج) الشهيرة ولما عي واقعة هذه المهاجرة اشتهرت
(الياسار) المذكورة باسم (ديدون) ومعها في اللغة النيقية (الهاربة) وكان
وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة في سنة (٨٦٩) قبل ميلاد المسيح عليه السلام
وهي السنة السابعة من عهد تقليد الملك (بيجماليون) بمملكة الصوريين

مطلب — ذكر كيفية تأسيس مدينة (قرطاج) (في سنة ٨٦٩ ق م)

— وقد كان اتجاه سفر هؤلاء القوم المهاجرين من الصوريين نحو سواحل افريقية حيث
كان لاوطانهم الاصلية في تلك الاقطار، من سالف الاعصار من قبل مواطن تجارية
ومنازل بحرية قد كانت لم تزل تزداد وكنوا يرون انهم اذا تزلوا بتلك البلاد لا يعدمون من
ابناء اوطانهم الاصيلين واخوانهم الفنية يبر السالفين من لا بد وان يكون فيه الاستعداد
لقبولهم فيها والاعانة على نزولهم عايرها ولذلك تزلوا من اقليم (زوجيتان) على المكان
الذي كان قد نزل عليه من قبلهم ببعض قر دن زمنية سالفة اخوانهم الصيدايون وكانوا
قد اختطو فيه مدينة (كبه) وكانت في ذلك العصر قد اخذت في الانحطاط التام وكانت
تلك البلاد بوقت ان نزل عليها الصوريون المهاجرون اليها يليها ملك للقبوم الليبيين يقال
له (بايون) فجأت (ديدون) واشتدت منه قطعة ارض لتيزل فيها نزلتها هذا الماركة

من القوم الصور بين الفارين معها او اختطت فيهما مدينة سميت باسم (قرطاجة) وهو لفظ مأخوذ من اللغة الفينيقية من كباتر كيبا ووصفيا معناه في الاصل (المدينة الجديدة) ثم حرفه اليونان بلفظ (قارشيدون) وجاء الرومانيون ايضا فحرفوه الى لفظ (قرطاجة)

مطلب — ذكر استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الفينيقيين (من القرن التاسع لغاية القرن السابع ق م) — ومن بعد مهاجرة (الياسار) على الفورا عنى في ذات مدة عهد الملك (بيجماليون) كانت مدينة (صور) وسائر المدن الفينيقية الاخرى قد اضطرت للدخول تحت سيادة ملوك بلاد الاسورية اذ كانت دولتهم في ذلك العصر قد استفجلت كل الاستفحال مع غاية السرعة والاستبحال وشوكتهم قد استعكملت وبلغت الى غاية أوج الكمال وكان بعض ملوكهم السالفين من قبل هذا العصر قد اغاروا على بلاد الفينيقية مرتين (احدهما) من ملكهم المشهور باسم (تجلاتاغلوس) في القرن الثاني عشر و (الثانية) من ملكهم المسمى باسم (آسورنازيربال) في القرن العاشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام غير ان الاسوريين في تلك الاعصار كانوا قد ظهروا وابلاد الفينيقية ظهورا قصيرا فلم تطل مدتهم ولم تستقر في تلك البلاد دولتهم حتى جاءت مدة تملك الملك (بيلوخوس) الثالث ومن ابتداء ذلك العهد لغاية زوال المملكة النينوية كانت وطأة الدولة الاسورية قد ثقلت على الدوام والاستمرار على اعناق اهل تلك الاقطار

ومع ذلك فقد كان الفينيقيون قد هموا على عدة مرات بان ياقوا عن اعماقهم كرب الصاعه للدولة الاسورية اذ كان ذلك اثقل عليهم من بذل الطاعة لسيادة الدولة المصرية بكثير جدا وكان البطل الذي قام بتدبير هذه المقاومات الاهلية في النصف الاخير من القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو رجل من الملوك الصوريين يقال له (ايلولي) مكث مدة ثلاثين سنة وهو يقاتل الاسوريين مع غاية المواظبة التي لم يقطعها قاطع ولم يمنعهها مانع فكان قد جاءه اول الملك (سرجون) واقام على حصار مدينة (صور) مدة خمس سنين (من سنة ٧٢٠ الى سنة ٧١٥ ق م) فلم يزل الملك (ايلولي) هذا يدفع هجوم الاسوريين عن مدينته بطول تلك المدة مع الشجاعة وحسن التدبير حتى ناب امل الملك (سرجون) ولم يظفر بمراده من الاستيلاء على تلك المدينة البحرية غير انه في مدة الحصار المذكور كان اليونان قد انتهزوا الفرصة من تلك الحادثة وانخر بواسائر التزلات الاستعمارية التي كانت للصوريين بجزيرة (طاشوش) وجزيرة (كريد) واكثر الاماكن التجارية الصورية التي كانت عامر بجزيرة (صقلية) ثم جاءه الملك (سنخاريب) بمد ذلك مدة من الزمن فظفر به وغاببه وعزله عن سرير المملكة

الصورية واستولى هو على مدينة (هوند) الكائنة في وسط امواج البحر وقد كان ذلك في مبادئ الغزوة الحربية الكبيرة التي كان قد شرع فيها القتال (حزقياس) ملك بني اسرائيل (في سنة ٧٠٠ ق م) وكان هذا الملك الفاتح الاسورى قد جرد مدينة (صور) التي هي كعبة الصم المعروف باسم (ميلكادت) في هذه الغزوة جزاء لها وتنتكيا لها مما كان قد تقرر لها من درجة الاعلوية السياسية على سائر المدن الفينيقية منذ خمسة قرون زمنية وامام ملك الاسوريين المسمى باسم (اسورادون) فكان قد شن الغارة ايضا على مدينة (صيدا) اذ كانت قد خرجت ايضا عن طاعة الدولة الاسورية فادفع بها كما وقع بمدينة صور واخذها عنوة وعاملها بغاية الجبر والقسوة

مطلب — ذكر تخريب بختنصر لمدينة صور (من سنة ٥٨٩ الى سنة

٥٧٤ ق م) — ولما كان في عيون مصر المعروف باسم (نيخاوس) قد انتهز فرصة اخذ الدولة الاسورية في الزوال فاستولى مؤقتا على بلاد (سورية) كانت سائر المدن الفينيقية قد تلقت الجنود المصرية مع غاية الفرح والمسرورية اذ كان قد تراءى لهم انهم لهم منقذون من اسر القوم الاسوريين فلما جاء (بختنصر) المشهور فهازم ملك مصر المذكور على نهر الفرات (في سنة ٦٠٦) كما اسلفنا ذلك في موضعه من هذا الكتاب كانت قد سقطت جميع هذا الامصار في قبضة ذلك الملك الجبار وكانت مدينة (صور) واد كانت في ذلك المصراع انما كانت في العلية على سائر المدن الفينيقية خرابها كانت لم تزل واقراوية ودمية من ردة وكما لم يزل بها امداد شديدة متسعة في غربي البحر الأبيض المتوسط وتجارة بحرية جسيمة تجتمع من انواع الغنى والثروة ماله صورة عظيمة

ثم (في سنة ٥٩٠ ق م) كانت مدينة (صور) قد حثها فرعون مصر المسمى باسم (اپرييس) على القيام على (بختنصر) كما حدث كذلك الملك (صدقيا) ملك يهودا على الخروج عن طاعة الدولة المصرية فوصى كل منهم اعليه وخرجوا عن طاعته في آن واحد فلما كان من بختنصر الا انه بعد السنة التي كان قد اخرج فيها يث المقدس (سنة ٥٨٧ ق م) التففت الى تلك الحاضرة الفينيقية العظيمة وجاء اليها ونصب الحصار عليها فكانت عواقب تلك الثورة على القوم الفينيقيين مشؤمة وادى مشؤمة وذلك ان بختنصر ظدر اولاً مدينة (صور) بالبرية المسمى باسم (باياتير) اي صور القديمة واخذها اندعز يزقندر واخرها بالكلية وامام مدينة (صور) البحرية فكانت قد قاومتها مدة ثلاث عشرة سنة وابدت في الدفع عن نفسها من اعجاب المدافعات واغرب المجزات ثم انتهى امرها بان اخذها بالقوة القهزيرة وابعادها بالاستلاب لومها العسكرية

وأخرب بقضها وأبقى على بعض (في سنة ٥٧٤ ق م) وأصابها من جزيرته
بصائب شديدة ونواب عديده بحيث صارت تلك الحاضرة الفينيقية ذات الانفة
والكبرياء العنيدة من سوء الحمال والجهد الى درجة انحطاط لم تقم منها بعد وصارت
من العيش النكد انما تنبت كما ينبت حبل السيل في اسفل الوادي لا غير اعنى انها
لم يتيسر لها بعد ذلك العهد ان تعود لما كانت عليه من اصلاح شأن مادة بجزيرتها بالثاني
ولان تسترجع ما كانت قد اشتهرت به من سعة تجارتها ولا ان تعين ما كان لها من التزائل
الاستعمارية والاماكن الزراعية والتجارية بنواحي (اسبانيا) وجزيرة (سردينيا)
وسواحل أفريقية وكانت مدينة (قرطاجة) الشهيرة قد خلفتها عايم او توارثتها عنها
مطلب — ذكر حال بلاد الفينيقية في عهد التحاقها بالتبعية للدولة الكلدانية
والدولة الفارسية — وقد كانت صارت بلاد الفينيقية منذ ذلك العصر ميدانا للحرب
بين فرعون مصر (ايريس) وبختنصر ملك الاسوريين واصاب مدينة (صور) من
ذلك اتلاقات جسيمة جدا (في سنة ٥٧٣ ق م) وبقيت تحت يد الدولة العراقية
بمداقامة دواتهم الثانية حتى جاء ملك فارس المشهور باسم (كيرش او قيروس) فزالها
واستولى على سائر الاقطار التي كانت تحت ولايتها فاذعنت بلاد الفينيقية كلها لسيادة الملك
الفارسي المذكور بعد اخذها لينة (بابل) من دون ادنى مقاومة ولا مدافعة عن نفسها
ومن ذلك الوقت صارت بلاد الفينيقية ولاية ملحقة بالدولة الفارسية قال الماورخ فرانسيس
لونورمان المذكور في آخر هذا الفصل من تاريخه الكبير المشهور ما تعريبه بتمامه هكذا
ولما اخذ الملك (كيرش) مدينة (بابل) كانت جميع المدن الفينيقية قد انزلت من
تحت طاعة الدولة الكلدانية الى طاعة الدولة الفارسية واذعنت للدولة الفاتحة الجديدة
بدون ان يحصل منها ادنى اهتمام بمقاومة ولا مدافعة عن نفسها بالكلية واطهر القوم الفينيقيون
للقوم الغالبين تمام الطاعة والامتثال وبذلوا لهم مثل ما كانوا يبذلونه للدولة القديمة من مرتب
الاموال وصاروا يؤدون اليهم ايضا ما يلزم لهم من السفن اللازمة لغزواتهم الحربية جميعا كانوا
يرغبون ويعطونهم من ذلك ما كانوا يطلبون كما في غزوة الملك (قبيرش) لدار مصر غير ان
الملك الفارسي المذكور لما اراد ان يشن الغارة ايضا في ذلك العصر على مدينة (قرطاجة)
امتنت السفن الفينيقية من التوجه اليها رابت ان تسمى في استعباد اخوانهم القرطاجيين
اذ كان اصلهم من اباؤهم او اوطانهم الاصليين كما اسلفنا ذكر ذلك فيما تقدم ولذلك بقيت
مدنة (قرطاجة) بحالة الحربية من اسير الدولة الفارسية (هـ)

الفصل الثالث

في ذكر درجة تمدن الفنيقيين واخلاقهم وعوايدهم وما كان لهم من التأثير

على احوال الامم المتقدمين

مطلب — ذكر تجارة الفنيقيين البحرية — قد فهم مما اسلفناه في ضمن
الفصلين السابقين من مختصر تاريخ الفنيقيين ان صناعة التجارة على وجه العموم ولا سيما
التجارة البحرية قد كانت هي الشغل الشاغل الاصلي والعمل الغالب الاولي على القوم
الفنيقيين ويصح ان يقال ان تواريتهم الاهلية اذا صرفنا النظر عما يوجد فيهم من بعض
حوادث عارضية حربية وقعت منهم في بعض الاحيان لقصد الدفع عن اراضيهم الخصوصية
قد كانت كلها في الحقيقة في سائر طول اعم ارضهم التاريخية عبارة عن سيرة دار تجارة متسعة
جدا لا غير وقد كانت هذه الوظيفة هي التي تدعوهم اليها طبيعة وضع بلادهم الاصلية
وتقتضيها ضرورة احوالهم المكانية وبيان ذلك انما كتم كانت على نهاية الارض
القارة من بلاد آسيا على سواحل بحر الملح عظيم يصل بطريق المباشرة بينا وبين القارة
الافريقية والاوروبية فلزم بالضرورة ان تكون بلاد الفنيقية بحسب حسن موافقها
هذا السعيد هي من كز التجارة بين بلاد المشرق والمغرب ولذلك لزم ان يكون التواصل بين بلاد
آسيا واوروبية وافريقية من اول الامر قد حصل بواسطة اساطيلها البحرية دون غيرها
من الامم من منذ اعصار طوييلة من سالف الدهر

ولا يصعب على الاذهان ان تتصور مع غاية الوضوح والبيان حقيقة انواع البضائع
الاصلية وكيفية الاعمال التجارية الاولية التي كان عليها مدار تجارة الفنيقيين بطريق
البحر في تلك الازمان وذلك ان جميع الامم والاقوام الذين كان الفنيقيون يرحلون للبادلة
معهم كانوا الميرزا والوا بعدا قواما متوحشين. وأما بدويين لا صناعة عندهم ولا تفنن لديهم
وكانوا على حالة اشبه بما كان عليه سكان بلاد (الاقيا نوسية) (جزائر البحر المحيط)
البلديون بوقت ان نزل عليهم اول السياحين الاوروايين وقد كان الكنعانيون من وجه
آخر عندهم من التقدم في الصناعة بقدر ما كان لهم من الحسنى والمهارة في التجارة تقريرا
وكانوا قد بلغوا في بعض اعمال الصناعات والفنون الى اعلى درجة الكمال فان مصنوعاتهم
من المواد المعدنية قد ذكرت في نصوص الآثار المصرية من اول عهد العائلة الملوكية المصرية
الثامنة عشرة مع غاية الاطراء والايغال واشتهرت منسوجاتهم في سائر اقطار الدنيا القديمة
وكان في ايديهم بالخصوص اجتنكار بعض الوان صبغية يصطنعونها ويتجرون فيها

لاشار كهم فيها احد من الامم الا آخربن كصناعة اللون الاحمر الارجواني وهو صبغة حمراء
بنفسجية تنوع من السواد والسمرة الى الوان مختلفة كانوا يتخذونها من باطن نوع من القواقع
او الودع المعروف بالحمار وهو نوع من الحيوانات البحرية كانوا يصطادونه من سواحل
بلادهم وقد حصل العثور على عدة نماذج عديدة منه في الآثار الفنيقية القديمة
التي حصل العثور عليها ولم تزل توجد في الانتيفخانات الافرنجية الموجودة الآن
وكانوا يصطنعون ايضا من اصناف الزجاج ما يضاهاى ما خرج من معامل انقرازالتي كانت
مشهورة بمدينة (البندقية) ببلاد اوروبه في الاعصار المتوسطة بل كان السلف يقولون
بان الفنيقيين هم اول من اخترع صناعة الزجاج واذا كان الحال كما توضح اعلاه فقد
ظهر ان الفنيقيين لم يكونوا مجرد مساسرة يعملون بالتوسط في الاخذ والعطاء بين الامم المتدنيين
والاقوام الاخرين الذين كانوا على انواع الصنایع والفنون متمرنين اعنى المصريين
والاسوريين فقط بل كانوا كذلك قوما يصرون بايديهم بعض الصنایع وينتحلون
بانفسهم بعض الحرف والفنون وكان لهم معامل ابتداعية وحواصل صناعية بروجونها
في تلك الابواب التجارية التي كانت مفتوحة لهم بواسطة نشاطتهم البحرية وبهذه
المثابة كانت تجارتهم كلها عمل بطريق المبادلة فكانوا يسافرون اولا الى بلاد اليونان ثم
الى بلاد (اسبانيا) ثم الى بلاد (الغولة) (وهي ما عليه مكان بلاد فرانسة الآن)
ثم الى بلاد (ايطاليا) ثم الى بلاد (ليبيا) (وهي بلاد افريقية الغربية) وقد كانت
سائر هذه الاقطار في تلك الاعصار كلها بلادا متوحشة وسكانها اقواما بدوية متعشفة
لا يحسنون شيئا من الصنایع البشرية ثم بعد ذلك صاروا يسافرون الى الجزائر الابريطانية
(وهي جزائر انجلترا) حتى بلغ من شأنهم ايضا انهم كانوا يسافرون مدة حقبة من الدهر
فيما بعد الى بلاد الهند ومن سكان جميع تلك الاقطار كانوا يأخذون ما كان يتيسر لهم
من كل قطر في ذلك العصر من انواع المعادن واصناف الاخشاب وسائر المواد الاولية
الطبيعية التي تخرج من تلك البلدان ويعطونهم بدلا عنها من حواصل معاملهم الصناعية
وتنتائج اعمالهم الابتداعية فيبيعون لهم في نظير ذلك من الآلات والادوات المتخذة من
المعادن والاقشنة وانواع الاواني والامتعة المتخذة من الفخار والزجاج وقد كان سائر
سكان تلك الاقطار لداعي مخالطتهم بالفنيقيين قد انتشرت فيهم معرفة تلك الآلات
والامتعة المعاشية واحسوا بضرورة زومها لهم مع كونهم قد كانوا في تلك الاعصار
لا يحسنون صناعتها بانفسهم

واما في الاعصار الاقرب عهدا منا فقد كانت حالة تجارة الفنيقيين المذكورة قد تغيرت

بالضرورة ولاشك في انهم قد كانوا الذين هم اعدوا اكثر من كل ملة اخرى على نشر اسباب التمدن المادية في سائر اجزاء حوض البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) وكانت احوال سكان تلك الاقطار قد ترقت بمخاطبتهم وتقدمت بمعاشرتهم وصاروا بالنسبة لما كانوا عليه في الاعصار السالفة امام متحضرين واقواما متمصرين ومع ذلك فقد كانت تجارة الفنيقيين معهم وان كانت منذ ذلك العهد مع اقوام متمدين لم يتورها فتور بعد بل كانت قد بقيت على ما كانت عليه في سالف العهد من النشاط والاجتهاد وغاية ما هنالك ان كيفية اعمالها وانواع البضائع التي كانت تدور عليها اثرا اشتغالها هي التي كانت قد تغيرت فقط وذلك ان امدين الامم المتمدنة بالاقطار المغربية واهل الامصار الاوروبية واولهم اليونان انما كانوا يأخذون من بلاد آسيا كل ما كان يلزم لهم من امتعة الزينة والرفاهية بحسب اصاروا اليه وتعودوا عليه من الاخذ في اسباب الحياة التمدنية والمعيشة الشهوانية وقد كان سكان تلك الاقطار المغربية وان كانوا قد بلغوا من درجات الترقيات العمرانية في تلك الاعصار ايضا الى انهم صاروا يتقنون بعض الصنایع والفنون ويخرج من ايديهم بمكثرة من ذلك حواصل ما يحسنون لم ير الوارغبون ولم يفتأوا يطلبون كثيرا من حواصل فروع الصناعة المشرقية

مطلب — ذكر التجارة الفنيقية البرية — وقد علم بالضرورة ايضا انه كان قد انضم لتجارة الفنيقيين البحرية الممتدة تجارة برية بطريق القوافل السفرية لم تكن دونها في الامتداد والسعة فقد كان لهم عدة طرق تجارية عظيمة وجلة خطوط سفرية قديمة على البر ايضا تسافر فيم التجار الفنيقيون ويخترون بها قارة اوروپة في سالف تلك الحقبة قياتون منها بحواصل صناعة نفيسة تخرج ببعض اقطارها لئلا يمكن يتيسر لهم ان يصلوا اليها بواسطة اسفارهم البحرية وكان اعظم تلك الطرق هو الذي كانوا يسافرون فيه في خلال بلاد (الغولة) (وهي بلاد فرانسة الآن) فيجلبون الى مصاب نهر (الرون) بنواحي البحر الابيض المتوسط ما يخرج باقليم (كرفالية) (بيبلاد انجلترا) من القصدير قبل ان يظهر القرطاجيون ويسافروا في البحر سفر مستمرا الى حد الجزائر الابريطانية بمدة مديدة جدا وكان التجار الفنيقيون ايضا يجلبون العنبر الاصفر وهو الكهر باوالكهرمان من سواحل بحر (بليتيق) (وهو جزء عظيم من البحر المحيط الشمالي) وكان هذا الصنف هو اعظم الاصناف التجارية التي كانوا يجلبونها في اسفارهم البحرية الى الاقطار الآسية ولا يصح عقلا ان يقال بان سفن مدينة (صيدآء) او (صور) كانت في عصر من الاعصار مطلقا تسافر بحرا الى حد بحر (بليتيق) وتتردد على سواحل بلاد (البروسيا) التي هي الموطن الاصلي

للعنبر بل الظاهر انهم كانوا يأتون به بطريق البر ويشحنونه في سفنهم من عند مصاب النهر الذي كان يدعى في ذلك العصر باسم (الايرون) والمدعو الآن باسم نهر (البو) (ببافارسية مفخمة يليها او ساكنة في آخره) حتى ان اليونان مكثوا مدة مديدة من الزمن يظنون انهم انما كانوا المتهطون العنبر من ذلك النهر وليس الحال كذلك بل كانوا يأتون به من سواحل بحر (بليتيق) المذكور ويسافرون به على البر في قوافل تخرق سائر بلاد (جرمانيا) او (المانيا) ويأتون في عودتهم ببضائع يجابونها من مصنوعات بلاد آسيا ثم صاروا بعد ذلك يأتون في عودتهم ببضائع من صناعة بلاد (الايترورية) (وهي ما يعرف ببلاد لتوسكانة من بلاد ايطاليا الآن) ويرجعون من ذات الطريق التي جاؤا منها فينتشرون في سائر بلاد (المانيا) و (اسكانديناوه) ببلاد اوربية وكان قد حصل بمخاطبتهم مع اهالي تلك الاقطار البلديين تأثير عظيم على اول ما كانوا قد تشبهوا به من الاخذ في مبادئ الصنایع والفنون بتلك الاحقاب العالفة

وقد كانت اسفار التجار الفنيقيين البرية كثيرة جدا خصوصا داخل بلاد آسيا حيث كانت قوافلهم ترحل اليها فتأتي منها الى مين الكنعانيين البحرية بالبضائع الطبيعية او الصناعية التي كانت سفنهم تأتي بها من صنایع البلاد المغر بية وتنشرها بدلا عنها في تلك الاقطار الآسية وكان لسير قوافلهم التجارية هذه في داخل الاقطار الآسية ثلاثة دروب اصلية فكانوا يخرقون (اولا) صحارى بلاد العرب ويذهبون الى بلاد اليمن حيث يجدون هناك السفن الواردة من بلاد الهند ترسو على سواحل تلك الجهات وكانوا يسافرون من طريق آخر ايضا فيذهبون من بلاد (ارام) (وهي بلاد الشام) ويمرون ببلاد الجزيرة الفراتية حتى يصلوا من تلك الطريق الى بلاد الاسورية وبابل ومن ثم يأخذون في مبدأ طريق تجارية أخرى تمر بخلال بلاد الميديه وفارس وبلاد (اربان) حتى يصلوا بطريق البر الى بلاد الهند وكان قوافلهم طريق ثالث يسافرون منه الى بلاد الارمن ومنها الى الاقاليم الكائنة في سفح جبال (قوقازة) فيجلبون منها ما كانت تلك الاقطار مشهورة به من قديم تلك الاعصار من المعادن والمصنوعات المعدنية

مطلب — ذكر ما كانت قد اشتهرت به مدن الفنيقيين من الغنى والثروة وكثرة الاموال — وقد كانت جميع هذه المتاجر المتنوعة باستمرارها في القوم الفنيقيين المذكورين مدة عدة عديدة من القرون برا وبحرا قد تراكم منها في المدن الفنيقية اموال جسيمة وخيرات عظيمة جدا فكانت كثرة تلك الاموال هي السبب الموجب لكون تلك المدن قد سقطت الى اسواحل اذ كانت هي التي هجت اطماع الملوك الاسوريين والكلدانيين اليها

اليها و كانت ايضا هى السبب فى ان اهل الى تلى الى المدن قد غلب عليهم من غاية ارتكاب الرذائل والفواحش ونهاية فساد الاحلاق ما يؤدى دائما الى تطرق يد الغلبة والفتح من الامم الاغراب الى كل امة كانت بهذه الحالة الذميمة ودليل ذلك ما ورد فى نصوص التوراة من ان احد انبياء بنى اسرائيل المسمى باسم (حزقييل) صاح على الصوريين بما معناه بالعر بية هكذا (قد كنتم فى لذات جنسة الرب وكانت ملاسكم محلاة بسائر انواع الجواهر والاحجار النفيسة وكان يبرق عايرها فى جنب الذهب حجر الظفر والياقوت الاصفر واليشم والزبر جدا والجزع والياقوت الازرق والبهرمان (او الياقوت البامرى) والزمر ود تضرب بين ايديكم الطبول والمزامير غير انكم قد تدنستم بكثرة مظالمكم ومظالم تجارتكم ولذلك اردت ان اخرج من بينكم نارا قد اكلتكم واصارتكم الى رماد (اتمنى ما نقل من التوراة)

مطلب — ذكر ما كان قد حصل من الفنيقيين فى سالف الاعصار من توطيى النزائل الاستعمارية فى كثير من الاقطار — وقد كان الفنيقيون لاجن تسهيل متاجرهم وتأسيسها على اقوى قدم من الثبات والامان ينشئون مناقد صيرفية مستمرة ومعامل تجارية دائمة مستفزة فى سائر الاماكن التى اعتادت سفقتهم وتجارهم على التردد عليها من قبيل ما هو حاصل فى عصرنا هذا على سواحل افريقية وما انبنى عليه فى اول الامر تأسيس عمارات الاسيطنانات الاورو بية بالاقطار الهندية وقد ذكرنا من ذلك على ترتيب تواريخ سلسلة النزائل الاستعمارية و جملة المعامل التجارية الاصلية التى كانت متصلة للفنيقيين من غير انقطاع على سائر سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) لغاية المـكان المعروف عند السلف باسم (عمودى هر قول) (وهو المعروف الآن ببوعاز جبل طارق) غير انها كان اكثرها عبارة عن مناقد تجارية لانزائل استعمارية حقيقية ولم يعهد ابنى كنعان انهم هموا بنشأ نزائل استعمارية حقيقية اعنى اما كن زراعية تشتمل على متسع عظيم من الارض انزلوا فيه سكانا فلاحين لقصد حراثة الارض وكان لهم ولاية الامر عليهم غير دفعتين اثنتين فقط (احداهما) نزلة ولاية (بيوتيا) ببلاد اليونان حيث اختطوا هناك مدينة (طيبة) و (الثانية) نزلة (افريقية) التى كانت قد نشأت منها بتلك الاقطار الامة المعروفة عند السلف بالامة الليبية الفنيقية وفيما عداها تين النزائل المذكورتين لم تكن سائر النزلات الاستعمارية التى انشأها الفنيقيون فى عصر بلوغهم لاعلى درجة من الدلاح والنجاح اعنى فى الوقت الذى كان يبدىهم احتكار المعاملات التجارية البحرية فى سالف تلك الحقب الذهبية دون غيرهم من الامم الاعبارة عن مجرد مناقد تجارية فقط

مطلب — ذكر ما حصل من تأثير التراث الفنيقي على احوال سائر الامم الذين كانت قد تأسست عندهم — وكانت جميع هذه المناقدا التجارية قد نتج عنها تأثير عظيم جدا على احوال البلاد التي كانت قد تأسست فيها وكل من تقدم منها صار مركزا لا اختطاط حاضرة عظيمة حدثت حوله في تلك الدنيا القديمة وذلك ان اهالي كل بقعة من تلك البقاع البلديين وسكانها الاصليين كانوا في تلك الاعصار اقواما متوحشين وامم بدويين فكانوا يأتون من كل جانب ويحتمون حول كل مكان فيه عمالة تجارية من الجمالات الفنيقية المذكورة ويجذبون اليها يجاذبية ما يجذونه عندها من الفوائد المعاشية ويغترون خصوصا ما يجذونه حولها من اسباب المعيشة الحضرية ولذلك كانت جميع تلك المناقدا التجارية من اكر ذات حركة ونشاط لانتشار اسباب التمدن المادية وبالضرورة متى اختلطت امة متوحشة مع نشاط الحركة والاستمرار بامة متمدنة فلالتبث ان تتعود بعوائدها وتتخلى باخلاقها وطبائعها في اقرب وقت خصوصا اذا كان الامم المتوحشون المخالطون للامم المتمدنين اقواما أولى فهم وفضانة وانسالا من الامم مستعدين للتقدم في طريق التمدن والعمران كما كان ذلك هو شأن الامم الاوروبويين في كل زمان وبذلك تحدث في الامة المتوحشة حاجات جديدة وضرورات شديدة تبعثها على ان ترغب وتتطلب مع الشراهة حواصل صناعة الامة المتمدنة التي تجلبها اليها حيث يظهر لها فيها من دقيق الصنعة وجديد البدعة ما لم يكن يخطر لها على بال من قبل ثم لا تأخر ان يحدث فيها التشوق لأن تقف على اسرار صناعاتها وتعرف طرائق عملها وابتداعها فتجتهد بنفسها في ان تستخرج المنافع اللازمة من ذات موارد أرضها بدلا عن ان تسلمها لايدي الامم الاغراب فيستفيدون منها وينتفعون بها دونهم

ومن المعلوم ان ديار مصر وبلاد الاسورية قد كانا في ذلك العصر هما أول من كرز نقطة التمدن الحضارة وأول منشأ التقدم في العمارة وقد كان الكنعانيون بالنسبة اليهم في ذلك العصر بمنزلة السفراء المرسلين والدعاة العاملين فكانت لا توجد بلدة من الاقطار السواحلية من أول جزائر بلاد اليونان الى حد جبل الطارق (بيلا داسبانيا) في مبادى تلك الاعصار التي لم يكن يتضح فيها تمام الوضوح ما كان حاصلها فيها من حسن تأثير تلك الاسفار البحرية غير انه كان أشير اليها في خرافات اليونان مما يعبر فيها عندهم باسفار البطل (هرقول) الذي هو المعبود الاهلي والاله الملى لاهالي مدينة (صور) الا وقد اقتبست أشياء من النوارى من الفنيقيين وعلت منهم جزءا من علوم هؤلاء القوم المتمدنين وبواسطة تأثيرهم عليهم ونهضة انتشار اعمالهم فيهم كانت بلاد اليونان وايطاليا وبلاد (الغولة) (بلاد فرانس) واسانسا

واسبانيا كل تلك البلاد في مبادئ خروجها من الحالة التوحشية متخلقة باخلاق الامم
الاسيين و متعمدة بعوايد الملل المشرقيين و افاموا على تلك الحال مدة من السنين حتى جاء
الوقت الذي كان فيه سكان تلك الاقطار الاوروباوية قد احسوا بانهم قد تقدموا في طريق
التمدن والعمران الى درجة عظيمة بحيث يمكنهم بواسطة اقتراح قرائحهم الشخصية
واعتدائهم من لبان تلك التربة الاجنبية ان يتزعموا لقطتها ويخضعوا اليها ويظهروا بظهور
حالة تمدنية وكيفية عمرانية يظهر عليهم اطابع هيئة خاصة بهم ولقد صدق من قال في هذا
المقام ولو بلغ ما بلغ قوله من درجة الغلو والايغال وبالغ في المقال بما كان للفنيقيين على سائر
الامم السالفين من فضل وطبيعة التعليم وما كان لهم من الحظ العظيم في ارشاد اقدم نوع
الانسان في اول عصر طفوليته الى طريق التمدن والعمران فانهم هم الذين كانوا اول من نشر
بالخصوص في سائر الاقطار والجهات بدعة الكتابه الهجائية التي هي اعظم الابتداعات
البشرية و انفع الاختراعات الانسانية وكانوا قد ابلغوها الى درجة كمال بحيث يصح
ان يقال انهم لها هم المخترعون الحقيقيون وذلك ان جميع انواع حروف الهجاء التي تكتب بها
جميع الامم في سائر اقطار الدنيا بتمامها انما هي مأخوذة من الحروف التي كان يكتب بها
الفنيقيون وهي اثنان وعشرون حرفا اصلية وسائر حروف غيرهم من الامم ترجع اليها
وتبنى عليها مع بعض حروف اخرى هي بينها واسطة واسكنها متولدة عنها بكيفية تولد يمكن
تصورها بطريقة محققة

وقد كان من الفنيقيين يأخذ من فن المصريين وفن الاسور بين معا فكان عبارة عن توفيق
اشكال في الامتين المذكورتين وتطبيق اصول الصناعتين السابقتين وصار له كذلك
تأثير عظيم وعمل جسيم على فن اليونان

مطلب — ذكر ديانة الفنيقيين وما كانوا يعبدونه من الاصنام المعبودين — وقد
كانت ديانة الفنيقيين قريية جدا من ديانة الاسوريين والبابليين وكانت آلهتهم الاصليون
ومعبوداتهم الاهليون عبارة عن ذاتين اصليتين (احداها) ذكر كان يسمى عندهم باسم
(بعل) وكانوا يعبدونه على صور مختلفة كثيرة ويدعون به باسماء متنوعة عديدة فكانوا
يعبدونه في مدينة (صور) باسم (ميليكارت) وفي مدينة (الجيل) باسم (آدونيس)
وفي سائر الجهات الاخرى من بلادهم باسم (مولوخ) او (مولوك) و (الثاني) انثى
و يسمونها باسم (استرته) وهي التي منها تولدت الالهة المعبودة عند اليونان باسم (الزهرة)
التي كانت تعبد بمدينة (بافوس) بجزيرة (قبرص) وقد كانت صورة عبادتهم لهذه
الاصنام المعبودة لهم تشتمل على اعمال تعبدية من ارضل ما يكون وافعال تسكية من
اقبح مما يحل بكارم الاخلاق كما كان الحال كذلك بمدينة (بابل) وليكن كانت تقصيص

عبادة الكنعانيين بالخصوص بما كان منطبقا فيها من طابع الفسادة والجبر الذي كان يظهر على قواعد أعمالهم التعبدية ولم توجد أمة من الأمم السالفة تقرب منهم فيما كانوا يعملونه على حسب ما كانوا يزعمونه تقربا لاصنامهم من الأعمال التنسكية المشتملة على سفك الدماء البشرية وتعاطي الفواحش الدنيئة قال المؤرخ (كروزر) المشهور مانصه (معربا) ان الفزع قد كان هو الاساس الاصلي والباعث القوي الاولي لبانة القوم الفنيقيين وكان دينهم دائما شديدا اظه السفك الدماء محاطا باظلم ظلمات التخيلات السوداء (هـ) وفي الواقع ونفس الامر من تأمل فيما كان الفنيقيون يلتزمونه في تنسكاتهم الدينية من انواع الصوم والاحتماء عن تعاطي بعض المواد الغذائية وما كانوا يفعلونه باجسامهم من انواع العذاب الاختيارية ولا سيما ما كانوا يتجاسرون عليه من التقربات القبيحة بقتل النفوس البشرية التي كانوا يعتقدون وجوبها على الاحياء تعبد لاصنامهم المعبودة لهم لا يستغرب من كون امواتهم كانوا اولى بان يحسدوا على الممات من احياتهم على الحياة ولقد كان من اصول دينهم ان ينتهك اشد الاحساسات الطبيعية حرمة ويحط مرتبة الارواح البشرية الى ادنى الدرجات الدنيئة باوهام فاسدة وافهام كاذبة من الخس الفواحش وفسق انواع النسق الفاحش وينتهي حال المتأمل في احوال تعبداتهم هذه الى ان يقول ياهل ترى ماذا كان يستتب على ذلك من سوء العواقب الاخلاقية على اخلاق الامة الفنيقية قال المؤرخ المروى عنه اهلام بعد ذلك ما معناه وكان اشبع جميع التنسكات التعبدية واشنع الاعمال التنسكية في ديانة الامة الفنيقية هو ما كانوا يعملونه من التقرب لمعبودهم المدعو باسم (بعل بولوخ) بحرق اولادهم وهم على قيد الحياة بفعل ذات والديهم أما لاعتقاد الخاقهم بالحضرة الالهية المعبودة لهم اولقصدا طفاء نار غضبها عليهم (هـ) وكان الفنيقيون قد نقلوا معهم تلك العادة الشنيعة الى سائر التزلات الاستعمارية التي كانوا قد احدثوها في سائر الاقطار التي نزلوا فيها ولا سيما بنزلة (قرطاجة) اذ كانت قد بلغ فيها هذا الامر الديني الى ان صار من جملة الترتيبات الدولية الاصلية والشعائر السياسية المليية

ومن المعلوم بالضرورة ان دين كل امة وخصوصا كيفية اعمالهم التعبدية لا بد وان يكون لديه طابع قر محتم الخاصة بهم ولذلك كان ما نقل اليها من السلف من وصف اخلاق الفنيقيين ليس مما يمدح فقد روي لنا انهم كانوا قوما اولى جبروت قساة ودناءة نفس وكأبة وانا سافسقين سفا كير للدماء يتحكم فيهم حب النفس وشدة الاطماع لارحة في قلوبهم ولا يفون بعهودهم والظاهر ان روح ديانتهم بانضمامه الى حالة وجودهم التي كانت محض تجارية وصناعية قد اجتمعا على ان اغلقا ابواب قلوبهم عن الشعور باحاساسات الكرم والمرؤة وعن ضرورة الترقى

الى مرتبة اعلى من تلك المرتبة فانهم ولو بلغوا بلوغا من الخلق والمهارة واظهروا ما اظهروا
من الاتقان والشاطارة في تحصيل الاشياء المادية قد كانوا في ما يتعلق بالمواد المعنوية والاشياء
العقلية في الحقيقة انما هم ذراري ذلك النسل الملعون بالخصوص فيما يروى عن نوح عليه
السلام انه دعا باللعنة العامة على ذرية ولده حسام (انتهى هذا الباب معربا من مختصر الامم
المشرقية والهند للمؤرخ فرنسيس لونورمان)



مسائل

تضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب السادس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل ماخذ هذا الباب

مقدمه

٢ — ما اصل الفنيقيين

٣ — ما اصل الكنعانيين وما كيفية مهاجرتهم من الاوطان التي كانوا فيها في اول الامر متوطنين

٤ — ما المراد من لفظ الفنيقية وما جغرافية ما كان يوجد فيها من المدن الاصلية

الفصل الاول

٥ — كيف كانت مبادئ اخذ الصيد اويين في الاشتغال بالسفر في البحر في سالف العصر

٦ — ما تاريخ استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية

٧ — كيف كانت حادثة توسع لصيد اويين في الاسفار البحرية بتملك الحقبه العصرية

٨ — كيف كان سفر الصيد اويين في بحار اليونان بتلك الازمان

٩ — كيف كانت تجارة الصيد اويين في بحر بنطس او بتسكسان

١٠ — ما تاريخ تجارة الصيد اويين ببلاد افريقية

١١ — ما قصة اسفار الصيد اويين بالبحر الاحمر

١٢ — ما اسباب انحطاط درجة فن البحرية عند الامة الصيد اويية

١٣ — ما تاريخ غارة بني اسرائيل على بلاد فلسطين

١٤ — ما قصة نزلة الفنيقيين في ذلك الزمان مدينة (طيبه) من بلاد اليونان

١٥ — ما قصة النزلات الفنيقية ببلاد افريقية

١٦ — ماذا يدكر عن القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بالقوم اليبين الفنيقيين

١٧ — ما تاريخ غارة القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بال فلسطينيين وما قصة

خراب مدينة صيدا بغارة هؤلاء القوم الصائدين

(الفصل)

الفصل الثاني

- ١٨ — كيف كانت مبادئ اخذ مدينة صور في حيازة درجة الاعلوية على سائر المدن
الفنيقية
- ١٩ — كيف كانت حادثة المحالفة الفنيقية وما كيفية هيئتهم الاجتماعية
- ٢٠ — ماقصة ما كان للفنيقيين من النزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد
افريقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية
- ٢١ — ماقصة استيلاء الفنيقيين على اقليم (بيتيكة) ببلاد اسبانية
- ٢٢ — ماتار ميخ جزيرة (ملاطة) في سالف الاعصار
- ٢٣ — ماتار ميخ جزيرة (صقلية) في سالف تلك الحقبة العصرية
- ٢٤ — ماتار ميخ جزيرة (سردينيا)
- ٢٥ — ماقصة محالفة بني اسرائيل مع مملكة صور وكيف كانت معاملة الملك (هرام)
مع داود عليه السلام
- ٢٦ — ماقصة العمارات والاعمال النافعة التي انشأها الملك (هرام) الثاني بمدينة صور
- ٢٧ — كيف كانت علائق الملك (هرام) الثاني مع سليمان بن داود عليهما السلام
- ٢٨ — ماتار ميخ من خلف الملك (هرام) الثاني على مملكة صور من الملوك الفنيقيين
- ٢٩ — ماتار ميخ الملك المشهور باسم (بيجماليون) واخته (الياسار) او (ديدون)
- ٣٠ — ماقصة تأسيس مدينة (قرطاجة) على سواحل افريقية
- ٣١ — ماقصة استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الفنيقيين
- ٣٢ — ماقصة تخريب (بختنصر) المشهور بمدينة (صور)

الفصل الثالث

- ٣٣ — كيف كانت تجارة الفنيقيين البحرية
- ٣٤ — كيف كانت تجارة الفنيقيين البرية
- ٣٥ — ماذا يحكى عما كانت قد اشتهرت به المدن الفنيقية من كثرة الغنى والثروة
ووفرة الامتعة المالية

- ٣٦ — كيف كانت نزلات الفنيقيين الاستعمارية
- ٣٧ — كيف كان تأثير تمدن التزائل الفنيقيين على سائر الامم المتقدمين وما حقيقة ما كان لهم من الصنایع والفنون
- ٣٨ — ما حقيقة ديانة الفنيقيين وما كيفية عبادتهم لاصنامهم المعبودين وماذا نقل عن السلف من صفة اخلاقهم التي كانوا مشهورين



الباب السابع

في تاريخ السوريين والليديين وسكان بلاد آسيا الصغرى والارمن السالفين

(معربان كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ (جيلمان)

و فيه عدة فصول

الفصل الاول

في تاريخ بلاد سورية

ذ كرجغرافية تلك البلدان واصل اهلها وما كانوا عليه من الاديان

مطلب — ذكر ما المراد من لفظ (سورية) في هذا الباب من سالف الاحقاب وما اوضاعها الجغرافية وبيان اقسامها الطبيعية والسياسية — قال المؤرخ (جيلمان) في كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم ما تعريبيه بعد صرقوم ان المراد من بلاد (سورية) من سالف الاحقاب الدهرية هي البلاد المشمولة فيما بين ولاية (سيليسيا) (ولاية سيلفته وادنه) وبين بلاد (يهودا) (بلاد فلسطين الآن) والبحر الداخلى فى السبر (بحر الخزر) ونهر الفرات وحيث كانت تلك البلدان تخترقها عدة فروع من جبل (طوروس) (جبل كوزان) وجبل (امانوس) (جبل الماداغ) وجبال لبنان كانت تشمل على اودية تزيهة وسهول خصبة كثيرة توجد اثمما فى سفح تلك الجبال الكبيرة وذلك بخلاف نواحي الشرق منها حيث ترى صحارى قفرا وبوادي حفر آجفراً لانبات بها تمند فيما بين نهر الفرات وشمال بلاد (سورية) المذكورة وليس فى تلك الاقطار من الانهار الاصلية غير نهر (الاورنط) وهو المعروف بنهر العاصى الآن)

وكانت تنقسم تلك الاقطار بالتسمة الطبيعية الى قسمين عظيمين (اكد هما) سورية العليا وهى الكائنة فى جهة الشمال (والثانية) كانت تعرف باسم (كوليسورية) ومعناها سورية الفارغة وهى الكائنة فى جهة الجنوب

واما اقسامها السياسية فقد كانت تختلف بسبب اختلاف الاعصار وفي عهد الدولة الرومانية كانت تنقسم على هذه الكيفية الآتية بعدوهى (اولا) ولاية (الكوماجين) فى جهة الشمال وكانت قاعدتها مدينة (ساموزات) وهى موطن الفيلسوف الشهير باسم (لوسيانوس)

(ثانيا) ولاية (لاسيرستيك) الكائنة فى جنوب الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (هيرابوليس) بمعنى المدينة المقدسة وهى مدينة (بشبيج الآن) وقد كان فيها معبد شهير لصنهم المسمى باسم (استرته) وكان فيها مدينة كبيرة اخرى تدعى باسم (زوجه) كان بهما قنطرة مصطنعة من سفن على نهر الفرات تصابها مدينة (آبامه) الكائنة على الجانب الاخر من النهر المذكور

(ثالثا) ولاية (البيبريه) فى جهة الغرب وهى مصابقة من جهة الشمال لولاية (سيليسيا) المذكورة اولا وكانت مدينتها الاصلية تدعى باسم (ميراندروس) واصل عمارتها من نزلة فنيقية قديمة كانت قد نزلت على القرب من مضائق جبال (سيليسيا) و (ايسوس) (اوجاسيوم)

(رابعا) ولاية (سيلوسية) على القرب من البحر الملح (البحر المتوسط الابيض او بحر سفيد) وكان بها قلعة حصينة تدعى قلعة (سيلوسيه)

(خامسا) ولاية (كالسيديس) على الشرق من الولاية المذكورة قبلها وكانت قاعدتها مدينة (كالسيس) فاشتق اسمها منها

(سادسا) ولاية (شالبيونتيد) وهى على اقصى من الولاية المذكورة قبلها الى جهة الشرق تصل الى نهر الفرات بواسطة الصحراء حيث يوجد المكان المسمى باسم (تيساك) وكان اكثر عبور المسافرين على نهر الفرات فى تلك الازمان من ذلك المكان

(سابعا) ولاية (الپلميرين) وهى عبارة عن واحة فى وسط الصحارى كانت توجد فيها مدينة (پلمير) وهى مدينة تدمر المشهورة

(ثامنا) ولاية (كوليسورية) فى جهة الجنوب بوادى نهر العاصى بين سلسلة جبال لبنان الاصلية وسلسلة جبال لبنان الموازية لها وكانت قاعدتها من سالف الزمان هى مدينة

(دمشق) الكائنة على النهر المسمى باسم (كُرْزُورِوِاس) (وهو المعروف بنهر دمشق الآن) وهو يتوزع الى عدة جداول او غدران صغيرة كثيرة تروى ضواحي تلك المدينة الشهيرة وهي كائنة في وسط وادنزيه جميل جدا وقد كان في تلك الولاية ايضا مدينة (هيليبوليس) المسماة باسم بعلبك الآن وكان بها في سالف الزمان معبد يدعى الصنع والبنيان لعبادة الشمس (وهي ما كان يدعى عندهم باسم (بعل) في قديم الزمان) لم يزل يتردد عليه السواحون يتفرجون على هيئة بعض الآثار الباقية منه لغاية الآن وتلك الاطلال كائنة على متسع من الارض تبلغ مساحته من اربعة كيلومترات الى خمسة من آثار عمارات عهد الدولة الرومانية والاغلب على الظن انها من عهد قيصم الروم المسمى (انطونينوس) التي واما آثار مدينة تدمر الشهيرة فانها من حيث مجموعها هي اعظم شأنها واهول واجسم بنيانها واصل غير انها من حيث بعض تفاصيل ودقائق هي دون اطلال هيكل الشمس المذكور قبل

(تاسعا) ولاية (لاوديسينيه) على حدود بلاد الفنيقية وقاعدتها مدينة (لاوديسه)

(عاثرا) ولاية (آبامينيه) على شمال الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (آبامه) وكانت قلعة حصينة عظيمة كائنة في قطر ذي خصوصية جسيمة ومن مدن هذه الولاية ايضا مدينة (حص) وقد كانت مشهورة من سالف تلك الازمان بما كان يوجد فيها من هيكل للصنم المشهور باسم (بعل) وكذلك مدينة (حمام) وكانت تدعى ايضا باسم (ايبفانيا) واخر اقسام بلاد سورية السياسية الولاية المسماة في تلك الاعصار باسم (كاسيوتيد) في جهة الغرب على سواحل البحر الابيض المتوسط وكانت قاعدتها مدينة (انطاكية) وموقعها في وسط سهل خصب جدا على شواطئ نهر العاصي وعلى البعد منها بمسافة قليلة غابة اشجار من الغار (او الدفلى) والسرو تقي قرية كبيرة هناك كانت تعرف باسم (دقنه) مشهورة بما كان يوجد فيها من هيكل الصنم المعروفين عند اليونان باسم (ابواللون) و (ديانه) ومن مدن هذه الولاية الاخيرة ايضا المدينة التي كانت تسمى في تلك الاعصار باسم (لاوديسه) وهي المعروفة باسم (لاطاخيه) الآن

مطلب — ذكر اصل السوريين واحوال سكان بلاد الشام السالفين — وقد كان اصل السوريين من نسل (آرام) خامس ابنا سام بن نوح عليه السلام ولذلك قد يعبر عنهم بالآراميين وقد يعبر عن بلاد سورية ايضا كما في اتوراة ببلاد (آرام) وحينئذ فقد كانوا هم الاقارب الاقرب بون لقبائل السامية التي كانت تحيط ببلادهم غير انهم لما كانت

مواطنهم على ارض خصبة واقطار متسعة غنير جديدة لم يضطر واللحل والارتحال ولم يكونوا قبائل اولى انجماع وانتقال كاخواتهم العرب ولا اقواما بحارة كما قد كان ذلك شأن القوم الفنيقيين بل كانوا قوما اهل فلاحه وتجارة وذلك انهم كانوا في ذلك العصر من جهة مصاقيب انهر الفرات ومن اخرى على سواحل البحر الملح فكان هاتان الجهتان باين مفتوحين لهما ينتفعان بهما وطريقين متمسعين يرتعان للاستعادة منهما وكانت القوافل التجارية التي تجلب البضائع المشرقية الى بلاد الفنيقية تمر بالضرورة في خلال بلادهم فتدعو سكان الاقطار السورية للمشاركة في اسفارهم الهية حيث كانوا يتكسبون معهم منها ويقتسمون به ينتج من الارباح عنها

مطلب — ذكر ديانة السوريين وما كان لهم في الاعصار السالفة من الاصنام المعبودين — واما ديانة السوريين السالفين فقد كانت نظيرة من عدة وجوه كثيرة لاديان الامم الذين كانوا لهم مجاورين في كانوا يعبدون الصنم المشهور باسم (بعل) ويعتقدون انه هو ربهم الاعلى وهو عين الصنم لذى كان يعبده جيرانهم الكلدانيون مع تحريف خفيف في اسمه وكان في نظر عامتهم هو ذات الشمس او كوكب المشتري او غير ذلك من الكواكب السيارة والظواهر انهم كانوا يعبدون ايضا القمر باسم (بعل جاد) وقد كان من معبودات بلاد سورية الاهلية المعبودة المسماة باسم (آتار جاتيس) او (ديرسو) وكان التعبد لها في الاكثر بمدينة (بنبيس) ولا شك انما في الاصل كانت تختلط بعبودة القوم الفنيقيين المسماة ايضا باسم (ديرسو) وهي في اعتقادهم عبارة عن الهة نصفها امرأة ونصفها سمكة كان لها عابده متعددة بمدينة (يوبه) و(عسقلان) و(ازوت) وكان لكيفية عبادتها في تلك الاماكن مشابهة كبيرة مع كيفية عبادة الهة المسماة باسم (سيبيله) التي كانت تعبد كذلك باقليم (افريجيا) (بيلا داسيا الصغرى) حتى انتهى الحال باتحاد كل من الصنمين المذكورين وجعلهما آلهة واحدا وكان كل من طائفتي قسماهما في ايام مواسمها الدينية ينهمكون على انواع وحشية من الرقص على نغم المزاهر والطبول ويجلدون انفسهم بالسياط حتى يبرز الدم من ابدانهم ويقطعون اطرافهم في احوال جنونية واعمال سر سامية يعملونها في تلك المواسم الدينية ومن اخص الاعمال الدينية الخاصة باديان السوريين السالفين انهم كانوا يتنعمون من اكل السمك ويحترمون الحمام وأما ما كان يوجد في بلاد الفنيقيين من عوايد التقرب لآلهتهم باسالة الدماء والاعمال المحزنة والتنسك بانواع الفواحش المسترذلة وخط انواع العذاب الاليم

بقضاء الشهوات الجسمانية فقد كان ذلك يؤجد ايضا عند كثير من الامم المتوطنين ببلاد
آسيا الغربية

ذكر ممالك سورية المستقلة

مطلب — ذكر اصل منشأ الدول والممالك ببلاد سورية من أوائل تلك الاحقاب
الدهرية — قد كان السور يون في أول الامر منقسمين الى عدة قبائل لكل قبيلة
شيخ أو رئيس مخصوص يقوم بولاية امرها على وجه الاستبداد والاستقلال ثم تقوى
بعض تلك القبائل على بعض وتعالى امرهم على غيرهم فتغلبوا على القبائل المجاورة لهم
وادخلهم تحت طاعتهم وصار لهم الدولة على تلك القبائل المستتضة بعد ان كانت كل
واحدة منها مستقلة ومن ثم نشأ في بلاد سورية عدة ممالك أو دول صغيرة لا تعلم لاهل التاريخ
الابدي ذكرها في الكتب المنزلة ولم يقف احد من العلماء بالتواريخ القديمة على حقيقة
المواقع الجغرافية التي كانت لكل واحدة من تلك الممالك الكثيرة وهي مملكة (سوبا) ومملكة
(جاء) ومملكة (ارباد) ومملكة (معاشة) ومملكة (جاسور) ومملكة (روهبوب)
ومملكة (دمشق) ولم يعلم الجميع هذه الممالك والدول السورية حقيقة احوال تاريخية لغاية
ان خرج بنو اسرائيل من بلاد (فلسطين) في عهد كل من الملك (شاول) والملك النبي
(داود) عليه السلام حيث كان قد صار بنو اسرائيل في ذلك الجيل قوما اهل جهاد
فتوجهوا لقتال اهل تلك البلاد وتلاقوا مع بعض ملوك الاقوام السوريين فذكر في سفر
(سوييل) من التوراة ان (شاول) حارب ملوك (سوبا) وكان الملك (حداد عزيز)
معاسرا لداود عليه السلام فاراد هذا الملك السورى ان يفعل ببلاد (سورية) كما فعل ملوك
بنى اسرائيل ببلادهم ودا اعنى انه يجمع سائر القبائل السوريين المتفرقين ويجعلهم عصبة
واحدة ودولة متحدة من كبة من جميع القوى الملية والجنود الاهلية لقصد منع تقدم
ما كان قد حصل من الشروع فيه من افتتاح تلك البلاد بجهاد الاسرائيليين فلم يتم له ذلك
المرام بل كان داود عليه السلام قد توجه اليه فهزموه كل الانهزام وكان قد رغب في
المخالفة مع ملك بنى اسرائيل عدة سنين صغيرة من ملوك الطوائف السوريين واراد
اهل مملكة (دمشق) ان يأخذوا بثار ما حصل من الانهزام لملك السوريين المذكور
فاتدبوا لهم داود عليه السلام وشنت جوعهم وهزمهم شرهزيمة واضطر والامثال له
والدخول تحت طاعته واجبره هؤلاء الاقوام السوريين على دفع خراج الى دولة بنى اسرائيل
بمدينة (اورشليم) (بيت المقدس)

مطلب — ذكر حروب الملوك السوريين مع بني اسرائيل — وما علم من التوراة ايضا انه كان قدهم هؤلاء الاقوام السوريون مرة أخرى بحرب جديدة على بني اسرائيل أرادوا أن ينتهزوا فيها فرصة قيام القوم العمونيين على الاسرائيليين نخباب كذلك أم لهم ولم يخرج علمهم ومع كون ملكهم المدعو باهم (حداد عزير) المذكور آنفا قد استعان على بني اسرائيل في هذه الحرب بسائر القبائل السوريين المتوطنين بالجانب الايسر من نهر الفرات هلك منهم فيها ٤٠٠٠٠ رجل في سهل (هيلام) حيث كانت واقعة تلك الحرب ومن وقت أن سقط القوم السوريون في هذه الواقعة لم يؤثر ملكهم هذا ذكرا بل كان قد ظهر رجل آخر من جملة خدمه يقال له (ريزون) فلم يرض بهذه الهزيمة وكان قد احدث له مملكة بمدينة (دمشق) وجاء احد خلفائه عليها وكان معاصر الملك يهودا المدعو باسم (آفيا) بن (رحبعم) بن سليمان عليه السلام فذخروا مملكة (دمشق) على أكثر بلاد سورية

وبينما كانت هذه الدولة ذات الشوكة القوية قد تأسست ببلاد سورية كانت دولة العبرانيين قد سقطت في حالة الاضمحلال بما كان قد اعترها في ذلك العصر من الفشل والاختلال فجاء صاحب مملكة (دمشق) هذه المدعو باهم (ابن حداد الاول) وانتهز فرصة ما كان واقعا في اسباط بني اسرائيل من التفرق والشقاق واجبر ملكي دولتي (يهودا) وبني اسرائيل المتخاصمين على ان يشتر يامنهم ضريبة محالفتهم معهما باغلي الاثمان وقام ملك دولة يهودا المسمى باسم (آسا) فسلم اليه سائر خزائن بيت المقدس وصار عرضا مساعدا له على دولة بني اسرائيل الاخرى وقام السوريون فسلبواها ونهبوها واتلفوا حياها واخربوها واستولوا منها على عدة مدن واجبروا الملك (عمرى) على ان يأذن للتجار السوريين في ان يدخلوا مع غابة اطلاق العنان والحرية في مدينة (سمرية) وبينوا بهاد يار اليه وبها فيها وجاء الملك (ابن حداد الثاني) ولد (ابن حداد الاول) وخليفته على سرير مملكة (دمشق) في نحو (سنة ٩٠١ ق م) فارادان يزيل مملكة بني اسرائيل بالكلية وحضر امام مدينة (سمرية) يتبعه ٣٣ ملكا ورؤس قبيلة من طوائف السوريين ووضع عليها الحصار غير انه تحكم الفشل والاختلال في معسكره فاضطر للفراز مع العار والشار وذكري التوراة ايضا انه كانت قد توجهت بعد ذلك غارة اخرى من السوريين على بلاد الاسرائيليين فترتب عليها وقوع واقعة حربية قتل فيها كما قيل ٠٠٠٠٠ رجل من السوريين وكان قد امكن للملك (احوب) ان يأسر ملك (دمشق) في هذه الواقعة ويقتلهم

ويعتله لسكتة اختاران يبقى عليه ويعتقد معه عهد مخالفة ولا شك في ان واقعة نصره عليه لم تكن تامة كما ذكر حيث لم تلبث الحرب ان قامت على ساقيها بينهما بالثاني ووقعت بينهما واقعة حربية اخرى قتل فيها (احوب) مع انه كان قد انضم للملك (يهوشافاط) ملك يهودا فاعانه عليه وخلف (احوب) على سرير مملكة بني اسرائيل ولده (يهورام) فشن عليه الغارة بمدينة (سمرية) ملك دمشق وحصره فيها اضيق الحصر حتى اصاب تلك المدينة اشق المجاعة والكرب ولم ينقذها من غائلة تضيق الجنود الا راميين عليها غير حالة فرغ قامت بهم وتمكنت منهم ثم كانت عاقبة الملك (ابن حداد) هذا ان قام عليه بعد ذلك بقليل رجل من قواد عسكره يقال له (هازاييل) وخنقه ومع ما حصل في عدة عهد الملك (ابن حداد الثاني) المذكور من بعض مصائب الدهور فقد كان لمدة مملكة على مملكة دمشق من البهجة والظهور ما بعث الاقوام السوريين على ان اتخذوه الهالهم بعد موته وعبدوه

واما القائد (هازاييل) فانهم بعد ان قلدوه بمملكة دمشق وعلى منصب الملك اقروه قد كان اخذ منه الاسرائيليون في اول امره مدينة (راموت) ببلاد (جلعاد) او (شالاد) (وهي البلاد الكائنة على شرقي الجبال الواقعة على نهاية حوض نهر الاردن الاسفل) ثم جارب الملك (ياهو) وابنه (يهوياحاز) فظفر بهما وغلبهما واخرب عليهما مملكة بني اسرائيل اشد الخراب والتفت بعد ذلك الى محاربة الملك (يؤاش) ملك يهودا فشن الغارة عليه واجبره على ان يفترق مدينة القدس منه بتسليم جميع ما في خزائن البيت المقدس من الاموال والامثلة النفيسة اليه وبعد ان قتل الملك (يؤاش) الحبر الاكبر (زكريا) بستة واحدة كان الملك (هازاييل) ملك دمشق المذكور قد عاد الى مدينة بيت المقدس بالثاني وانتزعها من يد بني اسرائيل واباحها للسلب والنهب ولم ينقذهم الله سبحانه وتعالى من شدة هذا الكرب الالموت عدوهم هذا الشديد الصعب

مطلب — ذكر زوال دولة السوريين وانضمامها الى دولة الاسوريين —
 وخلفه على سرير مملكة الاسرائيليين ابن له يدعى ايضا باسم (ابن حداد) فاسترد بنو اسرائيل منه سائر القلاع والحصون والمدن التي كان ابوه قد اخذها منهم بل يظهر ان (يربعم) الثاني ابن (يؤاش) ملك بني اسرائيل كان قد استولى على مدينة (دمشق) وألحقها بدولة العبرانيين في ذلك الجليل وذلك ان حين انصب المصائب على رؤس السوريين كان قد حان وأوان زوال دولتهم كان قد آن وكان قد ظهر في بلاد المشرق في ذلك الزمان دولة ذات

شوكة قوية كانت قد أخذت في ان تدخل تحت طاعتها ساثر الامم الآراميين كما دخلت كذلك تحت ربة سلطنتها بني اسرائيل والفينيقيين (وهي دولة القوم الاسوريين) وكان آخر ملوك دمشق المدعو باسم (ريزان) اراد ان يتدارك هذا الخطر بان يتعصب مع ملكي يهودا و بني اسرائيل على دفع غائلة هذا الامر فأجابته لذلك الملك (فاقح) صاحب مملكة بني اسرائيل وامتنع (آخر) بن (يوشم) ملك يهودا ولما أغار على مملكته كل من صاحب مملكة بني اسرائيل وملك (دمشق) معا التمس الامداد عليهما من الملك (قبلا تفلامر) ملك الاسوريين فبادر ملك (نينوى) هذا باجابة دعاه وحضر بجنوده (اولا) امام مدينة (دمشق) ووضع الحصار حولها فأخذها واستولى عليها وقتل (ريزان) المذكور وانتزع جملة نفوس من اهلها واجلاهم الى شواطئ نهر (قبروس) (وهو نهر يصب في نهر العاصي) وانزل بدلا منهم في بلاد سورية نائل استعمارية من الاقوام الاسوريين ووضع بها جنودا محافظين وعمال من طرفه ومن ذلك الوقت صارت بلاد سورية كلها ولاية تابعة للدولة الاسورية ولم يترتب على انحطاط مدينة (نينوى) فائدة ما للاقوام السوريين بل كانت دولة الفراعنة المصريين قد توجهت اليهم بالتهديد وانتقال الدولة العراقية القديمة الى مدينة بابل تعدت صواتها كذلك اليهم ونزلت الجنود الكلدانية عليهم فهزمتهم مع العبرانيين في واقعة (ماجدو) وتبعت فرعون مصر فهزمتها ايضا في واقعة (قرقازيا) او (فرقيش) واجبرته على ان يقر الى ديار مصر ومن ذلك العهد صار السوريون غنيمة باردة واقمة حاضرة محضرة لكل من جاء فاستولى على بلاد آسيا من الملوك الفاتحين في كل عصر كجنتنصر وكيرش والاسكندر وغاية ما هناك انه فيما بعد ذلك من الزمن كان قد حدثت ببلاد سورية دولة جديدة تعرف في التواريخ القديمة بدولة (السيلوسية) او (السيلوقية) وفي تلك القرون الاخيرة لغاية عهد السلطنة الرومانية كانت مدينة (بلير) او (تدمر) التي هي مدينة سليمان عليه السلام القديمة لم تزل ظاهرة في اقصى درجة ابتهما باهرة بابهي حلال بجهتها

الفصل الثاني

في تاريخ بلاد آسيا الصغرى

مطلب — ذكر ما المراد من لفظة (آسيا الصغرى) وما اوصافها الجغرافية

— المراد

— المراد من قواهم (آسيا الصغرى) هو هذه البصيرة جزيرة البارزة في البحر الأبيض المتوسط (بحر سفيد) على هيئة رأس عظيم جدا من الارض القارة التي يطلق على ساثرها اسم (آسيا) على وجه الاطلاق فهي الجزء البارز من ذلك البر فيما بين بحر بنطش او بنتكسان وبحر جزيرة (قبرص) على وجه بحيث يدفع امامه امواج بحر الارخبيل (او بحر جزائر الروم) وسواحلها الجنوبية مستورة بجبال شاهجة من ضمن سلسلة جبال (كوران) لم تنزل في كل عصر من الاعصار ما وى لاعم غير مضبوطين واقوام ير وابطقوا نين الملل غير مضبوطين فهم دائما مستعدون لانزول على البحر وعلى السهول الكائنة تحت ارجلهم ينتهبون التجار المسافرين ويستلبون اموال الاقوام الفلاحين ويتكئون من هذا القطر الكثير الجبال من المشرق الى المغرب كل من الاقاليم التي كانت تعرف عند السلف بهذه الالهام القديمة وهي (ككارييا) و (ليسيا) و (بنفيليا) و (سيليسيا) وهذه الاقاليم تخرب الى جهة الجنوب نحو البحر ثم (اسبيديا) و (ايزوريا) و (ليكاوونيا) وهذه الاقاليم تنزل الى جهة الشمال من اعلى الجبال الى داخل تلك البلاد وعلى الغرب من آسيا الصغرى المذكورة كل من ممالك (تروادة) و (ميزيا) و (ليزيا) و (ايوليد) و (يونيا) وهي بلاد اليونان الكائنة بسواحل (آسيا) و (دوريد) وكل هذه الاقاليم كائنة على ساحل من البحر كثير الهضبات والوهاد جدا تخترقها عدة مجار من المياه تكسب تلك الارض خصوبة عظيمة ولا يوجد في البحر امام الساحل الجنوبي منها غير جزيرتين عظيمتين وهما جزيرتا (رودس) و (قبرص) واما في داخل البحر من الساحل الغربي في شاهد عدة عديدة وسلسلة مديدة من جزائر جميلة وهي جزائر (لمتوس) و (لسبوس) و (شيو) و (ساموس) و (كوس) و جزائر (اسبورادة) ولم تنزل تلك الجزائر كلها من قديم الزمان معمورة بالناس الذين فيها يا وون وملجأ للتجار الذين اليها يلتجئون وفي جهة الشمال من آسيا الصغرى الى جهة بحر (بنطش) المتصل ببحر الارخبيل بواسطة كل من بوغاز (هيليسبون) وهو بوغاز (الدردانيل او شناق قلعه) وجون (البرو بوثيد) وهو بحر من مرة) و بوغاز (البوسفور) وهو بوغاز اسلا مبول الآن يوجد كل من اقليم (ميزيا) و (بيثيا) و (بفلاچونيا) ومملكة (بنطش او بنتكسان) وفي وسط آسيا الصغرى يوجد اقليم (افريچيا) و (القابادوسية) ومملكة اخرى حدثت ايضا فيما بعد يقال لها (جالاسيا) وكل هذه الاقاليم الاخيرة كائنة في ادنى نواحي هذا القطر نعمنا خلقية واقلاها كرامة طبيعية ثم ان بلاد آسيا الصغرى هذه تنفصل عن باقي بلاد آسيا العليا والكبرى بجبل (امانوس) (جبل المداغ) وهو جزء من سلسلة جبال (كوران) يمتد الى جهة الشرق وتتكون منه تلك

الجيث جزيرة على وجه طبيعي مضبوط جدا بحيث لا يمكن الدخول منها الى بلاد (سورية) الامن بابين ضيقين مسافة ما بينهما بقدر ٢٥ كيلومترا يدعى احدهما وهو الكائن في جهتها الشمال باسم باب (الماداغ) والثاني وهو الكائن في جهة الجنوب باب (سوريه) واعظم الانهار ببلاد آسيا الصغرى هو النهر المسمى عند السلف باسم (هاليس) وهو المعروف الآن باسم (قز يل يرمق) وهو الحد الفاصل بين نوعين متباينين من الانسال البشري القاطنين في تلك الاقطار الارضية اما سكان الجانب الغربي من ذلك النهر وهم (الليديون) و(الافريجيون) و(الميزيون) و(الكاريون) فقد كانوا على وجه العموم من جلس نسل اهل اقليم (طراقة) الاوروبيين واما سكان الجانب الشرقي منه وهم (القبابادوسيون) (السيليسيون) و(البنفيليون) و(السوليميون) وهم سكان (اللمبي) (اليسيا) و(بيسيديا) السالفون فهم من جنس النسل السورى العربى وقد كان نهر (قز يل يرمق) هذا فاصلا بين فرقتين مختلفتين من اللغات التي يتكلم بها هؤلاء الاقوام بتلك الجهات (احدها) على الجانب الايمن منه وقد كانت كلهما من طائفة اللغات السامية الاصل و (الثانية) على الجانب الايسر وهي من طائفة اللغات الهندية الجرمانية وذلك فيما عدا بلاد الارمن فان خارجة عن آسيا الصغرى والظاهر انها الداعى ما عليه طبيعة لغة اهاها يقتضى أن تعد من جمل الفرع الهندى الجرمانى أيضا وستكلم عليها في فصل مخصوص يأتي بعد

مطلب — ذكر احوال سكان بلاد آسيا الصغرى السالفين — وما يوجد بين الامم القاطنين على غربى نهر (قز يل يرمق) من القرابة الشديدة من حيث اللغات التي كانوا يتكلمون بها فقد كانوا مختلفين من وجوه عديدة فكان (الكاريون) و(الليديون) و(الميزيون) منهم يعترفون بانسابهم الى اصل واحد ويتبعون جميعا على وجه الشروع بعمل قريبات الى معبودهم العام المدعو باسم (زاوس كار يوس) هديتا (ميلازة) بخلاف القوم (الليكا ونيين) فانهم مع كونهم كانوا يتكلمون بعين اللغة التي كانوا يتكلمون بها (الكاريون) كانوا لا يشاركونهم في ذلك وكان كل من الامم (البيثنيين) و(المارياندينيين) و(البفلاجونيين) يتكلمون منهم في جهة الشمال الشرقى من الامم المذكورين قبلهم طائفة ثانية كان دليل رجوعهم الى اصل الطراقيين الاوروبيا وبين اقوى وافصح واظهر واوضح مما يشاهد في احوال هؤلاء الاقوام المذكورين وذلك ان سكان الجانبين من بوغاز (البوسفور) كانوا يتكلمون في العصر المذكور بلغة واحدة وكانت بلقاهم وطباهاهم متحدة وهي شدة الشغف بالحرب وسفك الدماء والانهمالك على السلب والنهب

فكان الفرق بين كل من (الكاريين) و(الليديين) وبين (البيثنيين) و (البفلاجوثيين) عظيماً جداً وكان (الميزيون) و (الافريجيون) هم الذين تحقق فيهم درجة الانتقال بين الاصلين المذكورين وتصدق فيهم عروبة القرابة بين جميع هؤلاء الامم المذكورين ولقد صدق من قال من اهل التاريخ ان واسطة عقد الانتقال بين الامم الآسيية والاقوام الاوروية بين المذكورين كانت بيلاذ (افريجيا)

وقد اتفقت الروايات المنقولة عن المؤرخين المتقدمين مع ما يظهر من احوال اللغات التي كان هؤلاء الاقوام يتكلمون بها على كل من جانبي بونغاز (البوسفور) المذكور على ان سائر هؤلاء الامم كانوا متحدى الاصل والنسب مختلطين بعضهم مع بعض وهل كان اصلهم من بلاد آسييا ثم انتقل منهم اقوام مهاجرون الى بلاد اوروپة ام كان الحال بالعكس قال جمهور المؤرخين السالفين ان (الافريجين) كانوا في الاصل من الاور وياويين وكانوا قاطنين بسفح الجبل المدعو باسم (برميون) بتلك الاقطار وكانوا يدعون حينئذ باسم (البريجس) ومعناه في لغة (الليديين) الرجل الحر وقال المؤرخ الروماني المشهور باسم (استرابون) ان (الاطراقيين) و (الميزيين) كان اصلهم من البلاد التي كان الرومانيون يدهون بها بيلاذ (ميزيا) وهي الكائنة على شواطئ نهر (طونة) بيلاذ اوروپة ثم هاجر جميع هؤلاء الاقوام من بلاد اوروپة الى بلاد آسييا وقال المؤرخ (اكسانتوس) الليدي ان انتقال القوم (الافريجين) من شواطئ اوروپة الى شواطئ آسييا قد كان بعد حوب مدينة (تروادة) المشهورة وقال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني بعكس هذه القضية فذكر في كتاب تاريخه المشهور ان جماعة كثيرين من (التوكريين) وهم قدماء الترواديين ومن (الميزيين) الذين هم من قدماء الاقوام الآسيية المذكورين كانوا قد انتقلوا من بلاد آسييا الى اوروپة قبل تلك الحرب المذكورة فطردوا (الاطراقيين) من مواطنهم الاصلية واجبروهم على ان هجروا بونغاز البوسفور وتوطنوا باقليم (بيثنيا) وتقدموا هم الى حد نهر (بينوس) وهو المعروف الآن باسم (سلاميريا) بولاية (نيساليا) وقال بعض السلف من اهل التاريخ أيضاً ان (الميزيين) هم في الاصل نزلت من القوم الليديين كما كانوا قد بعثوا الى تلك النواحي لقصد تسكين الغضب الالهى وفي الحقيقة قد كانت لغة (الميزيين) نصفها ليدي ونصفها افريجي وبالجملة فقد كان يوجد بعض روايات عامية وخرافات اهلية متحدة بسواحل اوروپة وآسييا معا كقصة الملك (ميداس) ملك نواحي نهر (البيكتبول) وهو نهر (سرد) او (سرت) الآن حيث كانت تلك القصة الخرافية تحكى بين سكان (افريجيا) و (مقدونيا) معا ومن هذه الوقايغ كلها ينتج ان

اصل جميع سكان اقليم (طراقة) وبلاد آسيا الصغرى اعنى قرابة سكان بلاد اليونان مع ام
آسيا الكبرى على وجه العموم

واما بلاد (القبادوسية) و (بنطش) و (بيثنيا) و بلاد (الجالاسيين) فحيث كانت قد تكون
بها بعض ممالك ودول صغيرة أو كبيرة في الحقبة العصرية المنقضية فيما بين عهد الاسكندر
الأكبر وعهد السلطنة الرومانية فسيأتى الكلام عليها في مواضعها

ولا يعرف لاهل التاريخ شئ من اخبار بلاد (الليكاوونيين) غير انها بلاد متكونة من هضبات
جبلية باردة الهواء تكثر فيها المواشى الحيوانية كان فيهما من قديم الاحقاب الزمنية المدينة
المسماة باسم (انكيوم) (وهى قونية الآن) ولامن اخبار بلاد (ايزوريا) وهى خطة من
جبال كوران كثيرة القلاع والحصون الصغيرة من قديم الزمان ولامن اخبار بلاد
(الابسيديين) الكائنة على قبة جبال كوران المذكورة وقد عثر بهض السواحدين من الافرنج
التأخرين على اطلال عظيمة وآثار جسيمة لمدينتين قديمتين للقوم (الابسيديين) المذكورين
كانت تدعى (احاهما) باسم (سلجه) وكانت موضوعة على رأس جبل وعرجداو (الثانية)
باسم (ساجالاسوس) كائنة كذلك على قبة صخرة شاهجة تشرف اشرفا فآسيا على واد
منسفل ذى ثروة وخصوبة بليغة يشتمل على عدة قرى عديدة

وأما (الليسيون) فسيأتى الكلام على تاريخهم في باب تاريخ الاقوام اليونانيين واما
(البنفيليون) و (السيليسيون) فلا تاريخ لهم يذكر ولا اثر عنهم يؤثر غير انه حصل العثور
على آثار مدن قديمة كثيرة ببلاد (سيليسيا) ولا سيما آثار مدينة (سوليس) ذات على
ما كانت قد بلغت تلك الولاية في قديم الاعصار من علوم وتبنة التمدن والاصحاضار ولما
كان موقع تلك البلاد في عين باب بلاد آسيا العليا لزم بالضرورة ان يكون قدمها في خلال
سهولها ومضائق جبالها سائر الملوك الفاتحين للممالك القديمة من عهد الملك (نينوس)
لغاية الاسكندر الاكبر ومن خلفه من الملوك السالفين ولذلك عثر بعض السواحدين المتأخرين
في الدر بنداي المضيق بين الجبلين المعروف الآن باسم (جلوك بوغاز) وهو المشهور عند
السلف باسم (بيلكس سيليسيا) بمعنى ابواب سيليسيا على نقوش بارزة مصطنعة في الصخور
يظهر عليها طابع فن تصوير الاسوريين ومنها نقوش اخرى تراءى لبعض العلماء
الاوروبايين انها من الاعمال الاثرية التي انشأها (كسرى) ملك فارس فان جميع هذه
الآثار تثبت مرور هؤلاء الملوك الاقدمين الفاتحين لممالك المشرق وتؤكد بقاء ذكرهم
في تلك البلاد

واما البقلا جونيون فلم يحد ثوالهم دولة الامصافة حقبة قصيرة من الدهر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمدة قرنين من ذلك العصر وكانوا غنيمية يتنازعها كل من ملك (بنطش) وملك (بيثنيا) في سالف الاعصار وليس لاهل النار مخرج معلومات صحيحة الا ما تدرجدا فيما يتعلق بحدقيقة اجوال بلاد (الكارية) وبلاد (افريجية) واما ملكة (تروادة) وملكة (ليديا) فانهما اوضح حالا من جميع بلاد هؤلاء الاقوام الآسيين لدا هي انهما كانا كثر علاقة ومعاملة مع بلاد اليونان في تلك الازمان

اما (الكاريون) فن اخبارهم ما يظهر من انهم كان قد حدث لهم في الاعصار الغابرة دولة عظيمة ظاهرة وكانوا يدعون في تلك الاعصار القديمة باسم (الليبيين) وانهم كانوا قد ملأوا بحر جزائر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وما فيه من الجزائر بسفنهم البحرية وكان قد استولى عليهم الملك (كربزوس) ملك (ليديين) وضم بلادهم الى مملكته حتى جاء الملك (كبيرش او قيروس) ملك فارس ففتحها واستولى عليها ونصب عليها من طرفه ولانها الاصليين ومن اخبار الكاريين المذكور بن انهم قد كان لهم حظ عظيم ومدخل جسيم في ثورة المدن اليونانية واليونانية الكاشة بسواحل بلاد آسيا الصغرى على الدولة الفارسية وانهم كانوا قد صار قمع هصيانهم ومنع طغيانهم وادخالهم معهم تحت الطاعة الفارسية بالثاني وكان التجار في النوع البشري بتلك الاعصار يجدون سهولة في اخذ الرقيق الذي كانوا يتجرون فيه من سكان تلك البلدان حتى صار لفظ (الكارى) مرادفا للفظ الاسير في تلك الازمان ويرى انهم كانوا دائما يخدمون الدول الكبيرة ذوات الشأن بالاجرة كدولة مصر واليونان ودولة العبرانيين في عهد داود عليه السلام

واما بلاد (افريجيا) فقد كان من مدن الاصلية في تلك الازمان مدينة (لاوديسة) وهي المعروفة الآن باسم (اسكى حصار) ومدينة (آبامه سيبوتوس) وهي المسماة الآن باسم (دينابس) وغيرهما ومن اشهر الاماكن المشهورة بهذه الولاية ايضا المكان المعروف باسم (تنبره) وهو السهل الذي هزم فيه الملك (كبيرش) جيش الليديين والقرية المشهورة باسم (ابسوس) وهي البقعة التي وقعت فيها واقعة الحرب الكبيرة بين خلفاء الاسكندر الاكبر وبنائهم فيما بينهم كما سيأتي ابصاح ذلك في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وقد كانت ولاية (افريجيا) هذه مشهورة عند السلف بجودة ما يخرج بها من صنوف الصوف الجيد فيؤخذ الى مدينة (ميليت) وهي اكبر المدن اليونانية واليونانية ببلاد آسيا

الدرس التام ٤٠٠ في التاريخ العام

الصغرى و يصطنع فيها منه اجود الاقشة الفانخرة وكانت مشهورة ايضا من سالف الازمنة
بالفلاحة المتقنة وما كان يخرج فيها من أنواع الجبن المستحسنة وانواع الاطعمة المحلطة

نذكر ان بهذه البلدة من سالف الالعصار الغابرة ايضا مملكة من هرة ودولة كبيرة ظاهرة تواترت
اخبارها الى عصرنا هذا و بقيت آثارها عندنا بما تواتر لدينا من الروايات التي تناقلها الناس
من الامم والاقوام المتوطنين على جوانب بوغاز (البوسفور) (بوغاز اسلا مبول) مما يحكى عن
بعض ملوك تلك الولاية وهو الملك المشهور باسم (ميداس) من انه كان اذا لمس شيئاً ما استحال الى
ذهب في الحال ولا شك في ان ذلك من قبيل الخرافات العامية والتخيلات الوهمية وانما
من الثابت المحقق والمعلوم الصادق المصدق انه كان يوجد في تلك الولاية دولة كانت قد
سبقت في السلطنة على بلاد آسيا الصغرى دولة (الليديين) ولربما كانت هي الواسطة
في التمدن والتقدم في المواد الدنياوية الذي كان قد جاء من بلاد آسيا العليا الى مملكة
(ليديا) ومملكة (تروادة) وسائر بلاد اليونان في سالف الزمان ولكن من سوء البخت
ضاعت هنا اخبار ذلك التمدن القديم واندرست آثار ذلك التقدم العظيم ولم يبق لنا منها
غير ما علم من بعض روايات عامية قديمة متهممة وبعض آثار واهية مبهممة شوهت عليها
بعض نقوش بارزة هي لغاية الآن غير منزهة ووجدت خصوصا باعلى وادى (سجاريوس)
وهو المعروف الآن بنهر (ساكاريا) ببلاد آسيا الصغرى يصب ببحر (بنطس)
وقد كان ايضا من جملة دول بلاد آسيا الصغرى القديمة العظيمة ومما عكها المستحالة
الجسيمة مملكة (تروادة) ولكن تاريخها مما يتعلق بتاريخ بلاد اليونان وسيأتي في باب
من هذا الكتاب

الفصل الثالث

في تاريخ الليديين

مطلب — ذكر ان كانت مواطن الليديين وما اخبار بيوت ملوكهم السالفين
— انه فيما بين سفح جبل (تمولة) او (تولوس) ونهر (هرموس) الكائن على الجانب الايمن
من النهر المسمى باسم (بكتول) او (بكتولوس) وهو المسمى بنهر (سارد) او (صرت) او
(باجوايت) الآن يرتفع جبل شامخ جدا يشرف على سهل رحب خصب ينبثق فيه من جهة
الشرق